

التفسير البسيط

أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الوليد الحارثي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء العشرون

من أول سورة الزخرف إلى آخر سورة الحجرات

تحقيق

الدكتور علي بن عمر السحيباني

من أول سورة ق إلى آخر سورة الطور

تحقيق

الدكتور فاضل بن صالح بن عبد الله الشهري

دقيقه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

تركيب بن سهون بن الوليد العتيبي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن طاهر بن عبد العزيز السعدي

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥٠٠م.
٤٧٠ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨-٤٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٢٠)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سظام.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٢ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع
العبيكان
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سظام بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢-١ . قوله تعالى : ﴿حَمِّ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ ، قال ابن عباس : «قَسَمٌ من الله بالقرآن المبين»^(١) ، يريد الذي بَيَّنَّ فيه الفرائض والسنن والشرائع ، قال أبو إسحاق : «﴿ٱلْمُبِينِ﴾ الذي أَبَانَ طريقَ الهدى من طرق الضلالة ، وأَبَانَ كُلَّ ما تحتاج إليه الأمة»^(٢) .

٣ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ؛ أي صَيَّرْنَاهُ . والجعل يكون بمعنى^(٣) التصيير ، ذكرنا ذلك في قوله : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] . والمعنى : صَيَّرْنَا قرآنَ هذا الكتاب عربياً ، لأن من القرآن العبراني^(٤) والسرياني ، فما نقل منه إلى العربية صار عربياً بالتصيير والنقل .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٤٧/١٣ ، والبغوي في تفسيره ٢٠٥/٧ ، وابن الجوزي ٣٠٢/٧ ، ولم ينسبه .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٥/٤ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جعل) ٣٧٣/١ ، واللسان (جعل) ١١١/١١ ، ومفردات الراغب (جعل) ٩٤ ، وتفسير البغوي ٢٠٥/٧ ، وتفسير ابن عطية ٢٣٩/١٤ .

(٤) قال السيوطي : «اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن ، فأكثرون ومنهم الإمام الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضي أبو بكر ، وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ =

٤. قوله تعالى: ﴿وَلَنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾. قال ابن عباس: «في اللوح المحفوظ»^(١). يريد: الذي عندنا، قال مقاتل: «يقول: فإن نُسخته في أم الكتاب، يعني اللوح المحفوظ»^(٢).

وقال أبو إسحاق: «﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾. أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمّه، والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾»^(٣) [البروج: ٢١-٢٢].

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾. وقد شدّد الشافعي النكير على القائل بذلك، وقال أبو عبيدة: «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن (كذاباً) بالنبطية فقد أكبر القول». وقال ابن أوس: «لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها». وقال ابن جرير: «ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية والحبشية والنبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد»، وذهب آخرون إلى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألستها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي، وابن الجوزي، وآخرون. انظر: الإتيان للسيوطي ٣٦٦-٣٦٩/١.

(١) ذكره ذلك الثعلبي في تفسيره ٧٨/١٠، والبغوي في تفسيره ٢٠٥/٧، والقرطبي ٦٢/١٦، ولم ينسبه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٧٨٩/٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٠٥/٤.

وقال عبدالرحمن بن سابط : «كُلُّ شَيْءٍ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ فِي أُمِّ الْكِتَابِ»^(١).

قوله : ﴿لَدَيْنَا﴾ يجوز أن يكون من صفة أم الكتاب ، كما ذكره ابن عباس^(٢) ، ويجوز أن يكون المعنى : وإنه لدينا في أم الكتاب . ﴿لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ . قال قتادة : «أخبر عن منزلته وفضله وشرفه»^(٣) ؛ أي إن كَذَّبْتُمْ به يا أهل مكة ، فإنه عندنا رفيع ، شريف ، محكم من الباطل ، قاله المفسرون^(٤).

وقال أهل المعاني : «العلي في البلاغة المظهر ما بالخلق إليه حاجة»^(٥) في أحسن البيان ، جهله مَنْ جهله ، وعلمه مَنْ علمه .

٥. قوله تعالى : ﴿أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ . قال الفراء^(٦) والزَّجَّاج^(٧) : «يقال : ضربت عنه وأضربت عنه ؛ أي تركته وأمسكت عنه» . وقوله : ﴿صَفْحًا﴾ . قال ابن قتيبة : «أي إعراضاً ، يقال : صَفَحْتُ عن فلان ، إذا أعرضت عنه ، والأصل في ذلك أنك موليه صَفْحَةَ عنقك» . قال كُثَيِّرٌ يذكر امرأة صفوحاً :

صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتِ
أَي مُعْرِضَةً بوجهها^(٨) .

(١) انظر : الدر المنثور ٣٦٦/٧ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٨/١٣ ، وتفسير ابن كثير ٢١٦/٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٩/١٣ عن قتادة ، وانظر : الوسيط ٦٣/٤ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٢٠٥/٧ ، تفسير الوسيط ٦٤/٤ .

(٥) انظر : غرائب التفسير للكرماني ١٠٦٠/٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٨/٣ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٤٠٥/٤ .

(٨) إلى هنا انتهى ما نقله عن ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٣٩٥ .

وقال أبو علي : «وانتصاب ﴿صَفْحًا﴾ من باب : ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ لأن قوله : ﴿أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾ يدل على : أصفح عنكم صفحاً»^(١) ، واختلفوا في معنى الذكر هاهنا ، فقال أبو صالح ومجاهد : «يعني : ذكر العذاب ، والمعنى : يكذبون بالقرآن ولا يعاقبون»^(٢) .

قال أبو إسحاق : «المعنى : أفنضرب عنكم ذكر العذاب بأن أسرفتم ؟ قال : والدليل على أن المعنى هذا قوله : ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾»^(٣) ، وعلى هذا ، ضَرِبُ الذكر : رُدُّه وكفُّه ، واختيار الفراء على هذا القول ، وقال : المعنى : أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم ، لأن كنتم قوماً مسرفين ؟»^(٤) .

وقال آخرون : معنى : الذكر هاهنا القرآن والتذكير به ، قال ابن عباس : «يريد الضرب عنكم : الموعظة»^(٥) ، وقال الكلبي : «يقول الله لأهل مكة : أفترك عنكم الوحي صفحاً فلا نأمركم بشيء ولا نهاكم»^(٦) ولا نرسل إليكم رسولاً أن كنتم قوماً مشركين ؟ ، المعنى على هذا : أفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به»^(٧) ؟ وهذا معنى قول قتادة : «والله لو كان هذا القرآن رُفِع حين رُدّه أوائل هذه الأمة هلكوا ، ولكن الله برحمته كرّره عليهم ، ودعاهم إليه عشرين سنة»^(٨) .

(١) انظر : الحجة للقرءاء السبعة ١٣٨ / ٦ .

(٢) أخرجه الطبري ٤٩ / ١٣ ، وانظر : تفسير الماوردي ٢١٦ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٢ / ١٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٠٦ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرءاء ٢٧ / ٣ ، ونص عبارته : «والعرب تقول : قد أضربت عنك وضربت عنك ، إذا أردت به : تركتك وأعرضت عنك» .

(٥) لم أقف عليه ، وكذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب : (نضرب ، أو أضرب) .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٧٩ ، والبغوي في تفسيره ٢٠٦ / ٧ ، وأبو حيان ٦ / ٨ عن الكلبي .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٤٩ / ١٣ ، والبغوي ٢٠٦ / ٧ ، والجامع للطبري ٦٢ / ١٦ .

(٨) أخرجه الطبري ٤٩ / ١٣ عن قتادة ، ونسبه البغوي ٢٠٦ / ٧ إلى قتادة .

قال الأزهري : « أفنعرض عن تذكيركم إعراضاً من أجل إسرافكم في كفركم ؟ »^(١) .

وقال أبو إسحاق مثل هذا القول ؛ أي أنهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم^(٢) ؟ والاختيار هذا القول ، وهو قول ابن زيد واختيار الجبائي^(٣) لأنه أليق بما بعده من قوله : ﴿ أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾^(٤) ، وقرأ ﴿ أَنْ كُنْتُمْ ﴾ بكسر الهمزة وفتحها ، فمَنْ فتح فالمعنى : لأن ، والكسر على أنه جزاء استغني عن جوابه بما تقدمه ، مثل : أنت ظالم إن فعلت ، كأنه قال : إن كنتم قوماً مسرفين نضرب^(٥) .

وقال أبو إسحاق : « مَنْ كسر ، فعلى معنى الاستقبال ، على معنى : إن تكونوا مسرفين » ، وقرأ : ﴿ أَفَنْضَرْبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ ﴾^(٦) ، وقال الفراء : « ومثله ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ [المائدة : ٢] و (أن صدوكم) بالكسر والفتح ، وأنشد :

أَتَجْزَعُ إِنْ أَذْنَا قُتَيْبَةَ حُرَّتَا جِهَاراً وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمٍ^(٧)

(١) انظر : تهذيب اللغة (صفح) ٢٥٧ / ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٦ / ٤ .

(٣) هو : محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي ، من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه نسبة الطائفة (الجبائية) ، توفي سنة ٣٠٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان ١ / ٤٨٠ ، والبداية والنهاية ١١ / ١٢٥ ، والأعلام ٦ / ٢٥٦ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٥٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ٩٨ ، والحجة لأبي علي ٦ / ١٣٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٥ .

(٧) البيت للفرزدق في ديوانه ٨٥٥ ، والخزانة ٣ / ٦٥٥ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٨٦ ، وهو من قصيدة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك ويهجو جريراً . وقتيبة هو قتيبة بن مسلم الباهلي القائد المشهور . وأما ابن خازم فهو عبدالله بن خازم السلمي أمير خراسان من قبل ابن الزبير . والشاهد فيه كسر (إن) وحملها على معنى الشرط ، وقد ورد البيت في تفسير الطبري ١٣ / ٥٠ ، والدر المنصور ٦ / ٩٢ .

قوله تعالى : ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ . قال الكلبي : «سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ مِنْ أَهْلِكَ» ، وهو قول مجاهد ^(١) .

قال مقاتل : «يعني : سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ فِي الْعُقُوبَةِ حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ» ^(٢) .

وقال قتادة : «عقوبة الأولين» ^(٣) .

وقال ابن عباس : «يريد : وسبق ما أنزل الله في القرون الأولين قوم نوح وعاد وثمود» ^(٤) ، وعلى هذا ، معنى الآية : وسبق ما أنزلنا في إهلاكهم ، وهو مَثَلٌ ضربناه لهم ، وتقدير الكلام : مثل الأولين لهم .

قال أهل المعاني ^(٥) : «ومضى مثل الأولين لهؤلاء الباقين ؛ أي أنهم قد سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك مَنْ كان قبلهم ، فليحذروا أَنْ ينزل بهم من الخزي ما نزل بهم ، فقد ضربنا لهم مثلهم كما قال : ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لِمَثَلٍ﴾ [الفرقان : ٣٩] ، وكقوله : ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿الْأَمْثَالُ﴾ [إبراهيم : ٤٥] والمعنى : سبق في ما أنزلنا إليك بشبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ، ولَمَّا أَهْلَكُوا هَؤُلَاءِ بِتَكْذِيبِهِمْ ، فعاقبة هؤلاء أيضاً الإهلاك لأنهم أشباه بعضهم لبعض ، وأمَّا قول المفسرين في تفسير قوله : ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ عقوبتهم وسُنَّتَهُمْ ^(٦) ، فهو معنى وليس تفسير ؛ لأن المعنى ذَكَرَ بيان ما حل بهم ليعتبر هؤلاء» .

(١) انظر : تفسير الطبري ٥١ / ١٣ ، وتنوير المقياس ٤٨٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٨٩ / ٣ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٥١ / ١٣ عن قتادة ، ونسبه القرطبي في الجامع ٦٤ / ١٦ إلى قتادة .

(٤) لم أقف عليه ، وكذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب : (الأولى) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٥١ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي : ١٠ / ٧٩ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٠٦ ، وتفسير

الماوردي ٢١٦ / ٥ .

ثم ذكر أن هؤلاء مع شركهم وكفرهم يقرون بما هو الحجة عليهم فقال :

٩. ﴿وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «ولئن سألت قومك يا محمد^(١) ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ : قال : يريد إقراراً منهم بعدي وعلمي بخُلُقِي» ، قال الكلبي : «وهذا إيمان منهم وهم يخالفون فيشركون به الأصنام»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «هذا إخبار عن غاية جهلهم ، إذ أقروا بالله خالق السماوات والأرض ، ثم عبدوا معه غيره ، وأنكروا قدرته على البعث»^(٣) ، وقد تم الإخبار عنهم»^(٤) ثم ابتداء - جل وعزّ - دالاً على نفسه فقال :

١٠. قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾^(٥) . قال صاحب النظم : «أخبر الله عما يقول الكفار إذا سئلوا عن خلق السماوات والأرض»^(٦) ، ابتداء - عز وجل - وصف نفسه غير حاكٍ ذلك عن الكفار فقال : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ، ولو كان منتظماً بما قبله من كلام الكفار لوجب أن يكون نظمه : الذي جعل لنا الأرض ، والمعنى : العزيز العليم الذي أومؤوا إليه أنه خلقهن هو الذي جعل لكم الأرض مهّاداً ، قال : ونظيره من كلام الناس أن يسمع الرجل

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٠٦/٧ ، ولم ينسبه ، وكذا ابن عطية في تفسيره ٢٤٢/١٤ ولم ينسبه .

(٢) ذكر نحوه صاحب الوسيط ٦٥/٤ ولم ينسبه ، وكذا البغوي في تفسيره ٢٠٧/٧ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢٠٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٦٤ .

(٤) انظر : القطع والائتناف للنحاس ٦٤٦ .

(٥) نص الآية : ﴿مَهْدًا﴾ ، قال أبو علي الفارسي في الحجة ٢٢٣/٥ : «اختلفوا في قوله : ﴿مَهْدًا﴾ [طه : ٥٣] في زيادة الألف ونقصانها هاهنا في [الزخرف : ١٠] ، ولم يختلفوا في غيرها . فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر (مِهَاداً) بالألف في كل القرآن ، وقرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألف فيها» .

(٦) كذا رسمها في الأصل ، ولعله سقط لفظ : (ثم) .

رجلاً يقول : الذي بنى هذا المسجد فلان العالم ، فيقول السامع لهذا الكلام : الزاهد الكريم ، كأنه عرفه فزاد في وصفه ، فيكون النعتان جميعاً لرجل واحد من رجلين مختلفين ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ صفة من صفات الله محكية عن الكفار .

قوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ صفة من صفاته أضافها - عز وجل - إلى الصفة التي حكاها عن الكفار ؛ لأنها حق ، وإن كان من كلام الكفار ، وتفسير هذه الآية قد سبق في سورة طه ، الآية : ٥٣ .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فيه قولان ؛ أحدهما : تهتدون في أسفاركم إلى مقاصدكم ، وهذا قول الحسن ومقاتل ، والثاني : لتهتدوا إلى الحق [في بالاعتبار]^(١) الذي جعل لكم ، وهذا معنى قول ابن عباس^(٢) .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم وأهلكهم ، بل هو بقدر حتى يكون معاشاً لكم ولأنعامكم»^(٣) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ ؛ أي الأصناف والضروب والألوان والذكر والأنثى .

(١) كذا رسمها في الأصل ، ولعل المراد : (فيه بالاعتبار) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٠ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢١٧ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٥٢ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦٤ ، وقد نسب القرطبي ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ٦٥ إلى ابن عباس .

١٣ . قوله تعالى : ﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ . قال أبو عبيدة : «التذكير لـ : ما»^(١) ، وقال الفراء : «أضاف الظهور إلى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند ، فلذلك ذُكر وجمع الظهور»^(٢) .

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ؛ يعني النعمة بتسخير ذلك لكم مراكب في البر والبحر ، وقال الكلبي : «هو أن تقول : الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه»^(٣) ، وهذا معنى قول ابن عباس : «تذكروا كرامة ربكم إذا استويتم عليه ، يعني : إكرامه إياكم بتلك المراكب»^(٤) ، ويدل على هذا قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وقوله : ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ . قال مقاتل : «ذلل لنا هذا المركب»^(٥) ، وقال قتادة : «قد علمكم كيف تقولون إذا ركبت الفلك بقوله : ﴿يَسْمِ اللَّهُ بِجَرِّهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود : ٤١] ، ويعلمكم إذا ركبت الإبل أن تقولوا : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾»^(٦) .

قال ابن عباس : «يريد : ولا طاقة لنا بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر لولا أن الله سخره لنا»^(٧) ومعنى المقرن : المطبق في قول المفسرين^(٨) ، قال أبو عبيدة : «فلان مقرن لفلان ؛ أي ضابط له ، وأنشد :

وَلَسْتُمْ لِلصَّعَابِ بِمُقْرِنِينَ»^(٩) .

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٠٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٢٨ .

(٣) ذكره ذلك في الوسيط ٤ / ٦٥ ، ونسبه إلى مقاتل والكلبي .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٠ .

(٦) أخرجه الطبري ١٣ / ٥٤ عن قتادة ، ونسبه صاحب الوسيط إلى قتادة .

(٧) نسبه في الوسيط لابن عباس . انظر : ٤ / ٦٥ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٥٥ ، والماوردي ٥ / ٢١٨ ، والقرطبي ١٦ / ٦٦ .

(٩) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٠٢ ، والبيت للكميت ، وصدره قوله :

وقال الليث : «أقرنت لهذا البرذون والبعير ؛ أي قد أطقته ، وكان اشتقاقه من قولك : صرت له قرناً مطيقاً»^(١) ، ونحو هذا قال الزجاج ، وابن قتيبة قال : «ومعنى : أنا قرن لفلان ؛ أي مثله في الشدة»^(٢) .

وقال صاحب النظم : «هذا كله خبر عن ظاهره ، ومعناه في الباطن أمر ؛ لأنه لو كان خبراً لوجب أن يكون ذلك عاماً في الإتيان والعمل به ، فلما لم يكن ذلك عاماً ، وكان خاصاً في بعض ، دلّ ذلك عليه أنه أمر أخرج مخرج الخبر ، قال : وقد قيل : إن معناه ليأمركم إذا استويتم عليه أن تذكروا نعمة ربكم ، كقوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦] ؛ إلا لأمركم أن تعبدون ، ولو كان على ظاهر النظم لوجب أن يعبدوه كلهم ، والله أعلم» .

١٥ . قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ . قال صاحب النظم : «رجع إلى ذكر الكفار الذين قدّم ذكرهم في أول السورة ، فابتدأ خبراً عنهم من غير أن يصله في المعنى بما قبله ؛ لأنه لا يتصل بشيء مما تقدّمه ، وإن كان منسوقاً عليه بواو العطف ، ومعنى الجزء في اللغة : القطعة والنصيب ، وجمعه أجزاء ، ويقال : جزأت الشيء بينهم وجزأته ، إذا قسمته ، تخفّف وتثقل»^(٣) .

وذكر المفسرون في هذا قولين :

ركبتن صعبتي أشراً وحيفاً

والشاهد قوله : مقرّنين ؛ أي ضابطين . وقد استشهد به النحاس في معاني القرآن ٦ / ٣٤١ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٦٦ .

(١) ورد في كتاب العين (قرن) ١٤٣ / ٥ بلفظ : (صرتُ له قريناً ؛ أي مطيقاً) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٦ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جزى) ١١ / ١٤٦ ، واللسان (جزأ) ١ / ٤٧ ، وكتاب الجيم ٩٣ .

أحدهما : قال ابن عباس : «يريد حيث جعلوا الملائكة بنات الله»^(١) ، وعلى هذا ، معنى الآية حكموا بأن بعض العباد - وهم الملائكة - له أولاد .

فمعنى الجعل هنا الحكم بالشيء ، وحذف من الكلام مفعول هو مراد على تقدير : وجعلوا له من عباده جزءاً ولدأ أو بنات .

القول الثاني : أن معنى الجزء هاهنا العدل والشيء ، وذلك أنهم عبدوا الملائكة والجن ، فجعلوهم لله عدلاً وشبيهاً ، وهذا معنى قول مقاتل وقتادة^(٢) ، وتقدير هذا القول كتقدير القول الأول ؛ لأن المعنى : وجعلوا له من عباده جزءاً عدلاً ، فحذف أحد المفعولين ، وذكر أبو إسحاق في (الجزء) قولاً آخر فقال : «أنشدني بعض أهل العلم بيتاً يدل على [أن]^(٣) معنى الجزء الإناث ، ولا أدري البيت قديماً أم مصنوع وهو :

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الْحُرَّةُ الْمَذْكَارُ أَحْيَانًا^(٤)

أي إن ولدت أنثى ، قال الأزهري : «واستدل قائل هذا القول بقوله عز وجل : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف : ١٩] قال : وهذا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٥ / ١٣ عن مجاهد والسُّدي ، ونسبه في الوسيط ٦٦ / ٤ إلى ابن عباس ومجاهد والحسن .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٠ / ٣ ، وذكر الطبري القولين في تفسيره ٥٥ / ١٣ ، وانظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٦ ، وتفسير الماوردي ٢١٩ / ٥ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) البيت استشهد به ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٣٩٦ ، والماوردي في تفسيره ٢١٩ / ٥ ، وأبو حيان في البحر المحیط ٨ / ٨ ، واللسان (جزأ) ٤٧ / ١ . وقال الزمخشري في الكشاف ٤١٣ / ٣ : «ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث ما هو إلا كذب على العرب ، ووضع محدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً :

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبٌ رُؤِجَتْهَا مِنْ بَنَاتِ الْأَوْسِ مُجْزِئَةً .

القول ليس بشيء ، والجزء بمعنى الإناث غير موجود في كلام العرب ، والشعر القديم الصحيح لا يعبأ بالبيت الذي ذكره ؛ لأنه مصنوع^(١) ، ومعنى الآية : أنهم جعلوا الله من عباده نصيباً ، على معنى أنهم جعلوه نصيب الله من الولد ، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ؛ أي وصفوهم بالأنوثة ، وكذبوا في المعنيين جميعاً في قولهم : إنهم بنات الله ، وفي إنهم إناث .

قوله : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ ؛ يعني : إن الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ ؛ لوجود لنعم الله . ﴿مُبِينٌ﴾ ؛ بين الكفران ، والاختيار : القول الأول لقوله :

١٦ . ﴿أَمْ أَلْهَىٰ أَفْئِدَةً يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ ، وهذا استفهام توبيخ^(٢) ، يقول : «أَتُخَذُ ربكم لنفسه البنات ؟ ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾ ؛ واختصكم وأخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ ؟ ويقال : أصفيت فلاناً بكذا ؛ أي أثرته به ، وهذه الآية كقوله : ﴿أَفَأَصْفَنَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ الآية [الإسراء : ٤٠] . قال أهل المعاني : «والحجة عليهم في هذه الآية أنه ليس يحكم من اختار لنفسه أدون المبدلين ولغيره أعلاها ، ولو كان على ما يقوله المشركون من اتخاذ الولد ، لم يتخذ لنفسه البنات ويصفهم بالبنيين ، فغلطوا في الأصل وهو : جواز [لاتخاذ]^(٣) الولد ، وفي البناء على الأصل وهو اتخاذ البنات ، فنعوذ بالله من الخطأ في الدين» ، ثم [رادا]^(٤) احتجاجاً في القول عليهم بقوله :

(١) ورد في تهذيب اللغة (جزى) ١٤٥ / ١١ بتصرف يسير .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٦ / ١٣ ، وتفسير البغوي ٢٠٨ / ٧ ، وزاد المسير ٣٠٥ / ٧ .

(٣) كذا رسمها بالأصل ، ولعل الصواب : (اتخاذ) .

(٤) كذا رسمها بالأصل ، ولعل الصواب : (رد) ، أو (أراد) .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ . قال مقاتل : «بالذي وصف للرحمن شبهاً»^(١) ، وقال [مقاتل]^(٢) : «بما جعل الله شبهاً»^(٣) ، وذلك أنهم إذا أجازوا أن تكون الملائكة بنات الله ، فقد جعلوا الملائكة شبهاً لله ، وذلك أن ولد كل شيء شبهه وجنسه ، وهذه الآية مفسرة في سورة النحل ، الآية ٥٨ .

ووجه الاحتجاج عليهم من هذه الآية أن من اسودَّ وجهه بما يضاف إليه مما لا يرضى ، فهو أحق أن يسودَّ وجهه بإضافته مثل ذلك إلى من هو أجلُّ منه ، فكيف إلى ربه عز وجل ؟

١٨ . قوله تعالى : ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ﴾ . قال مقاتل : «ينبت في الزينة ، يعني : الابنة»^(٤) قال المبرِّد : «تقدير الآية : أو يجعلون له من ينشأ في الحلية يعني البنات» ، ونحو هذا قال الزجاج والفرَّاء^(٥) ، وعلى هذا ، موضع (من) نصب ، وهو اختيار أبي علي قال : «موضع (من) نصب على تقدير : اتخذوا له من ينشأ في الحلية ، على وجه التقرير لهم بما افتروه»^(٦) ، وذكر الفرَّاء قولين قال : «وإن شئت جعلت (من) في موضع رفع على الاستئناف ، وعلى هذا ، يضمن الخبر ، قال : وإن رددتها على أول الكلام على قوله : ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ﴾ خفضتها»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩١ .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله تصحيف ، ولعل الصواب : (قتادة) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٥٦ عن قتادة بلفظ : (بما جعل الله) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٣ / ٢٩ ، ولم أقف على قول المبرِّد .

(٦) انظر : الحجة للفرَّاء السبعة ٦ / ١٤٠ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣ / ٢٩ .

وقرأ حمزة والكسائي: (ينشؤ) بالتشديد على غير تسمية الفاعل ، وهي قراءة ابن عباس وابن مسعود^(١).

قال أبو علي الفارسي: «يقال: نشأت السحاب ، ونشأ الغلام ، فإذا نقل بالهمز تعدى إلى مفعول كقوله: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] والأكثر في الأفعال التي لا تتعدى إذا أريد تعديتها أن ينقل بالهمزة ، أو بتضعيف العين نحو: فرّحته وأفرحته ، وغرّمته وأغرّمته ، وقد جاء منه شيء عُدّي بتضعيف العين دون الهمز وهو قولهم: لقيت خيراً ، ولقانيه زيد ، ولا تقول: ألقانيه . ومن هذا قوله: ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥] ، ﴿وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ﴾ [الإنسان: ١١] فيجوز أن يكون نشأ من ذلك ، عُدّي بالهمزة دون التضعيف ؛ لأنّا لم نعلم نشأ ، كما جاء بلغ وأبلغ ، ونجّى وأنجى ، وإذا كان كذلك كان الأوجه: (أو من ينشأ) من الإنشاء ، ومن قال: (ينشأ) فهو في القياس مثل: فرّح وأفرح ، وغرّم وأغرّم ، وإن عزّ وجود ذلك في الاستعمال ، هذا كلامه^(٢) ، وهو كما قال ، فإن أحداً من أهل اللغة لم يحك نشأ ، ولا حكاه الأزهري عن أحد في كتابه ، غير أن الكسائي قال: «نشى فهو منشأ ينشأ وينشيه» ، واختار أبو عبيد هذه القراءة ، قال: «ومعناه أن الله - تعالى - فعل ذلك بهن»^(٣).

قال المبرّد: «الفرق الذي ذكر أبو عبيد بين (ينشأ وينشأ) ليس بشيء ، لأنه إذا أنشئ نشأ ، ولا ينشأ إلا أن ينشأ ، وكذلك: إنك ميت ، إنما هو ممات ؛ لأنه لا يموت حتى ييات ، وكذلك كل ما ينسب إلى العبد في خلقه»^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري ٥٨/١٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٧١/١٦ ، والإتحاف ٤٧٢ .

(٢) انظر: الحجة للقرء السبعة ١٤٠/٦ .

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧١/١٦ .

(٤) قولاً الكسائي والمبرّد لم أقف عليها ، وانظر: حجة القراءات لابن زنجلة ٦٤٦ .

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾؛ يعني المخاصمة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ للحجة، قاله الكلبي، وقال قتادة: «قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها»^(١)، وقال أبو إسحاق: «إن الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين»^(٢)، والمعنى: أنهم نسبوا إلى الله ما يكرهونه، ومن لا يكاد يقوم بحجته أو يستوفيهها، وهذا في ظاهره استفهام وهو إنكار ورد، وهو الذي ذكرنا من أن المراد بالآية البنات، وهو قول جماعة أهل التفسير^(٣) وقد قال ابن زيد: «هذه تماثيلهم التي يضرّبونها من فضة وذهب وينشئونها في الحلية ثم يعبدونها»^(٤)، والقول هو الأول، قال أبو إسحاق: «والأجود أن يكون يعني به المؤنث»^(٥).

١٩. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾. قال أبو إسحاق: «الجعل هاهنا في معنى القول والحكم على الشيء، يقول: قد جعلت زيدا أعلم الناس؛ أي قد وصفته بذلك وحكمت به».

قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾^(٦)، وكل صواب، قد جاء التنزيل بالأمرين جميعاً في وصف الملائكة، وذلك قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وفي قوله: (عند الرحمن) دلالة على رفع المنزل،

(١) انظر: تفسير عبدالرازق ٢/١٩٥، وتفسير الطبري ١٣/٥٧، وتفسير البغوي ٧/٢٠٩.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٤٠٧.

(٣) انظر: تفسير عبدالرازق ٢/١٩٥، وتفسير الطبري ١٣/٥٧، وتفسير الماوردي ٥/٢١٩.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٥٧ عن ابن زيد، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠/٨٠ ب إلى ابن زيد، وانظر: تفسير الماوردي ٥/٢٢٠.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٤٠٧.

(٦) لعل في الكلام سقطاً هاهنا، فكأن المؤلف يشير إلى القراءة الأخرى، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر (عند الرحمان) بالنون، في حين قرأ الباقون ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بالباء، ومما يقوّي ذلك أنه غالباً ما ينقل عن الحجة لأبي علي الفارسي، وهي هكذا في الحجة بالشواهد نفسها. انظر: الحجة ٦/١٤٠. وقال في الوسيط ٤/٦٧ بعد هذا المقطع: «وقرى ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ وكل صواب».

والتقريب كما قال : ﴿وَلَا أَلْمَلَيْكَهٗ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] . وهذا من القرب في المنزلة والرفعة في الدرجة ، وليس من قرب المسافة^(١) ، واختار أبو عبيد : (عباد الرحمن) ، قال : «وفي ذلك تكذيب لقولهم بنات الله ، أخبر أنهم عبيده وليسوا بناته»^(٢) ، واختار أبو حاتم : (عند الرحمن) ، وقال : «إن فيه مدحاً لهم» .

وقال المبرّد : «هذه القراءة أنبأ عن صحة كذبهم مما اختاره القسم»^(٣) ، لأن المعنى أن الملائكة عنده وليسوا عندهم [رواهم]^(٤) ، فكيف حكموا بأنوثتهم ، يدل على هذا قوله : ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ ، (فعند) على ما ذكره المبرّد ينبئ عن العلم لا عن الدنية^(٥) .

واختلفوا في قوله : ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ ، فقرأه العامة من الشهود ، ويدل عليه قوله : ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكِيَّةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصفات: ١٥٠] ، وقرأ نافع : (أَشْهَدُوا) على أفعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ، ثم خففت الهمزة الثانية من غير أن يدخل بينهما الفاء . وروى المسيبي عنه بإدخال الألف بين الهمزتين ، و(شهد) الذي يراد به حضر يتعدى إلى مفعول به من غير حرف جر كقوله :

شَهِدْنَا فَمَا تَلَقَّى لَنَا مِنْ كِتَابَةٍ يَدِ الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرَيْلُ أَمَامُهَا^(٦)

-
- (١) انظر : الحجة ١٤٠ / ٦ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٥٦ / ٢ .
 (٢) انظر : اختيار أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ١٠٢ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٢ / ١٦ .
 (٣) كذا رسمها ، ولعله سقط لفظ : (الأول) .
 (٤) كذا رسمها ، ولعل الصواب : (يروهم) .
 (٥) قال الطبري في تفسيره ٥٨ / ١٣ : «والصواب من القول في ذلك عندي أنها قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتها قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده» . ولم أقف على قول المبرّد .
 (٦) البيت لحسان بن ثابت في ملحقات ديوانه ٥٢٢ / ١ ، وينسب البيت إلى كعب بن مالك . انظر : الخزائن ١٩٩ / ١ ، واللسان (جبر) ١١٤ / ٤ ، والحجة ١٤٢ / ٦ .

وهذا محذوف المفعول ، التقدير فيه : شهدنا المعركة أو من اجتمع لقتالها ، وهذا الضرب يتعدى إلى مفعول واحد ، فإذا نقل بالهمز تعدى إلى مفعولين تقول : شهد زيد المعركة ، وأشهدته إياها ، ومن ذلك قوله : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١) [الكهف: ٥١] ، فقوله : ﴿ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ ﴾ من الشهادة التي هي الحضور ، كأنهم وُبِّخُوا على أن قالوا ما لم يحضروا له مما حُكِّمَهُ أن يُعلم بالمشاهدة ، ومن قرأ : (أشهدوا) فالمعنى : أو أحضروا ذلك^(٢) ؟ ويقوي هذه القراءة قوله : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥١] وقال المبرِّد : « القراءتان تؤولان إلى معنى ؛ لأنه لا يشهد هذا الموضع أحد إلا أن يشهده الله »^(٣) . [فإذا شهدوا وأشهدوا ، وإذا شهد فقد شهدوا]^(٤) .

قال ابن عباس : « يريد أحضروا أو عاينوا خلقهم » .

قال الكلبي ومقاتل : « لما جعلوا الملائكة بنات الله سألهم النبي ﷺ فقال : « ما يدريكم أنهم إناث ؟ » قالوا : سمعنا من آبائنا ، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا أنهم إناث ، فقال الله : ﴿ سَتَكُنُّ سَهْدُهُمْ ﴾ ؛ أي ستحفظ شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة »^(٥) .

(١) ورد في الحجة للقراء السبعة ١٤٢/٦ بما نصه : « أو من اجتمع لقتالنا » ، بدل قتلها ، وكتاب التذكرة في القراءات ٢/٦٦٦ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/٢٥٧ .

(٢) كذا رسمها في الأصل ، وفي الحجة ١٤٦/٦ : « (أشهدوا) ، فالمعنى : أحضروا ذلك » .

(٣) لم أقف على قول المبرِّد ، وقد ذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٤/١٠٤ .

(٤) كذا رسمها في الأصل ، وفي إعراب القرآن للنحاس : (لأنهم إذا شهدوا فقد أشهدوا) .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٩٠ ، وتفسير مقاتل ٣/٧٩١ ، وتفسير البغوي ٧/٢٠٩ ، والوسيط ٤/٦٨ .

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾. قال الكلبي: «بنو مليح^(١) من خزاعة كانوا يعبدون الملائكة، قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم»، ونحو هذا قال قتادة ومقاتل^(٢).

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾. قال أبو إسحاق: «ما لهم بقولهم: إن الملائكة بنات الله، من علم^(٣)، يدل على هذا قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾»، وقال أصحابنا: إنهم عنوا بقوله: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾: «أنه قدرنا على عبادتها فلم يعاقبنا؛ لأنه رضي بذلك منا»^(٤). وذلك كذب منهم، لأن الله - تعالى - وإن أراد كفر الكافر لا يرضاه، وليس تقديره الكافر على الكفر رضا منه^(٥)، فذلك يدل على ذلك. ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي لا علم لهم بما يدعون، ولكنهم يخرصون في ذلك، وهذا إنكار ورد، ولا يحتمل أن يكون ردّاً لظاهر قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾؛ لأن هذا القول حق، وإن كان من الكافر؛ لأن الحق

(١) بنو مليح بن عمرو بن عامر بن لحي بن قَمْعَةَ بن إلياس، ويقال: إن بني مليح هؤلاء من ولد الصلت بن مالك بن النضر بن كنانة. انظر: جبهة أنساب العرب لابن حزم ٢٣٨.

(٢) انظر: تنوير المقياس ٤٩٠، وتفسير مقاتل ٣/ ٧٩١، وتفسير القرطبي ١٦/ ٧٤.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٨.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٨١ أ.

(٥) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ٦/ ٢٢٢: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾؛ أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الاصنام فإنه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ: الأول: جعلهم الله - تعالى - ولداً.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً فإنه - تعالى - قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار. انظر: تفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٢، وقال شارح الطحاوية: «أما أهل السنة فيقولون: إن الله، وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاه ولا يأمر بها، بل ييغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة فيقولون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن». انظر: شرح الطحاوية ١/ ٧٩.

حق حيث ما كان ، فلا يحتمل أن يكون هذا الإنكار واقعاً إلا على ما أولناه من أن قولهم : لو شاء الرحمن ما عبدنا ، لأن هذا القول حق أمرنا أن نعبدهم ؛ لأن هذا افتراء وكذب منهم على الله ، فهذان قولان صحيحان في معنى الآية :

أحدهما : وهو أن قول أبي إسحاق أن قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ إنكار لما ذكر عنهم من قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَلَمَتِكَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنْتًا ﴾ .

والثاني : أنهم [أروا]^(١) بقولهم : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، أنه أمرنا بذلك ، وأنه رضي بذلك فقد رنا عليه ، فأنكر عليهم ، وهذه الآية كقوله : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٣٥] .

٢١ . قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ . قالوا كلهم : «من قبل القرآن» ، قال مقاتل : «يقول : هل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله^(٢) فهم به مستمسكون» .

قال ابن عباس : «فهم به يعملون»^(٣) ، وقال الكلبي : «يأخذون بها فيه»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «أم هل قالوه عن كتاب ، والمعنى آتيناهم كتاباً بما قالوه من عبادة غيره»^(٥) . [ذكر أنه لم]^(٦) يعبدوا غيره بكتاب [إذا]^(٧) العلم بالحق لا يدرك إلا بالسمع أو بالعقل ، وليس يوجب ما يفعلون عقل ولا سمع .

(١) كذا رسمها ، ولعل المراد : (أرادوا) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٢ / ٣ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع ٧٤ / ١٦ ، ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير أبي الليث السمرقندي ٢٠٥ / ٣ ، وتنوير المقباس ٤٩٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٠٨ / ٤ .

(٦) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (ذكر أنهم لم) .

(٧) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (إذا) .

٢٢. ثم ذكر أنهم لم يأتهم كتاب ، فقال : ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ما أتيناهم كتاباً ، ولكنهم ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ .

وقال الزَّجَّاج : «أعلم الله أن فعلهم اتباع ضلالة آبائهم بقوله : ﴿بَلْ قَالُوا﴾»^(١) .

وقال صاحب النظم : «أي ليس لهم حجة إلا تقليد آبائهم» ، وقولهم : إنا وجدناهم على دين فنحن نتبعهم ، ومعنى الأمة في هذه الآية : السُّنة والملة والدين ، في قول جميعهم^(٢) .

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يعنون الضلالة التي هم عليها ، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين»^(٣) .

٢٣. ثم أخبر - تعالى - أن غيرهم قالوا هذا القول فقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي وكما قالوا ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية .

قوله : ﴿مُتَرَفُّوهُآ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «ملوكها وأشرافها وجابرتهما»^(٤) ، وقال أبو إسحاق : «قوله : ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ و﴿مُقْتَدُونَ﴾ يصلح أن يكون جواباً لـ : ﴿إِنَّا﴾ و﴿عَلَىٰ﴾ من صلتها والتقدير : إِنَّا مهتدون على آثارهم ، وكذلك مقتدرون ، ويصلح أن يكون خبراً بعد خبر ، فيكون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِهِمْ﴾ خبر ﴿وَإِنَّا﴾ ومهتدون [خبراً ثانٍ]^(٥) ، وكذلك مقتدون»^(٦) ، فقال الله - تعالى - لنبيه :

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٠٨ .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٣/٢٠٥ ، وتفسير الماوردي ٥/٢٢١ ، وتفسير البغوي ٥/٢١٠ .

(٣) ذكره البغوي ٧/٢١٠ ، وذكر نحوه ابن الجوزي ٧/٣٠٨ ، ولم ينسبها .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٩٢ ، وتفسير أبي الليث ٣/٢٠٥ ، وتنوير المقباس ٤٩١ .

(٥) كذا في الأصل ، وفي معاني الزَّجَّاج ٤/٤٠٨ : (ثانياً) .

(٦) نص العبارة عند الزَّجَّاج ٤/٤٠٨ : «ويصلح أن يكون خبراً لـ (أنا مهتدون) ، و﴿عَلَىٰ﴾ من صلة =

٢٤. ﴿قَدْ أُولَوْا جِسْمَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ﴾ . قال الكلبي : «بأعرف ديناً وأمين صلاحاً»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى فيه قل : أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ، وإن جئكم بأهدى منه»^(٢) ؟ فأبوا أن يقبلوا ذلك ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ .

ثم ذكر ما فعل بالأمم المكذبة تخويفاً لهم فقال :

٢٥. ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس : «يريد ما صنع بقوم نوح وعاد وثمود»^(٣) ، ونحو هذا قال مقاتل^(٤) .

٢٦. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ قال الكلبي : «لما خرج إبراهيم من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة ، أبصر قومه وأباه يعبدون الأصنام فقال لهم هذا القول»^(٥) .

وقوله : ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ . قال الكسائي والفراء والمبرِّد : «براء : مصدر لا يُثنى ولا يُجمع مثل : عدل ورمي ، تقول العرب : أنا البراء منك والخلا ، ولا يقولون : البراءان والبراءون ، لأن المعنى : ذو البراء ، وذو البراء ، فإن قلت : بريء وخلى ، ثنيت وجمعت»^(٦) ، ثم استثنى خالقه من البراءة فقال :

متهدين ، وكذلك ﴿مُقْتَدُونَ﴾ ، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم ، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم ، ويصلح أن يكون خبراً بعد خبر ، فيكون : ﴿وَإِنَّا عَلَيَّ ءَاتِرِهِمْ﴾ الخبر ، ويكون ﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبراً ثانياً ، وكذلك ﴿مُقْتَدُونَ﴾ .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ٨١ ب ، وتفسير السمرقندي ٣ / ٢٠٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢١٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٨ .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٤ / ٥٥٣ ، ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٣ .

(٥) الوسيط ٤ / ٦٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٣٠ ، واشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي ٢٤٢ .

٢٧. ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ . المعنى أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله عز وجل ، ويجوز أن يكون (إلا) بمعنى لكن ، فيكون المعنى لكن الذي فطرني ﴿فَإِنَّهُ سَيَّهَدِينَ﴾ ؛ أي سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته ، قاله ابن عباس^(١) . والوجهان في الاستثناء ذكرهما الزجاج^(٢) .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : «يعني لا إله إلا الله» ، وقال قتادة : «لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده»^(٣) ، والكنية على هذا في قوله : ﴿وَجَعَلَهَا﴾ تعود إلى كلمة التوحيد : لا إله إلا الله . والمعنى : وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم ، ولم يسبق ذكر كلمة التوحيد حتى يكتنى عنها .

قال صاحب النظم : «قد رضيت العامة بقول المفسرين من غير وقوف على حقيقة مخرج هذه الكلمة ، وإذا تأملت الآية رددتها بالاعتبار إلى تأويلها ، دلت على قيام (لا إله إلا الله) فيها مصورة ، وذلك أن النفي والتنزيه عند العرب واحد في المعنى» .

وقوله عز وجل : ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ مثل قولك : لا ، لأنه يتبرأ بها من الشيء .

قوله : ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ . كل معبود عند العرب كان يسمى إلهاً ، فقد رجع تأويل هذه الآية بهذا الاعتبار أنها كناية عن الإله ، ثم قال : ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَّهَدِينَ﴾ ولا يهدي ولا يفطر إلا الله عز وجل ، وكأنه قال : إلا الله ، وقد انتظمت الكلمتان بهذا التأويل لا إله إلا الله .

(١) ذكره البغوي ٤/ ٢١٠ ، والشوكاني ٤/ ٥٥٣ ، ولم ينسبه .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٠٩ .

(٣) ورد في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٦ من دون نسبة ، ونسبه إلى مجاهد وقتادة كل من الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٢٢ ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢١٠ ، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٧٧ ، ونسب القرطبي إلى ابن عباس قوله : «في عقبه ؛ أي في خلفه» .

وقوله: ﴿فِي عَقِيهِ﴾ . قال مقاتل: «في ذرية إبراهيم»، وقال الكلبي: «في نسله»^(١)، وقال الحسن: «عقب الرجل: نسله إلى يوم القيامة» .

وقال ابن عباس: «يريد في ولده وولد ولده إلى يوم القيامة»^(٢) .

قال الأزهري: «وكل شيء خلف بعد شيء فقد عقبه يعقب عقباً وعقوباً، ولهذا قيل لولد الرجل عقبه، ومنه حديث عمر - رحمه الله - أنه سافر في عقب رمضان؛ أي في آخره»^(٣) .

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ . قال الفراء: «أي لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين إذ كانوا من ولد إبراهيم، فذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي إلى دينك دين إبراهيم»^(٤)، وقال قتادة: «لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله»^(٥) .

٢٩ . ثم ذكر نعمته على قريش فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ . قال ابن عباس: «يريد المشركين»^(٦)، يعني أنه مَتَّعَهُم بأنفسهم وأموالهم وأنواع

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٣، وتنوير المقياس ٤٩١، ونص العبارة عند مقاتل: «يعني في ذريته، يعني ذرية إبراهيم» .

(٢) انظر: تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٦، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٢٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٧٧ .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (عقب) ١/ ٢٧١، وأبو عبيد في غريب الحديث (عقب): ٢٤٣، وابن الجوزي في غريب الحديث (عقب) ٢/ ١١١، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (عقب) ٣/ ٢٦٨ .

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣١ .

(٥) أورد الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٢٣ عدة أقوال؛ عن قتادة بلفظ: (يذكرون)، وعن ابن عباس بلفظ: (يتوبون)، وعن الفراء بلفظ: (يرجعون إلى دينك الذي هو دين إبراهيم)، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢١١، ونسبه إلى السُّدِّي .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢١١، ولم ينسبه، وذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣/ ٢٠٦ بلفظ: (يعني قومك)، ولم ينسبه .

إنعامه عليهم ، ولم يعاجلهم بعقوبة كفرهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ ،
وقال مقاتل : «يعني القرآن» ، وقال الضحاك : «الإسلام»^(١) .

﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ مبين لهم الإعلام والأحكام ، وقال مقاتل : «بين أمره»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «كان من حق ما أنعم الله عليه من الانتفاع ونعته الرسول
أن يطيعوه بإجابة رسوله ، فلم يجيبوه وعصوا رسوله ، فلم يقضوا حق إنعامه» ،
وهو قوله تعالى :

٣٠-٣١ . ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني : القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣)
﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ ؛ هَلَّا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ الآية . قال الكلبي ومقاتل : «قال
الوليد بن المغيرة : لو كان هذا القرآن حقاً لنزل علي أو علي [ابن]»^(٤)
مسعود ؛ عمرو بن عمير بن عوف الثقفي جد المختار الكذاب»^(٥) ،
وكان بالطائف والوليد كان بمكة ، وهما القريتان ، وقال عطاء عن ابن
عباس وقتادة في عظيم الطائف : إنه عروة بن مسعود^(٦) ، وقال مجاهد :
«عتبة بن ربيعة من مكة ، وابن عبد الثقفي من الطائف»^(٧) .

(١) ورد في تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٣ ، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢١١ عن الضحاك .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٣ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي تفسير مقاتل : (أي) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٣ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢١١ .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢١١ ، ونسبه إلى قتادة ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣١١ ، ونسبه
إلى مجاهد وقتادة ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٦/ ٨٣ إلى قتادة . هو عروة بن مسعود بن معتب بن
مالك .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٦٥ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢١١ ، والتعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن
من الأسماء الأعلام ٢٨٧ ، ورَجَّحَ النحاس أن المراد بالرجلين : الوليد بن المغيرة ، وعروة بن مسعود
الثقفي . انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٥١ .

وقال أبو إسحاق : « المعنى على رجل من رجلي القريتين »^(١) .

وقال أبو علي : « من إحدى القريتين »^(٢) .

٣٢ . فقال الله - عز وجل - إنكاراً ورداً عليهم : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ . قال ابن عباس : « نبوة ربك » ، وهو قول جميع المفسرين^(٣) ، والمعنى : أنهم [اعترضوا]^(٤) على الله بقولهم لم يزل هذا القرآن على غير محمد ؟ فين الله - عز وجل - أنه هو الذي يقسم بفضله ورحمته لا غير ، وقال مقاتل في هذه الآية : « بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا ؛ أي إنها ليست بأيديهم ، ولكننا نختار لها من نشاء من عبادنا »^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد أرزاقهم »^(٦) ، واختلفوا في معنى ذكر سبب قسمة المعيشة هاهنا ، فقال مقاتل في هذه الآية : « يقول لم أعط الوليد وأبا مسعود الذي أعطيناها من الغنى لكرامتهما على الله ، ولكنه قسمة من الله بين الخلق »^(٧) ، فعلى هذا ، المعنى نحن أعطيناها ذلك فلا يغر بهما الغنى ولا يبطر بهما النعمة ، فإن من قسمها لهما قادر على نزعهما عنهما ، ثم ذكر الحكمة في تفضيل بعض على بعض في الرزق في باقي الآية .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٠٩ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٦٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٨٢ أ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٢٣ .

(٤) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (اعترضوا) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٤ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٤ .

وقال أهل المعاني : «إن الله قسم النبوة كما قسم الرزق في المعيشة ، فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك ، وكما فضلنا بعضهم فوق بعض في الرزق والمنزلة ، كذلك اصطفينا للرسالة مَنْ نشاء» ، وعلى هذا ، معنى الآية أنا تولّينا قسم معيشتهم ، كذلك تولّينا قسم النبوة بالرحمة ، فلا اعتراض لأحد في قسمتنا^(١) .

وقال آخرون : «تَبَّه الله - عز وجل - بالأدنى على الأعلى ، فذكر أنه قسم المعيشة بين عباده بتفضيله مَنْ يشاء في الرزق على غيره ، وإذا كان هو المتولي لهذه القسمة ، فأن يكون هو المتولي لقسمة النبوة ، إذ شأن النبوة أعظم ومحلها أرفع ، وكما لا يُعترض عليه في قسمة الرزق ، كذلك لا يُعترض عليه في قسمة النبوة»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني الفضل في الغنى في الحياة الدنيا»^(٣) . ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ؛ أي يستخدم بعضهم بعضاً فيُسَخَّر الأغنياء بأموالهم الفقراء ، هذا قول السُّدِّي وابن زيد^(٤) ، قال الضحاك وقتادة : «ليملك بعضهم بإلهام بعضاً فيتخذونهم عبيداً ومماليك» ، وهذا معنى قول مقاتل والكلبي^(٥) .

وقال ابن عباس : «يُسَخَّر هذا لهذا ، وهذا لهذا»^(٦) . وهذا القول يحتمل القولين ؛ لأن التسخير يكون بالأجر ويكون بالملك^(٧) ، وذكرنا معنى السخري في سورة المؤمنين ، الآية ١١٠ ، وقال أبو الحسن الأخفش : «اتفق القرّاء هاهنا

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٥٢ .

(٢) انظر : تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/ ٢٠٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٥٤ .

(٣) ذكره مقاتل في تفسيره ٣/ ٧٩٤ ، ولم أقف على نسبته إلى ابن عباس .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٨٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٤ ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٢٤ .

(٦) قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٢٥ : «قيل معناه : ليسخّر بعضهم بعضاً في الأعمال لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا» . قاله السُّدِّي وغيره .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٦٧ .

على الضم لأنه من السُّخرة وانقياد بعضهم لبعض في الأمور ، التي لو لم يُنْقَدْ فيها بعضهم لبعض لم يلتئم قوام العالم»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني الجنة للمؤمنين خير مما يجمع الكفار من الأموال»^(٢) ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق فقال : «أعلم الله أن الآخرة أحظ من الدنيا»^(٣) ، وقال ابن عباس : «والنبوة من ربك خير مما يجمعون من الدنيا» ، والرحمة على هذا القول : «النبوة»^(٤) وهو أولى لقوله : ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ولم يختلفوا أنها بمعنى النبوة ، كذلك التي في آخر الآية ، والمعنى ، على هذا ، أن النبوة لك يا محمد ، من ربك خير من أموالهم التي يجمعونها .

٣٣ . ثم أعلم قلة الدنيا عنده - عز وجل - فقال : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ . قال قتادة : «لولا أن يكون الناس كفاراً»^(٥) .

وقال مقاتل : «يقول : لولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق»^(٦) .

(١) لم أقف عليه عند الأخفش ، وقد ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٨٦ ، وذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحیط ٨ / ١٣ ، وقال ابن الجوزي في زاد المسیر ٧ / ٣١٢ : «وقرأ ابن السمين وابن محيصن (سُخْرِيًّا) بكسر السين» ، وقال القرطبي في تفسيره ١٦ / ٨٣ : «وكل الناس ضموا ﴿سُخْرِيًّا﴾ إلا ابن محيصن ومجاهداً قرأ (سُخْرِيًّا)» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤١٠ .

(٤) أورده الطبري في تفسيره ١٣ / ٦٧ ، وأخرجه عن قتادة والسُّدِّي ، وذكره الماوردي ٥ / ٢٢٤ من دون نسبة ، وكذا القرطبي ١٦ / ٨٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٦٨ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٢٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٤ .

وقال الكلبي : «لولا أن يجتمعوا على الكفر»^(١).

﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ هوان الدنيا عليه ﴿سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ . قال الشعبي : «يعني : الجذوع»^(٢) ، وقال مقاتل : «يعني سماء البيت»^(٣) ، وقرأ : ﴿سُقْفًا﴾ . فمن قال (سُقْفًا) فهو واحد يدل على الجمع ، ألا ترى أنه قد علم بقوله : ﴿وَلْيُؤْيُوهُمْ﴾ أن لكل بيت سقفاً ، ومن قرأ : (سُقْفًا) فهو جمع سَقَف ، مثل : رَهْنَ وَرُهْنُ ، ويخفف فيقال : رُهْنُ ، ومثله في الصفة فَرَسٌ وَرَزْدٌ ، [والجميع]^(٤) وَرَدٌ [وكذلك]^(٥) كَتْ وَكُتْ ، وَسَهْمٌ حُسْرٌ وَسِهَامٌ حُسْرٌ ، وَفُعْلٌ في الجمع يخفف نحو : أَسَدٍ و[أُسْدٍ]^(٦) ، قال :

كَأَنَّ مُحَرِّبًا مِنْ أَسَدٍ تَرَجٍ يُنَازِلُهُ لِنَابَيْهِ قَيْبٌ^(٧)

- (١) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٦٨ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٨٢ ب ، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٧ .
- (٢) أخرجه النحاس عن الشعبي في معاني القرآن ٦/ ٣٥٤ ، ولكن بلفظ : (الجزوع) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٣٧٦ لعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعبي بلفظ : (الجزوع) . والذي يظهر لي أن الصحيح : (الجزوع) بالذال ، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (سقف) ٣/ ٨٧ : «السين والقاف والغاء أصل يدل على ارتفاع في إطلال وانحناء ، ومن ذلك السقف سقف البيت لأنه عال مطل ، والسقيفة الصفة ، والسقيفة كل لوح عريض في بناء إذا ظهر من حائط» . وقال الأزهري في تهذيب اللغة (سقف) ٨/ ٤١٣ : «قال الليث : السقف غماء البيت . . . قال : والسقيفة كل بناء سَقَف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً . . . والسقيفة كل خشبة عريضة كاللوح أو حجر عريض يستطاع أن يُسَقَفَ به قُتْرَةٌ أو غيرها» ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٠٩ بلفظ : (جذوعاً) ، ونسبه إلى سعيد بن جبير والشعبي .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٤ .
- (٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (وَحَيْلٌ) .
- (٥) سقط من الأصل لفظ : (وكذلك) .
- (٦) سقط من الأصل لفظ : (أُسْد) .
- (٧) البيت لأبي ذؤيب في شرح ديوان الهذليين ١/ ١١٠ ، وفيه : «ينازهم بدل ينازله ، وفي اللسان كذلك ينازهم . وقب القوم يقبون قبا : صخبوا في خصومة أو تمار . وقب الأسد والفحل يقب قباً وقبيباً ، إذا سمعت قعقعة أنيابه» . انظر : اللسان (قب) ١/ ٦٥٧ ، والحجة ٦/ ١٤٨ .

وهذا الذي ذكرنا هو كلام أبي إسحاق وأبي علي^(١)، ويدل على صحة قراءة مَنْ قرأ بالجمع ما روي عن مجاهد أنه قال: «كل شيء من السماء فهو سَقْفٌ، وكل شيء من البيوت فهو سُقْفٌ، بضمتين»، ويشبه أن يكون اعتبر في هذا قوله^(٢): ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. قوله: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ يعني: الدرج، في قول جميعهم^(٣)، وهو من: عرج يعرج، وقد سبق تفسيره [السجدة: ٥]. ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي على المعارج ﴿يَظْهَرُونَ﴾. قال ابن عباس: «يرتفعون»^(٤)، وقال مقاتل: «يرتقون»^(٥).

وقال ابن قتيبة: «يعلون، يقال: ظهرت على البيت، إذا علوت سطحه»^(٦)، ومنه قول الجعدي:

وإِنَّا لَنَرُجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا^(٧)

يعني مرقى ومصعداً. قال أبو إسحاق: «المعنى: وجعلنا معارج من فضة»^(٨) وكذلك:

-
- (١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٠، والحجة لأبي علي ٦/ ١٤٨.
 (٢) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ١٤٨.
 (٣) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٧٠، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٢٤، والوسيط ٤/ ٧١، وتغليق التعليق لابن حجر ٤/ ٣٠٥.
 (٤) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٧٠.
 (٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٤.
 (٦) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٧.
 (٧) البيت للناطقة الجعدي، وصدره قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

انظر: ديوانه ٦٨، ٧٣. وقد ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ١٢٧، وصاحب اللسان (ظهر) ٤/ ٥٢٩.

- (٨) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١١.

٣٤. ﴿وَلْيُؤْتِيَهُمْ أَنْبَاءُ﴾ ؛ أي أبواباً من فضة وكذلك ﴿وَسُرُّرًا﴾ من فضة ، والمعنى لولا^(١) تميل بهم الدنيا فيصير الخلق كفاراً لأعطى الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لقلَّتها عنده ، ولكنه - عز وجل - لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلق حب العاجلة .

قال الأخفش : «واحد المعارج معراج ، ولو شئت قلت في جمعه المعارج»^(٢) وإن شئت جعلت الواحد معراجاً ، بفتح وكسر ، كما تقول : مَرَقَاةٌ وَمِرْقَاةٌ . قال : وقوله : ﴿يُظْهِرُونَ﴾ ، يقول : قد ظهر على البيت يظهر ، ويظهر ظهوراً وظهوراً ، إذا علاه ، وظهرت على السطح ، إذا صرت عليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح : ٢٨] معناه : ليُغْلِبَهُ ، وأظهر الله المسلمين على الكافرين ؛ أي أعلاهم [عليه]^(٣) ، وأظهر على الشيء المسروق ، إذا أطلع عليه^(٤) .

﴿وَسُرُّرًا﴾ هو السرير ، والعدد أَسْرَرَةٌ ، والجميع السُرر .

قوله تعالى : ﴿يَتَكُونُ﴾ أصله من الواو ، وكان أصل اتكى أوتكى ، ففعل به مثل ما فعل بآتزن وآتعد ، وقد مضى ، ومثل الاتكاء التوكؤ ، وهو التحامل على الشيء^(٥) ، ومنه قوله : ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٨] .

(١) كذا في الأصل ، ولعله سقط لفظ : (أن) .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٨٨ / ٢ .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (عليهم) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (ظهر) ٢٤٨ / ٦ ، والصحاح (ظهر) ٧٣٢ / ٢ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (تكأ) ٣٣٣ / ١٠ ، و(وكأ) ٤١٧ / ١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧ ، واللسان (وكأ) ٢٠٠ / ١ .

٣٥. قوله تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾. تفسير الزخرف في اللغة: الزينة، وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله^(١): ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]، ونحو هذا قال ابن عباس: «يريد جمع الزينة»^(٢).

وقال مقاتل: «يقول: وجعلنا لهم كلَّ شيء من ذهب»^(٣).

وقال الفرّاء: «جاء في التفسير إنما نجعلها لهم من فضة ومن زخرف، فإذا أُلقيت (مَنْ) أوقعَت الفعلَ عليه فتنبه، أي وزخرفها تجعل ذلك منه». قال: «وقال آخرون: ونجعل لهم مع ذلك ذهباً وغنى، وهو أشبه الوجهين بالصواب»^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾. أجمع القرّاء على تخفيف ﴿لَمَّا﴾ و﴿مَا﴾ لغو، المعنى: لمتاع الحياة الدنيا، ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لَمَّا﴾ التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في نحو قوله:

هَبَلْتُكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا^(٥)

ولم تعمل (إِنْ) عمل الفعل لما خففتها لزوال شبهها بالفعل من أجل التخفيف، وحكى سيبويه النصب بها مخففة، والقياس أن لا تعمل إذا خففت بذلك على

(١) انظر: تهذيب اللغة (زخرف) ٦٧٢/٧، والصحاح (زخرف) ١٣٦٩/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٧١/١٣، وإعراب القرآن للنحاس ١٠٩/٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٩٥/٣.

(٤) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٣٢/٣ بتصرف يسير.

(٥) البيت لعاتكة بنت زيد العدوية ابنة عم عمر بن الخطاب من قصيدة تخاطب بها عمرو بن جرموز قاتل زوجها الزبير بن العوام في معركة الجمل، وعجزه:
حلَّتْ عليك عقوبة المتعمد

انظر: المحتسب لابن جني: ٢/٢٥٥، والأضداد لابن الأنباري ١٩٠، وشرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ١/٣٣٥، لكن صدره: شَلَّتْ يَمِينُكَ.

دخولها على الفعل في نحو : ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦] ،
 ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ، وقرأ حمزة (لماً) بالتشديد ، جعل
 (لماً) في معنى : إلّا ، وحكى سيبويه : «نشدتك بالله لماً فَعَلْتَ ؛ يعنى : إلّا . ويقوَّى
 هذه [القراءتان في حرف]»^(١) (وما ذلك إلّا متاع الحياة الدنيا) وهذا يدل على أن
 (لماً) بمعنى (إلّا) وأنَّ (إِنْ) بمعنى (ما)»^(٢) .

وقال أبو الحسن : «الوجه التخفيف ، لأن (لماً) في المعنى (إلّا) لا يكاد
 يعرف ولا يكاد يُتكلم بها»^(٣) ، وحكى عن الكسائي أنه قال : «لا أعرف وجه
 التثقيب»^(٤) .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : «يريد
 يزول ويذهب ويتغير»^(٥) ، وقال مقاتل : «يتمتعون فيها قليلاً»^(٦) ، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾
 يعني الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ؛ خاصة لهم .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ . قال أبو زيد
 وابن الأعرابي : «عشى يعشوا وعشواً وعشواً ، إذا أتى ناراً للضيافة ،
 وعشا يعشوا ، إذا ضعف بصره»^(٧) ، ونحو هذا قال الليث ، قال :

-
- (١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (القراءة أن في حرف أبي) . انظر : الحجة ١٤٩ / ٦ .
 (٢) من بداية ذكر القراءة نقله المؤلف عن الحجة لأبي علي مع اختصار لبعض المواضع . انظر : الحجة
 ١٤٩ / ٦ ، وانظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٥٩٤ .
 (٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٨٨ / ٢ .
 (٤) انظر : الحجة ١٤٩ / ٦ ، وتفسير ابن عطية ٢٥٦ / ١٤ .
 (٥) ذكره الطبري في تفسيره ٧٢ / ١٣ من دون نسبة ، ونسبه في الوسيط لابن عباس . انظر : ٧٢ / ٤ .
 (٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٥ / ٣ .
 (٧) انظر : الصحاح (عشى) ٢٤٢٦ / ٦ ، واللسان (عشا) ٥٦ / ١٥ .

«والعاشية كل شيء يعيش بالليل إلى ضوء نار من أصناف الحيوان كالفراش^(١) وغيره»، وأنشدوا :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ^(٢)
وذكر المفسرون وأهل التأويل في هذه الآية قولين :

أحدهما : أن المراد بقوله ﴿يَعْشُ﴾ : يعم ويضعف بصره .

والآخر : أن المعنى : وَمَنْ يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ، والأول قول مقاتل وابن زيد وابن عباس في رواية عطاء وأبي عبيدة وابن قتيبة .

قال مقاتل : «يقول : وَمَنْ يعم بصره عن ذكر الرحمن ، يعني القرآن» .

وقال ابن عباس : «وَمَنْ يعم عن ذكر الله تعالى» .

وقال أبو عبيدة : «وَمَنْ تظلم عينه» ، واختاره ابن قتيبة^(٣) .

والقول الثاني : هو قول قتادة ، وروي ذلك عن ابن عباس ، وهو اختيار الفراء وأبي إسحاق^(٤) .

وشرح الأزهري القولين وبين الأصوب فقال : «قال القتيبي معنى قوله : ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ ؛ أي وَمَنْ يظلم بصره ، قال : وهذا قول أبي عبيدة ، ثم ذهب يرد

(١) انظر : العين (عش) ١٨٧/٢ .

(٢) البيت للحطيئة من قصيدة مدح بها بغض بن عامر بن شماس . انظر : ديوانه ٢٤٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٠٤ ، والصحاح (عشا) ٦/٢٤٢٦ ، واللسان (عشا) ١٥/٥٦ ، والعين (عشى) ١٧٨/٢ ، والكتاب ٨٦/٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٩٥ ، وتفسير الطبري ١٣/٧٣ ، وتنوير المقباس ٤٩٢ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٠٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/٧٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/٣٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٤١١ .

قول الفرّاء ويقول : لم أرَ أحداً يميّز عَشَوْت عن الشيء ؛ أي تغافلت عنه كأنني لم أراه وكذلك تعاميت» .

قال الأزهري : «أغفل القتيبي موضع الصواب ، واعترض ، مع غفلته ، على الفرّاء يرد عليه ، فذكرت قوله لأبيّن عواره ، فلا يغتر به الناظر في كتابه ، العرب تقول : عَشَوْت إلى النار أعشو عَشَوّاً ؛ أي قصدتها مهتدياً بها ، وعَشَوْت عنها ؛ أي أعرضت ، فيفرّقون بين (إلى) و(عن) موصولين بالفعل» .

قال أبو الهيثم : «عشا عن كذا يعيش عنه ، إذا مضى ، وعشا إلى كذا يعيش إليه عَشَوّاً وَعُشَوّاً ، إذا قصد إليه مهتدياً بضوء ناره ، وإنما أتى القتيبي في وهمه الخطأ من جهة أنه لم يفرّق بين عشا إلى النار ، وعشا عنها ، ولم يعلم أن كل واحد منهما ضد الآخر في باب الميل إلى الشيء والميل عنه كقولك : عدلت إلى بني فلان ، وعدلت عنهم ، وكذلك ملت إليهم ، وملت عنهم ، ومضيت إليهم ، ومضيت عنهم» .

وهكذا قال أبو إسحاق الزّجاج في هذه الآية كما قال الفرّاء^(١) قال : «معنى الآية : أن مَنْ أعرّض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين ، يعاقبه شيطان يقيّضه له حتى يضلّه ويلازمه قريناً له ، فلا يهتدي مجازاةً له حين أثر الباطل على الحقّ البين»^(٢) .

قال الأزهري : «وأبو عبيدة صاحب معرفة الغريب ، وأيام العرب ، وهو بليد النظر في باب النحو ومقاييسه» ، انتهت الحكاية عن الأزهري^(٣) ، والقول

(١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٤ / ٤١١ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ٣٢ .

(٢) ورد في معاني القرآن للزّجاج ٤ / ٤١٢ ، لكنه بأخصر مما هنا ، وهذا القول بنصبه في تهذيب اللغة (عشا) ٣ / ٥٦ ، وفي الوسيط ٤ / ٧٢ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة ، وقد اختصر المؤلّف في بعض المواضع من كلام الأزهري في تهذيب اللغة (عشا) ٣ / ٥٧-٥٥ .

ما اختاره ؛ لأن الإعراض عن القرآن صح يعني من العمى عنه ، ولهذا الوجه أدلة من التنزيل كقوله : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ [الجن: ١٧] والأول ليس ببعيد ، ويُحمل على أنه يعمى عن الاستدلال بحججه والتأويل في تبيانه ، ونظيره من التنزيل قوله : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١] .

قوله : ﴿نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾ . تفسير التقيض قد تقدّم في سورة السجدة ، [الآية ٢٥] ، قال مقاتل : «يعني يضم إليه»^(١) .

﴿فَهُوَ لَهُ﴾ في الدنيا ﴿قَرِينٌ﴾ يعني صاحباً يزيّن له العمى ، وقال ابن عباس : «فهو له قرين : يريد في الدنيا والآخرة»^(٢) .

قوله : ﴿فَهُوَ﴾ يجوز أن يكون كناية عن الشيطان ، ويجوز أن يكون كناية عن المُرْعَض ؛ لأن كل واحد منهما قرين لصاحبه ، وفي هذا تكذيب للقدرية ؛ لأنه -تعالى- ذكر أنه يسلط الشيطان على الكافر حتى يضلّه ، ويَحْتَلِإِلَيْهِ أنه على الهدى وهو على الضلالة ، وذلك قوله :

٣٧. ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ ؛ الهدى ، وذكر الكناية عن الشيطان وابن آدم بلفظ الجمع في قوله : ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ في مذهب جمع^(٣) وإن كان اللفظ على الواحد . قاله الفرّاء^(٤) .

(١) ذكره البغوي ٧/ ٢١٣ من دون نسبة ، ولم أقف عليه عند مقاتل .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٢٦ ، وتنوير المقباس ٤٩٢ . قال القرطبي في الجامع ١٦/ ٨٩ : «قيل في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية» ، وهو معنى قول ابن عباس .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ١٤/ ٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٩٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٣٢ .

قوله تعالى : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ . قال مقاتل : «يحسب كفار مكة أنهم على هدى»^(١) ، وقال أبو إسحاق : «الشيطان يصدّهم عن السبيل ، ويحسب الكفار أنهم مهتدون»^(٢) .

٣٨ . ثم عاد إلى لفظ الواحد فقال : ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَنَا﴾ ؛ يعني الكافر ، وقرئ (جاءنا) يعني الكافر وشيطانه ، قال مقاتل : «يعني ابن آدم وقرينه في الآخرة جعلاً في سلسلة واحدة»^(٣) .

وروى معمر عن الجريري في هذه الآية قال : «بلغنا أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره أخذ بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار ، فذلك حيث يقول : ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾»^(٤) .

قال مقاتل : «يعني يقول : يتمنى الكافر أن بينهما بُعد المشرقين ، وأطول يوم في السنة إلى مشرق أقصر يوم في السنة»^(٥) . ويقال : إنه أراد المشرق والمغرب فقال : المشرقين ، وهذا أشبه الوجهين بالصواب ؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما كما قال الفرزدق :

لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ وَالطَّوَالُجُ^(٦)

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٥ .
 (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤١٢ .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٥ .
 (٤) أخرجه عبدالرازق في تفسيره ٢ / ١٩٦ ، والطبري في تفسيره ١٣ / ٧٤ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٦ / ٢٢٧ .
 (٥) ورد في تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٥ بلفظ : (يعني ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء أطول يوم في السنة ، وأقصر يوم في السنة) .
 (٦) انظر : ديوان الفرزدق ٥١٩ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٣٣ ، وتفسير الطبري ١٣ / ٧٤ ، وتهذيب اللغة (عنى) ٣ / ٢١٤ ، وتفسير ابن عطية ١٤ / ٢٥٩ .

يريد : الشمس والقمر ، ويقولون للكوفة والبصرة : البصرتان ، وللجزيرة والموصل : الموصلان ، الغداة^(١) والعصر ، ومثله كثير ، واختاره أبو إسحاق فقال : «غلب لفظ المشرق كما قالوا سُنَّةَ العمرين يراد : سُنَّةَ أبي بكر وعمر ، رحمة الله عليهما»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَيَسَّ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ ؛ أي أنت . قال مقاتل والكلبي : «فبَّس المصاحب معه في النار في سلسلة واحدة»^(٣) ، ويقول الله للكافر في ذلك اليوم :

٣٩ . ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ ؛ أي أشركتم في الدنيا ، قاله ابن عباس ومقاتل .

قال عطاء : «لن ينفعكم اليوم هذا الكلام ، يعني قوله : يا ليت بيني وبينك» ، وقال مقاتل : «لم ينفعكم اليوم في الآخرة الندم والاعتذار»^(٤) ، وهذا إنما يصح أن لو قُرئ : (إنكم في العذاب) بكسر الهمزة على الابتداء ، وإذا فتحت الهمزة تفسير للذي لا ينفعهم ، وهو اشتراكهم مع شياطينهم في العذاب .

وذكر ابن مجاهد أن ابن عامر قرأ (إِنَّكُمْ) بكسر الألف^(٥) ، وهو صحيح على ما ذكرنا من قول ابن عباس ومقاتل ، وهو على إضمار فاعل ينفعكم ، والفاعل ما ذكرهما ، والمعنى : ولن ينفعكم اليوم التبرؤ إذ ظلمتم أمس ، ودل على التبرؤ قوله : ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ والفاعل قد يضمّر إذا دلت عليه الحال كقولهم : إذا كان غداً فأنتي ، وعلى هذه القراءة (إِنَّكُمْ) ابتداء كلام ، ومن إضمار الفاعل

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٨٤/١٠ أ بلفظ : (ويقال الغداة والعشي العصران) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/١٢٠ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/٧٩٥ ، وتنوير المقباس ٤٩٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/٧٥ ، وتفسير مقاتل ٣/٧٩٥ .

(٥) انظر : كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٨٦ ، والحجة لأبي علي ٦/١٥٥ .

في التنزيل قوله : ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران : ١٧٣] أي زادهم قول الناس إيماناً ،
وقرأه العامة : (أَنْتُمْ) بفتح الهمزة .

قال المفسرون : « لا يخفف الاشتراك عنهم ؛ لأن لكل أحد من الكفار
والشياطين الحظ الأوفر من العذاب »^(١) .

قال المُبرِّد في ما حكى عنه الرَّجَّاج : «إنهم مُنِعُوا روح التَّأْسِي ، [لأن
التَّأْسِي]^(٢) يسهل المصيبة ، فأعلموا أنه لن ينفعهم الاشتراك في العذاب ، فإن الله
لا يجعل لهم فيه أسوة»^(٣) .

ومما يدل على أن التَّأْسِي يخفف قول الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يَبْكُون مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي^(٤)

وقال آخر :

وهَوْنٌ وَجِدِي عَنْ خَلِيلِي أَنَّنِي إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ^(٥)

وذكر أبو علي نحو هذا فقال : «ولن ينفعكم اليوم اشتراككم ، وفي هذا
حرمان التَّأْسِي ، وهي نعمة يسلبها الله أهل النار ، ليكون أشد لعذابهم ، ألا ترى
أن التَّأْسِي قد يخفف كثيراً من الحزن عن المتأسي كما جاء :

ولكنَّ أَسْلَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي»^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٧٥ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي ٨٤ / ١٠ ، وتفسير البغوي ٢١٤ / ٧ .

(٢) (لأن التَّأْسِي) ساقط من الأصل ، وهي هكذا عند الرَّجَّاج .

(٣) انظر : معاني القرآن للرَّجَّاج ٤١٢ / ٤ .

(٤) انظر : ديوانه ٦٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٦٢ / ٦ ، وشواهد الكشاف ٦٤ / ٤ ، والدر المصون

٩٩ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٩١ / ١٦ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : الحجة لأبي علي ١٥٥ / ٦ ، ١٥٦ ، وعجز البيت للخنساء .

٤٠. ثم ذكر الله - تعالى - أنه لا تنفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾. قال ابن عباس: «يريد أنهم لا يعقلون ما جئت به ولا يبصرونه، لأن من أعميت قلبه فلا هادي له»^(١) ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ يريد بانتهى ضلالته بتكذيب الصادق الأمين».

٤١. قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾. قال ابن عباس: «يريد: الموت»^(٢)، قال مقاتل: «يعني: فيميتك»^(٣).

وقال الكلبي: «يعني: قبل أن يريك النعمة في كفار مكة»^(٤)، فإنما منهم منتقمون بالقتل بعدك، يعني: ينتقم منهم بأن كذبوك بعدك»^(٥).

٤٢. ﴿أَوْ نُزِيلَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾. قال ابن عباس: «أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل».

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾. قالوا: «وقد أرى ذلك يوم بدر»^(٦) والمعنى: أن الله - تعالى - يقول لنبيه مطياً قلبه: إن ذهبنا بك انتقمنا لك منهم بعدك، أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب على تكذيبك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ متى شئنا عذبناهم، ثم عذبوا يوم بدر، وهذا قول ابن عباس ومقاتل^(٧).

(١) ذكر ذلك في الوسيط عن ابن عباس. انظر: ٤ / ٧٣.

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره ٢٠٨ / ٣، وذكره الشوكاني ٥٥٧ / ٤ من دون نسبة.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٧٩٦ / ٣.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٤٩٢، والوسيط ٧٤ / ٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٧٩٦ / ٣.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ٨٤ / ١٠، والبغوي في تفسيره ٢١٤ / ٧ ولم ينسبه، ونسبه القرطبي في تفسيره ٩٢ / ١٦ إلى ابن عباس.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره، وقال: «وهو قول أكثر المفسرين»، وذكره البغوي في تفسيره، ونسبه إلى

وذهب قوم من المفسرين إلى أن هذا في المسلمين وهو مذهب قتادة والحسن ، قال قتادة : «أكرم الله نبيه ، وذهب به ولم ير في أمته ما كان من النعمة بعده»^(١) ، والقول هو الأول ؛ لأنه في ذكر المشركين قوله : ﴿وَإِنَّهُ﴾ الهاء كناية عن الذي أوحى إليه ، وهو القرآن في قوله :

٤٣-٤٤ . ﴿فَاسْتَمِيعْ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾^(٢) ﴿لَذِكْرُكَ﴾ . قالوا : لشرف لك كقوله : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] .

قوله تعالى : ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لن آمن منهم ، والقوم يحتمل كل من بُعث إليه من الناس ، ويحتمل أن يراد به قريش» ، و[^(٣)] ابن عباس ومقاتل : «المؤمنين»^(٤) ، ويكون المعنى على هذا : القرآن شرف لك بما أعطاك الله من الحكمة ، ولقومك المؤمنين بما عوّضهم من إدراك الحق به ، وإن قلنا : المراد بالقوم : قريش فشرّفهم بالقرآن أنه أنزل على رجل منهم .

وروى الضحاك عن ابن عباس : أن النبي ﷺ كان إذا سئل : لِمَن هذا الأمر بعدك ؟ لم يخبر بشيء ، حتى نزلت : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ فكان بعد

أكثر المفسرين ، ونسبه القرطبي في تفسيره إلى ابن عباس وإلى أكثر المفسرين ، وانظر : تفسير مقاتل ٧٩٦/٣ .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٥/١٣ عن الحسن وقاتة ، وأورده الثعلبي في تفسيره ٨٤/١٠ ب من دون نسبة ، ونسبه البغوي في تفسيره ٢١٤/٧ إلى الحسن وقاتة ، ونسبه الطبري في الجامع ٩٢/١٦ إلى الحسن وقاتة ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢٧٤/٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧٦/١٣ ، تفسير الوسيط ٧٤/٤ .

(٣) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ : (قال) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٦/٣ ، وتفسير أبي الليث ٢٠٨/٣ ، وقد ذكر الأقوال الثلاثة ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٨/٧ ، ولم ينسبها ، قال : «أحدها : العرب قاطبة ، والثاني : قريش ، والثالث : جميع من آمن به» .

ذلك إذا سئل قال : لقريش^(١) ، وهذا يدل على أن النبي ﷺ فهم من هذا أنه يلي على المسلمين بحكم النبوة وشرف القرآن الذي أنزل على رجل منهم ، وقال مجاهد : «هو أن يقول الرجل لأخيه : ممن الرجل ؟ فيقول : من العرب ، فيقول : من أي العرب ؟ ، فيقول : من قريش ، فيقول : من أي قريش ؟ فيقول : من بني هاشم»^(٢) ، هذا والله هو الذكر والشرف ، وعلى هذا القول ، القرآن شرف لمحمد ، وهو شرف للعرب ، ثم للأخص فالأخص من قومه ، ولما كان شرف قومه به وشرفه بالقرآن ، كان القرآن شرفاً للجميع .

وقوله : ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ . قال الكلبي : «أي عن هذا الشرف ، هل أديتم شكره ؟»^(٣) .

وقال مقاتل : «يعني من كذب به ، كأن يسأل : لم كذب به ؟»^(٤) فيسأل سؤال توبيخ .

وقال أبو إسحاق : «سوف تسألون عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف»^(٥) ، وقال غيره : «تسألون عن القرآن وعملكم بما أمرتم به فيه ، وعما يلزمكم من القيام بحقه»^(٦) .

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ٨٤ ب عن علي وابن عباس ، وعزاه السيوطي في الدر ٧ / ٣٨٠ إلى ابن عدي وابن مردويه عن علي وابن عباس ، ونسبه البغوي في تفسيره ٧ / ٢١٥ إلى ابن عباس .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٧٦ عن مجاهد من دون ذكر بني هاشم ، وأورده الماوردي في تفسيره ٥ / ٢٢٧ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٦ / ٩٤ إلى مجاهد .

(٣) ذكر في تنوير المقياس ٩٢ ، والوسيط ٤ / ٧٤ عن الكلبي .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٦ ، وتفسير أبي الليث ٣ / ٢٠٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٣٠ .

(٦) انظر : زاد المسير ٧ / ٣١٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٩٤ ، والوسيط ٤ / ٧٤ .

٤٥. قوله تعالى : ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ . اختلف المفسرون وأهل التأويل في هذه الآية ، فذهب طائفة إلى أن المعنى : «واسأل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء ، هل جاء تكم الرسل إلا بالتوحيد ؟» وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والمقاتلين ، واختيار الزَّجَّاج والفرَّاء وابن قتيبة^(١) .

قال الزَّجَّاج : «المعنى : سأل أمم من أرسلنا»^(٢) ، وعلى هذا فقد حذف المضاف ، وقال الفرَّاء : «هو أن تسأل التوراة والإنجيل ، [فيخبروه أنه كتب]^(٣) الرسل ، فإذا سأل الكتاب فكأنه سأل الرسل»^(٤) .

وقال ابن قتيبة : «تقدير الآية : واسأل من أرسلنا ، يعني : أهل الكتاب»^(٥) .

قال ابن الأنباري^(٦) : «وهذا خطأ في النحو ؛ لأنه لا يصلح إضمار ﴿إِلَيْهِ﴾ ، اتفق النحويون أنه لا يجوز : الذي جلست عبدالله ، على معنى : الذي جلست إليه ؛ لأن (إليه) حرف منفصل ، والمنفصل لا يضم في صلة الموصول لانفصاله من الفعل ؛ لأنه يجري مجرى المظهر ، كما أنك إذا قلت : الذي أكرمك أبا عبدالله ، لم يجوز أن يضم أباه ، وإنما يحسن الإضمار في الهاء المتصلة نحو : الذي أكلت طعامك إذا أكلته ، فحذف الهاء تخفيفاً لطول الاسم ؛ لأن (الذي) و(أكلت)

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٧/١٣ عن قتادة ورجَّحه ، وأورده البغوي في تفسيره ٢١٦/٧ ، وابن عطية في تفسيره ٢٦٣/١٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣١٩/٧ ، والقرطبي في الجامع ٩٦/١٦ ، وانظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/٣٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤١٤ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي معاني الفرَّاء : (فإنهم إنما يخبرونه عن كتب) .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/٣٤ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٩ .

(٦) لم أقف على قول ابن الأنباري ، وقد ذكر نحوه النحاس في إعراب القرآن ٤/١١١ ، ١١٢ .

حرف واحد» ، ومعنى الآية : تَبَاعَ مَنْ أَرْسَلْنَا^(١) فيكون هذا من باب حذف المضاف ، ومعنى هذا الأمر بالسؤال التقدير لمشركي قريش أنه لم يأتِ رسول ولا كتاب بعبادة غير الله .

وقال عطاء عن ابن عباس : «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بَعَثَ اللَّهُ -تَعَالَى- آدَمَ وَمَنْ وَلَدَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَأُذِّنَ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ أَقَامَ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، تَقَدَّمَ فَصَلِّ بِهِمْ ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ ، قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ : سَلْ يَا مُحَمَّدُ [. . .] قَبْلَكَ مِنْ رَسَلْنَا ، الْآيَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا أَسْأَلُ قَدْ اكْتَفَيْتُ»^(٣) .

وهذا قول سعيد بن جبير والزهري ، قالوا : «جُمِعَ لَهُ الرِّسَالُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فَلَقِيَهُمْ وَأَمَرَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ ، فَلَمْ يَشْكُكَ وَلَمْ يَسْأَلْ»^(٤) .

وذكر أبو إسحاق قولاً ثالثاً وهو : «أَنْ يَكُونَ الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ : الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ ، كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ : سَلُوا الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الرِّسَالَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ أَتَوْا بِدِينٍ غَيْرِ التَّوْحِيدِ ؟ وَلَكِنْ الْكَلَامُ خَرَجَ عَلَى مَخَاطَبَتِهِ ﷺ كَمَا قَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق : ١]»^(٥) .

(١) ورد في تفسير ابن عطية ٢٦٥ / ١٤ بهذا اللفظ ، وذكره في الوسيط ٧٥ / ٤ عن ابن الانباري بلفظ : (سَلْ أَتْبَاعَ مَنْ أَرْسَلْنَا) .

(٢) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ : (من) .

(٣) أخرج نحوه الطبري ٧٨ / ١٣ عن ابن زيد ، ونسبه البغوي ٢١٦ / ٧ إلى عطاء عن ابن عباس ، ونسبه القرطبي ٩٥ / ١٦ إلى ابن عباس وابن زيد ، ونسبه في الوسيط ٧٥ / ٤ إلى عطاء عن ابن عباس .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧٨ / ١٣ ، وتفسير الماوردي ٢٢٨ / ٥ ، وتفسير البغوي ٢١٦ / ٧ ، وزاد المسير ٣١٩ / ٧ ، والوسيط ٧٥ / ٤ ، وقد زاد بعضهم نسبته إلى ابن زيد .

(٥) ورد في معاني القرآن للزجاج ٤١٤ / ٤ بتصرف في العبارة .

وذكر صاحب النظم وجهاً آخر [حلفاً فاسداً]^(١) فقال : « المعنى سَلِ الأنبياء الذين أرسلناهم مَنْ هم لتعرفهم ، كما تقول : سَلِ : مَنْ هذا ؟ ؛ أي سَلِ الناس : مَنْ هذا الرجل ؟ ، فكأنه قال : سَلْنَا : مَنْ أرسلنا ؟^(٢) ، وتم الكلام^(٣) ، ثم قال مبتدئاً قوله تعالى : ﴿ أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ على معنى الإنكار ؛ أي ما جعلنا ذلك ، فيكونان خبرين لا خبراً واحداً ، وهذا مما لا يُعْرَج عليه لأن النظم ومعنى الخطاب لا يحتمله .

٤٧ . قوله تعالى : ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ . قال الكلبي : « ألقى عصاه لهم فإذا هي ثعبان مبین ، فضحك القوم وهزئوا به وقالوا : هل يأتيه غير هذه ؟ قال : نعم ، فأراهم يده لها شعاع كشعاع الشمس يضيء لها الوادي فضحكوا منه وهزئوا^(٤) » .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا ﴾ . قال الكلبي : « من التي كانت قبلها^(٥) » .

قال مقاتل : « كانت اليد أكبر من العصا ، وكان موسى بدأ بالعصا فألقاها ثم أخرج يده ، فلم يؤمنوا . » ﴿ وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ يعني : بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس^(٦) .

وذهب قوم إلى أن المعنى في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ يَأْتِينَا ﴾ هي العصا واليد والطوفان والجراد إلى الدم ، فكانوا يكذبون ويهزؤون وهي مترادف عليهم التالية

(١) كذا رسمها في الأصل ، ولم أتبينها .

(٢) ذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط ١٨ / ٨ ، والألوسي في تفسيره ٨٦ / ٢٥ .

(٣) انظر : القطع والانتفاء للنحاس ٦٤٨ .

(٤) ذكر نحوه في تنوير المقباس ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٥) ذكر نحوه في تنوير المقباس ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٦ / ٣ .

أكبر من السابقة ، وهي العذاب المذكور في قوله : ﴿وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ لأنهم عذبوا بهذه الآيات فكانت عذاباً لهم ومعجزات ودلالات لموسى ، فغلب عليهم الشقاق [لم] ^(١) يؤمنوا .

٤٩ . ﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ﴾ . قال ابن عباس : «يقولون : أيها العالم ، وكان الساحر فيهم عظيماً يعظمونه ويعزونه ولم يكن صفة ذم ^(٢)» ، وقيل : إنهم قالوا ذلك جهلاً منهم بصفته» .

وقال أبو إسحاق : «إنهم خاطبوه بما تقدّم له عندهم من التسمية بالساحر ، ولم يناقشهم موسى في مخاطبتهم إياه بذلك رجاء أن يؤمنوا» ، وقوله تعالى : ﴿بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ﴾ في من آمن به من كشف العذاب عنهم ^(٣) .

قوله : ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ ؛ أي مؤمنون بك ، قاله ابن عباس ^(٤) ومقاتل قال : «وكان الله عهد إلى موسى لئن آمنوا كشفت عنهم العذاب ، فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله :

٥٠ . ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ؛ أي العهد الذي عاهدوا عليه موسى ^(٥) وهو مذكور في قوله : ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف : ١٣٤] .

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب (فلم ، أو ولم) ، وهي كذلك في الوسيط ٧٦ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٨٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٨٦ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٩٧ ، والوسيط ٧٦ / ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤١٤ .

(٤) ذكره البغوي ٧ / ٢١٧ ، والمصنف في الوسيط ٧٦ / ٤ ، ولم ينسبها .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٧ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢١٧ من دون نسبة .

ومعنى ذكر هذه القصة هاهنا : أن حال موسى مع قومه كحال محمد ﷺ ، وأن أمره يؤول إلى الاستعلاء كما آل أمر موسى .

٥١ . قوله تعالى : ﴿ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِى ﴾ ؛ يعنى أنهار النيل ، في قول المفسرين . ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِى ﴾ ، قال مقاتل : « يعنى : أسفل مني »^(١) ، كأنه أراد من تحت قصوره ، وهو معنى قول الكلبي : « حولي »^(٢) ، وقال قتادة : « بين يدي في جناتي »^(٣) .

وقال الحسن : « بأمر »^(٤) ، وعلى هذا ، معناه : تجري تحت أمري ، وهو معنى قول عطاء : « في قبضتي وملكي »^(٥) .

قوله : ﴿ أَفَلَا بُصِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : « أفلا تبصرون ما أنا فيه من النعم والخير ، وما فيه موسى من الفقر ، افتخر عدو الله بملكه »^(٦) .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾ . اختلف المفسرون وأهل التأويل في معنى (أم) هاهنا فقال أبو عبيدة : « مجازها : بل أنا خير »^(٧) ، وعلى هذا تمام الفصل عند قوله : ﴿ أَفَلَا بُصِرُونَ ﴾^(٨) ثم ابتداء فصلاً آخر فقال : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٧ / ٣ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٩٣ .

(٣) ذكره البغوي ٢١٧ / ٧ ، والقرطبي ٩٨ / ١٦ ، والمؤلف في الوسيط ٧٦ / ٤ ، ونسبوه إلى قتادة .

(٤) نُسب إلى الحسن في تفسير البغوي ٢١٧ / ٧ ، والوسيط ٧٦ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي : ٨٦ / ١٠ ب .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٨١ / ١٣ من دون نسبة ، ونسبه صاحب الوسيط ٧٧ / ٤ إلى قتادة .

(٧) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٤ / ٢ .

(٨) انظر : القطع والانتشاف للنحاس ٦٤٩ ، والمكتفى للداني ٥٠٩ .

على تأويل : أنا خير ، وهذا قول مقاتل ، قال : « ليس باستفهام يعني : بل أنا خير » ، ونحو هذا قال السُّدِّي ^(١) .

وقال أبو إسحاق : « قال سيبويه والخليل : عطف ﴿ أَنَا ﴾ بـ﴿ أَمْ ﴾ على ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ كأنه قال : أفلا تبصرون أم تبصرون ، قال : لأنهم إذا قالوا له : أنت خير منه ، فقد صاروا عنده بصراء ، فكأنه قال : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء » ^(٢) ، وهذا فيه بعض الغموض ، ولا يقف عليه إلا مَنْ تأمل وتفكر .

وذكر صاحب النظم وجهاً حسناً وهو : « أن يكون تمام الكلام عند قوله : أم ، وقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ ﴾ فصل آخر مبتدأ ، على تأويل : أفلا تبصرون أم تبصرون ، فكيف ذكر ﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ اكتفاء بذكره في قوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ كما يقال في الكلام : أتاكل أم لا ؟ فسكت على الاكتفاء بما قبله من ذكر الأكل ، وكذلك يكون إذا قدّمت النفي فنقول : ألا تأكل أم تأكل ، ثم يكف ، ذكر تأكل بعد (أم) اكتفاء بذكره في أول الكلام ، وكذلك قوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ أم تبصرون ، فكفّ ذكر ﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ عند ﴿ أَمْ ﴾ لجري ذكره ، وهذا معنى قول مجاهد : ﴿ أَمْ ﴾ تام يقف ، ثم ﴿ أَنَا خَيْرٌ ﴾ ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ أم قد أبصرت » ^(٣) .

وقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ ﴾ قال مقاتل : « أفضل ﴿ مِّنْ هَذَا ﴾ يعني موسى ﴿ الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ يعني : ضعيف ذليل » ^(٤) ، وقال الكلبي : « ضعيف في بدنه » ^(٥) ، وقال الليث : « رجل مهين صغير ضعيف » ^(٦) .

-
- (١) ورد في تفسير مقاتل ٧٩٧/٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨١/١٣ فقد أخرجه عن السُّدِّي .
 (٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤١٥ ، والكتاب ١٧٣/٣ ، والجمل في النحو للخليل ٣٢٠ ، ومعاني الحروف للرماني ١٧٣ ، ١٧٤ .
 (٣) انظر : المكتفَى في الوقف والابتداء للداني ٥٠٨ ، وتفسير الطبري ٨١/١٣ .
 (٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٧/٣ .
 (٥) انظر : تنوير المقباس ٤٩٣ .
 (٦) ذكره الخليل في العين (مهن) ٤/٦١ ، والأزهري في تهذيب اللغة (مهن) ٦/٣٢٩ .

وقال الزَّجَّاج : «معنى مهين قليل ، يقال : شيء مهين ؛ أي قليل ، وهو فعيل من المهانة»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكَادُيبُ﴾ . قال ابن عباس : «لا يبين الكلام»^(٢) ، وقال الكلبي : «لا يكاد يبين حجته»^(٣) ، وقال قتادة والشَّدي : «آفة بلسانه»^(٤) ، وقال الزَّجَّاج : «يعني اللثغة»^(٥) التي كانت بلسان موسى»^(٦) .

فإن قيل : أليس موسى سأل الله أن يذهب الرُّتَّةُ^(٧) من لسانه بقوله : ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾^(٨) يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿طه : ٢٧-٢٨﴾ أعطاه ذلك بقوله : ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾^(٩) [طه : ٣٦] فكيف عابه فرعون باللثغة ؟ والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما : أن فرعون أراد : لا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه في ما يدَّعي ، ولم يرد أنه لا يوضح ما يتكلم به ، وهذا كذب من فرعون وعناد بعد ما رأى من الآية ، هذا معنى قول مقاتل^(٨) .

والجواب الثاني : عابه بما كان عليه أولاً ، وذلك أن موسى كان عند فرعون دهنراً وهو ألثغ لا يكاد يبين ، فنسبه فرعون إلى ما عهده عليه من الرُّتَّةِ .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٤١٥ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٤٩٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٨٢ ، وتفسير مقاتل ٣ / ٧٩٧ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٣٠ .

(٥) قال الأزهري في تهذيب اللغة (لثغ) ٨ / ٩٢ : «أخبرني المنذري عن السُّمَرْد أنه قال : (اللثغة أن يُعدل بحرف إلى حرف)» ، وقال الليث : (الألثغ : الذي يتحول لسانه من السين إلى التاء والمصدر : اللثغ واللثغة) ، وقال أبو زيد : (الألثغ : الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام وفيه ثقل)» .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٤١٥ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (رت) ١٤ / ٢٥٠ قول الليث : «الرُّتَّة : عجلة في الكلام . ورجل أرت» ، وقول ابن الاعرابي : «ترت الرجل إذا تعتع في التاء وغيرها» ، وورد في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٧٨ في قوله تعالى : ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ : «أي رتَّة كانت في لسانه» .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٧ .

ويَقْوِي الجواب الأول قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ ﴾ ، ألا ترى أنه اقترح الآيات ، ولم يكتفِ بما ظهر من معجزته ، وليس للأمم أن يقترحوا من الآيات ما يريدون ، بل إذا أتى الرسول بما فيه دلالة على صدقه وجب الإيمان به .

واختلف القراء في ﴿ أَسْوِرَةٌ ﴾ ، فقرأوا بوجهين : أسورة وأساور ، فأسورة جمع سوار لأدنى العدد ، كقولك : خِمَارٍ وَأَخْمَرَةٍ ، وَغُرَابٍ وَأَغْرَبَةٍ ، وَمَن قَالَ فِي سِوَارٍ : أسوار ، جمعه أساوير وأساور ، تكون الهاء عوضاً عن الياء نحو : بطاريق وبطارقة ، وزناديق وزنادقة ، وقدادين وقدادنة ، فيكون أساور : جمع أسوار ، وإن شئت فجمع أسورة ، كما تقول : أساقٍ في جمع أسقية ، وأساقٍ في جمع أسقية ، هذا كلام المُبرِّد^(١) .

وقال أبو زيد : « هو سوار المرأة وأسوار المرأة ، وهما قُلبان يكونان في يديها »^(٢) ، وأسورة جمع سوار مثل : سقاءٍ وأسقيةٍ ، وإزارٍ وآزرَةٍ ، وخوانٍ وأخوَنَةٍ ، وأساوره جمع أسوار ، وألحق الهاء في الجمع عوضاً عن الياء التي ينبغي أن تلحق في جمع أسوار ، على حد إعصار وأعاصير ، كذلك أسوار وأساور ، ثم يقال : أساوره ، ويجوز أن يكون جمع أسورة مثل أسقية وأساقٍ ، وهذا كلام أبي علي^(٣) .

وقال مقاتل : « يقول : فهلاً ألقى على موسى إله الذي أرسله أسورة من ذهب إن كان صادقاً أنه رسول ؟ »^(٤) ، وقال الكلبي : « كان الرجل إذا ارتفع سوروه »^(٥) .

(١) ذكر نحوه في معاني القرآن للقراء ٣/ ٣٥ ، والدر المصون ٦/ ١٠٣ ، ولم أقف على قول المُبرِّد .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سور) ١٣/ ٥١ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٥١ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٥٩ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٨ .

(٥) ورد في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٩ ، وزاد المسير ٧/ ٣٢٢ من دون نسبة .

وقال مجاهد : «كانوا إذا سَوَّدُوا رجلاً سَوَّرُوهُ بسوار وطَوَّقُوهُ بطوق من ذهب ، يكون ذلك دلالة على سيادته»^(١) .

قال أبو إسحاق : «كأنه لما وصف نفسه بالملك والرياسة فقال : هَلَّا جاء موسى يلقي عليه أسورة من ذهب ، يدل على أنها من عند إلهه الذي يدعوكم إلى توحيده ؟»^(٢) .

٥٣ . قوله : ﴿أَوْجَلَةٌ مَعَهُ الْمَلِكُ مُقَرَّبِينَ﴾ . قال قتادة : «متتابعين»^(٣) ، وقال ابن عباس : «يعاونونه على مَنْ خالفه»^(٤) ، وقال مقاتل : «يعينونه على أمره الذي بُعث له»^(٥) ، وقال الكلبي : «مصدقين له بالرسالة»^(٦) .

وقال أبو إسحاق : «أي يمشون معه فيدلون على صحة نبوته»^(٧) ، وقد جمع بين هذه الأقوال كلها ؛ لأنه فُسِّرَ الاقتران وموجه .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ . يقال : استخفه الفرح ، إذا أزعجه وأقلقه ، واستخفه إذا حمّله على الجهل^(٨) ، ومنه قوله : ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم : ٦٠] ؛ أي [لا يحميك]^(٩) على الجهل والميل إليهم ، قال مقاتل : «فاستفز قومه القبط»^(١٠) ، وهو قول

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢١٧/٧ ، والقرطبي في الجامع ١٠٠/١٦ ، ونسباه إلى مجاهد .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤١٥/٤ .

(٣) أخرجه الطبري ٨٣/١٣ عن قتادة ، ونسبه القرطبي ١٠٠/١٦ إلى قتادة .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨٣/١٣ ، وتفسير الثعلبي ٨٧/١٠ ، وتفسير البغوي ٢١٧/٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٨/٣ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٤٩٣ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤١٥/٤ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١٦ .

(٩) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (لا يحمئك) .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ٧٩٨/٣ .

الفراء: «استفزههم»^(١)، والمعنى أزعجههم وحملهم على صفة الجهل بكيدته وغروره، وقوله لهم: ﴿مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩].

ومن قال هاهنا في تفسير (استخفهم): وجدهم جهالاً خفاف الأحلام^(٢)، فليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾، وهذا يوجب أنه أمرهم بشيء فيه إزعاجهم فأطاعوه، ولا يقال وجده خفيفاً فأطاعه، لأنك قد تجد إنساناً خفيف العقل فلا يطيعك، لأنك لم تأمره أو لم يرد هو طاعتك، ويحتاج في هذا التفسير إلى إضمار لا يجوز، هو أن يكون التقدير: وجده خفيفاً فدعاه إلى الغواية فأطاعه، وإذا قلت: أزعجه فأطاعه، لم يحتاج إلى إضمار.

ومعنى ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾؛ قال ابن عباس ومقاتل: «على تكذيب موسى»^(٣)، والمعنى أنه حملهم على الجهل فقبلوا قوله، وكذبوا موسى.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. قالوا: «عاصين لله»^(٤).

٥٥. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا سَفُونًا﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: «غاطونا»، وقال في رواية الكلبي: «أغضبونا»، وهو قول مقاتل وقتادة ومجاهد وغيرهم^(٥)، وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿غَضِبْنَا أَيْسًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، قال عبدالرزاق: «غضب ابن جريج في شيء ف قيل له: أتغضب يا أبا خالد؟ فقال: قد غضب الذي خلق الأحلام، إن الله - تعالى - يقول: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا سَفُونًا﴾؛ أي أغضبونا».

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٥.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٣١، وقال: «هو معنى قول الكلبي»، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢١٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٢٢ من دون نسبة.

(٣) ذكره مقاتل في تفسيره ٣/ ٧٩٨، والماوردي في تفسيره ٥/ ٢٣١، ونسبه إلى ابن زياد.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠١.

(٥) انظر: المصدرين السابقين، وانظر: أيضاً تفسير الطبري ١٣/ ٨٤، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٣١، وتفسير البغوي ٧/ ٢١٨، وزاد المسير ٧/ ٣٢٢.

ونحو هذا روي أن وهب بن منبه كان عند عروة بن الزبير وشكا إليه عامل له فأكثروا عليه^(١) فقالوا : فعل وفعل وثبت البيئته عليه ، فلم يملك وهب نفسه ، فضربه على يديه بعضا ، فإذا دماء يشخب ، فضحك عروة واستلقى على قفاه ، وقال : يعيب علينا أبو عبيد الله الغضب في حكمته وهو يغضب . فقال وهب : وما لي لا أغضب ، وقد غضب خالق الأحلام . إن الله يقول^(٢) : ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ . يقال : سلف يسلف ، إذا تقدّم ومضى ، وسلف له عمل صالح ؛ أي تقدّم . والسلف كل شيء قدّمته من عمل صالح أو ولد ، قرضاً وقرض فهو سلف . وهذا وجه واحد ، ويقال في جمعه الأسلاف ، والسلف أيضاً من تقدّم من آبائك وذوي قرابتك ، واحدهم سالف ، ومنه قول طفيل يرثي قومه :

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ وَصَرَفَ الْمَنَآيَا بِالرَّجَالِ [سلف]^(٣)

وذكر الليث : «سَلَفٌ بضم اللام يَسْلُفُ سُلُوفًا فهو سليف ؛ أي تقدّم»^(٤) ، قال الفرّاء والزّجاج : «يقول : جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون»^(٥) . وقال ابن عباس : «يريد مضوا إلى النار»^(٦) .

(١) أي بالغوا في الشكوى .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٠٣ ، وتفسير أبي الليث ٣/٢١٠ .

(٣) كذا في الأصل ، ورواية البيت (تقلب) . انظر : ديوانه ٤٠ ، وتهذيب اللغة (سلف) ١٢/٤٣١ ، والدر المنصور ٦/١٠٤ ، واللسان (سلف) ٩/١٥٩ ، والبحر المحيط ٨/٢٣ .

(٤) انظر : كتاب العين (سلف) ٧/٢٥٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/٣٦ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٤/٤١٦ .

(٦) ذكره السمرقندي في تفسيره ٣/٢١٠ ، ونسبه إلى قتادة .

وقال مجاهد وقتادة : «جعلناهم سلفاً لكفار أمة محمد ﷺ إلى النار»^(١) ، وأكثر القراء قرؤوا ﴿سَلَفًا﴾ بالفتح ، وهو جمع سالف كما ذكرنا .

قال أبو علي : «وفعل قد جاء بحروف يراد به الكثرة ، وكأنه اسم من أسماء الجمع كقولهم : خَادِمٌ وَخَدَمٌ ، وَطَالِبٌ وَطَلَبٌ ، وَحَارِسٌ وَحَرَسَ » ، وحكى أحمد بن يحيى : «رائح وَرَوَح» .

وقرأ حمزة والكسائي (سُلْفًا) بالضم ، وهو جمع سليف من سلف بضم اللام^(٢) . ذكره الفراء والزجاج^(٣) ، وقال المبرّد : «سُلْفٌ يمكن أن يكون جمع سَلَفٍ كقولك : أَسَدٌ وَأُسْدٌ ، وَوُثْنٌ وَوُثْنٌ » ، وزاد أبو علي : «ومما لحقته هاء التأنيث ، من هذا : خَشَبَةٌ وَخُشْبٌ ، وَبَدَنَةٌ وَبُذْنٌ»^(٤) .

وقوله : ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يريد عظة لمن بقي بعدهم»^(٥) وآية وعبرة ، والمعنى : أن حال غيرهم من المشركين يقاس بحالهم ويجروا مجراهم إذا ماتوا على الطغيان . قال أبو علي : «والمثل واحد يراد به الجمع ، ومن ثم عطف على سلف ، ويدل ذلك على وقوعه أكثر من واحد قوله : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ [النحل: ٧٥] ، فأوقع لفظ الأفراد على التثنية ، وكذلك أفرد في موضع التثنية في ما أنشد سيويه :

وَسَاقِيَيْنِ مِثْلَ زَيْدٍ وَجُعِلَ^(٦)

(١) انظر : تفسير الطبري ٨٥/١٣ ، وتفسير الماوردي ٢٣٢/٥ ، وتفسير الثعلبي ٨٧/١٠ ب .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١١٥/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣٦/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤١٦/٤ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٥٢/٦ ، والدر المصون ١٠٤/٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٨٥/١٣ ، وتفسير مقاتل ٧٩٨/٣ .

(٦) هذا صدر البيت ، وعجزه :

سَقَتَانِ مَمْشُوقَانِ مُكْنُوزَا الْعِضْلِ

انظر : الكتاب ١٧/٢ ، وشرح أبيات سيويه ٩٥ ، والحجة ١٥٣/٦ .

وقد جمع المثل في قوله : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ [الحشر: ٢١] وقوله : ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ، وأفرد في قوله ^(١) : ﴿إِنَّمَا إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] .

٥٧. قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ .
قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد لما ذكر عيسى ، وقدرة الله
-تعالى- فيه ، وخلقه إياه من غير ذكر ، وما كان يفعل من إحياء الموتى
وغير ذلك ، إذا قومك منه يصدون يريد : يضجون كضجيج الإبل
بالأثقال» ^(٢) .

وقال مجاهد في هذه الآية : «قالوا : إنما يريد محمد أن نعبد كما عبد قوم عيسى
عيسى» ^(٣) .

وقال قتادة : «لما ذكر عيسى ابن مريم جزعت قريش من ذلك ، وقالوا : ما
يريد محمد إلا أن يُصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم» ^(٤) . هذا قول
هؤلاء ، وأريد بهذا المثل قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٩] ، وهي
مذكورة في آل عمران بعد ما ذكرت أحوال عيسى ، وما أظهر الله على يده من
المعجزات ومعنى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما شَبَّه عيسى في إحداث الله إياه
من غير فحل بآدم أو خلق من غير أب ولا [آدم] ^(٥) إذا قومك منه يصدون ؛ أي
يضجون ويقولون : ما يريد محمد إلا أن نعبد ^(٦) ، والمعنى على أنهم لما سمعوا

(١) انظر : الحجة ٦/ ١٥٣ .

(٢) ذكره القرطبي في الجامع ١٦/ ١٠٣ .

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٨٥ عن مجاهد ، ونسبه الماوردي ٥/ ٢٣٣ إلى مجاهد ، ونسبه القرطبي ١٦/ ١٠٢
إلى مجاهد .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٨٥ عن قتادة ، ونسبه الماوردي ٥/ ١٣٣ إلى قتادة ، ونسبه القرطبي :
١٦/ ١٠٢ إلى قتادة .

(٥) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب : (ولا أم) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٨٥ .

ذكر عيسى ظنوا أن محمداً إنما يذكره بأوصافه ليصنع به قومه ما صنع قوم عيسى بعيسى فلذلك ضجوا .

وفي : ﴿يَصْدُونَ﴾ قراءتان : ضم الصاد وكسرها . قال الأخفش والكسائي : «هما لغتان قريبتان لا تختلفان في المعنى» ، ونحو ذلك ذكر الفرّاء ، قال الرّجّاج : «ومعناها جميعاً يضجون»^(١) . قال : «ويجوز أن يكون معنى المضمومة يعرضون»^(٢) .

قال الأزهري : «وإذا كان بمعنى يضجون»^(٣) ، فالوجه الكسر في يصدون ، وبه قرأ ابن عباس وفسّره : يضجون»^(٤) .

واختاره أبو عبيدة قال : «ونرى مَنْ ضمها أراد الصدود عن الحق ولو كان من هذا القبيل []»^(٥) (عنه) يصدون ولم يكن ﴿مِنَهُ﴾ ولكنه عندنا على ما فسّره ابن عباس يضجون» .

وقال أبو عبيدة : «يصدون يضجون ، وَمَنْ ضمها أراد يعدلون»^(٦) ويريغون»^(٧) ، وأمّا تعلق أبي عبيدة بقوله : ﴿مِنَهُ﴾ ولم يقل : (عنه) ، فذلك لا يدل على ترجيح الكسر ؛ لأن مَنْ ذهب في (يصدون) إلى الضم بمعنى : يعدلون ، كان المعنى إذا

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٩٠ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣ / ٣٦ ، ومعاني القرآن للرجّاج ٤ / ٤١٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٣٧٦ .

(٢) هذا تابع لقول الرّجّاج في معاني القرآن ٤ / ٤١٦ .

(٣) يقال : أصحّ القوم إضجاجاً ، إذا صاحوا وجلبوا ، فإذا جزعوا من شيء وغلبوا قيل : ضجوا يَضْجُون . انظر : تهذيب اللغة (ضج) ١٠ / ٤٤٧ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (صد) ١٢ / ١٠٤ ، وحجة القراءات ٦٥٢ .

(٥) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ : (لكان) .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٠٥ .

(٧) قال الليث : «السرواغ : الثعلب ، وهو أروغ من ثعلب ، وطريق رائغ مائل ، وراغ فلان ، إلى فلان إذا مال إليه سرّاً» . انظر : كتاب العين (روغ) ٤ / ٤٤٥ ، وتهذيب اللغة (راغ) ٨ / ١٨٦ .

قومك منه ؛ أي من أجل المثل يصدون ، ولم يصل يصد ب (من) ومن قرأ بالكسر جعل (من) متصلة به كما تقول : ضج من كذا ، وذكر ذلك أبو علي ^(١) .

وذكر أكثر المفسرين ^(٢) أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيري مع النبي ﷺ لما نزل قوله : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ، وقد ذكرنا تلك القصة ، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي ومقاتل ^(٣) ، وعلى هذا القول ، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ قال مقاتل : «ولما وصف ابن مريم شبهاً في العذاب في الآلهة أي في ما قالوه وعلى زعمهم لأن الله لم يذكر في تلك الآية عيسى ولم يردده بقوله : ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وإنما أراد أوثانهم ، ولكنهم ألزموه عيسى جدلاً وعتباً ، ومعنى : (يضجون) على هذا القول صحيح الجدال والمخاصمة أو صحيح السرور ، حيث ظنوا أنهم خصموه بتسويتهم بينه وبين آلهتهم ، فقد قال بعض المفسرين : «يضجون» ، ولا يتوجه الاعتراض على هذا القول ، ويدل على صحة هذا القول الثاني في الآية .

(١) انظر : الحجة لأبي علي ١٥٥ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨٦ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي ٨٧ / ١٠ ب ، وتفسير مقاتل ٧٩٩ / ٣ .

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ٣٩٧ عن ابن عباس ، وأورده مقاتل في تفسيره ٧٩٨ / ٣ من دون سند ، وأورده السيوطي في باب النقول ١٨٩ ، وعزاه لأحمد والطبراني ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٤ / ٧ ، وعزاه لأحمد والطبراني ، قال : «وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره ، وهو سيء الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وملخص القصة : «قال ابن عباس : أراد به مناظرة عبدالله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى ، وأن الضارب لهذا المثل هو عبدالله بن الزبيري السهمي حالة كفره لما قالت له قريش : إن محمداً يتلوا : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية ، فقال : لو حضرته لرددت عليه . قالوا : وما كنت تقول له ؟ قال : كنت أقول له : هذا المسيح تعبدوه النصارى ، واليهود تعبد عزيزاً ، أفهما من حصب جهنم ؟ فعبجت قريش من مقالته ورأوا أنه قد خصم ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَةُ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ . ولو تأمل ابن الزبيري الآية ما اعترض عليها ، لأنه قال : ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل : (ومن تعبدون) . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠٣ / ١٦ .

٥٨. قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ ؛ وذلك أنهم قالوا : رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى ، فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا ، هذا معنى قول مقاتل ، فقال الله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ . قال مقاتل : «ما وصفوا لك ذكر عيسى إلا ليجادلوك به»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «طلب المجادلة لأنهم قد علموا أن المعني في حصب جهنم أصنامهم»^(٢) .

وقال أبو علي : «ما ضربوه إلا إرادة للمجادلة ؛ لأنهم قد علموا أن المراد لخصب جهنم ما اتخذوه من الموات»^(٣) ، وعلى القول الأول في الآية الأولى قوله : ﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعنون محمداً ﷺ ، قاله قتادة^(٤) . والمعنى أنهم يقولون : آلهتنا خير أم^(٥) فنحن لا ندع عبادتها لعبادة محمد ﷺ ، وهو سؤال تقرير أن آلهتهم خير .

قوله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ؛ أي ما قالوا لك هذا القول إلا طلباً للخصومة منه ، ثم ذكر أنهم أصحاب خصومة ، فقال : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ . الخصم الشديد الخصومة ، وكذلك الجدال^(٦) ، والقول الثاني أظهر ، وسياق الآيات عليه أدل ، وهو قوله :

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٩٩ .
 (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٦ .
 (٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٥٤ .
 (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٨٨ عن قتادة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٣٤ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٦/ ١٠٤ إلى قتادة .
 (٥) كذا في الأصل ، ولعله قد سقط لفظ : (محمد) .
 (٦) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٤ .

٥٩. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ليس بولد ولا إله ، إنما هو عبد أنعمنا عليه ، خلقتة من روعي وكلمتي» ، وقال مقاتل : «أنعمنا عليه بالنبوة»^(١) .

﴿وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ . قال الكلبي : «معتبراً»^(٢) .

وقال مقاتل : «يعني أنه وغيره ليعتبروا حين [ولده]^(٣) من غير أب» .
وقال قتادة : «آية لبني إسرائيل»^(٤) .

والمعنى : أنهم يعرفون به قدرة الله فيعلمون أن من قدر على خلق ولد من غير أب قادر على ما يشاء ، فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله تعالى ، ثم [خاطبهم]^(٥) كفار مكة فقال :

٦٠. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾ ؛ أي لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ؛ يكونون خلفاً منكم ، قاله الكلبي^(٦) ، وقال قتادة : «يخلف بعضهم بعضاً مكان ابن آدم» ، وقال محمد : «يعمرون الأرض بدلاً منكم» ، وقول قتادة معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قال : «كما جعلت في ولد آدم أمة بعد أمة ، وقوماً بعد قوم خلفاً من قوم»^(٧) .

(١) ورد في تفسير مقاتل ٧٩٩ / ٣ ، ولم أقف على قول ابن عباس .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٧٩٣ .

(٣) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب : (ولد) . انظر : تفسير مقاتل ٧٩٩ / ٣ ، ٨٠٠ .

(٤) انظر : تفسير أبي الليث ٢١١ / ٣ ، وتفسير مقاتل ٨٠٠ / ٣ ، وتفسير الطبري ٨٩ / ١٣ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (خاطب) .

(٦) انظر : تنوير المقياس ٤٩٣ .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره ٨٩ / ١٣ قول قتادة ، وأخرج القول الثالث عن مجاهد ، وأورد الماوردي في تفسيره ٢٣٥ / ٥ قول الكلبي ، ونسبه إلى السدي ، وأورد القرطبي في الجامع ١٠٥ / ١٦ قول قتادة ، ونسبه إلى ابن عباس .

قال الأزهري : «و(من) قد يكون للبدل كقوله : لجعلنا منكم ، يريد بدلاً منهم»^(١) ، ونحو هذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل^(٢) .

٦١ . ثم رجع إلى ذكر عيسى فقال قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يعني نزول عيسى من السماء من أشرار الساعة وأهوالها ، ويكون التقدير على هذا ظهوره أو نزوله» .

وروي عن الحسن وقتادة أنها قالا : «الكنية في ﴿وَإِنَّهُ﴾ تعود إلى القرآن ، يدل على مجيء الساعة ، أو به يُعلم أحوال الساعة وأهوالها»^(٣) ، وقوله : ﴿لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال ابن قتيبة : «يُعلم به قرب الساعة»^(٤) .

﴿فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾ . قال ابن عباس : «لا تكذبوا بها»^(٥) ، وقال مقاتل : «لا تشكُّوا في الساعة»^(٦) ، وقول ابن عباس جيد ؛ لأن الامتراء يوصل بفِي ، يقال : امترى فيه ، كقوله : ﴿الَّذِي فِيهِ يَمُوتُونَ﴾ [مريم : ٣٤] ، وهاهنا وصل بالباء لأنه بمعنى التكذيب ، وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِهِ . ﴿وَأَتَّبِعُونَ﴾ . قال مقاتل :

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (خلف) ٧ / ٤٠٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٨٩ ، وتفسير مقاتل ٣ / ٨٠٠ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٣٥ .

(٣) أخرج الطبري ١٣ / ٩٠ ، ٩١ القولين ؛ الأول عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسُّدِّي ، وأخرج القول الأول الثعلبي في تفسيره ١٠ / ٨٨ ب ، وذكر القولين الماوردي ٥ / ٢٣٥ ، وأورد القولين القرطبي ١٦ / ١٠٥ ، ونسب الأول إلى ابن عباس ومجاهد والضحاك والسُّدِّي ، ونسب الثاني إلى الحسن وقتادة وسعيد بن جبير .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٠

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٢٠ عن ابن عباس ، ونسبه صاحب الوسيط ٤ / ٧٩ إلى ابن عباس .

(٦) ورد في تفسير البغوي ٧ / ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٠٧ ، ونسب مقاتل في تفسيره ٣ / ٨٠٠ قول ابن عباس إلى السُّدِّي .

«على التوحيد»^(١)، ﴿هَذَا﴾. قال ابن عباس: «يريد الذي أنا عليه»^(٢) ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ من دين إبراهيم.

٦٣. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾. قال قتادة ومقاتل: «يعني الإنجيل»^(٣).

﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾. مذهب أبي عبيدة أن بعض هاهنا بمعنى الكل^(٤)، وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿يُضِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وعلى هذا المعنى، ولأبيّن لكم ما تختلفون فيه، قال ابن عباس: «يعني ما تختلفون فيه، يعني أحكام التوراة»^(٥)، وقال السُّدي: «يعني اختلاف الفرق الذين تحزّبوا في أمر عيسى»، وقيل: لأبيّن لكم أمر دينكم دون أمر دنياكم^(٦)، وعلى هذه الأقوال ليس المراد بالبعض الكل.

وقال مقاتل: «هذا كقوله: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠: «قد مرَّ»]^(٧) فذكر في تفسير هذه الآية ما أحل لهم في الإنجيل مما كان

(١) ذكر قول مقاتل من دون نسبة البغوي في تفسيره ٢٢٠/٧، وصاحب زاد المسير ٣٢٦/٧، ولم أجد هذا القول له في تفسيره ٨٠٠/٣.

(٢) ذكره البغوي من دون نسبة، وكذا صاحب الوسيط ٧٩/٤.

(٣) أخرج الطبري ٩٢/١٣ قول قتادة، وانظر: تفسير الماوردي ٢٣٦/٥، وتفسير مقاتل ٨٠٠/٣.

(٤) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٠٥، وأورده الطبري ٩٢/١٣ هذا القول قال: «وقيل: إن معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكل»، واستشهد بيت من الشعر للبيد، وهو قوله:

تَرَاكَ أُمِّكَ نَكَّةً إِذَا لَمْ أَرْضَ هَهَا
أَوْ يَغْتَلِقُ بَعْضُ النَّفْسِ حِمَامَهَا

(٥) ذكره صاحب الوسيط ٨١/٤، ونسبه إلى مجاهد، وذكر عن ابن عباس قوله: «ما تختلفون فيه من أمري وأمر دينكم».

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٩٢/١٣، والبغوي في تفسيره ٢٢٠/٧، ونسب قول السُّدي إلى قتادة. قال الطبري: «كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أبيّن لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه يختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم».

(٧) كذا في الأصل، ولعله قد سقط حرف الواو.

محرمًا عليهم في التوراة كاللحوم من الإبل ، والشحوم من كل حيوان ، وصيد السمك في يوم السبت^(١) .

وقال أبو إسحاق : «الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه ، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه»^(٢) ، وما بعد هذا مفسر في ما مضى^(٣) ، إلى قوله :

٦٦-٦٧ . ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ . قال ابن عباس : «هل يرتقبون إلا القيامة ؟»^(٤) . يعني أنها تأتيهم لا محالة بغتة ، فكأنهم يرتقبونها وإن كانوا أمواتاً ، فهم يرتقبونها لأنه من يكفر بالبعث والقيامة إذا مات ، علم أنه حق فهو يرتقبها ، ولكن لا يدري متى تفجأه فهو قوله : ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) الأَخْلَاءُ في الدنيا ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني في الآخرة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني أن الخلّة إذا كانت على المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيامة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحدّين المؤمنين الذين يخال بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى ، فإن خلّتهم لا تصير عداوة ، وهذا معنى قول المفسرين^(٥) .

٦٨ . ﴿يَعْبَادُ﴾ . قال مقاتل : «إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد : يا عبادي ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني من العذاب . ﴿الْيَوْمَ﴾ فإذا سمع النداء

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٨٠٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ١٨٤ .

(٣) لعله عند قوله : ﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم : ٣٧] ، وقوله : ﴿يَحْسِبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ [الأحزاب : ٢٠] .

(٤) ذكر ذلك في تفسير الوسيط ٤ / ٨٠ من دون نسبة .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٩٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٨٩ أ ، والوسيط ٤ / ٨٠ .

رفع الخلائق رؤسهم فيقال : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(١) .
فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين»^(١) .

قال أبو إسحاق : ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب على النعت لـ ﴿عِبَادِي﴾ ؛ لأن []^(٢) منادى مضاف»^(٣) .

٦٩-٧٠ . قال النحاس وصاحب النظم وأبو حاتم^(٤) : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ابتداء ،
وخبره مضمر على تقدير يقال لهم : ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ، أو يكون الخبر
﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ ، ويجوز أن يكون التقدير : هم الذين آمنوا بآياتنا .

وقال صاحب النظم : «وعلى كلا الوجهين دليل في الفصل ، فقوله : ﴿وَأَنْتُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دليل لمن جعل ﴿الَّذِينَ﴾ منتظماً بالآية الأولى ؛ لأن آخر الكلام
وأوله خطاب» .

٧١ . قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ دليل على القول الآخر على تأويل الذين
آمنوا يقال لهم : ادخلوا الجنة ، ويطاف عليهم .
وقوله : ﴿تُحْبَرُونَ﴾ . قال : «تكرمون وتنعمون» .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٠٢ .

(٢) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ ﴿عِبَادِي﴾ ، وهي كذلك مثبتة عند الزجاج .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤١٩ .

(٤) لم أقف على أقوال هؤلاء ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١١٩ ، والدر المصون ٦/ ١٠٦ .

قال الكلبي: «تكرمون إكراماً يبالغ فيه»^(١). والخبرة المبالغة في ما وصف
بجميل^(٢)، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم، الآية: ١٥، قال مقاتل:
«بأيدي غلمان»^(٣).

﴿بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ﴾. قال الكلبي: «بقصاع»^(٤)، قال الليث: «الصحيفة
شبه قصعة مُسَلَّنَطِحَة عريضة، والجمع الصحاف»^(٥).

قال الأعشى:

وَالْمَكَائِكُ وَالصَّحَافُ مِنَ الْفَضْضَةِ وَالضَّامِرَاتُ تَحْتَ الرَّحَالِ^(٦)
قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابُ﴾. قال الفرّاء: «الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن
له، وأنشد لعدي^(٧):

مُتَّكِئاً تُصَفِّقُ أَبْوَابُهُ يَسْعَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ.

-
- (١) انظر: تنوير المقباس ٤٩٤.
(٢) روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُخْرَجُ رَجُلٌ مِنَ النَّارِ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسِوَرُهُ»، وقال أبو عبيد: «قال
الاصمعي: حَبْرُهُ وَسِوَرُهُ: هو الجمال والبهاء. يقال فلان حَسَنُ الْحَبْرِ وَالسَّوَرِ». انظر: تهذيب اللغة
(حبر) ٣٢/٥.
(٣) انظر: تفسير مقاتل ٨٠٢/٣.
(٤) انظر: تنوير المقباس ٤٩٤.
(٥) قال ابن سيده: «الصحفة: شبه قصعة مُسَلَّنَطِحَة عريضة، وهي تُشَبَّعُ الخُمسة ونحوهم». انظر:
اللسان (صحف) ١٨٧/٩، وانظر: قول الليث في كتاب العين (صحف) ١٢٠/٣، وتهذيب اللغة
(صحف) ٢٥٤/٤.
(٦) انظر: ديوان الأعشى ٤١، وتهذيب اللغة (صحف) ٢٥٤/٤، واللسان (صحف) ١٨٧/٩.
(٧) البيت لعدي بن زيد بن حماد بن أيوب من زيد مناة بن تميم. انظر: معاني القرآن للفرّاء ٣/٣٧،
وتهذيب اللغة (كوب) ٤٠٠/١٠، والدر المصون ١٠٦/٦، واللسان (صفق) ٢٠٣/١٠، والجامع
لأحكام القرآن ١١٤/١٦.

وقال أبو عبيدة : «الأكواب الأباريق التي لا خراطم لها»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له»^(٢) .

قال ابن عباس : «هي الأباريق التي ليس لها آذان»^(٣) ، وقال مقاتل : «يعني الأكواب التي ليست لها عُرى مدورة الرأس»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ ﴾ وُقُرئت : ﴿ تَشْتَهِيهِ ﴾ بإثبات الهاء ، قال المبرِّد : «الأصل إثبات الهاء والحذف استخفاف ، وهو حسن كثير ، كما تقول : الذي ضربت زيد ، والأصل ضربته ، وإنما استخفوا في هذا الموضع حذف المفعول ؛ لأن (الذي) اسم ، وضربت اسم الفاعل ، والهاء المفعول ، فلما اجتمع ذلك استخفوا الحذف ، وكان المجيء بالهاء مع (ما) أحسن منه مع (الذي) ؛ لأن (الذي) أطول من (ما) ، ولأن (ما) مبهمة تقع للمؤنث والمذكر ، والمجيء بالهاء يفصل بينهما ، والذي والتي تنبيان عن أنفسهما فيستغنى عن الهاء ، وفي هذا دليل على حسن قراءة مَنْ قرأ ﴿ تَشْتَهِيهِ ﴾»^(٥) .

وقال أبو علي الفارسي : «حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها ، إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن ما كان من هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف ، من ذلك قوله : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان : ٤١] ﴿ وَسَلَّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ [النمل : ٥٩] ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [هود : ٤٣]

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٦/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤١٩/٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٢٣٨/٥ ، وتفسير مقاتل ٨٠٢/٣ .

(٥) هي قراءة نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ، في حين قرأ الباقر وأبو بكر عن عاصم (تشتهي) بغير هاء . انظر : الحجة لابن خالويه ٣٢٣ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٦٢/٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٥٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٢٠/٤ .

و﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ﴾ [طه: ٦٩]. ويقوَّى الحذف من جهة القياس أنه اسم قد طال ، والأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما حذفوا من اشهياب ، واحميرار ، الياء لطول الاسم ، وقد جاءت مثبتة في قوله : ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ^(١).

قوله تعالى : ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ . قال الكسائي : «يقال للشيء : يَلِذُ بالكسر لَذَاذَا وَلَذَاذَةً بفتح اللام فيهما ، فإذا كنت أنت الفاعل كان فعلت منه مكسوراً ، ويفعل مفتوحاً ، تقول : لَذِذْتُ الشيء أَلَذُّهُ ، مثل استلذذته» ^(٢).

قال مقاتل ^(٣) : «وفيها ما تشتهي النفس من شيء وتلذ الأعين ، أنه ما من شيء تشتهي نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة ، وقد عبَّر الله بهذين اللفظين عن جميع نعيم أهل الجنة ، فإنه ما من نعمة إلا وهي تصيب النفس أو العين يستحسن بالعين أو يستطاب بالنفس ، ثم تم هذه النعم بقوله : ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأنها لو انقطعت لم تطب ، فإن الشيء إذا طاب بعضه [بناه] ^(٤) ، فإذا دام كان أطيب له» .

٧٢. وقوله : ﴿وَلِلَّهِ الْجَنَّةُ﴾ يعني الجنة التي ذكرها في قوله : ﴿وَلِلَّهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْفِئْتُمْوهَا﴾ ^(٥) . وقد ذكرنا في رواية الجنة قولين في قوله : ﴿وَلِلَّهِ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ . وابن عباس قال في هذه الآية : «خلق الله لكل نفس جنةً وناراً ، والكافر يرث نار المؤمن ، والمؤمن يرث جنة الكافر» .

(١) انظر : الحجة لأبي علي ١٥٨ / ٦ .

(٢) ذكره الجوهري في الصحاح (لذذ) ٥٧٠ / ٢ ، وصاحب اللسان (لذذ) ٥٠٦ / ٣ .

(٣) قول مقاتل هذا غير موجود في تفسيره لهذه الآية ٨٠٢ / ٣ .

(٤) كذا رسمها ، وهي غير منقوطة .

(٥) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، ونص الآية : ﴿لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْفِئْتُمْوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣] .

٧٦. قوله : ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «وما ظلمناهم بتعذيبهم ، وما عذبناهم على غير ذنب»^(١) .

﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم لما جنوا عليها من الشرك والكفر ، قال أصحابنا : «ولا يتصور الظلم من الله تعالى ؛ لأنه متصرف في ملكه على الإطلاق كيف ما تصرف ، وإنما الظلم أن يفعل الفاعل ما ليس له فعله . و﴿هُمْ﴾ في قوله : ﴿هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ عماد وفصل»^(٢) .

٧٧. ﴿وَقَادُوا يَمْكُنُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد خازن جهنم»^(٣) .

﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ . قال الكلبي : «ليقض علينا الموت» .

وقال مقاتل : «لينزل علينا ربك الموت» . والمعنى أنهم توسلوا بمالك إلى الله -تعالى- ليسأل الله -تعالى- ليميتهم حتى يستريحوا من شدة العذاب ، فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم أربعين سنة في قول الكلبي^(٤) ، وألف سنة في ما روي عن ابن عباس^(٥) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٤٩٥ ، وتفسير مقاتل ٨٠٢/٣ .

(٢) ﴿هُمْ﴾ هاهنا فصل كذا يسميها البصريون ، وهي تأتي دليلاً على أن ما بعدها ليس بصفة لما قبلها ، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول ، ويسميها الكوفيون العباد ، وهي عند البصريين لا موضع لها في رفع ولا نصب ولا جر . انظر : معاني الزجاج ٤١٩/٤ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٩/١٣ عن السُّدِّي ، ونسبه ابن الجوزي ٣٢٩/٧ إلى المفسرين ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢١٣/٣ من دون نسبة ، وكذا القرطبي في تفسيره ١١٦/١٦ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٤٩٥ ، وتفسير مقاتل ٨٠٣/٣ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٩/١٣ عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤٤٨/٢ ، وقال : «حديث صحيح ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي : «صحيح» ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٢٢/٧ ، والقرطبي في الجامع ١١٧/١٦ .

قال القرظي : « لا يجيبهم ثمانين سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، ثم يلحظ إليهم بعد الثمانين فيقول ^(١) : ﴿إِنَّكُمْ تَكُونُونَ﴾ » . قال مقاتل : «يقول : مقيمون في العذاب» ^(٢) .

٧٨ . قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ ، وهو من قول مالك لهم فيها في ما ذكر مقاتل ، و ^(٣) غيره من المفسرين هو من كلام الله - تعالى - في مخاطبة الكفار يقول ^(٤) : «إليكم يا معشر قريش محمداً ﷺ» ^(٥) . ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد كلكم كارهون لما جاء به محمد ﷺ» ^(٦) .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا﴾ . الإبرام معناه في اللغة الإحكام . يقال : أبرمت الأمر ؛ أي أحكمته ^(٧) ، قال مجاهد ومقاتل : «أم أجمعوا أمراً فإننا مجمعون» ^(٨) ، والمعنى بل أحكموا أمراً في كيد محمد والمكر به ، فإننا محكمون أمراً في مجازاتهم .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١٧ / ١٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٨٠٣ / ٣ .

(٣) كأن في الكلام سقطاً هاهنا ، ولفظه : (قال) .

(٤) كأن في الكلام سقطاً هاهنا ، ولفظه : (لقد أرسلنا) ، كذا لفظها عند الطبري في تفسيره ٩٩ / ١٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٩ / ١٣ ، وتفسير البغوي ٢٢٣ / ٧ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٠ / ٧ ، والقرطبي في الجامع ١١٨ / ١٦ ، وذكره المؤلف في الوسيط ٨٢ / ٤ عن ابن عباس .

(٧) انظر : اللسان (برم) ٤٣ / ١٢ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٠ / ١٣ عن قتادة بهذا اللفظ ، وأخرجه عن مجاهد بلفظ : (مجمعون ، إن كادوا شراً كدنا مثله) ، وانظر : تفسير مجاهد ٥٩٥ .

قال مقاتل : «نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة»^{(١)(٢)}.

وهو ما ذكر الله في قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠]. وقد ذكرنا القصة^(٣). قال أبو إسحاق : «أم أحكموا عند أنفسهم أمراً من كيد أو شر فإننا محكمون مجازاتهم»^(٤).

٨٠. ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ؛ ما [يسرونهم]^(٥) من غيرهم مما يتناجون به بينهم . ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ، ﴿وَرُسُلَنَا﴾ من الملائكة ، يعني الحفظة ، ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ .

٨١. قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ . كثرت الوجوه في هذا التفسير ، فالأصح منها ، والذي عليه أكثر أهل العلم قول مجاهد ، قال : «يقول : إن كان لله ولد في قولكم ، فأنا أول من عبد الله ووحد»^(٦) ، واختاره الزجاج فقال : «إن كان للرحمن ولد في قولكم كما قال : ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ عَالِدِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧] أي في قولكم ، والله - عز وجل - لا شريك له»^(٧) . والمعنى : إن كنتم

(١) هي دار بمكة أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة ، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبدالدار بن قصي ، ولفظه مأخوذ من الندى والنادي والمتدى ، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله ؛ أي يذهبون قريباً منه ثم يرجعون ، وقد أصبحت دار الإمارة في زمن معاوية بن أبي سفيان . انظر : معجم البلدان ٢/ ٤٢٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٠٣ .

(٣) في سورة الأنفال ، الآية ٣٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٠ .

(٥) كذا لفظها في الأصل ، ولعل الصواب : (يسرونه) .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٩٥ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠١ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١١٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٠ .

تزعمون أن للرحمن ولداً جل وعزّ، فأنا أول الموحّدين ؛ لأنّ من عبد الله واعترف أنه إلهه فقد دفع أن يكون له ولد ، واختاره ابن قتيبة فقال : «لما قال المشركون : لله ولد ، ولم يرجعوا عن مقاتلهم بما أنزل الله على رسوله من التبرؤ من ذلك ، قال الله لرسوله : قل لهم : إن كان للرحمن ولد ؛ أي عندكم وفي ادعائكم ، فأنا أول العابدين ؛ أي أول الموحّدين ، ومن وحد الله فقد عبده ، ومن جعل له ولداً ونذاً فليس من العابدين ، وإن اجتهد ، ومنه قوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] ؛ أي ليوحدون»^(١) ، واختاره الأزهري أيضاً فقال : «المعنى إن كان للرحمن ولد في دعواكم ، فالله - عز وجل - واحد لا شريك له ، وهو معبودي الذي لا ولد له ولا والد»^(٢) .

الوجه الثاني : أن يكون ﴿الْعَبِيدِ﴾ من (عبد) بمعنى غضب ، قال ابن عباس : «إن كان للرحمن ولد كما تزعمون فأنا أول من غضب للرحمن أن يقال : له ولد»^(٣) وأنشد :

متى ما يشأ ذو الودّ يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالمًا^(٤)

(١) انظر : مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ٢ / ١٢٤ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (عبد) ٢ / ٢٣١ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٢٣ من دون نسبة ، وذكر في تفسير الماوردي ٥ / ٢٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٢٠ .

(٤) لم أقف على قائل هذا البيت ، والشاهد فيه قوله : ويعبد عليه ؛ أي يغضب عليه . وقد استشهد ابن جرير بالبيت نفسه في تفسيره ١٣ / ١٠٢ ، وكذا ابن عطية في تفسيره ١٤ / ٢٧٨ ، وكذلك استشهد به السمين الحلبي في الدر المصون ٦ / ١٠٨ ، ونسبه محققو الدر إلى المرقش الأصغر . انظر : المفضليات ٥٠٢ .

قال : يريد وغضب» ، وهذا صحيح في اللغة ، قال النضر : «العبد : طول الغضب»^(١) .

وروى أبو عبيد عن الفرّاء : «عَبَدَ عَلَيْهِ وَأَحْنُ ؛ أَي غَضِبَ»^(٢) ، والعَبْدُ يكون بمعنى الأنف ، ومنه قول الفرزدق :

وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُوَ كُلِّيًّا بِدَارِمٍ^(٣)

أي آنف»^(٤) ، ابن الأعرابي في قوله : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ ؛ أي الغضاب ، وهذا قول أبي عبيدة والمُبَرَّد في (العابدين) هاهنا : «أنه معنى الأنفين ولكن ﴿إِنْ﴾ عندهم في قوله : ﴿إِنْ كَانَ﴾ بمعنى : (ما) . قالوا : ومعنى الآية : ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ؛ أي الأنفين مما قلتهم والمنكرين له» .

قال أبو عبيدة : «ومجاز الفاء في أنا مجاز الواو»^(٥) .

وقال الكسائي : «يقال : رجل عابد وعَبْدٌ ، وَأَنْفٌ وَأَنْفٌ»^(٦) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٨ .

(٢) انظر : اللسان (عبد) ٢/ ٢٧٥ .

(٣) هذا عجز بيت ، وصدره :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ

والشاهد قوله : أعبد ؛ أي آنف ، وقد ورد البيت في اللسان (عبد) ٣/ ٢٧٥ ، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦ ، والمحتمس لابن جني ٢/ ٢٥٨ ، والدرة المصون ٦/ ١٠٨ ، وتهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٨ .

(٤) هي كذا في الأصل ، ولعله سقط لفظ : (قال) . انظر : تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٨ .

(٥) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٠ ، فقد نقل قول الكسائي .

وقال ابن قتيبة : «يقال : عَبِدْتُ من كذا أَعْبَدُ عَبْدًا»^(١) ، وأكثر ما يأتي الأسماء من فَعَلَ يفعل على فَعَلَ كالوجل والفرع ، وربما يأتي عليها نحو : صَدِّ صاد ، وكذلك عبد وعابد .

وذهب قوم إلى أن ﴿إِنْ﴾ بمعنى : (ما) ، و﴿أَلْعَبِيدِينَ﴾ من العبادة ، وهو قول الكلبي^(٢) ومقاتل ، والمعنى : ما كان للرحمن ولد^(٣) فأنا أول العابدين ، يعني : أول الموحدين من أهل مكة ، واختاره ابن الأنباري فقال : «معناه : ما كان للرحمن ولد ، والوقف على الولد ، ثم تبدأ فتقول : فأنا أول العابدين له ، على أنه لا ولد له^(٤) ، والوقف على العابدين تام . وهذا قول الحسن وقتادة^(٥) .

وفي الآية قول آخر ذكره السُّدِّي فقال : «قال الله - تعالى - لمحمد ﷺ : قل لهم : إن كان للرحمن ولد كما تقولون ، لكنك أول من يعبده ويطيعه^(٦) ؛ أي إن كان له ولد فأنا أول من عبده بأن له ولداً ، ولكن لا ولد له ، ومعنى هذا القول : لو كان له ولد لعبدته ، كما تقول : لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله لعبدته ولكنها لا تدعو إلى عبادة غيره ، كما تقول : لو دلَّ الدليل لقبلك به ، ولكنه لا يدل ، فهذا تحقيق لنفي الولد» .

وقول آخر في الآية يروى عن ابن عيينة أنه سئل عن هذه الآية فقال : «يقول : فكما أني لست أول من عبده الله ، فكذلك ليس لله ولد^(٧) ، وهذا كما تقول : إن كنت

(١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٠ فقد نقل قول الكلبي .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٠٥ / ٣ .

(٤) انظر : الإيضاح لابن الأنباري ٨٨٦ / ٢ .

(٥) انظر : قول ابن الأنباري بنصه في تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣١ ، وكذا قول الحسن وقتادة ، وانظر : المكتفى للداني ٥١١ .

(٦) انظر : قول السُّدِّي في تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٠ ، والمكتفى للداني ٥١١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عبد) ٢/ ٢٣٠ ، والوسيط ٨٣ / ٤ .

[كاذباً]^(١) فأنا حاسب ، تريد لست أنت كذا ولا أنا ، وتأويل الآية ليس للرحمن ولد كما لست أنا أول مَنْ عبد الرحمن ، فقد عبده قبلي ناس ، هذا وجه ما ذكره ابن عيينة ، وهو حسن صحيح في معنى الآية .

٨٢ . ثم نزه نفسه فقال : ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية .

قوله : ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ . قال مقاتل : «عما يقولون من الكذب» .

٨٣ . ﴿فَذَرَهُمْ﴾ يعني كفار مكة حين كذبوا بالعذاب في الآخرة عصوا في باطلهم وهوا في دنياهم^(٢) . ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يوم القيامة .

٨٤ . قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ . قال قتادة : «يُعبد في السماء ويُعبد في الأرض»^(٣) ، قال مقاتل : «يُوحد في السماء ويُوحد في الأرض»^(٤) .

وقال المبرّد : «تأويله ، والله أعلم : رَبُّ مَنْ هُنَا ، وَرَبُّ مَنْ هَاهُنَا ، كقوله : سبحان الله»^(٥) ، ونحو هذا قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام : ٣] ، وقد مرّ الكلام فيه مستقصى .

قال أبو علي : «نظرت في ما يرتفع به ﴿إِلَهُهُ﴾ فوجدت ارتفاعه يصح بأن يكون خبر مبتدأ محذوف من الصلة راجع إلى الموصول كأنه : وهو الذي في السماء هو إله ، وتقدير هذا الحذف من الصلة هنا حسن لطوها ، وقد استحسّن الخليل

(١) كذا في الأصل ، وفي الوسيط ٨٣ / ٤ بلفظ : (كاتباً) ، وهو الصواب .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٨٠٥ / ٣ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٠٤ عن قتادة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٢٣٣ إلى مجاهد وقتادة .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٠٦ / ٣ .

(٥) لم أقف على قول المبرّد .

ذلك ، فإذا كان التقدير على هذا ارتفع هذا المحذوف بالابتداء ﴿إِلَهُ﴾ خبره والظرف الذي هو قوله : ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ متعلق بقوله : ﴿إِلَهُ﴾ ، وموضعه نصب ، وإن كان مقدماً عليه ، ألا ترى أنهم قد أجازوا كل يوم ثوب فاعمل فيه ؟ والمعنى مقدّم . والمعنى : إنما هو عن الإخبار بالآلهة لا عن الكون في السماء ؛ أي أنه - تعالى اسمه - يقصد بالعبادة في السماء والأرض . اهـ^(١)

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ؛ لأن خَلَقَ السماوات والأرض يدل على الحكمة والعلم .

٨٦ . قوله تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ﴾ . ذكر المفسرون في هذه الآية قولين :

أحدهما : أن الذين يدعون من دونه هم عزير وعيسى والملائكة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ، وقول مجاهد ومقاتل^(٢) ، وقال ابن عباس : «يريد أن الملائكة لا تشفع إلا لمن شهد بالحق»^(٣) ، وقال مجاهد : «لا يشفع عيسى ولا عزير ولا الملائكة إلا مَنْ شهد بالحق»^(٤) .

وقال مقاتل : «قال النضر بن الحرث ونفرٌ معه : إن كان ما يقول محمد حق ، فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد ، فأنزل الله هذه الآية ، يقول : لا تقدر الملائكة الذين تعبدونهم لأن يشفعوا لأحد ، ثم استثنى فقال : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾»^(٥) ، والمعنى على هذا القول : لا يشفع هؤلاء إلا لمن شهد بالحق ، فأضمر

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ٨٣/٤ عن أبي علي الفارسي ، ولم أقف عليه عند أبي علي .

(٢) ورد في تفسير مجاهد ٥٩٦ ، وأخرجه الطبري ١٣/١٠٥ عن مجاهد . انظر : تفسير الثعلبي ١٠/٩٢ ، وتفسير مقاتل ٣/٨٠٦ ، وزاد المسير ٧/٣٣٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) ورد في تفسير مجاهد ٥٩٦ ، وأخرجه الطبري ١٣/١٠٥ عن مجاهد .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٠٦ ، وتفسير الماوردي ٥/٢٤٢ ، وزاد المسير ٧/٢٣٣ .

اللام^(١) أو يقال التقدير : إِلَّا شَفَاعَةُ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ فحذف المضاف ، وهذا على لغة مَنْ يَعِدُّ الشَّفَاعَةَ بغير لام فيقول : شَفَعْتُ فلاناً ، بمعنى شَفَعْتُ له ، كما تقول : كَلَّمْتَهُ وكَلَّمْتُ له ، ونَصَّحْتَهُ ونَصَّحْتُ له .

القول الثاني : أن الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله ، وقوله : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ عزير وعيسى والملائكة ، وهذا قول قتادة قال : «إنهم عبدوه من دون الله ولهم شفاععة عند الله ومنزلة»^(٢) ، ومعنى ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ قال ابن عباس : «مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده وأن محمداً عبده ورسوله»^(٣) ، وقال مقاتل : «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بالتوحيد من بني آدم»^(٤) .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله واحد لا شريك له فيشفعون لهؤلاء . وفي هذا دليل على أنه لا تتحقق الشهادة بالعلم ، وأجمع أصحابنا أن شرط الإيمان طمأنينة القلب على ما أعهد به حيث لا يتشكك إذا شكك ، ولا يضطرب إذا حرك لقوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني شهدوا على علم وبصيرة^(٥) . قال إبراهيم : «يشهد وهو يعلم أنك كذلك» ، قال مجاهد : «يعلمون أن الله ربهم»^(٦) .

٨٧. قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ . الآية مفسرة في أواخر سورة العنكبوت ، الآية ٦١ وفي غيرها .

(١) انظر : الدر المصون ٦/ ١٠٨ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٨١ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٠٥ عن قتادة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٩٢ ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٣٤ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع ١٦/ ١٢٢ عن ابن عباس .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٠٦ .

(٥) ذكر في تفسير الوسيط ٤/ ٨٤ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٩٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠٥ .

٨٨. ﴿وَقِيلَ يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . قال ابن عباس : «شكا إلى ربه تخلف قومه عن الإيمان»^(١) ، واختلفوا في انتصاب (قيله) ، فذكر الأخفش والفرّاء فيه قولين : أحدهما : أنه نصب على المصدر بتقدير ، وقال : (قيله) وشكا شكواه إلى ربه ، يعني : النبي ﷺ فانتصب (قيله) بإضمار قال .

والثاني : أنه عطف على ما تقدّم من قوله : إنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «والذي اختاره أنا أن يكون نصباً على معنى : وعنده علم الساعة ، ويعلم قيله»^(٣) ، وشرح أبو علي هذا القول فقال : «نصب (قيله) على الحمل على موضع [. . .]»^(٤) الساعة مفعول بها وليست بظرف والمصدر مضاف إلى المفعول به ، ومثل ذلك قوله :

قَدْ كُنْتُ دَايِنْتُ بِهِ حَسَانًا مَخَافَةَ الْإِفْلَاسِ وَالْيَأَنَا^(٥)

وكما أن الليان محمول على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به ، كذلك وقوله : ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لما كان معناه يعلم الساعة ، حملت (قيله) على

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٠٦ عن قتادة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٩٢ ب من دون نسبة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٣٤ إلى ابن عباس .

(٢) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٣٨ ، ولم أجده في معاني الأخفش ، وانظر : الدر المنصور ٦/ ١٠٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢١ .

(٤) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لأن . انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٦٠ .

(٥) الرجز لرؤبة بن العجاج في ديوانه ١٨٧ ، والكتاب ١/ ١٩١ ، والحجة لأبي علي ٦/ ١٦٠ . داينت : من المداينة وهي البيع بالدين . وبه : بالإيل . وحسان : اسم رجل . والليان : مصدر لويته بالدين لياً ولياناً إذا مطلته . يقول : داين بالإيل حسان ؛ لأنه رجل مليء لا يباطل مخافة أن يداين غير حسان ممن ليس بمليء فيباطل لإفلاسه . انظر : الكتاب ١/ ١٩١ .

ذلك ، قال : ويجوز أن يكون حمله على (يقول قيله) ، فيدل انتصاب المصدر على فعله ، وكذلك قول كعب :

يَسْعَى الوِشَاءُ حَوَالِيهَا وَقِيلَهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولٌ^(١)

وقرأ عاصم وحمة : ﴿وَقِيلَهُ﴾ بالجر ، قال الأخفش والفراء والزجاج : «الجر على قوله : ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وعلم ﴿وَقِيلَهُ يَكْرَبُ﴾»^(٢) ، والاختيار القراءة الأولى^(٣) ، وهو الموافق لما ذكره المفسرون .

قال ابن عباس في تقدير الآية : «أيحسبون أن لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب» ، ونحو هذا قال مقاتل^(٤) .

وقال المبرِّد : «العطف على المنصوب حسن»^(٥) ، وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه ؛ لأنه لا يجوز أن يفصل بين المنصوب وعامله والمجرور ، يجوز ذلك فيه على قبح ؛ لأنه لا يفصل بينه وبين عامله إلا في ضرورة ، ومعنى النصب : أنا لا نسمع قيله ، وهو معطوف على منصوب قد تباعد منه ، وكان حسناً في المنصوب ، ولما كان معنى الجر : وعنده علم الساعة وعلم قيله ، فتح لما وصفنا ، وقرأ ناس من غير السبعة : (وقيله يا رب) بالرفع .

(١) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ١٩ من قصيدته المشهورة بالبردة ، وانظر : الحجة لأبي علي ١٦٠ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٢٤ .

(٢) الحجة ١٦٠ / ٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٣٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٢١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٢٣ .

(٣) انظر : كتاب السبعة لابن مجاهد ٥٨٩ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٦٢ ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٢٣ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٣ / ٨٠٧ ، وذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٧ / ٢٢٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٣٤ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٢٣ ، والدر المصون ٦ / ١٠٩ .

وقال أبو إسحاق : «الرفع على معنى : وقيله هذا القول قول : يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون»^(١).

قال أبو علي : «الرفع يحتمل ضربين : أحدهما : أن يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع ومتقبل ، ف (يا رب) منصوب الموضع بـ (قيله) المذكورة ، وعلى القول الآخر بـ (قيل) المضمر وهو من صلتته ، ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع أن يحذف بعض الموصول ، ويبقى بعضه ، لأن حذف القول [قد كثر]^(٢) حتى صار بمنزلة المذكور ، وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين»^(٣) ، والقليل مصدر كالقول ، ومنه قول النبي ﷺ : «نهى عن قيل وقال»^(٤).

قال أبو عبيد : «يقال : قلت قولاً . قال : وسمعت الكسائي يقول في قراءة عبدالله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] ، قال الفراء : «القال في معنى القول ، مثل العيب والعاب»^(٥).

وقال الليث : «تقول العرب : كثير فيه القيل والقال»^(٦) ، أبو زيد : «يقال : ما أحسن قيلك وقولك ومقاتلتك ومقالك وقالك ، خمسة أوجه»^(٧).

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٢١ ، والحجة ٦ / ١٦٠ .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الحجة : (قد أضمر) .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦ / ١٦١ .

(٤) أخرجه البخاري عن المغيرة : «إن الله كره لكم ثلاثاً» الحديث في كتاب الزكاة ، باب قول الله : ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ النَّاسُ الْكُفَّاءُ﴾ ٢ / ١٣١ ، وكتاب الأدب ، باب عقوب الوالدين ٧ / ٧٠ ، وكتاب الرقاق ، باب ما يكره من قيل وقال ٧ / ١٨٣ ، وكتاب الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال ٨ / ١٤٢ ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل ٢ / ١٤٣٠ ، وأخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، وعن المغيرة ٤ / ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٥) انظر : هذه الأقوال في تهذيب اللغة للأزهري من قوله : ومنه قول النبي .. (لقى) اللسان (قول) ١١ / ٥٧٣ .

(٦) انظر : كتاب العين (قول) ٥ / ٢١٣ .

(٧) انظر : قول الليث وأبي زيد في تهذيب اللغة (لقى) ٩ / ٣٠٥ .

٨٩. قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾. قال ابن عباس: «أمسك عنهم»، وقال مقاتل: «أعرض عنهم وقل: سلام، اردد عليهم معروفاً»^(١).
وقال ابن عباس: «يريد مداراة حتى ينزل حكمي»^(٢).

قال المبرّد: «قال سيبويه: إنما معناه المتاركة كما تقول: سلام بسلام؛ أي تركاً بترك»^(٣)، وهذا كقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيْنَ﴾ [القصص: ٥٥]، وقد مرّ. وقال الفراء: «رفع ﴿سَلَامٌ﴾ بضمير (عليكم) وما أشبهه، ولو كان: وقل سلاماً، كان صواباً»^(٤).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. قرئ: بالتاء والياء، فمعنى التاء أن الله -تعالى- أمر نبيه ﷺ أن يقول للمشرّكين: سلام عليكم ويقول لهم: سلام فسوف تعلمون، ومن قرأ بالياء حمل على الغيبة التي هي ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٥) قال ابن عباس: «وهذا وعيد وتهديد من الله تعالى».

قال ابن عباس: «وقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منسوخ بالسيف»^(٦).
وقال مقاتل: «نسخ السيف الإعراض والسلام»^(٧).
وقال قتادة: «أمر بالصفح عنهم، ثم أمر بقتالهم»^(٨).

(١) أورده القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢٤ عن ابن عباس، ولكن بلفظ: (أعرض عنهم)، وانظر: تفسير مقاتل ٨٠٧/ ٣.

(٢) ذكره المؤلف في الوسيط ٤/ ٨٤ عن عطاء.

(٣) انظر: الكتاب ١/ ٣٢٦.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٨.

(٥) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ١٦١، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٦٣.

(٦) ذكره ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٥٥ عن ابن عباس، وذكره ابن حزم في الناسخ والمنسوخ ٥٥ من دون نسبة، وكذا هبة الله بن سلامة في الناسخ والمنسوخ ١٥٨.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٨٠٧/ ٣.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٠٧ عن قتادة، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٢٤ إلى قتادة.

تفسير

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢ . ﴿حَمَّ ① وَالْكَتَبِ ② أَلْمِينِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد القرآن وما أنزل فيه من البيان والحلال والحرام»^(١) . ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ قال الكلبي : «أقسم بـ (حم والقرآن)»^(٢) ذلك لقد أنزلناه ، فجواب القسم على ما ذكر :

٣ . ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ . وكذلك هو عند أهل التفسير .

وقال النحاس : «يجوز أن يجعل جواب القسم : (إنا أنزلناه حم) فيكون تمام الكلام عند قوله : ﴿أَلْمِينِ﴾ ، وإن جعلت جواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ، اتصل بالكلام الأول»^(٣) .

(١) قال صاحب تنوير المقياس ٤٩٦ : «وأقسم بالكتاب المبين لقد قضى ما هو كائن ؛ أي بين ، ويقال أقسم بالخاء والميم والقرآن المبين بالحلال والحرام والأمر والنهي» ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٨٥ / ٤ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٩٦ .

(٣) ذكره النحاس في القطع والائتناف ٦٥٤ ، ولكن بلفظ : (إن جعلت جواب القسم ﴿حَمَّ﴾ كان هذا وقفاً ، وإن جعلت الجواب : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ فالوقف : ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ .

قال صاحب النظم : «لولا أن قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ صفة القرآن والذي أقسم به وأخبر عنه ، لاحتمل أن يكون جواباً للقسم ، ولكن ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشيء إذا أخبروا عنه» .

قوله : ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَرَكََةٍ﴾ ؛ أي كثيرة الخير ، والليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة ، بأن الخير ينمو فيها على ما دبره الله من علو مرتبتها بالخير الذي قسمه الله فيها . واختلفوا في الليلة المباركة ، فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : «إنها ليلة القدر»^(١) . نزل القرآن جملة من عند ذي العرش إلى السماء الدنيا ، وقد ذكرنا كيفية ذلك عند قوله : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وهذا قول قتادة ومقاتل وابن زيد ومجاهد^(٢) ، وبه قال الأكثرون ، واختاره الزجاج^(٣) لقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] . قال مقاتل : «كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل على النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل ، حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر»^(٤) .

وقال عكرمة : «هي ليلة النصف من شعبان»^(٥) .

قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ . قال ابن عباس : «منذرين بالقرآن من عصي الله»^(٦) .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٤٤/٥ من دون نسبة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير : /٣٣٦ إلى الأكثرين ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١١٥/٣ من دون نسبة .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٧/١٣ عن قتادة وابن زيد ، وانظر : تفسير مقاتل ٨١٧/٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٣/٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨١٧/٣ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٩/١٣ عن عكرمة ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٢/٧ عن عكرمة ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٨/٧ إلى عكرمة ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٢٦/١٦ إلى عكرمة .

(٦) لم أقف عليه .

٤. قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ ؛ أي في تلك الليلة المباركة . ﴿يُفْرَقُ﴾ ؛ أي يفصل ويبين ويضبط ، من قولهم : فرقت الشيء أفرقه فرقاً وفرقناً^(١) ، والأمر الحكيم المحكم ، يعني أمر السَّنة إلى مثلها من العام المقبل يقضي الله في تلك الليلة ما هو كائن في السَّنة من الخير والشدة والرخاء والأرزاق والآجال ومحو وتثبيت ما يشاء ، وهذا قول عامة المفسرين ، روى مهران^(٢) عن ابن عباس في هذه الآية قال : «يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من موت وحياة ورزق ومطر ، حتى الحُجَّاج يقال : يحجُّ فلان»^(٣) .

وروى عنه [سعيد بن يحيى]^(٤) في هذه الآية قال : «إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى»^(٥) .

٥. قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿أَمْرًا﴾ نصب بـ ﴿يُفْرَقُ﴾ ، بمنزلة يفرق فرقاً ، لأن (أمرًا) بمعنى (فرقاً)» ، وهذا قول

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة : (فرق) ١٠٥ / ٩ ، ومفردات الراغب (فرق) ٣٧٧ .
- (٢) لعله مهران أبو صفوان حديثه في الكوفيين ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه الحسن بن عمرو النقيمي ، وقال عنه أبو زرعة : «لا أعرفه إلا في الحديث» ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : ميزان الاعتدال ١٩٦ / ٤ ، وتهذيب التهذيب ٣٢٨ / ١٠ .
- (٣) ذكره البغوي في تفسيره ٢٢٧ / ٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٨٥ / ٤ إلى ابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٨ / ٧ إلى ابن عباس ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٢٧ / ١٦ إلى ابن عباس .
- (٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : سعيد بن جبير ؛ لأن سعيد بن يحيى متأخر ، فلم يلق ابن عباس ، وقد توفي سنة ٢٤٩ هـ . ذكره الطبري في تفسيره ١٠٩ / ١٣ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٨٥ / ٤ إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس .
- (٥) أخرجه الحاكم في المستدرک مع التلخيص ٤٤٨ / ٢ عن ابن عباس ، وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي على شرط مسلم .

الفراء^(١)، ونحو هذا قال المُبرِّد في وجه الانتصاب، إلّا أنه لم يجعل في موضع مصدر ﴿يُفَرِّقُ﴾ وجعله بمنزلة مصدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ فقال: انتصابه انتصاب المصادر وهو في موضع قولك [٢] ^(٢) إنزالاً، والأمر اسم مشتمل على جميع الأخبار، والتقدير: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَمراً من عندنا، ونحو هذا قال الأخفش: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَمراً»^(٣).

وحكى أبو علي الفارسي عن أبي الحسن أنه حمل قوله: ﴿أَمراً﴾ على الحال و(ذو الحال)^(٤) قوله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾، وهو نكرة^(٥).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾. قال المفسرون: «يعني محمداً ﷺ»^(٦)، وقال صاحب النظم: «يعني به الأنبياء».

٦. قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ذكر الفراء وأبو إسحاق في انتصاب الرحمة ما ذكرنا في قوله: ﴿أَمراً﴾ وزاد وجهاً آخر وهو أن يكون مفعولاً له على تقدير: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ رَحمة؛ أي للرحمة^(٧)، وهذا معنى قول صاحب النظم: ﴿رَحْمَةً﴾ نصب على السبب؛ لأنه سبب لما ذكر أنه فعله.

-
- (١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٤، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٣٩.
- (٢) سقط من الأصل لفظ: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، وانظر: قول المُبرِّد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، وفتح القدير ٤/ ٥٧٠.
- (٣) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩١.
- (٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩١، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٢٦، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٢٨٧.
- (٥) كذا في الأصل، وهي غير واضحة، وقد نقل مكسي عن الجرمي: «هو حال من نكرة، وهو: ﴿فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾ فحسن ذلك لما وصف النكرة بـ﴿حَكِيمٌ﴾».
- (٦) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١١٠، وتفسير الثعلبي في ٩٣/ ١٠، وتفسير البغوي ٧/ ٢٢٨.
- (٧) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٩، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٤.

قال ابن عباس : «يريد رأفة مني بخلقي»^(١) .

وقال الكلبي : «نعمة من ربك بما بعثنا إليهم من الرسل»^(٢) .

وقال مقاتل : «رحمة من ربك لمن آمن به من المؤمنين . ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمن دعاه . ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه» . قاله مقاتل^(٣) .

٧ . قوله تعالى : ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرفع والخفض ، فالرفع على قوله : ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) رَبِّ السَّمَوَاتِ ، وإن شئت على الاستئناف على معنى : هو رب السماوات . هذا قول الفرّاء والزّجاج^(٥) ، وزاد أبو علي وجهاً آخر فقال : «ويكون (ربّ السموات) مبتدأ وخبره الجملة التي [عادت]^(٦) الذكر منها إليه ، وهو قوله : لا إله إلا هو ، ومن خفضه جعله بدلاً من ﴿رَبِّكَ﴾ المتقدم ذكره»^(٧) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا يَبْنِيهِمَا﴾ . قال عطاء والكلبي عن ابن عباس : «يريد من الهواء وغير ذلك من خلق»^(٧) . ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بذلك ، وهو أنه لا إله غيره . وهذه الآية مفسّرة في سورة الشعراء ، الآية ٢٤ .

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٢٨/٧ عن ابن عباس ، ونسبه صاحب الوسيط ٨٦/٤ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٤٩٦ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢٢٨/٧ ، وتفسير مقاتل ٨١٨/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/٣٩ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٤/٤٢٤ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعل الصواب (عاد) .

(٦) انظر : الحجة لأبي علي ٦/١٦٥ .

(٧) ذكره المؤلف في الوسيط ٨٦/٤ من دون نسبة .

٩. قوله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ . قال ابن عباس : «في ضلال يتمادون»^(١) ، وقال مقاتل : «في شك من هذا القرآن يهزؤون به لاهين عنه»^(٢) .

١٠. قوله تعالى : ﴿فَارْتَقِبْ﴾ ؛ أي فانتظر ، ويقال ذلك في المكروه ، والمعنى : انتظر يا محمد ، عذابهم ، فحذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكره بعده عليه وهو قوله : ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعول الارتقاب^(٣) .

قوله تعالى : ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ . اختلفوا في معنى الدخان هاهنا ، فالأكثر على أن هذا الدخان كان حين دعا النبي ﷺ على قومه بمكة لما كذبه فقال : «اللهم سبعا كسني يوسف»^(٤) فارتفع القطر ، وأجذبت الأرض فأصابت قريشاً شدة المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف ، فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء دخان ، وهذا قول عطاء عن ابن عباس^(٥) ومقاتل ومجاهد^(٦) واختيار الفراء والزجاج وابن منبه ، وهو قول ابن مسعود ، وكان ينكر أن الدخان إلا هذا الذي أصابهم من شدة الجوع ، كالظلمة في أبصارهم حتى كانوا يرون دخاناً ، فعلى هذا ، الدخان هو الظلمة التي في أبصارهم من شدة الجوع^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨١٨/٣ .

(٢) انظر : إملاء ما من به الرحمن ٢٣٠/٢ .

(٣) ذكره المؤلف في الوسيط ٨٦/٤ عن ابن عباس .

(٤) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (سورة الدخان) ، باب [٢] : يغشى الناس هذا عذاب أليم ٣٩/٦ ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب [٧] : الدخان ٣/٢١٥٧ ، والإمام أحمد ١/٢٨٠ ، ٤٢١ ، ٤٤١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١١١/١٣ ، وتفسير البغوي ٧/٢٢٩ ، ولم أقف على نسبته إلى ابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٨١٨/٣ ، وتفسير مجاهد ٥٩٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٣٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٤ ، وتفسير الطبري ١٣/١١٢ ، والدر المنثور ٧/٤٠٦ .

وذكر ابن قتيبة معنيين آخرين ؛ أحدهما : أن الجوع يقال له : دخان ، ليُبْس الأرض في سنة الجذب ، وانقطاع المطر وارتفاع الغبار فيه ، فيشبه ما يرتفع منه بالدخان ، ولهذا يقال لسنة المجاعة الغبراء ، ومنه جوع أغبر ، وهذا معنى قول مجاهد في قوله : ﴿يَدْخَانِ مُمِينٌ﴾ قال : «الجذب وإمساك القطر عن كفار قريش»^(١) . قال : «وربما وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا ، فيقولون : كان بيننا أمر ارتفع له دخان»^(٢) .

القول الثاني في الدخان : أنه آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة ، فيدخل في أسماع أهل الغي ويعتري أهل الإيمان منه كهيئة الزكام ، وهذا قول ابن عباس [والحسين]^(٣) وابن عمر وعلي^(٤) . روى الحارث^(٥) عنه أنه قال : «الدخان لم يمضِ بعد يأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ، وينفخ الكافر حتى يَنْفَدَ»^(٦) .

١١ . قوله تعالى : ﴿يَعْثَى النَّاسُ﴾ من صفة قوله : ﴿يَدْخَانِ﴾ . والناس على القول الأول في الدخان : أهل مكة . وعلى القول الثاني : عام^(٧) .

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٩٧ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٢ ، ومشكل القرآن وغريبه ١٢٥ / ٢ .

(٣) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (الحسن) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١١٣ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي ٩٤ / ١٠ ب ، وتفسير البغوي ٢٢٩ / ٧ ، وزاد المسير ٣٣٩ / ٧ .

(٥) الحارث بن قيس الجعفي الكوفي ، روى عن ابن مسعود وعلي ، وروى عنه خيثمة ويحيى بن هانئ ، قال ابن المديني : «قُتل مع علي» ، وقال ابن حبان في الثقات : «مات الحارث في ولاية معاوية ، وصلى أبو موسى على قبره بعدما دفن» . انظر : تهذيب التهذيب ١٥٤ / ٢ ، والإصابة ٣٧٠ / ١ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢٠٦ / ٢ عن علي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٠٧ / ٧ عن علي ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٧) ذكره القرطبي في الجامع ١٣١ / ١٦ .

قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . قال الفراء : «يراد به ذلك العذاب . قال : ويقال : إن الناس كانوا يقولون لهذا الدخان : عذاب»^(١) ، وعلى هذا ، تقدير الكلام يقولون : هذا عذاب أليم . وقال صاحب النظم : ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إليه وإخبار عن دنوّه واقتربه ، كما يقال في الكلام : هذا الشتاء فاعدد له ، وهذا العدو فاستقبله ، على التقريب .

١٢ . قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ . هذا على ما ذكرنا من التقدير : يقولون هذا عذاب أليم ربنا اكشف ، وإن لم يضمروا القول هناك أضمرت هنا والعذاب . قال الكلبي : «الجوع والدخان»^(٢) ﴿ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ أي بمحمد والقرآن .

١٣ . قال الله تعالى : ﴿ أَنَّى هُمْ اللَّذَكَّرَى ﴾ . قال ابن عباس : «كيف يتعظون ؟ والمعنى أن الله أبعد عنهم الاتعاض والتذكير بعد توليهم عن محمد وتكذيبهم إياه»^(٣) . وهو قوله : ﴿ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ بين الرسالة لم يكن عندهم بكذاب .

١٤ . ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ . الكلام كله في موضع الحال على تقدير : كيف يتذكرون متولين عن رسول مبين قد جاءهم ؟ ﴿ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ ﴾ ؛ أي هو معلم يعلمه بشر .

١٥ . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ ﴾ التقدير : [كاشفو]^(٤) العذاب ؛ لأنه إخبار عما لم يمض ، ولكنه خفف بحذف النون كقوله : ﴿ هَدْيًا بَلِغَ

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠ / ٣ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٩٦ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع ١٦ / ١٣٢ عن ابن عباس .

(٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (كاشفون) . قال النحاس في إعراب القرآن ٤ / ١٢٧ : ﴿ كَاشِفُو الْعَذَابِ ﴾ : الأصل كاشفون ، حذف النون تخفيفاً .

الْكَبَبَةِ ﴿[المائدة: ٩٥]﴾ ، وقد مرَّ . قال المفسرون : يعني عذاب الجوع .
 ﴿قَلِيلًا﴾ . قال مقاتل : «يعني : يوم بدر» . ﴿إِنَّكُمْ عَلِيدُونَ﴾ ؛ أي في
 كفركم وتكذيبكم^(١) ، أعلمهم الله أنهم لا يتعظون ، وإذا زال عنهم
 المكروه عادوا في طغيانهم ، وهذه الآيات تدل على صحة القول الأول
 في الدخان^(٢) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ . تفسير (البطش)
 قد تقدّم [الأعراف: ١٩٥] ، قال صاحب النظم : «التأويل (إِنَّا
 مُنْتَقِمُونَ) (يَوْمَ نَبْطِشُ) ، فقوله : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ ظرف لقوله : ﴿إِنَّا
 مُنْقِمُونَ﴾» . قال أبو إسحاق : ﴿يَوْمَ﴾ لا يجوز أن يكون منصوباً
 بقوله : ﴿مُنْقِمُونَ﴾ لأن ما بعد ﴿إِنَّا﴾ لا يجوز أن يعمل في ما قبلها ،
 ولكنه منصوب بتقدير : واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى^(٣) .
 واختلفوا في ذلك اليوم ، فالأكثر على أنه يوم بدر ، وهو قول ابن
 مسعود وابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومجاهد ومقاتل وابن
 سيرين وأبي العالية ، قالوا : «إن كفار مكة لما كشف عنهم الجوع عادوا
 إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر»^(٤) ، وأنا أقول هو يوم القيامة^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨١٩/٣ .

(٢) رجّحه الطبري في تفسيره ١١٤/١٣ ، وهو ما أصاب قريش من الجهد بدعاء رسول الله ﷺ عليهم .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٥ .

(٤) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره ١١٦/١٣ ، ١١٧ ، وتفسير مجاهد ٥٩٧ ، والوسيط ٨٧/٤ ، وانظر :
 تفسير مقاتل ١٩/٣ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٧/١٣ عن ابن عباس والحسن ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٤٢ ،
 والنحاس في معاني القرآن ٦/٤٠٠ ، والمؤلف في الوسيط ٨٧/٤ ، ونسبه إلى ابن عباس والحسن .

وقال أهل المعاني : «معنى البطش الأخذ بيده»^(١) ، وأكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ، وأجري إيقاع الألم المتتابع مجراه .

١٧ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ . قال ابن عباس : «ابتلينا»^(٢) ، وقال أبو إسحاق : «بلونا»^(٣) ، والمعنى : عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسول إليهم ، ودعاهم إلى الحق .

قوله : ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : «يريد موسى»^(٤) ، واختلفوا في معنى الكريم هاهنا ، فقال الكلبي : «كريم على ربه»^(٥) يعني : بما استحق من الإكرام والإجلال بطاعة ربه .

وقال مقاتل : «حسن الخلق»^(٦) .

وقال الفراء : «يقال : كريم من قومه ؛ لأنه قل ما بُعث نبي إلا من سر قومه»^(٨) .

-
- (١) البطش : تناول الشيء بصولة . انظر : مفردات الراغب في كتاب : الياء ٥٠ .
- (٢) لم أقف عليه .
- (٣) لم أجده في معاني القرآن للزجاج ، وقد ذكره البغوي في تفسيره ٢٣٠ / ٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٠٩ / ٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره الشوكاني في فتح القدير ٥٧٤ / ٤ ، ونسبه إلى الزجاج .
- (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٨ / ١٣ عن قتادة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢٤٩ / ٥ من دون نسبة .
- (٥) انظر : تنوير المقباس ٤٩٦ .
- (٦) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٠ / ٣ .
- (٧) كذا في الأصل ، وفي بعض نسخ معاني الفراء : [سرا] ، والمثبت في معاني الفراء : [في شرف قومه] وقال الأزهري في تهذيب اللغة ٥٢ / ١٣ : [سرى] ، وقال ابن السكيت وغيره : «يقال : سَرُّ الرجل يُسَرُّ وسرا يسرُّ وسرى يسرى : إذا شرف» .
- (٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٠ / ٣ .

وقال صاحب النظم : «معنى هذه الآية على التقديم والتأخير والتقدير ، ولقد جاء قوم فرعون رسول كريم وفتناهم ؛ لأن الفتنة كانت بعد مجيء الرسول» .

١٨ . قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ . قال صاحب النظم : «المعنى : يقول لهم : أدُّوا إليّ ؛ أي يأمرهم به» .

وقال غيره : «المعنى وجاءهم رسول بأن أدُّوا^(١) ، فحذف الجار ، ويستقيم الكلام من غير تقدير الجار ؛ لأنك تقول : أرسلت إليه أن يفعل كذا ، وهذا من قول موسى لفرعون وذويه ، يقول : ادفع إليّ بني إسرائيل ولا تعذبهم ؛ أي أطلقهم من عذابك ، كما قال : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٠٥] ، وهذا قول ابن عباس والمفسرين^(٢) .

قال مقاتل : «يقول خلّ سبيلهم فإنهم أحرار فلا تستعبدهم»^(٣) .

وذكر الفراء والزجاج وجهاً آخر وهو «أن يكون ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ نصباً على النداء ، ويكون المعنى : أن أدُّوا إليّ ما أمركم الله به يا عباد الله»^(٤) .

وذكر الأزهري وجهاً آخر وهو : «أن يكون : ﴿ أَدُّوا إِلَيَّ ﴾ بمعنى استمعوا إليّ ، كأنه يقول : أدُّوا إليّ سمعكم أبلغكم رسالة ربكم»^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ . قال ابن عباس : «أثمتني الله على وحيه»^(٦) .

(١) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٢٨٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١١٨ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٤٩ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٣٠ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٢٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٢٥ .

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (أدى) ١٤/ ٢٣٠ .

(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وانظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٤/ ١٦ .

- ١٩ . قوله تعالى : ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ . قال : «لا تتجبروا على الله» .
وقال قتادة : «لا تعتدوا على الله» ، وقال مقاتل : «يريد وحّده»^(١) .
- ﴿إِنِّيْٓ ءَاتِيْكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ﴾ ؛ بحجة بيّنة يخضع لها كل جبار ، وقال الحسن : «لا تستكبروا على الله بترك طاعته» ، وعن ابن عباس : «لا تطغوا بافتراء الكذب على الله»^(٢) .
- ٢٠ . قال المفسرون : فلما قال لهم هذا ، توعده بالقتل^(٣) ، فقال : ﴿وَإِنِّيْ عُذْتُ بِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُوْنَ﴾ . قالوا : «أن تقتلون» ، قال أبو صالح : «ترجمون [بالقتل]»^(٤) وتقولوا ساحر كذاب»^(٥) .
- ٢١ . ﴿وَلٰنُؤْمِنُوْا۟لِيْ﴾ ؛ أي لم تصدقوني ، ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني ، ولما آتيتكم به من الحجة ، فاللام في ﴿لِيْ﴾ لام الأجل^(٦) .
- ﴿فَاعْتَرٰوْهُنَّ﴾ . قال الكلبي : «فاتركوني لا معي ولا علي»^(٧) ، وقال قتادة : «خلّوا سبيلي»^(٨) ، قال ابن عباس : «فاعتزلوا أذاي»^(٩) . وعلى هذا حذف المضاف .
-
- (١) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٩/١٣ عن قتادة بلفظ : (لا تبغوا على الله) ، وانظر : تفسير مقاتل ٨٢٠/٣ .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ١١٩/١٣ ، وتفسير الماوردي ٢٤٩/٥ .
- (٣) انظر : تفسير الثعلبي ٩٥/١٠ ب ، وتفسير الماوردي ٢٣١/٧ ، وتفسير البغوي ٢٣١ ، والوسيط ٨٨/٤ .
- (٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (بالقول) .
- (٥) أخرج في الأصل ، وهو تصحيف والصحيح (بالقول) ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢٥٠/٥ .
- (٦) ذكره القرطبي في الجامع ١٣٥/١٦ .
- (٧) انظر : تنوير المقباس ٤٩٧ .
- (٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٠/١٣ عن قتادة .
- (٩) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣١/٧ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره المؤلف في الوسيط ٨٨/٤ ، ونسبه إلى ابن عباس .

٢٢. قوله تعالى : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ . قال صاحب النظم :
«الفاء في : ﴿فَدَعَا﴾ دليل على أنه متصل بخبر قبله لم يذكر ، على تأويل
أنهم كفروا ولم يؤمنوا ، فدعا موسى ربه بأن هؤلاء قوم مجرمون» ، قال
الكلبي ومقاتل : «مشركون لا يؤمنون» .

٢٣. فأجاب الله دعاءه ، وأمره أن يسري^(١) وهو قوله : ﴿فَأَسْرِعْ بَعَادِي
لَيْلًا﴾ . قال مقاتل : «فاستجاب الله له ، فأوحى إليه أن أسر بعبادي^(٢) ؛
يعني مَنْ آمَنَ به من بني إسرائيل» . ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون
وقومه ، أعلمه الله - تعالى - أنهم سيتبعونهم ، والمعنى في ذلك أن الله
- تعالى - إنما أمرهم بالسرى ليلًا ليكون سببًا لاتباع فرعون وقومه
إياهم ، فيكون ذلك الاتباع سببًا للغرق . قاله صاحب النظم .

٢٤. قوله تعالى : ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ . قال أبو عبيدة : «أي ساكنًا . وأنشد
قول بشر بن أبي خازم :

فإن أهلك عُمَيْرُ فَرَبِّ زَحْفٍ يُشْبِهْ نَقْعُهُ رَهَوًا ضَبَابًا» .^(٣)

أي يشبه نقعه ساكنًا بالضباب ، ونحو هذا قال الفراء^(٤) والمبرد^(٥) وابن
قتيبة^(٦) .

(١) انظر : تنوير المقياس ٤٩٧ ، وتفسير مقاتل ٨٢١ / ٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٨٢١ / ٣ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٠٨ ، واللسان (رها) ١٤ / ٣٤١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٤١ / ٣ .

(٥) انظر : قول المبرد في إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٢٩ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٢ .

قال الليث : «الرَّهْوُ مشي في سكون»^(١) . يقال رَهَا يَرْهَوْ رَهْوًا فهو رَاهٍ ، ومن هذا يقال : عيش رَاهٍ إذا كان حافظاً وادعاً ، وأفعل ذلك سهواً رَهْوًا ؛ أي ساكناً بغير تشدد ، أبو عبيد عن الأصمعي ، يقال لكل ساكن لا يتحرك ساجٍ وراهٍ ، والإرْهَاءُ الإسكان ، ومعنى الآية على هذا القول قال الليث : «بلغنا أن موسى لما دخل البحر عَجَلَ وَأَعَجَلَ أصحابه ، فأوحى الله إليه : واترك البحر رَهْوًا ؛ أي ساكناً على [هَيْتِكَ]^(٢) ، والرهو من نعت موسى»^(٣) وقومه ، وليس من نعت البحر ، إنما هو كما تقول للرجل : رفقاً ، هذا كلامه ، وليس بالسائغ في معنى الآية ؛ لأنه لم يقل أحد من المفسرين ولا من أهل المعاني : إن الرهو من نعت موسى ، وأيضاً فإن (اترك البحر) لا يدل على معنى اعبره وجاوزه واقطعه ، ومعنى الآية ما ذكره مجاهد وقتادة ومقاتل^(٤) . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿رَهْوًا﴾ قال : «ساكناً هو ؛ أي كهَيْتته بعد أن ضربه ، يقول : لا تأمره يرجع ، اتركه حتى يدخله آخرهم»^(٥) .

وقال قتادة : «لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبع فرعون وجنوده فقليل له : ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ يقول : كما هو طريقاً يابساً»^(٦) . وقال مقاتل : «لما قطعوا البحر قالوا لموسى : اجعل لنا البحر كما كان ، فإننا نخشى أن يقطعه فرعون في آثارنا ، فأراد موسى أن يفعل ذلك ،

(١) انظر : كتاب العين (رهو) ٨٣ / ٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (رها) ٤٠٣ / ٦ ، ٤٠٤ ، (رها) ٣٧٠ / ٦ ، واللسان (رها) ٣٦٠ / ١٤ ، فقد ورد فيهما بنصه .

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب العين : (والرهو من نعت سير موسى) ، وأهل التفسير يقولون في قوله تعالى : ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ : «أي ساكناً على هَيْتَةٍ» .

(٤) وهو أنهم قالوا ييساً ، أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٢ / ١٣ عن مجاهد وقتادة ، وانظر : تفسير مقاتل ٨٢١ / ٣ .

(٥) أخرجه المؤلف في الوسيط ٨٨ / ٤ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٥٩٨ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢١ / ١٣ عن قتادة .

فقال الله تعالى : ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ قال : يعني : صفوفاً^(١) ، فعلى قول مجاهد معناه : «أتركه ذا رهو ؛ أي ساكناً كما هو» ، وعلى قول قتادة ومقاتل : «الرهو بمعنى السكون ، إنما الرهو الفرجة بين الشئين» .

قال الأصمعي : «مَرَّ فَالَج»^(٢) بأعرابي^(٣) فقال : سبحان الله ! رهو بين سنامين أي فجوة . فقال : رهى ما بين رجله أي فتح^(٤) ، ونحو هذا قال مجاهد في ما روى عنه إسحاق بن عبد الله بن الحارث^(٥) قالاً : «﴿رَهَوًا﴾ طريقاً»^(٦) ، يعنون الطريق بين الماء ، ونحو هذا قال في رواية الوالبي : «سمتاً»^(٧) ، وهو بمعنى : الطريق .

وعبارات المفسرين في تفسير الرهو مختلفة ، وذكرنا ما وافق اللغة ، قال الربيع : «سهلاً»^(٨) ، وقال الضحاك : «دمثاً»^(٩) ، وقال عكرمة : «يبساً»^(١٠) ، وكل

-
- (١) ورد في تفسير مقاتل ٨٢١/٣ بلفظ : (يعني صفوفاً ويقال : ساكناً) ، ولم أتوصل إلى معنى (صفوفاً) .
 (٢) الفلج : الفصح في الساقين ، والفلج في الثنيتين . انظر : تهذيب اللغة (فلج) ٨٧/١١ .
 (٣) كذا لفظها في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (ومر بأعرابي فالج) . انظر : تهذيب اللغة (رها) ٤٠٥/٦ ، ووردت في اللسان بلفظ : (نظر أعرابي إلى بعير فالج) .
 (٤) انظر : تهذيب اللغة (رها) ٤٠٥/٦ .
 (٥) إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة العامري مولا هم ، ويقال : الثقفي ، ينسب إلى جده ، أرسل عن النبي ﷺ ، وروى عن أبي هريرة وابن عباس مرسلاً ، وذكره ابن حبان في الثقات في التابعين ، وأخرج له ابن خزيمة في صحيحه . انظر : تهذيب التهذيب ٢٣٨/١ .
 (٦) انظر : تفسير الماوردي ٢٥٠/٥ ، والدر المنثور ٤١٠/٧ .
 (٧) أخرجه الطبري من رواية علي بن أبي طلحة ١٢١/١٣ ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٢٥٠/٥ إلى ابن عباس .
 (٨) أخرجه الطبري ١٢١/١٣ عن الربيع ، وذكره الماوردي ٢٥٠/٥٨ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٣٧/١٦ إلى الربيع .
 (٩) أخرجه الطبري عن الضحاك ١٢٢/١٣ .
 (١٠) أخرجه الطبري عن عكرمة ١٢٢/١٣ ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٣٧/١٦ إلى عكرمة .

هذا من نعت الطريق الذي أظهره الله في البحر ، وكأن ذلك الطريق يجمع هذه الأوصاف ، وقال أبو سعيد : «الر هو ما اطمأن وارتفع ما حوله»^(١) .

وقوله : ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ يريد دعه كما فلقتك لك ؛ لأن الطريق في البحر كان رهواً بين ملقى البحر . وهذا القول أيضاً من نعت الطريق غير أنه يقول : «الر هو اسم لطريق مطمئن بين ربوتين وشبه الطريق بين فلقي الماء به» .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبر الله - تعالى - موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه .

٢٥ . قوله : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ . قال صاحب النظم : (كم) هاهنا دلالة على الكثرة ، ودلت الآية على أنه أغرقهم وأخرجهم من هذه الجنات وما اتصل بها ، وهذه الآية وما بعدها مفسرة في سورة الشعراء [آية : ٥٧] .

٢٦ . قوله تعالى : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ . قال مجاهد وسعيد بن جبیر : «يعني به المنابر هاهنا»^(٢) ، وقال عطاء : «هي منابر كانت بمصر يعظم فرعون عليها»^(٣) ، وقال آخرون : «هي المجالس الحسنات من مجالس الملوك»^(٤) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (رها) ٤٠٦ / ٦ .

(٢) أخرجه الطبري عنها في تفسيره ١٢٣ / ١٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٩٦ / ١٠ ، ونسبه إلى مجاهد وسعيد بن جبیر .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٣ / ١٣ ، وتفسير الماوردي ٢٥١ / ٥ .

٢٧. ﴿وَنَعْمَ﴾ . قال علماء اللغة : «نعمة العيش بفتح النون : حسنه وغضارته ، ونعمة الله مَنَّهُ وعطاؤه»^(١) ، وقال المفسرون : «وعيش لين رغد كانوا متنعمين»^(٢) ، وتفسير الفاكهة قد تقدّم في سورة يس ، الآية ٥٥ .

٢٨. ﴿كَذَلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «موضع ﴿كَذَلِكَ﴾ رفع على خبر الابتداء المضمر ، المعنى : الأمر كذلك»^(٣) .

قال الكلبي : «كذلك أفعل بمن عصاني»^(٤) .

قال مقاتل : «هكذا فعلنا بهم»^(٥) .

٢٩. قوله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ . روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : «ما من عبد إلا له في السماء بابان ؛ باب يخرج منه ويرزق ، وباب يدخل فيه عمله ، فإذا مات فقدها وبكى عليه»^(٦) وتلا هذه الآية . قال : «وذلك أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم ، ولم يصعد لهم إلى السماء كلام طيب

(١) انظر : تهذيب اللغة (نعم) ١٠/٣ ، واللسان (نعم) ٥٨٢/١٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/١٢٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠/٩٦ ، وتفسير الماوردي ٥/٢٥٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٦ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٧/٢٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٣٩ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٢٢ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، باب (٤٦) : ومن سورة الدخان ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه» ، وموسى بن عبيدة ويزيد بن إبان الرقاشي يضعفان في الحديث ٥/٣٨٠ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠/٩٦ ب عن أنس ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/٣٢٧ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/٢١٢ ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/١٦٠ عن أنس . وقد أشار محقق المسند إلى ضعفه ، وذكره أيضاً ابن حجر في المطالب العالية ٣/٣٦٩ ، ونسبه إلى أبي يعلى ، وقال : «إسناده ضعيف» .

ولا عمل صالح فيبكي عليهم»، وهذا قول جميع المفسرين؛ ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة، قالوا: «لم تبك عليهم مصاعد أعمالهم على السماء، ولا مواضع سجودهم^(١) من الأرض».

وقال مجاهد: «ما مات مؤمن إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً^(٢)»، فقلت له: أتبكي؟ فقال: أو تعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟^(٣)، وهذا قول ثانٍ؛ لأنه لم يخص موضعاً منهما بالبكاء كما خص الأولون.

وذكر أهل المعاني في هذا قولين آخرين؛ أحدهما: أن التقدير: أهل السماء والأرض، فحذف المضاف والمعنى: ما بكى عليهم الملائكة ولا المؤمنون، بل كانوا بهلاكهم مسرورين، والثاني: أن العرب تقول في هذا كالرجل العظيم الشأن، أظلمت له الشمس، وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسماء والأرض، يريدون المبالغة في وصف المصيبة وأنها قد شملت وعمت، وليس ذلك بكذب؛ لأنهم جميعاً متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه ونيتهم في قولهم: أظلمت الشمس، كادت تظلم، وكذلك في سائر الألفاظ التي يقصدون بها التعظيم والاستقصاء في الصفة. ومعنى الآية: أن الله - تعالى - حين أهلك فرعون وقومه وأورث منازلهم وجناتهم غيرهم لم يبك عليهم باكٍ، ولم

(١) أخرجه الطبري عنهم في تفسيره ١٢٥/١٣، ومقاتل في تفسيره ٨٢٢/٣، وكذا رسمها في الأصل، ولعل المراد: (إلى السماء).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٥/١٣ عن مجاهد، ونسبه ابن كثير في تفسيره ٢٥٤/٦ إلى مجاهد، ونسبه المؤلف في الوسيط ٩٠/٤ إلى مجاهد.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٤/٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤١٢/٧، ونسبه إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

يجزع جازع ، ولم يوجد لهم فُقْد ، ولو كانت السماء والأرض ممن تبكي لم تبك على هؤلاء لاستحقاقهم العقوبة والهلاك ، والقولان ذكرهما ابن قتيبة^(١) وغيره .

قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ؛ لم يُنظَرُوا حين أخذهم لتوبة ولا لغيرها .
قاله ابن عباس وغيره^(٢) .

٣٠ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ؛ يعني قتل الأبناء ، واستخدام النساء ، والتعب في العمل .

٣١ . ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ . هذا مكررة على قوله : ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ ؛ أي نجيناهم من العذاب ونجيناهم من فرعون^(٣) ويجوز أن يكون ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ من صلة العذاب^(٤) والمعنى : من العذاب الذي كان يلحقهم من جهة فرعون .

قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «كان عالياً على عباد الله من المشركين . والمعنى : كان جباراً عاصياً من المشركين» ، ونحو هذا رواه الكلبي عنه^(٥) . والعالي : إذا أطلق كان صفة مدح ، وهاهنا مقيد بأنه عالٍ في الإسراف ، والعالي في الإحسان صفة مدح ، والعالي الإساءة صفة ذم^(٦) .

٣٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ يعني : بني إسرائيل على علم الله فيهم ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ على عالمي زمانهم ،

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٢٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٦ / ٤٠٥ ، وتفسير الماوردي ٢٥٢ / ٥ ، وزاد المسير ٧ / ٣٤٥ ، والزاهر لابن الأنباري ١ / ٢٨٤ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٣٢ من دون نسبة ، وذكره المؤلف في الوسيط ٤ / ٩٠ من دون نسبة .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٢٦ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ٩٦ ب ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٣٢ .

(٤) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٣١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٢٦ ، وتنوير المقباس ٤٩٧ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٤٢ .

قاله ابن عباس والكلبي ومقاتل^(١) وقتادة والجميع ، قال مجاهد :
«فضلناهم على مَنْ هم بين ظهرائيه»^(٢) .

قال أهل المعاني : «ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾
الآية [آل عمران : ١١٠] . هذا مقتضى أنه ما اختارهم على مَنْ هو خير منهم ، وإنما
اختارهم على مَنْ في وقتهم من العالمين»^(٣) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿وَأَيُّنَهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّيْتٌ﴾ . أكثر المفسرين
على أن البلاء المبين معناه النعمة البيّنة الظاهرة ، وعنى بالآيات فلق
البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى والتوراة ، وغير ذلك
من النعم التي أنعمها الله عليهم ، وهذا قول مجاهد ومقاتل والكلبي^(٤)
وغيرهم ، [وهذا ذهب]^(٥) آخرون إلى أن معنى البلاء هاهنا الاختبار
والتجربة^(٦) ، فذكر ابن عباس^(٧) في رواية عطاء في هذه الآية أنه أراد
بالبلاء المبين : السلسلة التي كانت في زمان داود وقصتها مشهورة .
قال : «ويريد الساريتين اللتين مَنْ دنا يدخل بينهما فإن اعترف أخرج

(١) انظر : قول مقاتل في تفسيره ٨٢٢/٣ ، وانظر : أيضاً تنوير المقياس ٤٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٢/١٦ .

(٢) أخرج الطبري في تفسيره ١٢٧/١٣ قول قتادة ومجاهد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٥/٦ .

(٣) هذا قول ابن جرير الطبري في تفسيره ١٢٧/١٣ ، وابن كثير في تفسيره ٢٥٥/٦ ، والزجاج في معاني القرآن ٤/٤٢٧ ، والنحاس في إعراب القرآن ٤/١٣٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٧/١٣ ، وتفسير مقاتل ٨٢٣/٣ ، وتفسير الماوردي ٢٥٤/٥ ، وتفسير البغوي ٢٣٣/٧ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (هذا وذهب) .

(٦) انظر : الكشف للزخشري ٤٣٣/٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٥٧٦/٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٢٦/٢٥ .

(٧) لم أقف عليه .

فُرْجَم ، وإن لم يعترف [النصاعليه فتعلنناه]^(١) ويعمل الرجل الذنب فيصبح يحده مكتوباً على باهين وأمور كثيرة .

٣٤-٣٥ . ثم رجع إلى ذكر كفار مكة فقال : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ ؛ يعني كفار مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ ^(٢) ﴿ إِنْ هِيَ ﴾ ؛ إضمار على شريطة التفسير ، وقد تقدّمت نظائره^(٣) ﴿ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى ﴾ ؛ أي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ، ثم لا نبعث ، وهو قوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ ؛ أي بمبعوثين .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا ﴾ الذين ماتوا^(٤) ؛ أي ابعثوهم لنا . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنا نُبْعَث بعد الموت . قال الفراء : « يخاطبون النبي ﷺ وحده وهو كقوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق: ١] ومنه قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ^(٥) [المؤمنون: ٩٩] » .

٣٧ . ثم خَوَّفَهُم الله مثل عذاب الأمم الخالية ، فقال : ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ . وهذا استفهام إنكار ؛ أي ليسوا خيراً منهم ، بمعنى أقوى وأعتى وأشد منهم ، قال ابن عباس : « أَهْمَ خَيْرٌ ﴾ يريد أشد^(٥) ، قال أبو عبيدة : « ملوك اليمن كان كل واحد منهم يسمى تُبْعاً ؛ لأنه يتبع صاحبه ، والظل يسمى تُبْعاً ؛ لأنه يتبع الشمس ، وموضع تُبْع في

(١) كذا رسمها في الأصل ، ولعل المعنى : (التصقتا عليه فقتلتاه) .

(٢) كقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ، وقوله : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٢٩] .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢٣٣/٧ ، وزاد المسير ٣٤٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤٤/١٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٢/٣ .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٥٥/٥ من دون نسبة ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤٣٤/٣ ، ونسبه إلى ابن عباس .

الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام ، وهم ملوك العرب الأعظم»^(١) ،
وأُشْدَ فقال :

أَوْ لَا يَقُولُ اللَّهُ فِي آيَاتِهِ وَاللَّهُ يُوحِي مَا يَشَاءُ وَيَنْزِلُ
أَنْتُمْ كَتَّبَعْتُمْ أَوْ كَسَائِرِ قَوْمِهِ بَلْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ فِي الْفَضَائِلِ أَفْضَلُ^(٢)
وأُشْدَ قول متمم :

وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطٌ كَسَرَى وَتُبَعَا
وقالت عائشة رضي الله عنها : «كَانَ تُبَعِّعُ رَجُلًا صَالِحًا»^(٣) .

وقال كعب : «ذَمَّ اللَّهُ قَوْمَهُ وَلَمْ يَذُمَّهُ»^(٤) ، قال وهب : «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ
سَبِّ أَسْعَدَ وَهُوَ تُبَعِّعَ ، وَكَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ»^(٥) .

وقال الكلبي : «وَهُوَ أَبُو كَرْبِ أَسْعَدَ بْنِ مَلِكٍ يَكْرَبُ»^(٦) ، وَتُبَعِّعَ اسْمُ الْمَلِكِ
مِنْهُمْ كَفَرَعُونَ وَكُهَامَانُ .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿لَعِينَتْ﴾ . قال مقاتل : «لَمْ يَخْلُقْهُمَا عَابَثِينَ لَغِيرِ شَيْءٍ»^(٧) .

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٠٩ .

(٢) لم أقف على قائل هذين البيتين .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب التفسير ٢/ ٤٥٠ عن عائشة ، وقال : «حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٢٨ عن عائشة ، ونسبه البغوي في تفسيره ٧/ ٢٣٤ إلى عائشة ، وكذا المؤلف في الوسيط ٤/ ٩١ .

(٤) ورد في تفسير الطبري ١٣/ ١٢٩ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٣٤ ، وزاد المسير ٧/ ٣٤٨ ، وأخرجه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٦ عن كعب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٤١٥ ، ونسبه إلى ابن المنذر وابن عساكر .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٣٣ ، وتنوير المقباس ٤٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٦ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٢٤ .

٣٩. قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . قال الكلبي والفرّاء: «أي للحق»^(١).

وقال أبو إسحاق: «أي لإقامة الحق»^(٢).

قال ابن عباس: «يريد: للثواب والعقاب»^(٣) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال: «يريد المشركين» .

٤٠. ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ . قال ابن عباس: «يريد: يوم يفصل الرحمن بين العباد وهو يوم القضاء»^(٤)، ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يريد: البر والفاجر، قال مقاتل: «ميعادهم أجمعين، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرين» .

٤١. ثم نعت ذلك اليوم فقال^(٥): ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ . قال ابن عباس: «يريد قريباً من قريب»^(٦)، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ؛ لا ينصر المؤمن الكافر لقربته، ولا يغني عنهم شيئاً، والمراد بقوله: ﴿مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ الكفار، ألا ترى أنه ذكر المؤمن؟ فإنه يشفع له، وقال الكلبي: «استثنى الله المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم في

(١) انظر: تنوير المقباس ٤٩٧، ومعاني القرآن للفرّاء ٤٢/٣ .

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤٢٧/٤ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣٥/٧ من دون نسبة .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣٥/٤ من دون نسبة، وكذا المؤلف في الوسيط ٩١/٤ .

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٨٢٤/٣ .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٢٣٥/٧ من دون نسبة، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير: /٣٤٨ إلى مقاتل، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢٢٠/٣ من دون نسبة، وكذا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١٦ .

بعض»^(١)، وعلى هذا موضع ﴿مَنْ﴾ نصب لأنه استثناء منقطع عن أول الكلام، يريد اللهم إلا ﴿مَنْ رَّحِمَ﴾، ويجوز أن يكون قوله: ﴿مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ على العموم، ثم استثنى المؤمنين فقال:

٤٢. ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ فيكون: ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع كما تقول: لا يقوم أحدٌ إلا فلان، والمعنى: لا يغني قريب إلا المؤمن، والوجهان في الاستثناء ذكرهما الفراء^(٢). وهو قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. قال مقاتل: «العزیز في نعمته من أعدائه الذين لا شفاعة لهم، الرحيم بالمؤمنين الذين استثنى في هذه الآية»^(٣).

٤٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ قد تقدّم تفسيره في سورة الصافات، الآية ٦٢.

٤٤. قوله تعالى: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾. قال ابن عباس: «يريد طعام أبي جهل»، وهو قول مجاهد ومقاتل^(٤)، وقال الكلبي: «الأثيم: الفاجر، وهو هاهنا الوليد بن المغيرة المخزومي»^(٥)، والأثيم: معناه: ذو الإثم، يقال: أثم يأثم إثماً، فهو أثم وأثيم^(٦).

٤٥. قوله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ سبق تفسيره في سورة الكهف، [آية: ٢٩]، وقد شبه الله - تعالى - هذا الطعام بالمهمل وهو دردي الزيت وعكر

(١) انظر: تنوير المقياس ٤٩٨.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٢/٣، وتفسير الطبري ١٣٠/١٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٨٢٤/٣.

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٩٧/١٠ ب، وتفسير مقاتل ٨٢٤/٣، وذكره البغوي في تفسيره ٢٣٦/٧ من دون نسبة.

(٥) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي ٢٢٠/٣، وتنوير المقياس ٤٩٨.

(٦) ذكره صاحب تهذيب اللغة (أثم) ١٦٠/١٥، والراغب في المفردات (أثم) ١٠.

القطران على ما ذكره المفسرون^(١)، كما سبق بيانه [الكهف: ٢٩]، وتم الكلام هاهنا، ثم أخبر عن غليانه في بطون الكفار فقال^(٢): ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، وقُرئ: (يغلي) بالياء فَمَنْ قرأ بالتاء فلتأنيث الشجرة، وَمَنْ قرأ بالياء حَمَلَهُ على الطعام في قوله: ﴿طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾؛ لأن الطعام هو الشجرة في المعنى، ألا ترى أنه خبر الشجرة؟ والخبر في المعنى إذا كان مفرداً هو المبتدأ، واختيار أبي عبيد الياء قال: «لأن الاسم المذكر يعني: المهمل هو الذي يلي الفعل، فصار أولى به للتذكير وللقراب، وكذلك في قوله: ﴿أَمَنَةً تُعَاسَا يَعْشَى﴾ [آل عمران: ١٥٤] و﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] و﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى﴾ [القيامة: ٣٧] يختار الياء في هذه الآيات»^(٣).

قال أبو علي: «لا يجوز أن يحمل الغلي على المهمل؛ لأن المهمل لا يغلي في البطون إنما يغلي ما شبه به»^(٤)، وأمّا سائر الآيات التي ذكرها فالياء والتاء فيها سواء لأن كل واحد مما فيها هو الآخر، فالنطفة والمني سواء.

٤٦. قوله تعالى: ﴿كَغَلَى الْحَمِيرِ﴾. قال ابن عباس: «الماء إذا اشتد غليانه فهو حمير»^(٥).

٤٧. قوله تعالى: ﴿حَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ﴾؛ أي يقال للزبانية: خذوه يعني: الأثيم فاعتلوه، قُرئ بكسر التاء، قال الليث: «العتل أن تأخذ بتليب

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/ ٢٤٠، وتفسير الماوردي ٣/ ٣٠٣، وتفسير البغوي ٧/ ٢٣٦.

(٢) انظر: القطع والانتشاف للنحاس ٦٥٦.

(٣) أورد النحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٣٤ اختيار أبي عبيد، ولم يؤيده، وإنها ردّه كما ردّه وضعفه أبو علي الفارسي.

(٤) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ١٦٦، والمسائل العضديات ١١٦.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ١٣٣ من دون نسبة، وكذا البغوي في تفسيره ٧/ ٢٣٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٤٩.

الرجل فتعتله ؛ أي تجرّه إليك وتذهب به إلى حَبْس أو بلية^(١) ، وأخذ فلان بزمام الناقة فعتلها ، وذلك إذا قبض على أصل الزمام عند الرأس وقادها قوداً عنيفاً .

وقال ابن السكيت : «عَتَلْتُهُ إِلَى السَّجْنِ ، وَعَتَنْتُهُ فَأَنَا أَعْتَلْتُهُ وَأَعْتِنْتُهُ^(٢) ، إِذَا دَفَعْتُهُ دَفْعاً عَنِيفاً^(٣) ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي مَعْنَى الْعَتَلِ^(٤) ، وَذَكَرُوا اللُّغَتَيْنِ ضَمَّ التَّاءِ وَكَسَرَهَا وَهَمَّا صَحِيحَانِ^(٥) مِثْلُ : ﴿يَعْكُفُونَ﴾ و﴿يَعْكُفُونَ﴾ و﴿يَعْرِشُونَ﴾ و﴿يَعْرِشُونَ﴾ . وَأَنشَدُوا لِلْفَرَزْدَقِ فَقَالَ :

لَيْسَ الْكَرَامُ بِنَاحِلِكَ أَبَاهُمْ حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ^(٦)
وقال أبو إسحاق : «المعنى : يا أيها الملائكة ، خذوه فاعتلوه»^(٧) .

قال مجاهد ومقاتل : «ادفعوه على وجهه»^(٨) ، وقال الكلبي : «سوقوه إلى سواء الجحيم قال : وسط الجحيم»^(٩) ، كقوله : ﴿فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات : ٥٥] .

(١) انظر : كتاب العين (عتل) ٦٩ / ٢ .

(٢) لفظ : (وأعتنته) زائد في تهذيب اللغة ٢٧٠ / ٢ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عتل) ٢٧٠ / ٢ .

(٤) انظر : جوهرة اللغة (تلع) ٢١ / ٢ ، ومقاييس اللغة (عتل) ٢٢٣ / ٤ ، والصحاح (عتل) ١٧٥٨ / ٥ ، واللسان (عتل) ٤٢٣ / ١١ ، والمفردات للراغب (عتل) ٣٢١ .

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (خذوه فأتلوه) بضم التاء ، وقرأ عبيد عن أبي عمرو ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ و﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ بالكسر والضم جميعاً ، وقرأ الباقون ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ بالكسر . انظر : السبعة لابن مجاهد ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، والحجة لأبي علي ١٦٥ / ٦ .

(٦) انظر : ديوانه ٧٢٢ ، وتفسير الطبري ١٣ / ١٣٣ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٨ / ٤ .

(٨) أخرجه الطبري عن مجاهد ١٣ / ١٣٣ ، وانظر : تفسير مقاتل ٨٢٥ / ٣ .

(٩) انظر : تنوير المقياس ٤٩٨ .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ . قال مقاتل : «يعني : أبا جهل ، وذلك أن مالكا خازن جهنم يضربه ضربة على رأسه بمَقْمَع من حديد فيثقب رأسه عن دماغه فيجري دماغه على جسده ، ثم يصب الملك فيه ماء حميماً قد انتهى حرُّه فيقع في بطنه ، فيقول الملك : ذق العذاب»^(١) فذلك قوله : ﴿ذُقْ﴾ ونحو هذه الآية قوله : ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج : ١٩] قوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ قال عكرمة والكلبي : «التقى النبي ﷺ وأبو جهل فقال له النبي ﷺ : «إن الله أمرني أن أقول لك ﴿أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ﴾» [القيامة : ٣٤] فقال : يا محمد ، بأي شيء تهددني ؟ فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً ؛ إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه ، فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته ، وأنزل هذه الآية»^(٢) ، وهذا قول أهل التفسير قالوا : «إنه كان يقول : أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم ، فيقول له الملك : ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم ، يوبخه ويصغره»^(٣) . قال أبو إسحاق : «المعنى : ذق هذا العذاب ، إنك أنت القائل : أنا العزيز الكريم»^(٤) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٥ / ٣ .

(٢) ورد في تنوير المقياس ٤٩٨ ، والدر المنثور ٤١٨ / ٧ ، وأخرج نحوه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٣٤ عن قتادة ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٥١ / ١٦ إلى عكرمة .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ٩٨ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٥١ ، والوسيط ٩٢ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٨ / ٤ .

وقال أبو علي الفارسي : « المعنى : إنك أنت العزيز الكريم في زعمك وفي ما تقوله ، فأجري ذلك على حسب ما كان يذكره أو يُذكر به » ، ومثله قوله : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الفصل: ٧٤] ؛ أين شركائي في ما تفترون وتدعون ، وهذا كما روي أن زهرة اليمن^(١) قال في جرير :

أَبْلُغْ كُلِّيًّا وَأَبْلُغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا أَنِّي الْأَعْزُ وَأَنِّي زَهْرَةُ الْيَمَنِ^(٢)
فأجابه جرير :

أَلَمْ تَكُنْ فِي وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا مَنْ حَانَ مَوْعِظَةً يَا زَهْرَةَ الْيَمَنِ^(٣)

أي زهرة اليمن في ما تقول ، وكذلك أبو جهل كان يقول إنه أعز الوادي وأمنعهم . فعلى ما كان يقول ، جاء في التنزيل حكاية ، ونحو هذا قال صاحب النظم قال : « هذا على وجه المعارضة والتبكي ، ودلالة على أنه أخبر أنه قال في الخطاب : أنا العزيز الكريم ، وهو شبيه بقول الكفار : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦٠] كأنه لما قال لهم أنزل عليّ الذكر من الله عارضوه بهذا كالمستهزئين به ، كذلك يستهزأ بأبي جهل ويوبخ بما زعم وأدعى به ، وليس كذلك » .

وقال بعض أهل المعاني : « هذا على معنى النقيض ، كأنه قيل : إنك أنت الذليل المهان »^(٤) ، وهذا كما خاطب قومٌ شعيباً : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيلُ الرَّشِيدُ ﴾

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) ورد هذا البيت في الحجة لأبي علي ٤٦٧/٦ ، والمسائل الحليبات ٨٢ ، والخصائص لابن جني ٤٦٣/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٤٠٥/١ ، والدر المصون ١١٨/٦ ، وتفسير ابن عطية ٣٠٠/١٤ .

(٣) انظر : ديوان جرير ٤٣٠ . الوسوم : جمع وسم ، وهو أثر الكي ، ويريد به هنا أذى هجائه . وحن : هلك . والشاهد قوله : (يا زهرة اليمن) أي يا من قال : إني زهرة اليمن ، ولست عندي كذلك ، والذي في الديوان : (يا حارث اليمن) .

(٤) انظر : مشکل إعراب القرآن لمكي ٢٩١/٢ .

[هود: ٨٧] يعنون السفية الجاهل ، وقد مرَّ . وقرأه العامة (إنك) بكسر الألف على الابتداء ، وقرأ الكسائي بالفتح على معنى : ذق بأنك ، أي هذا القول الذي قلته في الدنيا ، قاله الفرّاء وأبو علي^(١) ، وعلى هذا ، الواقع عليه يضمّر على تأويل : ذق العذاب ، وكذلك هو في قراءة العامة^(٢) .

وقال صاحب النظم : «مَنْ فتح الهمزة كان قوله : ﴿ذُقْ﴾ واقعاً على تأويل : ذق ، وقال هذا القول وجزاؤه»^(٣) ، وقال مقاتل : «فلما ذاق العذاب قال الملك الخازن : إن هذا العذاب ما كنتم به تمترون ؛ يعني : تشكون في الدنيا أنه غير كائن ، والمعنى تكذبون به»^(٤) ، كقوله : ﴿فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] ، وقد مرَّ قبل .

٥١-٥٢ . ثم ذكر مستقر المتقين فقال : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾^(٥) في جَنَّتٍ وَعُثُوبٍ . قال ابن عباس : «يريد : أصحاب النبي ﷺ في خلود دائم»^(٥) ، وعلى هذا ، المعنى : أنهم قد آمنوا الشخوص ، وقال مقاتل : «أمين من الموت»^(٦) . وقال الضحاك : «أمّنوا أن يموتوا ، وأن يعرفوا ، وأن يجوعوا»^(٧) .

وقد جمع أبو إسحاق هذه الأشياء فقال : «قد آمنوا فيه الغير»^(٨) ، وقرأه العامة ﴿مَقَامٍ﴾ بفتح الميم يراد به المجلس والمشهد ، ووصفه بالأمن يقوي

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٤٣/٣ ، والحجة لأبي علي ١٦٧/٦ .

(٢) انظر : كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٥٩٣ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٦٥٨/٢ ، وتحرير التيسير لابن الجزري ١٧٩ ، والدر المصون ١١٨/٦ .

(٣) يظهر أن فيه سقطاً ، ولكن كتاب نظم القرآن مفقود ، ولم أتوصل إلى النص في ما لدي من مصادر .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٥/٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٥/٣ .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٢٠/٧ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة عن الضحاك .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٨/٤ .

أنه يراد به المكان ، ووصف بالأمن كما يوصف بالخوف ، [وقرأ عامر]^(١) ونافع بضم الميم ، فيحتمل أن يراد به المكان من أقام ، فيكون على هذا معنى القراءتين واحداً ، وقد يجوز أن يجعله مصدراً ويقدر المضاف محذوفاً على تقدير في موضع إقامة^(٢) .

٥٣ . قوله تعالى : ﴿ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ مرّ تفسيره في سورة الكهف ، الآية ٣١ .

قوله : ﴿ مُتَقَبِّلِينَ ﴾ ؛ أي لا يرى بعضهم قفا بعض . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ؛ أي كما وصفنا يكون حالهم ، والمعنى : الأمر كذلك الذي ذكرنا ووصفنا .

٥٤ . قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ . قال أبو عبيدة : « جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل ، جعلناهم اثنين اثنين »^(٣) ، وقال يونس : « أي قرناهم بهن »^(٤) ، وليس من عقد التزويج ، والعرب لا تقول : تزوجت بها ، إنما يقولون : تزوجتها ، والتنزيل يدل على ما قال يونس ، وذلك قوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ولو كان على تزوجت بها ، لكان زوجناك بها ، قال ابن سلام وقال أبو البداء : « تميم »^(٥) تقول : تزوجت امرأة وتزوجت بامرأة ، وحكى الكسائي أيضاً : « زوجنا بامرأة ، وزوجناه امرأة ، ولا يبعد أن يكون قوله : ﴿ زَوَّجْنَاهَا ﴾ على أنه حذف الحرف فوصل الفعل » ، وذكره الأزهري :

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (وقرأ ابن عامر) . انظر : الحجة ٦ / ١٦٧ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٦٥ .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ٦ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٦٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٠٩ .

(٤) انظر : الصحاح (زوج) ١ / ٣٢٠ .

(٥) لم أهد إلى ترجمته .

تقول العرب : «زوجت امرأة ، وتزوجت امرأة ، وليس من كلامهم :
تزوجت بامرأة»^(١) .

وقال الفرّاء : «هي لغة في أزد شنوءة»^(٢) ، هذا كلامه ، وقول أبي عبيدة حسن ؛
لأنه جعل قوله : ﴿وَزَوَّجْتَهُمْ﴾ من التزويج الذي هو بمعنى : جعل الشيء زوجاً ،
لا بمعنى عقد النكاح ، ومن هذا ، يجوز أن يقال : كان فرداً وزوّجته بآخر ، كما
يقال شقّعت بآخر ، فإنما يمتنع الباء عند مَنْ يمتنع إذا كان بمعنى التزويج ، ونحو
هذا قال الأخفش في هذه الآية : «جعلناهم أزواجاً بالخور»^(٣) .

وقال مجاهد : «أنكحناهم الحور العين التي يحار فيها الطرف ، بادياً منخ
سوقهن من وراء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبّد إحداهن كالمِرْآة ، من رقة
الجلد وصفاء اللون»^(٤) ، وقال قتادة : «بجَوَارٍ بيض»^(٥) .

وقال ابن عباس : «الحور في لغة العرب : البيض»^(٦) .

وقال مقاتل : «الحور : البيض الوجوه ، العين : الحسان الأعين»^(٧) .

(١) ورد في تهذيب اللغة (زاج) ١٥٢/١ بلفظ : (تقول العرب زوجته) ، وانظر : اللسان (زوج)
٢٩٣/٢ .

(٢) انظر : قول الفرّاء في تهذيب اللغة (زاج) ١٥٢/١١ ، ولم أقف عليه في معاني الفرّاء .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩١/٢ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٦/١٣ عن مجاهد ، ونسبه ابن حجر في تغليق التعليق ٣١٠/٤ إلى
مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٥٩٨ .

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٣٦/١٣ بلفظ : (بيض عين) ، ونسبه إلى قتادة ، وقال القرطبي في الجامع
١٥٢/١٦ : «الحور : البيض في قول قتادة والعامّة» .

(٦) ذكره الألويسي في روح المعاني ١٣٥/٢٥ ، ونسبه إلى ابن عباس والضحاك وغيرهما ، ونسبه القرطبي
في الجامع ١٥٢/١٦ إلى قتادة والعامّة .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٦/٣ .

وأصل الحور البياض ، والتحوير التبييض ، وذكرنا ذلك في تفسير الحواريين ، وعين حوراء ، إذا اشتد بياضها ، واشتد سوادُ سوادها ، ولا تسمى المرأة [حوراء] ^(١) حتى تكون مع حور عينيها بياضاً لون الجسد ^(٢) .

وقال أبو عبيد : «الحوراء : الشديدة بياض العين الشديدة سوادها» ^(٣) ، و(العين) جمع عَيْنَاء ، وهي : العظيمة العينين من النساء ، قال اللحياني : «إنه لأعين ، إذا كان ضخّم العين واسعها ، والأنثى عِناء ، [والجمع عين عِناً]» ^(٤) ، ويدل على أن المراد بالحور في هذه الآية البياض ، قراءة ابن مسعود : (بعيس عين) ^(٥) ، والعيس : البياض .

قال الحسن : «الحور العين عجائزكم ينشئهن الله خلقاً آخر» ^(٦) ، وقال أبو هريرة : «لسن من نساء الدنيا» ^(٧) .

٥٥ . قوله تعالى : ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فِتْكَهَةٍ آمِنِينَ﴾ . قال ابن عباس : «قد آمنوا الموت والأسقام والأوجاع والتخم» ^(٨) .

(١) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (حوراء) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (حار) ٢٢٩/٥ .

(٣) انظر : اللسان (حور) ٢١٨/٤ ، وغريب الحديث لأبي عبيد (حور) ٢١٧/١ .

(٤) كذا في الأصل ، وفي تهذيب اللغة : (والجميع منها عين) . انظر : قول اللحياني في تهذيب اللغة (عان) ٢٠٦/٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣٦/١٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤١٦/٦ ، ومعاني القرآن للقرطبي ٤٤/٣ ، والمحتسب لابن جني ٢٦١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) لم أقف عليه ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٩٨/١٠ ب عن قتادة بلفظ : (آمين من الموت والأوصاب والشیطان) ، ونسبه البغوي ٢٣٧/٧ إلى قتادة ، ونسبه القرطبي ١٥٤/١٦ إلى قتادة .

٥٦. قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ . قال أهل المعاني: «جعل الموت في مقاساة الآلام والأسباب التي يحدث عندها الموت ، كالطعام الذي يكره ذوقه ، فلذلك استعير له الذوق وهو في الحقيقة عَرَض لا يذاق»^(١) .

فإن قيل : أليس أهل النار لا يموتون ؟ فَلِمَ بُشِّرَ أهل الجنة بهذا مع مشاركة غيرهم في هذا المعنى ؟ قيل : إن أهل الجنة في حياة هنيئة بشارتهم بالخلود تزيدهم سروراً وقرّة عين ، وأهل النار يموتون موتات كثيرة بما يقاسون من الشدة ، وانتفاء الموت عنهم يزيدهم حسرةً وشدةً وجَد^(٢) .

وقوله : ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ . قال ابن عباس : «يريد : التي كانت في الدنيا»^(٣) ، وقال مقاتل : «يعني : المرة الأولى التي كانت في الدنيا»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «المعنى : لا يذوقون فيها الموت ألبتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا ، وهذا كما قال^(٥) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] ؛ أي سوى ما قد سلف ، ونحو هذا قال الفراء قال : «ومثله في الكلام : لك عندي ألف إلا مالك عندي من قِبَلِ فلان» ، ومعناه : سوى مالك علي من قِبَلِهِ ، قال : «(وإلا) قد تكون خطأ مما قبلها وقد تكون زيادةً عليه» ، فالخط كقولك : لك علي ألف إلا مائة ، والزيادة كالتي في هذه الآية فهو زيادة على ما قبل ، إلا كما ذكرنا في المثال من الكلام^(٦) .

(١) انظر : مجاز القرآن ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٢٦ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٢٨ / ٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٤ / ٣ .

وقال بعض أهل المعاني : «(إِلَّا) بمعنى : بعد ؛ أي بعد الموتة الأولى ، وقيل (إِلَّا) بمعنى : لكن ، كأنه قيل : لكن الموتة الأولى^(١) ، وقد ذاقوها ، وذكر ابن قتيبة وجهاً حسناً فقال : «إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا ، من موت في الجنة ؛ لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من أسباب الجنة ، فيلقون الروح والريحان ، ويرون منازلهم من الجنة ، وتفتح لهم أبوابها ، فإذا ماتوا في الدنيا فكأنهم ماتوا في الجنة لا تصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها ، فجاز أن يستثنى الموتة الأولى من مكانهم في الجنة»^(٢) .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ . قال الفراء والزجاج : «المعنى : فعل ذلك ربهم فضلاً وتفضلاً منه»^(٣) .

٥٨ . قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ لِسَانُكَ﴾ . قال مقاتل : «يعني القرآن ، يقول : هوّنّاه على لسانك»^(٤) ، قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ؛ لكي يتعظوا فيؤمنوا به ، فلم يؤمنوا به ، يقول الله لنبيه : ﴿فَارْتَقِبْ﴾ ؛ يعني : فانتظرهم^(٥) العذاب ، فإنهم ﴿مُرْتَقِبُونَ﴾ ؛ منتظرون هلاكك ، ويقال : فانتظر الفتح والنصر عليهم ، إنهم ينتظرون غلبتك وقهرك^(٦) .

* * *

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ١٣/١٣ ، فقد ذكر أنها تأتي بمعنى بعد ، وذكر القرطبي المعنيين . انظر : الجامع ١٥٤/١٦ ، وانظر : أيضاً غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى ١٠٨٠/٢ .
- (٢) ورد في مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١/٢١٥ بتصرف .
- (٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٤٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤/٤٢٩ .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٢٦ .
- (٥) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (فانتظر لهم) .
- (٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/١٣٩ ، وتفسير البغوي ٧/٢٣٧ .

تفسير

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢-١ . قوله تعالى : ﴿حَمَّ ١٠ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ . قال صاحب النظم : «هذا فصل يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون مبتدأ وخبراً ، فيكون قوله ﴿حَمَّ﴾ مبتدأ ، وقوله : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبراً له ، ويكون قوله : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾ مبتدأ آخر ، والثاني : أن يكون قوله : ﴿حَمَّ﴾ قسماً ، وقوله : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ نعتاً له على إضمار^(١) (هو) كما تقول في الكلام : والله هو الرحمن الرحيم إنك لظالم ، فيكون جواب القسم قوله تعالى :

٣ . ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال مقاتل : «إن في خلق السماوات والأرض وهما خلقان عظيمان^(٢)» - ﴿لَا يَبْتَغِي لِمُؤْمِنِينَ﴾ ، وعلى هذا يقدر المضاف ، واختاره الزجاج قال : «ويدل عليه قوله : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾^(٣) ،

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٣٩ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٥ / ٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣١ / ٤ .

ويجوز أن يقدر المضاف وتكون الآيات : الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب» .

٤ . قوله تعالى : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يريد وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنساناً ، و(بث) تفرق على الأرض من جميع ما خلق ، واختلاف ذلك من المشي على رجلين وعلى أربع وعلى البطن ، آيات ودلالات على توحيد مَنْ خلقها ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنه لا إله غيره»^(١) .

وجاز الرفع في قوله : ﴿ءَايَتٌ﴾ من وجهين ذكرهما الزَّجَّاج والمُبَرِّد وأبو علي^(٢) :

أحدهما : العطف على موضع (أن) وما عمل فيه ؛ لأن موضعها رفع بالابتداء ، فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول : إن زيدا منطلق وعمرو ، وإن زيدا أخوك وخالد ، و﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٣] لأن معنى قوله : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ هو الله بريء ، وهذا نظير قولك : لست بقائم ولا قاعداً ، أو لست بجبان ولا بخيلاً ، عطف الثاني على موضع الباء .

والوجه الآخر : أن يكون قوله : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ مستأنف ، ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة كما تقول : إن زيدا منطلق وعمرو خارج ، جعلت قولك : عمرو خارج ، كلاماً آخر ، كما تقول : زيد في الدار وأخرج غداً إلى بلد كذا ، فإنها حدث بحديثين اثنين ، ووصلت أحدهما بالآخر بالواو .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٨٣٥ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤ / ٩٤ إلى ابن عباس ومقاتل .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤ / ٤٣١ ، والمقتضب للمُبَرِّد ٤ / ٣٧١ ، والحجة لأبي علي ٦ / ١٦٩ .

وهذا الوجه هو اختيار أبي الحسن ، قال : «لأنه قد صار على كلام آخر نحو :
إن في الدار زيداً ، وفي البيت عمرو ؛ لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام
كله»^(١) .

وهذا الوجه أيضاً قول الفراء قال : «الرفع على الاستئناف بعد (أن) ؛ تقول
العرب : إن لي عليك مالاً وعلى أخيك ، ما ينصبون الثاني ويرفعونه»^(٢) ، فيكون
قوله : ﴿إِنِّي أَنذَرْتُ﴾ على هذا الوجه مرتفعاً بالظرف على قول مَنْ رأى الرفع بالظرف ،
أو بالابتداء في قول مَنْ لم ير الرفع بالظرف ، وقرأ حمزة والكسائي (آيات) وكذلك
(وتصريف الرياح آيات) كسراً فيها وهو في موضع نصب على النسق على أن قوله :
﴿إِنِّي فِي السَّمَوَاتِ﴾ على معنى وإن في خلقكم آيات ، ويقوّي هذه القراءة أنها في قراءة
عبدالله وأبي (لآيات) ودخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (أن) ، وإذا
كان محمولاً عليها حسن النصب على ما قرأ حمزة ، وصار كل موضع من ذلك
كأن (أن) مذكورة فيه بدخول اللام ؛ لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (أن) أو
على اسمها ، ولا اختلاف في جواز هذه القراءة وحسنها في قوله : (وفي خلقكم
وما يث من دابة آيات) ، (وتصريف الرياح آيات) ؛ فإن فيه عطفًا على عاملين
مختلفين ، وذلك أنه عطف بحرف واحد وهو الواو في قوله : ﴿وَأَخْلَقْنَا إِلِيلَ﴾ على
عاملين ؛ أحدهما : الجار الذي هو في قوله : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ والآخر : (إن) في قوله :
﴿إِنِّي فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بعطف آيات على (إن) بهذه الواو وحدها ، وسيبويه وكثير
من النحويين لا يميزونه ، ووجه جواز ذلك هاهنا أن يقدر (في وأن) في قوله :

(١) ورد في الحجة لأبي علي ١٦٩/٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/١٤٠ ، ولم أقف عليه في معاني القرآن
للأخفش .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٤٥ بلفظ : (الرفع على الاستئناف في ما بعد أن) .

٥. ﴿وَأَخْلَفَ آيِلَ﴾ كأنه قيل : وأن في اختلاف الليل ، و(إن) فإن كانت محذوفة من اللفظ فهو في حكم المثبت فيه ، وذلك أن ذكره قد تقدّم في قوله : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بعطف آيات ، فأما الجار فقد تقدّم ذكره في قوله : ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ فلما تقدّم ذكره في هذين ، قدر فيه الإثبات في اللفظ وإن كان محذوفاً منه كما قدر سيبويه في قوله :

أَكَلْ أَمْرِي تَحْسِينِ امْرَأً وناراً^(١) تَوْقُدُ بِاللَّيْلِ نَاراً^(٢)

أن كلاً في حكم الملفوظ به ، واستغني عن إظهاره بتقدّم ذكره ، ويجوز أن تقدر آيات متكررة كررتها لما تراخى الكلام وطال ، كما قال بعض المشايخ في قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُكَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنِّ لَهُ﴾ [التوبة : ٦٣] : «قال (أن) هي الأولى كررت» ، وهذا النحو في كلامهم غير ضيق ، هذا كله كلام المُبرّد وأبي علي ومعنى^(٣) كلام أبي إسحاق قوله تعالى :

٦. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا حَقِّقُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله بها»^(٤) ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «بعد كتاب [٥]» ﴿وَأَيْنِئِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء ،

(١) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح (ونار) ؛ إذ ذكره الجميع بجر (نار) ، وهو الشاهد من البيت حيث عطفه على ما عملت فيه (كل) .

(٢) البيت لأبي دؤاد الأيادي . انظر : الكتاب لسيبويه ٦٦ / ١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٤١ ، والحجة لأبي علي ١٧١ / ٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٣٢ / ٤ ، والدر المصون ١٢٣ / ٦ ، وذكره المُبرّد في الكامل ٢٨٧ / ١ منسوباً إلى عدي بن زيد العبادي .

(٣) انظر : الكامل للمُبرّد ٢٨٧ / ١ ، والحجة لأبي علي ١٧١ / ٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٢ / ٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٥ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣٢ / ٤ ، وهي كذا في الأصل ، وفي معاني الزجاج بلفظ : (بعد كتاب الله) .

واختار أبو عبيد : الياء لأن قبله غيبة ، وهو قوله : ﴿لَقَوْمٍ يُوقَتُونَ﴾^(١) و﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وهذا خبر عنهم .

فإن قيل : إن في أول الكلام خطاباً وهو قوله : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ قيل : الغيبة التي ذكرنا أقرب إلى الحرف المختلف فيه ، والأقرب إليه أولى أن يحمل عليه ، واحتج أيضاً بأن قال في أول الآية خطاباً للنبي ﷺ ولا يكون في خطابه قوله تعالى : ﴿يَالْحَقِّ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَدَأَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ، ووجه قول من قرأ بالتاء : أن (قل) فيه مقدر على تأويل : قل لهم فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون^(٣) .

قال المبرّد : «والتأويل في جميع هذا إنما هو الإبلاغ ، فيجوز أن يستغنى عن أن يقال : (قل) مع أن القول كثيراً ما يضمّر كقوله : ﴿وَالْمَلَكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٤) سَلَّمَ ﴿[الرعد : ٢٣]﴾»^(٥) .

٧. قوله تعالى : ﴿وَيَلِكُلْ أَفَّاكَ﴾ . هذه الآية وما بعدها نزلت في النضر بن الحارث ، قاله الكلبي ومقاتل^(٦) .

٩. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ . قال مقاتل : «يعني : وإذا سمع من آيات القرآن شيئاً اتخذها هزواً»^(٧) ﴿أُولَئِكَ﴾ . قال الأخفش : «رد الكلام إلى معنى الكل في قوله : ﴿وَيَلِكُلْ أَفَّاكَ﴾ فلذلك جمع»^(٨) .

(١) انظر : اختيار أبي عبيد في إعراب القرآن للنحاس ١٤١ / ٤ .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ١٧٣ / ٦ ، والسبعة لابن مجاهد ٥٩٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٥٩ .

(٣) انظر : الكامل للمبرّد ٣٧٨ / ١ .

(٤) ورد في تنوير المقياس ٤٩٩ ، وتفسير مقاتل ٨٣٦ / ٣ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ٢٢٣ / ٣ ، والبغوي في تفسيره ٢٤١ / ٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٦ / ٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩٢ / ٢ .

١٠. قوله : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أمامهم جهنم»^(١) ، وقال مقاتل : «يريد هو في الدنيا ، ومن بعده له في الآخرة جهنم»^(٢) ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم : ١٦] .
﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ من الأموال التي جمعوها ﴿شَيْئًا﴾ ، ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة .

١١. قوله تعالى : ﴿هَذَا هُدًى﴾ . قال مقاتل : «هذا القرآن بيان من الضلالة»^(٣) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد كل ما جاء به محمد ﷺ بيان للمؤمنين»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ . وقرئ (أليم) رفعاً^(٥) ، والرجز العذاب بدلالة قوله : ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة : ٥٩] . وقوله : ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف : ١٣٤] فمعنى قوله : ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ : لهم عذابٌ من عذاب أليم ، وإذا كان عذابهم من عذاب أليم ، كان عذابهم أليماً . قوله : ﴿مِنْ رِجْزٍ﴾ على هذا صفة للعذاب ؛ لأنه نكرة ، مَنْ رفع (أليماً) كان المعنى : لهم عذاب أليم من عذاب ، وليس فائدته كالفائدة في القراءة الأولى ، وإذا كان كذلك فيحمل على أمرين : أحدهما : أن قوله : ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾ يكون صفة مؤكدة ، والصفة قد تجيء على وجه التأكيد كما روي في بعض الحروف (وَلِيَ نَعْجَةً أَثْنَى) ، وقوله : ﴿وَمَنْوَةٌ ثَالِثَةٌ الْآخِرَى﴾ [النجم : ٢٠] وقولهم : أمس الدابر . والآخر : أن يحمل الرجز على الذي بمعنى الرجز الذي هو النجاسة على الإبدال للمقاربة ،

(١) ذكره القرطبي في الجامع ١٦/ ١٥٩ عن ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ٩٥ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٣٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٣٦ .

(٤) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥٩ منسوباً إلى ابن عباس .

(٥) وهي قراءة ابن كثير وعاصم في رواية حفص . انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٧٤ .

يعني النجاسة فيه قوله : ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] وكان المعنى : لهم عذاب من تجرع رجس أو شرب رجس ، فيكون (من) تبييناً للعذاب مِمَّ هو^(١) .

١٢- ١٣ . قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني من شمس وقمر ونجم ومطر وثلج وبرد ، ﴿وَمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار ، قاله ابن عباس^(٢) ، معنى تسخيرها لنا : هو أنه هيأها لانتفاعنا بها ، فهو مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به على الوجه الذي نريد .

قوله تعالى : ﴿بِجَمِيعٍ مِّنْهُ﴾ . قال : «كل ذلك رحمة منه لكم» ، وقال أبو إسحاق : ﴿بِجَمِيعٍ﴾ منصوب على الحال^(٣) ، والمعنى : كل ذلك منه تفضل وإحسان ، والوقف يحسن على قوله : ﴿بِجَمِيعٍ﴾^(٤) .

قوله تعالى : ﴿مِّنْهُ﴾ ؛ أي ذلك التسخير منه لا من غيره ، فهو فضله وإحسانه ، قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله فيوحدونه .

١٤ . قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ . قال الفراء : «هذا خبر في منزلة الأمر ، كأنه قيل : قل للذين آمنوا اغفروا ، ولكنه جزم بالتشبيه بالجزاء والشرط ، كقوله : قم تصب خيراً ، وليس كذلك ، ولكن العرب إذا أخرج الكلام في مثال غيره وهو مقارب له ، أعربوه بإعرابه ، فهذا من ذلك»^(٥) . وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة عند قوله : ﴿قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] .

(١) هذا كله منقول عن الحجة لأبي علي ١٧٤ / ٦ ، ١٧٥ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ورد في إعراب القرآن للنحاس ١٤٢ / ٤ ، ولم أقف عليه في معاني الزجاج .

(٤) انظر : القطع والانتفاء للنحاس ٦٥٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٥ / ٣ ، ٤٦ .

واختلفوا في سبب نزول الآية ، قال ابن عباس في رواية عطاء ، وهو قول مقاتل^(١) : «نزلت في عمر رضي الله عنه» ، قال ابن عباس : «يريد عمر بن الخطاب خاصة . ﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ يريد : عبدالله بن أبي ، وذلك أنهم تولوا في غزاة^(٢) بني المصطلق^(٣) على بئر يقال لها المريسيع^(٤) فأرسل عبدالله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له ما حبسك ؟ قال غلام عمر : تعدد على فضل البئر ، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ وقرب أبي بكر وملاً لمولاه ، فقال عبدالله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه فأنزل الله هذه الآية .

وقال مقاتل : «شتم رجل من كفار قريش بمكة عمر ، فهَمَّ عمر أن يبطش به ، فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل هذه الآية»^(٥) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥٠٠ ، وتفسير مقاتل ٨٣٧ / ٣ ، وزاد المسير ٣٥٧ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦١ / ١٦ .

(٢) حدثت هذه الغزوة في شعبان من السنة السادسة للهجرة ، وكان قائد بني المصطلق هو الحارث بن أبي ضرار الخزاعي ، أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد ذلك . انظر : سيرة ابن هشام ٣٣٣ / ٣ ، البداية والنهاية ١٥٦ / ٤ .

(٣) بطن من خزاعة من القحطانية ، وهم بنو المصطلق ، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ، غزاهم النبي ﷺ ، واشتهرت بغزوة بني المصطلق ، وذلك سنة ست هجرية على ماء لهم يقال له : المريسيع . انظر : معجم قبائل العرب ١١٠٤ / ٣ .

(٤) المريسيع (بالضم ، ثم الفتح ، وياء ساكنة ، ثم سين مهملة مكسورة ، وياء أخرى ، وآخره عين مهملة في الأشهر ، ورواه بعضهم بالغين معجمة) : تصغير المرسوع ، وهو الذي انسلقت عينه من السهر ، وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل . وكان النبي ﷺ قد سار سنة خمس (وقال أبو إسحاق : سنة ست) هجرية إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعاً ، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع ، فقاتلهم وسباهم . انظر : معجم البلدان ١١٨ / ٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٧ / ٣ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٤ / ٣ ، وتفسير البغوي ٢٤٢ / ٧ .

وروى ميمون بن مهران ^(١) [فتحاص اليهودي ، قال لما نزل قوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال : «احتاج رب محمد» ، فلما سمع بذلك عمر اشتمل على سيفه وخرج في طلبه ، فأنزل الله هذه الآية ، فبعث النبي ﷺ في طلبه حتى رَدَّه ^(٢) . قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «لا يرجون ثواب الله ، ولا يخافون عقابه» ^(٣) .

وقال مقاتل : «لا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية» ^(٤) .

وقال مجاهد : «لا ينالون نعم الله أو نقم الله» ^(٥) ، وذلك أنهم لا يؤمنون به فلا يرجون ثوابه ، ولا يخافون عقابه ، كما قال ابن عباس ، وذكرنا أيام الله عند تفسير قوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم : ٥] وأجمعوا أن هذه الآية نزلت قبل أن يؤمر النبي ﷺ بقتال أهل مكة وأنها منسوخة بآية القتال ^(٦) ، إلا على ما رواه عطاء عن ابن عباس ، فإن على روايته نزلت الآية بعد الأمر بالقتال ؛ لأنه ذكر أن الآية نزلت بعد غزوة بني المصطلق ^(٧) والصحيح أنها نزلت قبل الأمر بالقتال ، والله

(١) كذا في الأصل ، وقد سقط لفظ (أن) .

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٠٠ أ ، والواحي في أسباب النزول ٣٩٩ ، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٥٨ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٨٣٧ .

(٥) أخرجه الطبري عن مجاهد ٣ / ١٤٤ .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٣ / ١٤٤ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢ / ٦٢٥ ، ومكي في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٥٥ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٥٩ ، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ ٥٥ ، وابن البارزي في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٤٩ ، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ١٩١ .

(٧) وقد رجَّح الدكتور سليمان اللاحم أن الآية محكمة في تحقيقه لكتاب النحاس الناسخ والمنسوخ ٢ / ٦٢٦ . قال ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٦٠ : «ويمكن أن يقال : إنها محكمة» ، وذكر رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكر المؤلف رواية عطاء في أسباب النزول ٣٩٩ ، وذكرهما أيضاً القرطبي في الجامع ١٦ / ١٦١ .

أعلم ، قال قتادة^(١) : «نسختها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] ، وقال أبو صالح^(٢) : «نسختها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ [الحج : ٣٩] الآية» .

قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد يجازي الذين أحسنوا الجنة ، والذين أساءوا بالعذاب»^(٣) ، وقال مقاتل : «لكن نجزي بالمغفرة قوماً يعملون الخير»^(٤) .

وقال آخرون : «معنى الآية : قل للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار ؛ ليجزي الله الكفار بما كسبوا من الإثم ليوفيهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك» ، قيل : لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن^(٥) ، ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم والمشركون وأعمالهم بقوله :

١٥ . ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ الآية .

١٦ . قوله تعالى : ﴿الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ، ﴿وَالْحُكْمَ﴾ يعني الفهم في الكتاب ، وقوله : ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعني المن والسلوى ، قاله الكلبي ومقاتل^(٦) .

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم تفسيره في سورة الدخان ، الآية : ٣٢ . قال ابن عباس : «لم يكن أحد من العالمين في زمان بني إسرائيل أكرم على الله ولا أحب إليه منهم»^(٧) .

-
- (١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٤٤ عن قتادة ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٦ .
 (٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٤٥ عن أبي صالح ، وذكره ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٦٠ .
 (٣) لم أقف عليه .
 (٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٣٧ .
 (٥) انظر : زاد المسير ٧/ ٣٥٩ .
 (٦) انظر : تنوير المقباس ٥٠٠ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٨٣٧ .
 (٧) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٤٣ عن ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ٩٧ إلى ابن عباس .

١٧. قوله تعالى : ﴿وَأَيِّنُّهُمْ يَنْتِ مِنَ الْأَمْرِ﴾ . قال ابن عباس : «يعني ما بين لهم من أمر النبي ﷺ ، وأنه مهاجر من تهامة إلى يثرب يكون أنصاره أهل يثرب»^(١) .

قوله تعالى : ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ مفسر في سورة : حم عسق ، [آية : ١٤] ، وغيرها من السور [آل عمران : ١٩] .

١٨. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ . قال الفراء : «يقال : دين وملة ومنهاج ، كل ذلك يقال»^(٢) .

وقال أبو عبيدة : «على طريقة وسنة»^(٣) .

وقال المبرّد : «على منهاج وقصد ، وبذلك سميت شريعة النهي»^(٤) ؛ لأنها يوصل منها إلى الانتفاع ، والشرائع في الدين المذاهب التي شرعها الله لخلقه ، وهذا الحرف مما قد تقدم تفسيره في [سورة الشورى ، الآية : ١٣ ، ٢١] .

قال ابن عباس : «يريد على دين ظاهر رضىته لك»^(٥) ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال يريد : «قريظة والنضير»^(٦) .

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٤٣/٧ من دون نسبة ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦٣/١٦ إلى ابن عباس .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٦/٣ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠/٢ .

(٤) ورد في أحكام القرآن لابن العربي ١٦٩٤/٤ ، ولم أقف عليه عند المبرّد .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٦٤/٥ ، ونسبه إلى ابن زيد ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦٣/١٦ إلى ابن عباس ، ولكن بلفظ : (على هدى من الأمر) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/١٦ .

وقال مقاتل : «الذين لا يعملون توحيد الله يعني كفار قريش»^(١) ، وقال الكلبي : «إن رؤساء قريش قالوا للنبي ﷺ وهو بمكة : ارجع إلى ملة آبائك فهم كانوا أفضل منك»^(٢) وأسن ، فأنزل الله هذه الآية .

١٩ . ثم ذكر أن اتباعهم لا ينفعه ، وأنهم لا يدفعون عنه ولا ينفعونه فقال : ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ؛ لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً . ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد المنافقين أولياء اليهود»^(٣) ، وقال الكلبي ومقاتل : «يعني مشركي مكة بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين الشرك»^(٤) ، وهم أمة محمد ﷺ ، وقال عطاء : «يريد المهاجرين والأنصار»^(٥) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني القرآن»^(٦) ، كأنه قال : هذا القرآن ، (هذا) إشارة إلى القرآن ، قاله الزجاج^(٧) ، وقال أبو عبيدة : «مجازها مجاز القرآن بصائر للناس»^(٨) ، وذكرنا تفسير هذه الآية في آخر سورة الأعراف ، الآية ٢٠٣ .

٢١ . قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ . قال الكلبي : «نزلت في علي وحزمة وعبيدة بن الحارث ، وفي ثلاثة رهط من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، قالوا للمؤمنين : والله ما أنتم على شيء ، وإن

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٨ / ٣ .

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره ٨٣٨ / ٣ ، والبعوي في تفسيره ٢٤٣ / ٧ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع ١٦٤ / ١٦ عن ابن عباس .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥٠٠ ، وتفسير مقاتل ٨٣٨ / ٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٣ / ١٤٧ ، ونسبه إلى ابن زيد ، وانظر : تفسير مقاتل ٨٣٨ / ٣ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣٢ / ٤ .

(٨) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١٠ .

كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا»^(١).

قال مقاتل : «قال كفار مكة للمؤمنين : إِنَّا نَعْطِي فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَ مَا تَعْطُونَ . فقال الله : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾ ، وهو استفهام إنكار ، ﴿أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ ؛ عملوا الشرك^(٢) ، واجترح معناه في اللغة : اكتسب^(٣) ، قال أبو عبيدة : «اجترحوا : اكتسبوا»^(٤) ، وأنشد للأعشى :

وهو الدافع عن ذي كُربَةٍ أيدي القوم إذا الجاني اجترَحَ^(٥).

وذكرنا الكلام في تفسير هذا الحرف عند قوله : ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ [المائدة : ٤] . قال ابن عباس : «افتعلوا السيئات ، يريد الشرك والنفاق»^(٦).

قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ نَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ . قرئ (سواء) رفعا ونصباً ، واختار أبو عبيد النصب^(٧) [موقع (نجعلهم) عليهم^(٨)] قال : «وهو عندنا وجه التأويل إن أحسنوا أن نجعلهم وهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء» .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥٠٠ ، وتفسير السمرقندي ٢٢٥/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٩/٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جرح) ١٤١/٤ ، واللسان (جرح) ٤٢٣/٢ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٠/٢ .

(٥) انظر : ديوان الأعشى ١٦١ ، والزاهر لابن الأنباري ٢٦٨/١ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : الحجة لأبي علي ١٧٥/٦ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٦٨/٢ ، والجامع لأحكام

القرآن ١٦/١٦٥ ، وقد أشار إلى اختيار أبي عبيد .

(٨) كذا رسمها في الأصل ، وذكر النحاس في إعراب القرآن ١٤٥/٤ اختيار أبي عبيد بلفظ : (بوقوع ﴿نَجْعَلُهُمْ﴾ عليها) .

وقال الفراء : «إذا نصبت (سواء) كانت بمنزلة قولك : رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم ، ومررت بقوم سواء صغارهم وكبارهم»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «مَنْ قرأ بالنصب جعله في موضع مستويًا»^(٢) ، وهو قول الأخفش^(٣) .

قال أبو علي : «مَنْ نصب (سواء) جعل المحيا والممات بدلاً من الضمير المنصوب في ﴿تَجَعَلَهُمْ﴾ فيصير التقدير : أن نجعل محياهم ومماتهم سواء ، على أنه مفعول ثانٍ لنجعل ، فيكون انتصاب (سواء) على القول حسناً ، قال : ويجوز أن نجعله حالاً ، ويكون المفعول الثاني قوله : ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، وإذا كان كذلك ، أمكن أن يكون (سواء) منتصباً على الحال ، وعلى هذه القراءة ، الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلتين المؤمنين والكافرين»^(٤) .

ومعنى الآية : ما ذكره مجاهد عن ابن عباس قال : «المؤمن مؤمن محياه مؤمن مماته ، والكافر كافر محياه كافر مماته»^(٥) . يعني أحسبوا أن حياتهم وموتهم كحياة المؤمنين وموتهم ؟ كلا ، فإنهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين ، والمؤمنون يعيشون مؤمنين ثم يموتون مؤمنين ، وقد مَيَّزَ الله بين الفريقين في مواضع من كتابه ، فجعل حزب الإيمان في الجنة وحزب الكفر في السعير ، هذا كله على القراءة بالنصب^(٦) ، وأما بالرفع فقال أبو إسحاق : «الاختيار عند سيبويه والخليل وجميع

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٤٧/٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣٣/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩٢/٢ .

(٤) ورد في الحجة لأبي علي ١٧٧/٦ بتصرف .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/١٤ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٦/١٦ .

(٦) قرأ الكسائي وحفص عن عاصم ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب ، وقرأ الباقر وأبو بكر عن عاصم (سواء) محياهم) بالرفع . انظر : الحجة ١٧٥/٦ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٦١ .

البصريين الرفع لأن (سواء) في مذهب المصدر ، تقول : ظننت زيدا سواء أبوه وأمه»^(١) ، قال أبو علي : «ليس الوجه في الآية نصب سواء» .

وأجراه على ما قبله على حد قولك : مررت برجل ضارب أبوه ؛ لأنه ليس باسم فاعل ولا ما شبه به من حسن وشديد ونحو ذلك ، إنما هو مصدر فلا ينبغي أن يجرى على ما قبله كما يجرى اسم الفاعل وما شبه به ، لتعريبه من المعاني التي أعمل لها فاعل ، وما شُبِّه به عَمَلُ الفعل^(٢) .

وقال المبرِّد : «وجه الكلام الرفع ؛ لأن (سواء) في معنى المصدر وليس باسم الفاعل ، فلا يكون اسماً لما قبله كما تقول : جعلت زيدا مستوياً أمره ، قال : ووجه جواز النصب فيه أن المصدر يدل على الفعل ، وإن لم يكن اسم الفاعل ، ومَنْ قال هذا : مررت برجل تمام درهمه»^(٣) .

وقال أبو علي : «ومَنْ قال مررت برجل خير منه أبوه ، وبسرج خزْ صَفْتُهُ ، وبرجل مائةِ إبلُهُ ، استجاز أيضاً أن يجرى (سواء) على ما قبله ، ووجه القراءة بالرفع أن الكلام قد تم عنده قوله ﴿ءَامَنُوا﴾ والضمير في ﴿يَجْعَلُهُمُ﴾ المفعول الأول ، والمفعول الثاني : ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، وارتفع سواء بأنه خبر ابتداء مقدم تقديره : محياهم ومماتهم سواء ، والضمير على هذه القراءة في المحيا والممات تعود على الكفار دون الذين آمنوا ، والمعنى : محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك ؛ أي أن محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبُعد من رحمة الله ، ويجوز أن يكون الضمير للقبيلتين»^(٤) .

(١) ورد في معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٣٣ ، والكتاب لسيبويه ٢/٣٤ ، ولم أقف على اختيار الخليل .

انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/١٤٦ .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ٦/١٧٥ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : الحجة لأبي علي ٦/١٧٧ .

والمعنى : ما رواه قيس^(١) بن سعد عن مجاهد قال : «يموت المؤمن على إيمانه ويبعث عليه ، ويموت الكافر على كفره ويبعث عليه»^(٢) ، وتأويل هذا أن محيا القبيلتين ومماتهم سواء ، الكفار يعيشون كافرين ويموتون كافرين ، والمؤمنون على الضد من ذلك ، كما قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : «المؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة ، والكافر كافر في الدنيا والآخرة»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . قال ابن عباس : «بئس ما حكموا»^(٤) ، وقال مقاتل : «بئس ما يقضون من الجور حين يرون أن لهم في الآخرة ما للمؤمنين»^(٥) ، ثم ذكر أنه خلق السماوات للحق ولجزاء كل نفس بما كسبت ، كي لا يظن الكافر أنه لا يُجزى بكفره ، وأنه يستوي مع المؤمن ، وهو قوله :

٢٢. ﴿وَحَلَقَ اللَّهُ﴾ .

٢٣. قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ . ذكر المفسرون في هذا قولين :
 روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال : «كان أحدهم يعبد الحجر ، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر» ، ونحو

(١) قيس بن سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة الأنصاري الخزرجي الساعدي ، يكتب بأبي الفضل ، وقيل : أبو عبدالله . وقيل : أبو عبد الملك ، وكان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم ، قال فيه ابن عيينة : «كان ضخماً حسنّاً طويلاً» ، توفي في خلافة عبد الملك ، وقيل : في آخر خلافة معاوية سنة ٨٥ هـ . انظر : أسد الغابة لابن الأثير ٤/ ٢١٥ ، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٥ ، والإصابة ٣/ ٢٤٩ (٧١٧٧) .

(٢) لم أقف على هذه الرواية ، وقد أخرج ابن جرير هذه الرواية في تفسيره ١٣/ ١٤٨ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ٦٠٠ ، والدر المنثور ٧/ ٤٢٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٤٨ ، وتفسير مجاهد ٦٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٦٦ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٨٣٩ .

هذا قال الكلبي^(١) عنه ، وقال مقاتل : «نزلت في الحارث^(٢) بن قيس ، وذلك أنه هوى الأوثان فعبدها»^(٣) . القول الثاني : قال قتادة : «هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركبته ، لا يخاف الله»^(٤) ، وهو قول الحسن ورواية عطاء عن ابن عباس قال : «إذا هوى شيئاً هو الله سُخْطُ اتبعه وترك ما لله فيه رضا»^(٥) .

قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد علم ما يكون قبل أن يخلقه»^(٦) ، وقال سعيد بن جبير ومقاتل : «على علمه فيه»^(٧) ، قال أبو إسحاق : «أي على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه»^(٨) .

قوله تعالى : ﴿وَوَخَّمْ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بالأمر الذي سبق في أم^(٩) الكتاب» ، وقال مقاتل : «طبع على سمعه فلم يسمع الهدى ، وعلى قلبه فلم يعقل الهدى»^(١٠) .

-
- (١) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ١٠ ب ، وتفسير الماوردي ٢٦٥ / ٥ ، وتفسير البغوي ٢٤٥ / ٧ ، وتفسير الوسيط ٩٩ / ٤ ، وتنوير المقباس ٥٠١ .
- (٢) الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي ، أحد المستهزئين الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ ، وهو ابن العبطلة وهي أمه ، كان يأخذ حجراً يعبده فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني ، وكان قد أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات . انظر : الكامل لابن الأثير ٤٨ / ٢ .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٣٩ / ٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦٧ / ١٦ .
- (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٥٠ عن قتادة ، وورد في تفسير البغوي ٢٤٥ / ٧ .
- (٥) انظر : تفسير الحسن البصري ٢ / ٢٨١ ، وتفسير البغوي ٢٤٥ / ٧ ، والوسيط ٩٩ / ٤ ، وتفسير الشوكاني ٨ / ٥ .
- (٦) ورد في تفسير الطبري ١٣ / ١٥١ ، وتفسير الماوردي ٢٦٥ / ٥ ، وتفسير البغوي ٢٤٥ / ٧ من دون نسبة .
- (٧) ورد في تفسير مقاتل ٨٤٠ / ٣ ، وذكره وتفسير الوسيط ٩٩ / ٤ عن سعيد بن جبير .
- (٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣٣ / ٤ .
- (٩) لم أقف عليه .
- (١٠) انظر : تفسير مقاتل ٨٤٠ / ٣ .

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ . قالوا : «يعني : ظلمة فلا يبصر الهدى»^(١) ، ونظير هذه الآية ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] الآية ، وليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة ؛ لأن الله - تعالى - صرح بمنعه إياهم عن الهدى حين أخبر أنه ختم على قلب هذا الكافر وسمعه^(٢) ثم أكد ذلك بقوله : ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل : «بعد إذ أضله الله ، والتقدير : بعد إضلال الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها المنكرون قدرة الله وتوحيده ، فتعرفون أنه قادر على ما يشاء»^(٣) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا﴾ يعني منكري البعث : ﴿مَا هِيَ﴾ ؛ ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعني ما هم فيه من الحيرة ، ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ . قال مقاتل : «نموت نحن . ويحيا آخرون يخرجون من أصلابنا ، فنحن كذلك أبداً»^(٤) ، وهذا قول المفسرين . والمعنى : نموت نحن وتحيا أولادنا ، فيموت قوم ويحيا قوم^(٥) ، قال الفرّاء : «وفعل أبنائهم الذين يحيئون بعدهم كفعلهم ، وهو في العربية كثير»^(٦) .

(١) انظر : تنوير المقباس ٥٠١ ، وتفسير مقاتل ٨٤٠ / ٣ .

(٢) قال ابن جرير في تفسيره ١٣ / ١٥٠ ، ١٥١ لقوله تعالى : ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ : «يقول تعالى ذكره : وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية» ، وقال في قوله : ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ : «يقول تعالى ذكره : فَمَنْ يوفقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشd بعد إضلال الله إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس ، فتعلموا أن مَنْ فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدي أبداً ، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً» .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٨٤٠ / ٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٨٤٠ / ٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٥١ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١٠٣ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٦٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٢٦٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٤٨ / ٣ .

وذكر أبو إسحاق وجهين آخرين ؛ أحدهما : أن المعنى : نحيا ونموت ،
والواو للاجتماع ، وليس فيها دليل على أن أحد الشئيين قبل الآخر . والثاني :
يقولون : ابتدأنا موات في أصل الخلقة ، ثم نحيا^(١) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ . قال الكلبي والمفسرون : « وما يهلكنا
إلا طول العمر واختلاف الليل والنهار »^(٢) ، قال قتادة : « إلا العمر »^(٣) ، قال
ابن عيينة : « كان أهل الجاهلية يقولون : الدهر هو الذي يهلكنا هو الذي يميتنا
ويحيينا »^(٤) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ ﴾ الذي قالوه ﴿ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ؛ أي لم يقولوا ذلك
من علم علموه ، بل قالوه ضلالاً شاكين ، وهو قوله : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . قال
مقاتل : « يعني : ما يستيقنون ، إنما يتكلمون بالظن »^(٥) .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ . قال مقاتل والكلبي : « يعني : المكذبين
الكافرين ، والمبطلون أصحاب الأباطيل »^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣٤ .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٣ / ٢٢٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٥ ، والوسيط ٤ / ١٠٠ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٥٢ عن قتادة . انظر : تفسير الماوردي ٥ / ٢٦٦ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٦ / ١٧٠ .

(٤) ورد في تفسير سفيان بن عيينة ٣١٩ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٠٣ ، ونسبه القرطبي في
تفسيره ١٦ / ١٧٠ إلى ابن عيينة ، وهذا معنى حديث متفق عليه ، ولفظه : « قال الله عز وجل : يؤذيني
ابن آدم ؛ يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار » . أخرجه البخاري في مواضع عدة ،
منها كتاب التفسير (سورة الجاثية) ، باب [١] : وما يهلكنا إلا الدهر ٦ / ٤١ ، وأخرجه مسلم في كتاب
الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب النهي عن سب الدهر ٢ / ١٧٦٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٨٤٠ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣ / ٨٤١ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٦ ، وزاد المسير ٧ / ٣٦٣ .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ . قال الليث : «الجئوا الجلوس على الركب^(١) كما يجئني بين يدي الحاكم» ، وقال أبو عبيدة : «جائية على الركب^(٢)» ، يراد : أنها غير مطمئنة» . قال أبو إسحاق : «معناه جائية جالسة على ركب ، يقال : جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتة ، ومثله جذا يجذو ، والجذو أشد استيفازاً ؛ لأنه على أطراف الأصابع»^(٣) ، قال ابن عباس : «يريد نجثوا على ركبنا ننتظر القضاء»^(٤) ، وقال مقاتل : «جائية على الركب عند الحساب»^(٥) ، وقال مجاهد : «مستوفزين على الركب^(٦) وينشد هاهنا :

أَخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَخَذُوا إِذَا مَا جَثَوْا لِلرُّكْبِ»^(٧) .

٢٩. قوله تعالى : ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ . المفسرون على أن الكتاب هاهنا اللوح المحفوظ^(٨) ، وقد ذكر أنه ديوان الحفظة^(٩) .

-
- (١) ورد في كتاب العين (جذو) ١٧١/٦ ، وتهذيب اللغة (جثا) ١١/١٧٢ من دون نسبة ، ومفردات الراغب (جثا) ٨٨ .
- (٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢١٠ .
- (٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٣٥ .
- (٤) ذكر الماوردي في تفسيره ٥/٢٦٧ أنه بمعنى : (مجتمعة) ، ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره أبو حيان في تفسيره ٨/٥٠ .
- (٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٤١ .
- (٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/١٥٤ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٧٤ .
- (٧) لم أقف عليه .
- (٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٤١ ، وزاد المسير ٧/٣٦٤ .
- (٩) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/١٠٥ ، وتفسير البغوي ٧/٢٤٧ ، والوسيط ٤/١٠٠ ، وتنوير المقباس ٧/٥٠١ ، وزاد المسير ٧/٣٦٤ .

قوله : ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ ؛ أي يشهد عليكم بالحق ، ويستعار النطق للكتاب على معنى التبيين ، يقال : نطق الكتاب بكذا ، ونطق به التنزيل ، على معنى بيّنه بياناً شافياً حتى كأنه ناطق^(١) ، وقال ابن قتيبة : «يراد أنهم يقرؤونه فيذكرهم ويدلهم ، فكأنه ينطق عليهم»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ . قال أبو عبيدة : «نُثِبْتُ» ، وهو قول الضحاك ، وقال ابن قتيبة : «نكتب»^(٣) . ومعنى نستنسخ : نأمر بالنسخ ، وفيه قولان من المعنى ؛ أحدهما : نأمر الملائكة بنسخ ما تعملون ؛ أي كتبه وإثباته عليكم ، والآخر : نأمر بانتساخ ما يعملون من أم الكتاب ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس^(٤) ، القول الأول رواه الكلبي واختاره الفراء . والاستنساخ أن الملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره ، فيثبت الله من عمله ما كان له ثواب أو عقاب ، ويطرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب ، كقولك : هلم واذهب ، فذلك الاستنساخ^(٥) .

القول الثاني : رواه مقسم عن ابن عباس : «أن الله وكل ملائكة مطهرين يستنسخون من أم الكتاب كل عام في رمضان ما يكون من بني آدم ، فيعارضون حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقاً لما في كتابهم الذي استنسخوه من ذلك الكتاب ، ليس فيه زيادة ولا

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٥ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٦ ، وتفسير البغوي ٢٤٧ / ٧ الذي ذكر قول الضحاك .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٥٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٤٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧٥ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٢٧١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٤٨ ، ٤٩ ، وتنوير المقياس ٥٠١ .

نقصان»^(١)، وقال مقاتل : «يستنسخ من اللوح المحفوظ يعني : نسخه أعمالكم قبل أن تعملوا»^(٢).

قال مقسم : «قال ابن عباس : أستم قوماً عرباً ، هل تكون النسخة إلا من كتاب»^(٣) ؟ وعلى هذا القول الاستنساخ أن يأمر الله الملائكة باتخاذ النسخة من أم الكتاب ، وعلى القول الأول تكتب النسخة عليهم من أعمالهم التي يعملونها ، واختار الزجاج القول الثاني ، وقال : «الاستنساخ لا يكون إلا من أصل ، وهو أن يستنسخ كتاباً من كتاب»^(٤) ، وروى ابن عمر عن النبي ﷺ في هذه الآية معنى القول الثاني مثل ما ذكرنا^(٥).

٣١. قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنذِرُ عَلَيْهِمْ﴾ . قال الزجاج : «جواب (أمّا) محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه ، المعنى : وأمّا الذين كفروا فيقال لهم : ألم تكن ، فدلّت الفاء في قوله : ﴿أَفَلَمْ﴾ على قولك : فيقال لهم»^(٦).

قوله : ﴿فَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ . قال مقاتل : «تكبرتم على الإيمان بالقرآن»^(٧).

﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ؛ منكرين كافرين ، قاله ابن عباس^(٨).

-
- (١) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٤٣١/٧ ، والقرطبي في الجامع ١٦/١٧٥ ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ٦/٢٧١ إلى ابن عباس .
- (٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٤١ .
- (٣) ورد في تفسير الطبري ١٣/١٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٧٥ ، والدر المنثور ٧/٤٣٠ منسوباً إلى ابن عباس .
- (٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٣٥ .
- (٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٧/٤٣٠ .
- (٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٣٥ .
- (٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/٨٤١ .
- (٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٦٥ عن ابن عباس .

٣٢. قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ . قال مقاتل : «يعني البعث كائن»^(١)
 ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني : القيامة لا شك فيها أنها كائنة ، وقُرى
 (والساعة) رفعاً ونصباً .

قال أبو إسحاق : «مَنْ نصب فعطف على الوعد ، وَمَنْ رفع فعلى معنى :
 وقيل الساعة لا ريب فيها»^(٢) .

قال أبو علي : «الرفع في (الساعة) من وجهين ؛ أحدهما : أن يقطعه من الأول
 فيعطف جملة على جملة ، والآخر : أن يكون المعطوف محمولاً على معنى (إن)
 وما عملت فيه وموضعها رفع^(٣) ، وَمَنْ نصب حملة على لفظ (إن) مثل : إن زيدا
 منطلق وعمراً قائم ، وموضع قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ رفع بأنه في موضع خبر (إن)
 وقد عاد الذكر إلى الاسم ، لأن قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ في معنى : حق ، وكأنه قال :
 والساعة حق»^(٤) .

وقال الأخفش^(٥) : «الرفع أجود في المعنى في كلام العرب ، أكثر إذا جاء بعد
 إن اسمٌ معطوف أو صفة أن يرفع ، قال : والنصب عربي ويقوي ما قال قوله :
 ﴿إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف : ١٢٨] فالعاقبة
 لم تقرأ إلا رفعاً»^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٨٤٢ / ٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣٥ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ١٧٩ / ٦ .

(٤) انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٦٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٦٢ .

(٥) لم يرد ذكره في معاني القرآن للأخفش ، ونقله المؤلف عن الحجة لأبي علي . ونص العبارة في الحجة
 ١٨١ / ٦ : «الرفع أجود في المعنى ، وفي كلام العرب ، وأكثر إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف أو صفة
 أن يرفع» .

(٦) انظر : الحجة لأبي علي ١٨١ / ٦ .

قوله تعالى : ﴿ قُلْتُ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ . قال الكلبي : «هم أهل مكة قالوا : ما ندري ما يقول ، ولكننا نظنه ظناً في غير يقين أنه كما قلت»^(١) ، وقال ابن قتيبة : «أي ما نعلم ذلك إلا حديثاً وظناً وما نستيقنه»^(٢) .

٣٣ . قوله تعالى : ﴿ وَبَدَأْتُمْ ﴾ يعني في الآخرة ﴿ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا ﴾ ، وهي الشرك والكفر .

٣٤ . قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ﴾ يعني الكفار : ﴿ الْيَوْمَ نَنْسَخُكُمْ ﴾ ؛ نترككم في النار ، قاله ابن عباس ومقاتل^(٣) ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ . قال الفرّاء : «كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا»^(٤) .

وقال الزّجاج : «كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم»^(٥) هذا ، وقد فسرنا هذا القول في سورة ﴿ آل عمران ﴾ ﴿ تَزِيلُ ﴾ [السجدة : ١٤] .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «لا يقبل الله منهم توبة ولا عذراً ، وروي عنه : لا يعاتبون بعد ذلك ، انقطعت المعاتبة»^(٦) .

قال الفرّاء : «لا يراجعون الكلام بعد دخولهم النار»^(٧) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٨ / ١٣ عن ابن عباس ، وانظر : تفسير مقاتل ٨٤٢ / ٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٤٩ / ٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٤٣٦ / ٤ .

(٦) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٢٤٨ / ٧ من دون نسبة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٦ / ٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٤٩ / ٣ .

وقال أبو إسحاق : « لا يُلتَمَسُ منهم عملٌ ولا طاعةٌ »^(١) .

وذكرنا معنى الاستعتاب في ما تقدّم [فصلت : ٢٤] .

* * *

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/٤٣٦ .

تفسير

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله تعالى: ﴿حَمَّ﴾. الآيات نظم ابتداء هذه السورة كنظم ابتداء سورة الجاثية وقد ذكرنا ما فيه .

٣. قوله: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. قال ابن عباس ومقاتل: «لم نخلقهما باطلاً عبثاً لغير شيء، ما خلقناهما إلا للثواب والعقاب»^(١)، وقد مرّ تفسير هذه الآية في مواضع [الحجر: ٨٥] .

قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. قال المفسرون: «يعني يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السماوات والأرض، وهذا إشارة إلى فنائها وانقضاء أمرها»^(٢)، ثم ذكر أن الكفار أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق السماوات والأرض، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾؛ خوفوا به في القرآن، معرضون؛ أي

(١) ورد في تفسير مقاتل ٤/ ١٥، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١٠٢ إلى ابن عباس .

(٢) انظر: تفسير الماوردي ٥/ ٢٧١، وتفسير البغوي ٧/ ٢٥١، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٧٨ .

لم يتعظوا بالقرآن^(١). ثم دعاهم إلى الدليل لهم على بطلان ما يعبدون من الأوثان بقوله :

٤. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ . وهي مفسرة في من سورة فاطر الآية ٤٠ إلى قوله :
﴿تَتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ ؛ أي اتتوني بكتاب من قبل القرآن فيه
برهان ما تدعون من عبادة الأصنام ﴿أَوْ أَتَمَرَوْا مِنْ عَمَلٍ﴾ . قال أبو
عبدة : «أي بقية ، ويقال : ناقة ذات أثارة ؛ أي بقية من شحم»^(٢) ،
ونحو هذا ذكر الفراء^(٣) ، والزجاج^(٤) في معنى الأثارة أنها البقية .

قال ابن قتيبة : «أي بقية علم عن الأولين»^(٥) ، وزاد الفراء فقال : «ويقال
أو شيء مأثور من كتب الأولين» ، قال : ﴿أَتَمَرَوْا﴾ على المصدر مثل : السباحة
والشجاعة^(٦) ، وزاد الزجاج فقال : ﴿أَتَمَرَوْا﴾ معناها علامة من علم^(٧) .

وقال المبرّد : «أثارة ما يؤثر من علم ، كقولك : هذا حديث يؤثر عن
فلان ، ومن ثمّ سميت الأخبار الآثار ، يقال : في الأثر كذا وكذا ، قال : وقالوا في
الأثارة : الشيء الحسن البهي في العين ، يقال للناقة : ذات أثارة ، إذا كانت ممتلئة
تروق العين ، يقال : أثرة وأثارة على فعلة وفعالة ، فهذا ما ذكره علماء اللغة في
تفسير هذا الحرف»^(٨) ، وهو ينقسم إلى أقوال ثلاثة :

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢ / ١ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٥١ .
(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبدة ٢ / ٢١٢ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٥٠ .
(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣٨ .
(٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٧ .
(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٥٠ .
(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٣٨ .
(٨) انظر : تهذيب اللغة (أثر) ١٥ / ١١٩ ، والصحاح (أثر) ٢ / ٥٧٤ ، واللسان (أثر) ٤ / ٥ .

الأول : البقية ، واشتقاقه من : أَثَرْتُ الشيءُ أُثِرَهُ إِثَارَةً ، كأنها بقية تستخرج فتثار ، وهو قول الحسن^(١) .

الثاني : من الأثر الذي هو الرواية^(٢) ، ومنه قول الأعشى :

إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالْأَثَرِ^(٣)

الثالث : من الأثر بمعنى العلامة^(٤) ، وعلى [هذا المعاني]^(٥) يدور كلام المفسرين ، روى عطاء عن ابن عباس ، قال : «يريد أو شيء ترويه عن نبي كان قبل محمد ﷺ» .

وقال مقاتل : «أو رواية من علم عن الأنبياء أن الله شريكاً»^(٦) ، وقال : «هذا قول مجاهد وعكرمة والقرظي»^(٧) ، وعلى هذا ، الأثارة مصدر يقال : أثر يَأْثُرُ أثراً وأثارةً بمعنى روى ، وقال في رواية الكلبي : «بقية من علم»^(٨) ، وعلى هذا ، معنى قول قتادة : «خاصة من العلم ؛ لأن الخاصة من العلم بقية منه بقيت عند خواص العلماء»^(٩) ، ويحتمل قول قتادة وجهاً آخر ، وهو أن تكون الأثارة من

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/٢/١٣ عن الحسن ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢/٢٨١ ، وزاد المسير ٧/٣٦٩ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/٢/١٣ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٢ ، وتفسير الماوردي ٥/٢٧١ .

(٣) انظر : ديوانه ٩٢ ، واللسان (أثر) ٦/٤ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١٠٦ ب ، والدر المصون ٦/١٣٥ .

(٤) هذا قول الزجاج ، وانظر : معاني القرآن ٤/٤٣٨ ، وزاد المسير ٧/٣٦٩ .

(٥) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب : (هذه المعاني) .

(٦) ذكره مقاتل في تفسيره ٤/١٥ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/١٠٣ إلى عطاء .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/٢/١٣ عن مجاهد بلفظ : (أحد يَأْثُرُ علماً) ، وذكر الماوردي في تفسيره ٥/٢٧١ عن عكرمة : (ميراث من علم) ، وذكر الثعلبي في تفسيره ١٠/١٠٦ ب قول القرظي بلفظ : (الإسناد) ، وذكره أيضاً القرطبي ١٦/١٨٢ .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٥٠٢ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ١٣/٣/٢ ، وتفسير الماوردي ٥/٢٧١ ، وتفسير القرطبي ١٦/١٨٢ .

إيثار والاستيثار يقال : أثرت فلاناً بكذا ، إذا خصصته به واستأثر فلان بكذا ، إذا اختص به دون غيره^(١) ، ومنه قول الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبـ الحمْدِ وولَّى الملامَّة الرَّجُلَا^(٢)

ويقال لفلان : أثرة بكذا أو أثارة ، أي اختصاص ، ويؤكد ما قلناه قراءة السلمي والحسن (أو أثرة من علم)^(٣) ، والمعنى على هذا : ائتوني بعلم تفردون به دوننا ، فإننا لا نعلم أن الله شريكاً ، وهذا وجه حسن ، وروى أبو سلمة^(٤) عن ابن عباس والشعبي أيضاً عنه في قوله : ﴿وَأَثَرَقَوْا مِنِّ عَلِيٍّ﴾ قال : «هو علم الخط»^(٥) ، وهو خط كان تخطه العرب في الأرض .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «قد كان نبي من الأنبياء يخط فمّن وافق خطه ، عَلِمَ عِلْمَهُ»^(٦) . والمعنى على هذا : ائتوني بعلم من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض ، وكأنه قيل لهم ذلك ؛ لأنهم كانوا يعدونه علماً لهم وبياناً في الأمور

(١) انظر : تهذيب اللغة (أثر) ١٥ / ١٢٢ ، واللسان (أثر) ٤ / ٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٤٤٠ .

(٢) انظر : شرح المعلقات العشر ١٣٧ ، واللسان (أثر) ٤ / ٨ .

(٣) ذكر هذه القراءة الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٠٦ ب ، والماوردي في تفسيره ٥ / ٢٧١ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ١٨٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٥٥ ، وهي بفتح الهمزة والياء .

(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ٢ / ٤٥٤ عن أبي سلمة عن ابن عباس ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي . انظر : المستدرك التفسير ٢ / ٤٥٤ . كما أخرج رواية الشعبي عن ابن عباس ، وقال : «هذه زيادة عن ابن عباس في قوله ، عَزَّ وَجَلَّ غريبة في هذا الحديث ، وسكت عنه الذهبي» .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي في حديث طويل ، وفيه قال : «قلت : ومنا رجال يخطون قال : كان نبي من الأنبياء يخط فمّن وافق خطه فذاك» . انظر : صحيح مسلم في كتاب المساجد ، باب [٧] : تحريم الكلام في الصلاة . . . ١ / ٣٨١ ، وكتاب السلام ، باب [٣٥] : تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٢ / ١٧٤٩ ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٤٤٧ ، والنسائي في السنن في كتاب السهو ، باب [٢٠] : الكلام في الصلاة ٣ / ١٤ ، وأبو داود في السنن في كتاب الطب ، باب [٢٣] : في الخط وزجر الطير ٤ / ٢٢٩ .

فقليل لهم : اتئسوني بعلم من هذه الجهة على ما تدعونه حقاً إن كنتم صادقين أن الله شريكاً . واشتقاق هذا القول من الأثر بمعنى العلامة ، والخط أثر .

٥ . ثم ذكر ضلالة هؤلاء . فقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ ﴾ . قال ابن عباس : « لا يثيبه ولا يرزقه إلى يوم القيامة »^(١) . قال مقاتل : « أبداً ، يعني : لا يستجيب له أبداً ما دامت الدنيا ، فإذا قامت القيامة كانت الآلهة أعداء لمن عبدها في الدنيا »^(٢) ، وهو قوله :

٦ . ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ، وهذا كقوله : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مریم : ٨٢] ، وقد مرَّ . قال ابن عباس : « يريد الملائكة وعيسى وعزيراً وكل ما عبد من دون الله أعداء لمن عبدهم »^(٣) ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ؛ لأنهم يقولون : ما دعوناهم إلى عبادتنا وتبرؤوا من عبادتهم كما قال : ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص : ٦٣] .

٨ . قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ . وذلك أن كفار مكة قالوا : ما هذا القرآن إلا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك ، فقال الله : ﴿ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ .

قال مقاتل : « لا تقدرُوا على أن تردوا عني عذابه »^(٤) ، وهذا كقوله : ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ [الفتح : ١١] ومثله في التنزيل كثير .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٦ / ٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٦ / ٤ .

وقال ابن عباس : « لا تمنعوني من الله ^(١) والمعنى : أنكم لا تقدر أن تدفعوا عني عقاب الله ، فكيف أفترى على الله لأجلكم ، وأنا أعلم هذا ، وفيه تبعيد لقولهم : افتريته . » ﴿ هُوَ ﴾ ؛ أي الله ﴿ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ ؛ أي بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به ، والقول فيه أنه سحر وكهانة ، قاله المفسرون ^(٢) ، وكل خوض في الحديث إفاضة كقوله ^(٣) : ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] ، وقد مرَّ .

﴿ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ . قال مقاتل : « يعني فلا شاهد أفضل من الله بيني وبينكم أن القرآن جاء من الله ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ في تأخير العذاب عنكم حين لا يعجل عليكم بالعقوبة » ^(٤) .

وقال ابن عباس : « يريد لأوليائه وأهل طاعته » ^(٥) .

وقال أبو إسحاق : « معنى الغفور الرحيم هاهنا دعاهم إلى التوبة ، معناه : أن مَنْ أتى من الكبائر العظام بمثل ما أتيتم به من الافتراء على الله ^(٦) ، وعليَّ ، ثم تاب فالله غفور رحيم له » .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢ / ٥ ، وزاد المسير ٧ / ٣٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٨٤ ، والوسيط ٤ / ١٠٤ .

(٣) انظر : اللسان (خوض) ٧ / ١٤٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ١٦ ، ١٧ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) نص العبارة عند الزجاج ٤ / ٤٣٩ : (من افتراء على الله جلَّ وعلا ، ثم تاب فإن الله غفور رحيم) .

٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾. قال أبو عبيدة: «أي ما كنت أولهم»^(١)، ونحو هذا قال الفراء^(٢)، والزجاج^(٣) وقال المبرّد: «البدع والبديع من كل شيء المبتدأ، والبدعة ما اخترع مما لم تجربه سُنّة، ورجل بدع من قوم أبداع»^(٤). قال عدي بن زيد:

فَلَا أَنَا بَدْعٌ مِّنْ حَوَادِثٍ تَعْتَرِي رَجَالًا عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وَأَسْعَدِ^(٥)

وقال الكسائي: «رجل بدع وامرأة بدعة، وامرأتان بدعتان، ونساء بدع، بكسر الباء وفتح الدال، وأبداع»^(٦).

قال المفسرون: «ما أنا بأول رسول بعث، قد أرسل قبلي رسل كثيرون»^(٧).
قال مقاتل: «وهذا جواب لقولهم: أما وجد الله نبياً غيرك؟»^(٨).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ روي عن ابن عباس في هذا قولان؛ قال في رواية عطاء: «لما نزلت هذه الآية فرح المشركون واليهود والمنافقون فقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢١٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/٥٠.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٤٣٩.

(٤) انظر: الصحاح (بدع) ٣/١١٨٣، واللسان (بدع) ٨/٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/١٦٠.

(٥) استشهد بهذا البيت الطبري ١٣/٦٢، وابن عطية ١٥/١٣، والقرطبي ١٦/١٨٥، وأبو حيان ٨/٥٦. انظر: شعراء النصرانية ٤٦٥، والمفضليات ٨٢٩.

(٦) انظر: قول الكسائي في اللسان (بدع) ٨/٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري ١٣/٦٢، وتفسير الماوردي ٥/٢٧٢، وتفسير البغوي ٧/٢٥٢، وتعليق التعليل ٤/٣١١.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٤/١٧.

لَكَ فَتَحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴿[الفتح: ١-٢]﴾ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ ^(١) ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] فَبَيَّنَ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ بِهِ وَبِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ، وَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ ، وَرَحِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : «نَسَخْتُهَا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾» ، وَهَذَا قَوْلُ أَنَسٍ وَعُكْرَمَةَ ^(٢) .

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ : «لَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَهَاجِرُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ نَخْلٍ وَشَجَرٍ وَمَاءٍ ، فَقَصَّهَا عَلَى أَصْحَابِهِ فَاسْتَبْشَرُوا بِذَلِكَ ، وَرَأَوْا فِيهَا فَرْجًا مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَكَثُوا بِرَهْةٍ لَا يَرُونَ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْنَا الَّذِي قُلْتَ ، وَمَتَى نَهَاجِرُ ^(٣) إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي رَأَيْتَ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ يَعْنِي : لَا أَدْرِي أَخْرَجَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أُرِيتُهُ فِي مَنَامِي أَمْ لَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أُرِيتُهُ فِي مَنَامِي ، مَا أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، يَقُولُ : لَمْ يُوحَ إِلَيَّ مَا أَخْبَرْتُكُمْ ، وَعَلَى هَذَا ، لَا نَسْخَ فِي الْآيَةِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ الْفَرَّاءِ ^(٤) وَالزَّجَّاجِ ^(٥) .

وَرَوَى أَبُو بَكْرِ الْهَذَلِيُّ عَنِ الْحَسَنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ : «أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ لَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِهِ ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَكِنَّهُ يُخَاطَبُ بِهَذَا الْمُشْرِكِينَ ، يَقُولُ : لَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي فِي الدُّنْيَا ، أَمْوَتُ أَمْ أَقْتُلُ كَمَا قَتَلْتَ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلِي ^(٦) ،

(١) ذكر الطبري في تفسيره ١٣/٢/٧ رواية أخصر عن ابن عباس بهذا المعنى .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/٢/٧ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٣٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٨٥ .

(٣) انظر : تفسير أبي الليث السمرقندي ٣/٢٣٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/٥٠ ، ٥١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٣٩ . قال مكي في الإيضاح ٣٥٦ : «فَأَمَّا مَنْ قَالَ مَعْنَاهُ : وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ فِيهَا ، فَالْآيَةُ عَنْدهُ مُحْكَمَةٌ» .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٢/٧ عن الحسن ورجَّحه ، وأخرجه أيضاً النحاس في الناسخ =

﴿وَلَا يَكْمُرُ﴾ أيها المكذبون ، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أيش يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة ؟ » .

قوله تعالى : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ . قال ابن عباس : « يريد ما أبلغكم إلا ما بعثني الله به إليكم »^(١) ، وقال مقاتل : « ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن ، إذا أمرت بأمر فعلته ، ولا أبتدع ما لم أؤمر به »^(٢) .

﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ . قال ابن عباس : « أنذركم عذاب الله ، وأبين لكم ما يبعدكم من الله ويقربكم إلى الله »^(٣) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ . قال صاحب النظم : « يقال : إن قوله : ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ نظم وضع للسؤال والاستفتاء وقيل للتنبيه ، فلذلك لا يقتضي مفعولاً كما قال : ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق : ١٣] ، وقد تقدّم الكلام في هذا .

وقال أبو علي : « الاستفهام الذي يقع موقع المفعول الثاني محذوف الكلام بالمفعول الأول ، وكان التقدير : أأؤمنون عقوبة الله ؟ أو ألا تخشون انتقامه ؟ »^(٤) ، ومثله من غير حذف المفعول الثاني قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مَنَ أَضَلُّ﴾ الآية [فصلت : ٥٢] ، وقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهٍ﴾ [القصص : ٧١] فالاستفهام في الآيتين هو المفعول الثاني لـ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ ؛ لأنه بمعنى أخبروني ، هذا هو الكلام ، وليس ما ذكره صاحب

والمنسوخ ٢/ ٦٢٨ عن الحسن ورجّحه ، وكذا ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٦٤ ، ورجّحه ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٧٧ .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ١٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : المسائل الحليّات لأبي علي ٧٧ .

النظم بشيء . قوله : ﴿إِنْ كَانَ﴾ يعني القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد عبدالله بن سلام» ، ونحو هذا روى الكلبي عنه أنه الشاهد من بني إسرائيل عبدالله بن سلام ، وهو قول مجاهد وقتادة ومقاتل والضحاك وابن زيد والحسن^(١) ، وبه قال من الصحابة عوف بن مالك الأشجعي وسعد بن أبي وقاص .

ويؤكد ذلك ما روي في حديث مقتل عثمان أن عبدالله أتاه لينصره فخرج إلى الناس وقال : «إنه قد نزل في آيات من كتاب الله نزلت في» ، وشهد من بني إسرائيل على مثله^(٢) ، وذكر كلاماً طويلاً .

قوله : ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد على ما جئكم به»^(٣) ، قال صاحب النظم : «ليس لمثل هاهنا معنى مقصود إليه ، هو فصل وصلة»^(٤) كقوله : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧] وتأويله : وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه ، أي على أنه من عند الله ، وقال أبو إسحاق : «الأجود أن يكون ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ على مثل شهادة النبي ﷺ»^(٥) .

قوله : ﴿فَتَأْمَنَ﴾ يعني الشاهد ، وهو ابن سلام ، ﴿وَأَسْتَكَرْتُمْ﴾ عن الإيمان فلم تؤمنوا ، واختلفوا في تقدير جواب قوله : ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ، فقال

(١) انظر : أقوال هؤلاء في تفسير الطبري ١٣ / ٢ / ١٠ ، ١١ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٧٣ ، وتفسير مقاتل ٤ / ١٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٨٨ ، وتنوير المقياس ٥٠٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير : باب [٤٧] : ومن سورة الأحقاف ٥ / ٣٨١ ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث حسن غريب» .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٨٩ ، والوسيط ٤ / ١٠٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٠ .

صاحب النظم : «جوابه محذوف على تقدير : أليس قد ظلمتم^(١) ؟ فكان قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ دليلاً على هذا الجواب» .

وقال الزَّجَّاج : «تقديره : فأمن واستكبرتم أتؤمنون ؟»^(٢) ، وقال غيره : «فأمن واستكبرتم أفما تهلكون ؟»^(٣) ، وقال الحسن : «جوابه : مَنْ أضل منكم»^(٤) ، ووجه تأويل الآية : أخبروني ماذا تقولون إن كان القرآن حقاً من عند الله ، وشهد على ذلك عالم بني إسرائيل وآمن به وكفرتم واستكبرتم أستم تستحقون العقاب ؟ وأنكر قوم منهم الشعبي ومسروق أن يكون الشاهد عبدالله بن سلام ، وقالوا : إن إسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله ﷺ بعامين ، وآل ﴿حَمَّ﴾ نزل بمكة^(٥) ، ثم لم يأتِ للآية بوجه من التأويل صحيح غير الإنكار ، على أن ابن سيرين قد قال في هذه الآية : «كانت تنزل الآية فيؤمر أن توضع في سورة كذا ، يعني : أن هذه الآية يجوز أن تكون نازلة بالمدينة وأمر أن توضع في سورة مكية»^(٦) .

(١) انظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/ ١١٥٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣٧٤ ، وتفسير الوسيط ١٠٥/ ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٤٠ .

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٧٤ منسوباً إلى مذكور ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٧ .

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٧٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٧ ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ١٠٥ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ٩ عن الشعبي ومسروق ، وذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٧٣ ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٥ . وهذا هو الوجه الذي رجَّحه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ١٢ ، قال : «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل لأن قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ في سياق توبيخ الله - تعالى ذكره - مشركي قريش ، واحتجاجاً عليهم لنبية ﷺ ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتوجه هذه الآية أنها نزلت فيهم . . . » .

(٦) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٤٤ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٨/ ١٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨٨ .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد قريظة والنضير»^(١) ، وقال مقاتل : «يعني اليهود»^(٢) ، قال أبو إسحاق : «أعلم الله - عز وجل - أن هؤلاء المعاندين خاصة لا يؤمنون بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ؛ أي قد جعل جزاءهم على كفرهم بعد ما تبين لهم الهدى ، مدَّهم في الضلالة»^(٣) .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يعني من كفر من اليهود للذين آمنوا ، يعني ابن سلام وأصحابه» ، وهذا قول السُّدي .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٩ / ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٠ .

وقال في رواية الكلبي^(١) : «الذين كفروا أسد^(٢) وغطفان^(٣) لما أسلم جهينة^(٤) ومزينة^(٥) قالوا : لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم ؛ يعنون جهينة ومزينة وأسلم وغِفَاراً»^(٦) .

وقال مقاتل : «الذين كفروا قريش ، والذين آمنوا أصحاب محمد ﷺ»^(٧) .

وقال الحسن : «كانت غفار وأسلم أهل سلة في الجاهلية ، أي سرقة ، فلما أسلموا قالت قريش : لو كان خيراً ما سبقونا إليه»^(٨) .

وذكر صاحب النظم في اللام في قوله : ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجهين : أحدهما أن تكون اللام بمنزلة الإيلاء إليهم ، كأنه يقول : وقال الذين كفروا : لو كان هذا الذي جاء به محمد خيراً لما سبقنا هؤلاء إليه ، فقام قوله : ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ مقام هؤلاء بالتفسير لهم مَنْ هم ، والوجه الآخر : أن يكون المعنى : وقال الذين كفروا

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٩/١٠ ب ، والبغوي في تفسيره ٢٥٦/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٥/٧ ، والقرطبي في الجامع ١٩٠/١٦ .

(٢) بنو أسد بن خزيمه قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهي ذات بطون كثيرة ، منازلهم كانت بلادهم في ما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طي . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٤٧ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢١/١ .

(٣) بنو غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ، بطن عظيم متسع كثير الشعوب والأفخاذ ، وقد حاربهم رسول الله ﷺ في غزوة الخندق (الأحزاب) . انظر : جهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٨ ، ومعجم قبائل العرب ٨٨٨/٣ .

(٤) بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم ، حي عظيم من قضاة من القحطانية ، كانت مساكنهم ما بين ينبع ويثرب ، قاتلوا مع خالد بن الوليد في فتح مكة ، وقاتلوا في غزوة حنين . انظر : جهرة أنساب العرب ٤٤٤ ، ومعجم قبائل العرب ٢١٦/١ .

(٥) بنو عمرو بن أد عثمان وأوس ، وأمهها مزينة بنت كلب بن وبرة ، فنسب ولدها إليها ، كانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى . انظر : جهرة أنساب العرب ٢٠١ ، ومعجم قبائل العرب ١٠٨٣/٣ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٩/١٠ ب ، والماوردي في تفسيره ٢٧٤/٥ ، وانظر : تنوير المقباس ٥٠٣ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٩/٤ .

(٨) لم أقف عليه .

لللذين آمنوا على المخاطبة كما تقول : قال زيد لعمرو ، ثم ترك المخاطبة^(١) ولون الكلام كقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [يونس: ٢٢] قوله : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ ؛ أي ولما لم يصيبوا الهداية بالقرآن فسينسبونه إلى الكذب ، وهو قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ ؛ أي أساطير الأولين . ويدل على أن المراد بقوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ اليهود قوله : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ يعني قبل : القرآن ﴿ كَتَبَ مُوسَىٰ ﴾ يريد التوراة ﴿ إِمَامًا ﴾ يقتدى به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ من الله - عز وجل - للناظر فيه بما يجد من نور الهدى . وفي الكلام محذوف به يتم المعنى على تقدير : فلم يهتدوا به ، ودل على هذا المحذوف قوله في الآية الأولى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾^(٢) ، وذلك أن في التوراة بيان بعث النبي ﷺ والإيمان به فتركوا ذلك ، وهذا معنى قول مقاتل ؛ لأنه قال : « ومن قبل هذا القرآن قد كذبوا بالتوراة لقولهم^(٣) : ﴿ إِنَّا نَكْفُرُ ﴾ [القصص: ٤٨] » .

قال أبو إسحاق : ﴿ إِمَامًا ﴾ منصوب على الحال ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ عطف عليه^(٤) ، وتقدير الكلام : وتقدمه كتاب موسى إماماً ؛ لأن معنى ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ تقدمه وتم الكلام^(٥) ، ثم قال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ ﴾ . قال المفسرون : « للكتب التي قبله^(٦) » .

(١) ذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٣٧/٦ : « أن اللام يجوز أن تكون لام العلة أي لأجلهم ، وأن تكون للتبليغ » .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره : ٢٥٦/ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٦/٧ ، والقرطبي في الجامع ١٩١/١٦ ، والمؤلف في الوسيط ١٠٥/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٩/٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٤ .

(٥) انظر : القطع والانتاف للنحاس ٦٦١ ، والمكتفى للداني ٥٢١ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٢٥٦/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩١/١٦ .

قال أبو إسحاق : «مصدق لما بين يديه ، كما قال : ﴿كَتَبْنَا نُزْلًا مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف : ٣٠] وحذف هاهنا التقدم»^(١) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى﴾ . والمعنى : وهذا كتاب مصدق له ؛ أي لكتاب موسى ، فحذف للعلم به . و﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال ، المعنى : مصدق لما بين يديه عربياً ، وذكر ﴿لِسَانًا﴾ تأكيد كما تقول : جاءني زيد رجلاً صالحاً ، فتذكر رجلاً تأكيداً ، قال : وفيه وجه آخر وهو : وهذا كتاب مصدق النبي ﷺ فيكون التقدير مصدقاً ذا لسان عربي^(٢) ، وذكر الأخفش هذين القولين أيضاً^(٣) .

قوله : ﴿يُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ . قال ابن عباس : «أشركوا»^(٤) ، وقال مقاتل : «يعني مشركي مكة»^(٥) .

وفي قوله ﴿يُنذِرَ﴾ قراءتان^(٦) : التاء : لكثرة ما ورد من هذا المعنى بالمخاطبة كقوله : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَهَا﴾ [النازعات : ٤٥] و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد : ٧] ﴿يُنذِرُ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ٢] والياء لتقدم ذكر الكتاب ، فأسند الإنذار إلى الكتاب كما أسند إلى الرسول ﷺ في قوله : ﴿عَلَى عَبْدِهِ أَلْكَتَبُ﴾ ، ﴿فَيَمَّا يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف : ١-٢] .

(١) الذي في معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤١ : «وحذف له هاهنا أعني من قوله : ﴿وَهَذَا كَتَبْتُ مُصَدِّقًا﴾ لأن قبله ومن قبله كتاب موسى ، فالمعنى وهذا كتاب مصدق له ، أي مصدق التوراة» .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٩٣ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٥٠٣ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ١٩ .

(٦) قرأ نافع وابن عامر والبزي بالتاء ، وقرأ الباقر بالبياء . انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٧١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٦٢ .

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ . قال إسحاق: «الأجود أن يكون ﴿وَبَشِّرِ﴾ في موضع رفع، المعنى: وهو بشرى للمحسنين. قال: ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: لتنذر الذين ظلموا وتبشر المحسنين بشرى»^(١)، وزاد الفراء هذا الوجه بياناً فقال: «النصب على (لتنذر الذين ظلموا) وتبشر، فإذا وضعت في موضعه بشرى أو بشارة، نصبت، ومثله في الكلام: أعوذ بالله منك. وسقياً لفلان، كأنه قال: وسقى الله فلاناً، وجئت لأكرمك وزيارة لك وقضاء لحقك، معناه لأزورك وأقضي حقك، فتنصب الزيارة والقضاء بفعل مضمر»^(٢).

قوله تعالى: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ . قال عطاء والكلبي^(٣) ومقاتل^(٤): «وبشرى بالجنة للموحدين المؤمنين».

١٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ . روى الأسود بن هلال^(٥) عن أبي بكر الصديق، في هذه الآية، قال: «استقاموا على ما افترض عليهم»^(٦)، وقال مقاتل: «استقاموا على المعرفة فلم يردوا عنها»^(٧). وهذه الآية مفسرة في سورة حم السجدة، الآية ٣٠.

١٥. قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ قد تقدّم الكلام في نظير هذه الآية في سورة العنكبوت، الآية ٣٠، ولقمان، الآية ١٤.

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٤٤١.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/٥٢، والكشف والبيان للثعلبي ١٠/١١٠ أ.

(٣) انظر: تنوير المقباس ٥٠٣.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٤/١٩.

(٥) الأسود بن هلال المحاربي كوفي قُتل في الجاهلية سنة نيف وثمانين للهجرة، وقيل: أدرك الجاهلية، وحديثه عن الصحابة في الصحيحين وغيرهما عن معاذ بن جبل. انظر: أسد الغابة ١/٨٨، والإصابة ١/١٠٥.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/٢/١٥، وذكره القرطبي في الجامع ١٥/٣٥٨.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٤/١٩، ٢٠.

قوله : ﴿حُسْنًا﴾ . قال مقاتل : «براً»^(١) وقرئ (إحساناً) . والإحسان خلاف الإساءة ، والحسن خلاف القبح ، فمن قال : (إحساناً) فحجته قوله في سورة بني إسرائيل : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] لم يختلفوا فيه ، وانتصابه على المصدر ، وذلك أن معنى قوله : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ : أمرناه بالإحسان ؛ أي ليات الإحسان إليهما دون الإساءة ، ولا يجوز أن يكون انتصابه بوصينا ؛ لأن وصينا قد استوفى مفعوليه أحدهما : الإنسان ، والآخر : المتعلق بالباء ، ومن قال ﴿حُسْنًا﴾ كان المعنى ليات في أمرهما أمراً إذا حسن ؛ أي ليات الحسن في شأنهما دون القبح ، وحجته قوله : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] لم يختلف فيه ، فأما الباء في قوله : ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ فإنها تتعلق بوصينا بدلالة قوله : ﴿ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] ويجوز أن تتعلق بالإحسان ، يدل على ذلك قوله : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] وعلى هذا تعلقها بمضمر يفسره الإحسان ؛ لأنه يجوز تقدمها على الموصول ، ولكن يضمر ما يتعلق به ، ويجعل الإحسان مفسراً لذلك المضمر ، كأنه قيل : ووصينا الإنسان أن يحسن بوالديه ، ومثل هذا قول الراجز :

كَانَ جَزَائِي بِالْعَصَا أَنْ أُجْلَدَا^(٢)

في قول من علق الباء بالجلد ، ولم يعلقه بالجزاء^(٣) قوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا﴾ وقرئ (كَرْهًا)^(٤) ، والكَرْه المصدر من كَرِهْتُ الشيء أَكْرَهُهُ ، والكَرْه الاسم ، كأنه الشيء المكروه ، قال الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فهذا^(٥) وقال : ﴿أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩] فهذا في موضع حال ، ولم تقرأ

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الرجز للعجاج . انظر : المحتسب ٢/ ٣١٠ ، وشرح الأبيات المشككة الإعراب لأبي علي ١١٩ ، والحجة ٦/ ١٨٢ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ٦/ ١٨٢ .

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . انظر : الحجة ٦/ ١٨٤ .

(٥) فيه زيادة لفظ : (بالضم) . انظر : الحجة ٦/ ١٨٤ .

بغير الفتح ، فما كان مصدراً أو في موضع الحال فالفتح فيه أحسن ، وما كان اسماً نحو : ذهب به على كُرهِ ، كان الضم فيه أحسن ، وقد قيل : إنها لغتان ، فمن ذهب إلى ذلك جعلهما مثل الشُّرب والشُّرب ، والضَّعْف والضَّعْف ، والفَقْر والفَقْر ، ومن غير المصادر الدَّف والدَّف ، والشَّهْد والشَّهْد^(١) .

قال المفسرون : «حملته أمه في مشقة ووضعته في مشقة»^(٢) ، وليس يريد ابتداء الحمل ؛ لأن ذلك لا يكون مشقة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً ﴾ [الأعراف : ١٨٩] يريد ابتداء الحمل ، فإنها تحمل علقه ومضغة ، فإذا ثقلت حينئذ حملته كرهاً ، يدل على ما ذكرنا قول ابن عباس في هذه الآية : «يريد ثقل عليها يعني الولد في حملها إياه ، ووضعته كرهاً ، يريد شدة الطلق»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ يريد أن مدة حملة إلى أن فصل من الرضاع كانت هذا القدر ، والمعنى أنها يقعان في ثلاثين شهراً من ابتداء الحمل إلى أن يفصل . روى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس قال : «حملته ستة أشهر والفصال حولين» ، وروى عكرمة عنه قال : «إذا حملت تسعة أشهر أرضعته إحدى وعشرين شهراً ، وإذا حملته ستة أشهر أرضعته أربعة وعشرين شهراً»^(٤) .

وهذه الآية نازلة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٥) ، روى ذلك الكلبي وعطاء عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل^(٦) واختيار صاحب النظم قال : «لأن الله - تعالى - قد وَقَّت الحمل والفصال هاهنا بتوقيت يعلم أنه قد ينقص ويزيد

(١) انظر : الحجة لأبي علي ١٨٤ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢ / ١٥ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٢٧٦ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٢٨٠ .

(٣) ذكره المؤلف في الوسيط ٤ / ١٠٧ عن ابن عباس .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٥٧ ، وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٦ / ٢٨١ عن عكرمة عن ابن عباس .

(٥) أورده المؤلف في أسباب النزول ٤٠١ من دون نسبة ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٠ ب ،

والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٥٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٧٨ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٠ .

لاختلاف الناس في الولادة ، فدل هذا على أنه مقصود به إنسان بعينه كان حمله وفصاله ثلاثين شهراً ، فيمكن أن يكون أبو بكر كان حمله وفصاله هذا القدر ، ويدل على ما ذكرنا قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ إلى آخر الآية ، وقد علمنا أن كثيراً ممن بلغ هذا المبلغ من المؤمنين وغيرهم لم يكن منه هذا القول ، فثبت بذلك أن هذا في إنسان بعينه وهو الصديق رضي الله عنه ^(١) ، والآية من باب حذف المضاف لأن التقدير : ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً .

قال الأزهري : « المعنى : ومَدَى الحَمْلُ للمرأة منتهى الوقت الذي يفصل فيه الولد عن رضاعه ثلاثون شهراً » ^(٢) ، والكلام في معنى الفصل قد تقدّم في الآية ١٢٣ من سورة البقرة .

قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ . اختلفوا في معنى بلوغ الأشد ها هنا ، فروى عطاء عن ابن عباس قال : « يريد ثمانى عشرة سنة ، وذلك أن أبا بكر صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة ، وهم يريدون الشام في التجارة ، فنزلوا منزلاً فيه سدره ، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها ، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله من الدين فقال له : من الرجل الذي في ظل السدره ؟ فقال : ذاك محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، قال : هذا والله نبي ، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم إلا محمد نبي الله ، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ، وكان لا يكاد يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره فلما نُبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، وأبو بكر ابن ثمانٍ وثلاثين

(١) ورد في سبب نزول الآية كما سبقت الإشارة إليه ، وقد ذكر السيوطي في الدر ٧ / ٤٤١ أن ابن عساكر

أخرجه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (فصل) ١٢ / ١٩٣ .

سنة فأسلم وصدق رسول الله ﷺ ، فلما بلغ أربعين سنة قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ ^(١) الآية .

وروى مجالد عن الشعبي قال : «الأشد بلوغ الحلم ، إذا كتبت له الحسنات وكتبت عليه السيئات» ^(٢) ، وقال الحسن : «هو بلوغ الأربعين» ^(٣) والأكثر من أهل التفسير على أنه ثلاث وثلاثون سنة ، وهو قول مجاهد ^(٤) ، ورواه عن ابن عباس ، وقول مقاتل وقتادة ، واختيار الفراء ^(٥) والزجاج ، قال الزجاج : «الأكثر أن يكون ثلاثاً وثلاثين سنة ؛ لأن الوقت الذي يكمل فيه الإنسان في بدنه وقوته واستحكام شبابه أن يبلغ بضعاً وثلاثين سنة» ^(٦) ، وقال الفراء : «الأشبه بالصواب ثلاث وثلاثون ؛ لأن الأربعين أقرب في النسق إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثمان عشرة ، ألا ترى أنك تقول : أخذت عامة المال أو كله ، فيكون أحسن من قولك : أخذت أقل المال أو كله ، ومثله قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي إِلِيلٍ وَنُصْفَهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] فبعض ذا قريب من بعض ، فهذا سبيل كلام العرب» ^(٧) .

قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ . قال ابن عباس : «دعا ربه فقال : اللهم ألهمني» ^(٨) ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يريد : هديتني وجعلتني مؤمناً صديقاً ، لا أشرك بك شيئاً .

- (١) ذكره المؤلف في أسباب النزول ٤٠١ ، وأورده البغوي في تفسيره ٢٥٧/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٨/٧ ، وقال : «رواه عطاء عن ابن عباس» ، وذكره القرطبي في الجامع ١٩٤/١٦ .
- (٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٢/١٦ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢٧٦/٥ ، ونسبه إلى الشعبي .
- (٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٧٧/٥ ، والقرطبي في الجامع ١٩٤/١٦ عن الحسن .
- (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٢/١٦ عن مجاهد وقتادة ، ومقاتل في تفسيره ٢٠/٤ ، ونص العبارة عنده : «فهو في القوة والشدة من ثمان عشرة إلى الأربعين سنة» .
- (٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٥٢/٣ .
- (٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٤٢/٤ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٥٢/٣ .
- (٨) ورد في تفسير البغوي ٢٥/٧ ، وتفسير ابن كثير ٢٨٢/٦ من دون نسبة .

قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَيْ﴾ . عن علي أنه قال : «هذه الآية في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ، ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره ، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده»^(١) .

قال المفسرون : «ووالداه أبو قحافة عثمان بن عمرو ، وأم الخير بنت صخر بن عمرو»^(٢) .

وقوله : ﴿وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ . قال ابن عباس : «فأجابه الله - تعالى - فأعنت تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم : بلال ، وعامر بن فهيرة ، ولم يدع شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه» .

وقوله : ﴿وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ . قال أبو إسحاق : «معناه : اجعل ذريتي صالحين»^(٣) .

قال ابن عباس : «فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده»^(٤) . وقال مقاتل : «يعني واجعل أولادي مؤمنين ، فأسلموا أجمعون»^(٥) .

قال المفسرون : «ولم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالده وبنوه وبناته إلا أبو بكر»^(٦) .

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١١٠ ب عن علي ، وذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٨ من دون نسبة ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٩٤ إلى علي ، وكذا المؤلف في الوسيط ٤/ ١٠٧ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٧ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ١٩٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٢ .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٨ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ١٩٥ ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ١٠٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٢٠ .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٧٨ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ١٩٥ .

قال مقاتل : «ثم قال أبو بكر : ﴿إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ من الشرك ﴿وَأِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني المخلصين بالتوحيد»^(١) . وقال عطاء : «إني رجعت إلى كل ما تحب»^(٢) وأسلمت لك بقلبي ولساني .

١٦ . وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ﴾ ؛ أي أهل هذا القول ﴿الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ﴾ .
فُرى بضم الياء على بناء الفعل للمفعول وُفُرى بالنون المفتوحة ، وكذلك ﴿وَنَجَّازُ﴾ وكلاهما في المعنى واحد ؛ لأن الفعل ، وإن كان مبنياً للمفعول فمعلوم أنه لله ، سبحانه ، فبناؤه للمفعول ، في العلم بالفاعل كبنائه للفاعل كقوله : ﴿يُعَفِّرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] والفعل معلوم أنه لله وإن بني للمفعول ، كقوله : ﴿وَمَنْ يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، ووجه قول من قرأ بالنون أنه قدّم قوله : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ، فكذلك يُتَقَبَّلُ^(٣) .

وقوله : ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يعني : الأعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا ، وكلها حسن ، فالأحسن بمعنى التحسن كقوله : ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ﴾ [الزمر: ٥٥] ، وقد مرّ ، وقال بعض أهل المعاني : «الحسن من الأعمال المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب ، والأحسن ما يوجب الثواب من خير وطاعة»^(٤) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٠ / ٤ .

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٧٨ / ٥ عن ابن عباس بلفظ : (رجعت عن الأمر الذي كنت عليه) ، وذكره غير منسوب ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٨ / ٧ بنص عبارة المؤلف ، وذكره المؤلف في الوسيط ١٠٨ / ٤ عن عطاء عن ابن عباس .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون ، وقرأ الباقر بالياء . انظر : كتاب الحجة لأبي علي ١٨٤ / ٦ ، والسبعة لابن مجاهد ٥٩٧ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٧٢ / ٢ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٦٤ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٩٦ / ١٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ . قال الحسن : «هذا لمن أراد الله كرامته»^(١) ، وقال عطاء : «يريد ما كان في الشرك» .

قوله : ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ . قال مقاتل : «(في) بمعنى : مع»^(٢) ، وعلى هذا ، المعنى أنه يفعل بهم ما يفعل بأصحاب الجنة ، كما تقول : يعطى زيد مع القوم ، ويجوز أن يكون المعنى : ونتجاوز عن سيئاتهم في جملة ما نتجاوز عنهم ، وهم أصحاب الجنة ؛ لأنهم أهل التجاوز عنهم ، وكأنه قال : ونتجاوز في جملة من نتجاوز عنهم»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «هو مصدر مؤكد لما قبله ؛ لأن قوله : ﴿تَنْقَبِلُ﴾ و﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بمعنى الوعد ؛ لأن الله قد وعدهم القبول ، فوعد الصدق تأكيد لذلك»^(٤) .

قال المفسرون : «ومعنى ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ﴾ : هو ما وعد الله أهل الإيمان أن يتقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئتهم»^(٥) ، ومعنى التجاوز في اللغة : ترك الوقوف على الشيء ، يقال : جاز عنه وتجاوز ، ثم استعمل بمعنى العفو ؛ لأنه بمعنى الترك للذنوب والمحاسبة عليه^(٦) ، ووعد الصدق من باب إضافة الشيء

(١) انظر : تفسير أبي الليث ٢٣٣/٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٢١/٤ .

(٣) قال ابن كثير ٢٨٢/٦ في تفسير هذه الآية : «أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار ، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ، ونتجاوز عن سيئاتهم ، فيغفر لهم الكثير من الزلل ، ونتقبل عنهم اليسير من العمل» .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٤٣/٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٨/٢/١٣ ، وتفسير البغوي ٢٥٨/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦ ، والوسيط ١٠٨/٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (جوز) ١٤٩/١١ ، والصاحح (جوز) ٨٧٠/٣ .

إلى نفسه ؛ لأن الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده الله فهو كقوله ^(١) : ﴿حَقُّ أَلْيَقِينَ﴾ [الواقعة : ٩٥] هذا على مذهب الكوفيين ، وعند البصريين يكون التقدير : وعد الكلام الصدق ، والكتاب الصدق فحذف الموصوف ^(٢) .

وقوله : ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ . قال الكلبي : «كانوا يوعدون في الدنيا على لسان الرسل» ^(٣) ، وهو قوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [التوبة : ٧٢] .

١٧ . قوله : ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ أَتَعْدَانِي﴾ . ذكر المفسرون في هذه الآية قولين : الأكثرون على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ^(٤) ، وهو قول ابن عباس ^(٥) وأبي العالية والسُّدِّي ومقاتل ^(٦) ومجاهد قالوا : «نزلت فيه قبل إسلامه» ^(٧) ، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ، وهو قوله ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ . قال مقاتل : «يعني الرديء من القول» ^(٨) ، وذكرنا تفسير (أف) ، والقراءة فيه في سورة بني إسرائيل ، الآية ٢٣ ، قال المفسرون : «دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت فقال :

- (١) انظر : وضع البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٢٩٦ .
- (٢) انظر : فتح القدير للشوكاني ١٩/ ٥ .
- (٣) ورد في تنوير المقباس ٥٠٤ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٢٩/ ٥ من دون نسبة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٣٧٩/ ٧ .
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (سورة الاحقاف) ، باب «والذي قال لولايه أف لكم...» ٤١/ ٦/ ٢ .
- (٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ١٩ عن ابن عباس . انظر : تفسير الماوردي ٢٧٩/ ٥ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٥٨ ، والجامع للقرطبي ١٦/ ١٩٧ .
- (٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٦/ ٢٨٤ ، وتفسير مقاتل ٤/ ٢١ .
- (٧) ضَعَفَ هذا القول ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٨٤ ، وابن حجر في فتح الباري في كتاب التفسير ٨/ ٥٧٦ ، فقال : «قلت : لكن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول» .
- (٨) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٢١ .

﴿أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ ؛ أي من القبر ، يعني : أبعث بعد الموت ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني الأمم الخالية ، فلم أرَ أحداً منهم ، فأين عبدالله بن جدعان ؟ وأين عثمان بن عمرو^(١) وفلان وفلان ؟^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَهُمَا﴾ يعني والديه ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ ؛ يدعوان الله بالهدى ، وأن يُقبل بقلبه إلى الإسلام والمعنى : يستغيثان بالله من كفره وإنكاره ، فلماً حذف الجار وصل الفعل ، ويجوز أن يكون الباء حُذف لأنه أريد بالاستغاثة الدعاء على ما قال المفسرون يدعوان الله ، والاستغاثة بالله دعاء ليغيثك في ما نابك ، فلماً أريد به الدعاء حُذف الجار^(٣) ؛ لأن الدعاء لا يقتضيه ومثله كثير .

قوله : ﴿وَيْلَكَ﴾ ؛ أي ويقولون له : ويلك ﴿ءَاَمِنَ﴾ صدق بالبعث ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث ﴿حَقُّ فَيَقُولُ﴾ لهما : ﴿مَا هَذَا﴾ الذي تقولان من أمر البعث وتدعوانني إليه ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ، وقال الحسن وقتادة : «هذه الآية مرسلة عامة ، وهي نعت عبد كافر عاق لوالديه»^(٤) ، وكانت عائشة - رضي الله عنها - تنكر أن تكون الآية في عبدالرحمن ، وقالت : «إنها في فلان بن فلان وسمّيت رجلاً»^(٥) . وقال أبو إسحاق : «من قال : إنها نزلت في عبدالرحمن قبل إسلامه يبطله» .

١٨ . قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الآية ، فأعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب ، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم

(١) عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة من عدنان جد جاهلي ، بنوه بطن من مزينة ، منهم زهير بن أبي سلمى وآخرون صحابة وشعراء محدثون . انظر : جبهة الأنساب ١٩٠ ، والأعلام ٢١٢ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ١١١ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٨ ، والوسيط ٤ / ١٠٩ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٨ ، والوسيط ٤ / ١٠٩ .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٥٩ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ١٩٧ ، ونسباه إلى الحسن وقتادة .

(٥) انظر : فتح الباري ٨ / ٥٧٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٥٩ ، وزاد المسير ٧ / ٣٨٠ ، والجامع للقرطبي ١٦ / ١٩٧ .

أنهم لا يؤمنون وعبدالرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين وسرواتهم ،
أجاب الله فيه دعاء أبيه فأسلم ، والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر
العاق^(١) ، وقال صاحب النظم : « ذكر الله - تعالى - في الآيتين قبل هذه
من بر بوالديه وعمل بوصية الله ، ثم ذكر مَنْ لم يعمل بالوصية فقال
لوالديه : أف لكما بصفة العقوق ، حيث لم يطع الله في قوله : ﴿ فَلَا
تَقُلْ لِمَا أَوْفَى ﴾ [الإسراء: ٢٣] وعلى هذا القول ، نزلت في كافر عاق مات
على عقوقه وكفره ، ثم دخل فيها مَنْ كان بهذه الصفة لقوله بعد هذا
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ . والذين قالوا الآية في عبدالرحمن
قبل إسلامه قالوا : في قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ : « نزل
في الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله هم الذين
حق عليهم القول ، وليس عبدالرحمن من جملتهم ؛ لأنه آمن وحسن
إيمانه » ، ذكر ذلك الكلبي^(٢) ومقاتل^(٣) ، وهذه الآية مفسرة في سورة
﴿ حم ﴾ السجدة ، الآية ٢٥ .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ . ذكر ابن عباس ومقاتل أن هذه
الآية خاصة في المؤمنين .

قال ابن عباس : « يريد مَنْ سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو
بساعة »^(٤) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٣ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥٠٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٢ .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٥٩ منسوباً إلى ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤ / ١١٠ إلى ابن عباس .

وقال مقاتل : «يعني ولكل فضائل بأعمالهم»^(١) ، وذهب بعضهم إلى الإشارة في هذه الآية إلى إسلام عبد الرحمن ، فإنه كان مسبقاً بالإسلام ، فبين الله للسابق درجة وللمسبق درجة ، ومذهب ابن زيد أن الآية في الفريقين من المؤمنين والكافرين ، فقال : «﴿وَلِكُلٍّ﴾ يعني من الفريقين ﴿دَرَجَتٌ﴾» ، قال : درج أهل الجنة تذهب علواً ، ودرج أهل النار تذهب سفلاً»^(٢) .

وقوله : «﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ يعني أن الدرجات المتفاوتة كانت لهم من أعمالهم ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ يريد مجازاة أعمالهم وثواب أعمالهم ، قاله ابن عباس ومقاتل»^(٣) .

٢٠ . قوله : «﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ . قال مقاتل : «يعني يكشف الغطاء عنها لهم فينظرون إليها ، يعني كفار مكة»^(٤) .

قوله : «﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبِنَكُمْ﴾ قُرئ بالاستفهام والخبر ، قال الفراء^(٥) والزجاج^(٦) : «العرب توبّخ بالألف ، وبحذف الألف فتقول : أذهبت ففعلت كذا وكذا ، وذهبت ففعلت كذا وكذا ، والمعنى في القراءتين : يقال لهم هذا ، فحذف القول» ، قال أبو علي : «وجه الاستفهام أن هذا النحو قد جاء بالاستفهام نحو : ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف : ٣٤] ، ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، ووجه الخبر أن المراد هاهنا التقرير ، فالاستفهام مثل الخبر ، ألا ترى أن هذا الاستفهام الذي يراد به التقرير لا يجاب بالفاء كما يجاب بها إذا لم يكن تقريراً ، فكأنهم يوبّخون

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٢ / ٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٢ / ١٣ عن ابن زيد ، وانظر : تفسير البغوي ٢٥٩ / ٧ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٩ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٢٢ / ٤ ، ولم أقف على نسبته إلى ابن عباس .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٢٢ / ٤ ، ولم أقف على نسبته إلى ابن عباس .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٥٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٤ .

بهذا الذي يخبرون به ويُبَكِّتون»^(١)، قال الكلبي: «يعني اللذات وما كانوا فيه من المعاش وتمتعهم بها في الحياة الدنيا»^(٢).

وذكر المفسرون عن النبي ﷺ والصحابة أخباراً في هذه الآية، أنهم كانوا يجتنبون نعيم العيش ولذته بالطيبات في الدنيا^(٣)؛ لأن الله - تعالى - وبَّخ الكافرين بذلك، وذلك مذهب الصالحين يؤثرون في الدنيا التقشف والزهد رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل، ولا عتب على المؤمن في التمتع بما أحل الله له وأباحه من نعيم العيش والتمتع بالطيبات في الدنيا، وإنما وبَّخ الكافر بذلك؛ لأنه تمتع بها ولم يؤدِّ شكر المنعم بطاعته والإيمان به، والمؤمن يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبَّخ بتمتعته، وهذا معنى قول مقاتل^(٤)، وهو حسن، قوله تعالى: ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي تتكبرون عن عبادة الله والإيمان به ﴿وَيَمَّا كُنْتُمْ تُفْسِقُونَ﴾ تعصون.

٢١. قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾. قال ابن عباس ومقاتل: «واذكروا يا محمد لقومك أهل مكة [وهوداً]^(٥) - عليه السلام - ﴿إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ﴾ حذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا»، وقوله: ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ قال أبو عبيد عن الأصمعي^(٦): «الحقف الرمل المعوج، ومنه قيل

(١) انظر: الحجة لأبي علي ١٨٩/٦.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٥٠٤، وتفسير الوسيط ١١٠/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٣/٢/٢١، وزاد المسير ٣٨٢/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/١٦، وتفسير الوسيط ١١٠/٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٢٢/٤.

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب (هوداً)، ولم أقف على نسبته إلى ابن عباس. انظر: تفسير مقاتل ٢٢/٤.

(٦) انظر: قول أبي عبيد في تهذيب اللغة (حقف) ٦٨/٤، والعين للخليل (حقف) ٥١/٣.

للمعوج محقوقف» ، وقال الفرّاء : «الأحقاف واحدها حقف ، وهو المستطيل المشرف»^(١) .

وقال أبو عبيدة : «الأحقاف الرمال ، وأنشد :

باتَ إلى أرْطاةٍ حِقْفٍ أَحَقَفَا»^(٢) .

قال المُبرِّد : «الأحقاف واحدها حقف ، وهو الكثيب المكتبر غير العظيم وفيه اعوجاج ، يقال للشيء : احقوقف ، إذا همَّ بأن تلاقى طرفاه ، كما قال العجاج :

سَمَاوَةٌ لِلهِلالِ حَتَّى احْقُوقَفَا»^(٣) .

ويقال أيضاً في جميع الحقف حقاف وحقوق ، قال امرؤ القيس :

. . ذِي حِقَافٍ عَقْنَقِلْ»^(٤)

وقال رؤبة :

مثل الأقاح اهْتَزَّ بِالْحُقُوفِ»^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٥٤ / ٣ .

(٢) ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ٢١٣ منسوباً إلى العجاج ، ونسبه إليه الطبري في تفسيره ٢٣ / ٢ / ١٣ ، والقرطبي في الجامع ٢٠٣ / ١٦ .

(٣) انظر : الكامل للمُبرِّد : ١ / ١٥٠ - ١٥٣ ، والكتاب لسيبويه ١ / ٣٥٩ ، وانظر : أيضاً ملحقات ديوان العجاج ٨٤ ، وتهذيب اللغة (حقف) ٤ / ٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٠٣ .
(٤) البيت بتمامه :

فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى
بنا بطنُ حَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقْنَقِلِ
الحقاف : ما ارتفع من الأرض وغلظ . والعنقل : الرمل المتعقد الداخل بعضه في بعض . انظر :
ديوانه ١١٥ ، وشرح المعلقات العشر ٢٨ ، والدر المصون ٦ / ١٤١ .

(٥) لم أقف عليه .

وذكر الكلبي سبب هذه الرمال واعوجاجها ، فقال : «هي رمال نضب الماء عنها زمان الغرق ، كما ينضب الماء عن المكان من الجبل ويبقى أثره^(١) وينضب أيضاً عن مكان أسفل من ذلك ، ويبقى أثره دون ذلك ، فذلك الأحقاف» .

قال ابن عباس : «الأحقاف وادي بين عمان ومَهْرَة^(٢) ، وإليها تنسب الجمال المهرية^(٣)» ، وقال عطاء عنه : «هي رمال بلاد الشَّحْر» ، وهو قول قتادة^(٤) ، وقال مقاتل : «هي دكاك الرمل باليمن في حضر موت^{(٥)(٦)}» .

وقال مجاهد : «هي أرض حِسْمَى^{(٧)(٨)}» .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٤ عن الكلبي ، والقرطبي في تفسيره ١٦ / ٢٠٤ عن الكلبي .

(٢) مَهْرَة: قال العمراني : «مَهْرَة بلاد تنسب إليها الإبل» ، قلت : «هذا خطأ إنما مَهْرَة قبيلة وهي مَهْرَة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، تنسب إليهم الإبل المهرية ، وباليمن لهم مخلاف يقال بإسقاط المضاف إليه ، وبينه وبين عُمان نحو شهر ، وكذلك بينه وبين حضر موت في ما زعم أبو زيد ، وطول مخلاف مَهْرَة أربع وستون درجة ، وعرضه سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة» . انظر : معجم البلدان ٥ / ٢٣٤ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٤ ، والماوردي في تفسيره ٥ / ٢٨٢ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٦٢ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٠٤ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٤ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٦٢ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٣ .

(٦) حضر موت: ناحية واسعة في شرقي عدن قرب البحر ، حولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، فيها قبر هود عليه السلام ، ولها مدينتان يقال لإحدهما تريم وللأخرى شبام ، وعندها قلاع وقرى . قال ابن الفقيه : «حضر موت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال ، وبينه وبين مخلاف ضُءا ثلاثون فرسخاً . وقيل : مسيرة أحد عشر يوماً» . وقال الاصطخري : «بين حضر موت وعدن مسيرة شهر» . انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٧٠ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٢ / ٢٣ عن مجاهد ، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١١٤ .

(٨) حِسْمَى (بالكسر ، ثم السكون مقصور ، يجوز أن يكون أصله من الحسم وهو المنع) : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حِسْمَى في غربهم وفي شرقيهم شَرَوْرَى ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال . وحِسْمَى أرض غليظة وماؤها كذلك لا خير فيها ، ويقال آخر ماء نضب من ماء الطوفان حِسْمَى ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم ، فلذلك هو أخبث

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ . قال مقاتل : «وقد مضت الرسل من قبل هود ومن بعده إلى قومهم . ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يعني : لم يبعث رسولاً من قبل هود ولا من بعد هود إلا أمر بعبادة الله وحده»^(١) .

وقوله : ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ﴾ كلامٌ اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه^(٢) ، لأن التقدير : إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر فصلاً مؤكداً لهذا الكلام ، ثم عاد إلى كلام هود لقومه بقوله^(٣) : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ، وهذا معنى قول مقاتل .

٢٢ . فقالوا لهود : ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لتصدنا عن عبادة آلهتنا»^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «لتصرفنا عنها بالإفك»^(٥) ، ثم استعجلوا العذاب فقالوا : ﴿فَأَنبَأَنَا بِمَا نَعُدُّنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا ، قال هود :

٢٣ . ﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ؛ أي هو يعلم متى يأتيكم العذاب ، وهذا معنى قول المفسرين^(٦) ، يعني : يعلم نزول العذاب بكم ، ﴿وَأُيْلِغُكُمْ مَا

ماء . انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٥٨ .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٣ .

(٢) انظر : زاد المسير ٧ / ٣٨٤ .

(٣) انظر : زاد المسير ٧ / ٣٨٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢٤ ، وتفسير القرطبي ١٦ / ٢٠٥ ، وتفسير مقاتل ٤ / ٢٣ .

(٥) أَفَكَ يَأْفِكُ وَأَفَكَ يَأْفِكُ إذا كذب ، والإفك : الإثم ، والإفك : الكذب . انظر : تهذيب اللغة (أفك) ١٠ / ٣٩٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٥ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٢ / ٢٥ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٦٣ .

أُرْسِلْتُ بِهِ» ؛ أي من الوحي والإنذار ، يعني : أنا مبلغ ، والعلم بوقت العذاب عند الله ، ﴿وَلَكِنِّي أُرْسِلُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ . قال عطاء : «تجهلون عظمة الله وما يراد بكم من العذاب» ، وقال الكلبي : «تجهلون الأمر أنه من الله»^(١) ، وقال أبو إسحاق : «أي أدلكم على الرشاد ، وأنتم تصدون وتعبدون آلهة لا تنفع ولا تضر»^(٢) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ . ذكر المُبَرِّد في الضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ قولين : أحدهما : أنه عاد إلى غير مذكور وبَيَّنَّه قوله تعالى : ﴿عَارِضًا﴾^(٣) ، كما قال : ﴿مَا تَرَكْ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] ولم يذكر الأرض ، ولكن يدل عليها العلم بها وما دل عليه الكلام ، وعلى هذا ، الضمير يعود إلى السحاب كأنه قيل : فلما رأوا السحاب عارضاً ، وهذا قول المفسرين واختيار الزَّجَّاج^(٤) ، ويكون هذا من باب الإضمار على شريطة التفسير . القول الثاني : أن الضمير عاد إلى : (ما) في قوله : ﴿فَأَيْنَا يَمَّا نَعْدُنَا﴾ ، فلما رأوا ما يوعدون^(٥) عارضاً .

قال أبو زيد : «العارض السحاب يراها في ناحية السماء»^(٦) .

(١) ورد في تنوير المقباس ٥٠٥ ، ولم أقف على قول عطاء .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٤٥ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/١٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٠٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/٢/٢٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١١٤ ب ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/٤٤٥ .

(٥) ذكر القولين السمين الحلبي في الدر المصون ٦/١٤١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/١٦٩ .

وقال أبو عبيدة : «العارض من السحاب الذي يرى في قطر من أقطار السماء بالعشي ، ثم يصبح وقد حبا حتى استوى»^(١) ، وهذا قول مقاتل : «العارض بعض السحابة ثم تطبق السماء»^(٢) .

قوله : ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيْنِهِمْ﴾ . قال المفسرون : «كان عاد قد حبس عنهم المطر أياماً فساق الله إليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له الْمُغِيثُ»^(٣) ، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا^(٤) ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ، والمعنى : ممطر إيانا ، وهذا كقوله : ﴿هَذَا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وقد مر .

قال عمرو بن ميمون : «كان هو قاعداً في قومه فجاء سحاب مكفهر»^(٥) ، فقالوا : هذا عارض ممطرنا ، فقال هود : ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾^(٦) . قال مقاتل : «وكان استعجالهم حين قالوا هود : ﴿فَأَنَّا بِمَا نَعُذُّنَا﴾»^(٧) ، ثم بين ما هو فقال : ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . والريح التي عُذِّبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه ، قال ابن عباس : «كانت الريح تطير بهم بين السماء والأرض حتى أهلكتهم»^(٨) .

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٢٣ .

(٣) الْمُغِيثُ (بالضم ، ثم الكسر ، وآخره ثاء مثلثة) : اسم الوادي الذي هلك فيه قوم عاد ، وقال أبو منصور : «بين معدن النَّقْرة والرَّيْذة ماء يعرف ماوان ماء وشروب» . انظر : معجم البلدان ٥/ ١٦٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢/ ٢٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١١٤ ب .

(٥) قال الأصمعي : «المكفهر من السحاب : الذي يَغْلُظ ويركب بعضه بعضاً» . انظر : تهذيب اللغة (المكفهر) ٦/ ٥٠٨ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ٢٦ عن عمرو بن ميمون .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٢٣ .

(٨) ذكره القرطبي في الجامع ١٦/ ٢٠٦ عن ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١١٣ إلى ابن عباس .

٢٥. ثم وصف الريح فقال : ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . قال مقاتل : «تهلك كل شيء من الناس والدواب والأموال»^(١) .

وقال ابن عباس : «يريد كل شيء بعثت إليه»^(٢) .

﴿يَأْمُرُ رَبِّهَا﴾ ؛ بإذن ربها ، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ يعني : عاداً ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ قرأه عاصم وحمزة : ﴿يُرَى﴾ بالياء مضمومة ، و﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾ بالرفع ، قال أبو إسحاق : «تأويله لا يرى شيئاً إلا مساكنهم ؛ لأنهم قد هلكوا»^(٣) .

قال أبو علي : «تذكير الفعل في هذه القراءة أحسن من لحاق علامة التأنيث ، من أجل جمع المساكن ، وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى ، فقالوا : ما قام إلا هند ، ولم يقولوا : ما قامت ، لما كان المعنى : ما قام أحد ، حملوه على هذا ، وإن كان المؤنث يرتفع بهذا الفعل والتأنيث فيه لم يجئ إلا في شذوذ وضرورة»^(٤) ، كقوله :

فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ^(٥) .

وقرأ الباقر : (لا ترى) بفتح التاء ، و(إلا مساكنهم) بالنصب على معنى : لا ترى أيها المخاطب ، والمساكن مفعول بها ، و(ترى) في القراءتين جميعاً من رؤية

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢٥ / ٤ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦ / ١٦ .

(٣) انظر : معاني الرجاج ٤٤٦ / ٤ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة لأبي علي ١٨٦ / ٦ .

(٥) هذا عجز بيت لذي الرمة ، وصدره :

بَرَى النَّخْرُ وَالْأَجْرَازُ مَا فِي غُرُوضِهَا

انظر : ديوانه ٣٤١ ، والمحتسب ٢٠٧ / ٢ ، والحجة ١٨٦ / ٦ ، والدر المصون ١٤٢ / ٦ .

العين ، المعنى : لا تشاهد شيئاً إلا مساكنهم ، كأنها قد زالت عما كانت عليه من كثرة الناس بها وما يتبعهم مما يقتنونه^(١) .

قال ابن عباس : « فلم يبقَ إلا هود ومن آمن معه » .

٢٦ . ثم خَوَّفَ كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والأجسام عليهم فقال : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ . قال مقاتل : « أي من الخير والتمكين في الأرض »^(٢) .

وقال الكلبي : « يعني : ملكنا عاداً ، وأمهلناهم من العمر في ما لم نمكّن لكم من العمر والمهلة »^(٣) ، والمعنى : مكّناهم في الشيء الذي لم نمكّنكم فيه يا أهل مكة من الدنيا وكثرة الأموال وشدة الأبدان .

قال المبرّد : « (مَا) في قوله : ﴿ فِيْمَا ﴾ بمنزلة (الذي) ، و(إِن) بمنزلة (ما) وتقديره : ولقد مكّناهم في الذي ما مكّناكم فيه »^(٤) ، ونحو هذا قال الكسائي والفرّاء^(٥) ، والزّجاج ، وزاد بياناً فقال : « (إِن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) أحسن اللفظ من (ما) لاختلاف اللفظين »^(٦) .

وقال ابن قتيبة : « معنى الآية : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ فزيدت (أَن) »^(٧) ، وقال ابن الأنباري^(٨) : « وهذا غلط لأن كتاب الله - عز وجل - ليس فيه

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٧٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٧٠ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٦ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥٠٥ .

(٤) انظر : الدر المصون ٦ / ١٤٢ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٨ / ٢٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦ / ٥٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٧٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٤ / ٤٤٦ .

(٧) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢ / ١٣٠ ، وتفسير غريب القرآن ٤٠٨ .

(٨) ذكر في كتابه الأضداد ١٨ في هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ : « في الذي قد مكناكم فيه » .

حرف لا معنى له ، بل كل حرف يفيد فائدة ويزيد معنى ، والعرب لا تزيد (إن) على (ما) إذا كانت بمعنى (الذي) والاستفهام والتعجب ، بل يزدونها عليها إذا كانت جَحْداً على جهة التوكيد بها ، فيقولون : ما إن قمت ، وما إن لقيت عبداً ، يؤكدون الجَحْدَ (بأن) . قال دريد بن الصمة :

ما إن رأيتُ ولا سَمِعْتُ بهِ كالْيَوْمِ طالِيْ أَيْتُقِ صُهْبُ^(١)
أراد : ما رأيتُ ، وقال لبيد :

غَوَدِرْتُ بَعْدَهُمْ وَكُنْتُ بِطُولِ صُحْبَتِهِمْ ضَنِينَا
ما إن رأيتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِمْ فِي الْعَالَمِينَا^(٢)

والعرب تجمع بين الحرفين إذا اتفق معناهما إذا كان لفظهما مختلفاً كقوله :
﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر : ٣٠] . و(ما) في هذه الآية بمعنى (الذي)
فلا يزداد معها (إن) ، لا يقال : ما إن قبضت ديناراك ، بمعنى الذي قبضت
ديناراك .

ثم ذكر الله - تعالى - أنهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر في ما يدلهم
على التوحيد مع ما أعطاهم الله - تعالى - من الخواص التي بها تدرك الأدلة قال :
﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً ﴾ الآية ، وفي هذا تخويف لأهل مكة ، وضرب
المثل لهم بحالة مَنْ قبلهم ، فإنهم لما لم يستدلوا على توحيد الله ولم يقبلوا ممن دعاهم
إليه لزمتهم الحجة ، ولم تغن عنهم مدارك الأدلة شيئاً ، فأهل مكة إن صنعوا
كصنعهم استحقوا مثل عذابهم ، ثم زاد في التخويف فقال :

(١) لم أقف عليه .

(٢) لم أقف عليه .

٢٧. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ . قال ابن قتيبة : «يريد : باليمن والشام»^(١) ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ ؛ بَيَّنَّاها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ ؛ لعل أهل القرى يَرْجِعُونَ ، والمراد بالتصريف التقديم ؛ لأنه كان قبل الإهلاك ، وقال قوم : تقدير الكلام : وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلم يرجعوا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ .

٢٨. فلم ينصرهم منا ناصر وهو قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ وهذا يدل على أنه لم ينصرهم من الله ناصر حين حل بهم العذاب ، وقوله : ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا﴾ القربان : ما يتقرب به إلى الله^(٢) ، وهو في الأصل مصدر ، وقد مر^(٣) ، قال ابن قتيبة : «اتخذوهم آلهة يتقرب بها إلى الله»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ ؛ أي اتخذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم ، و(اتخذوا) يدل على الاتخاذ .

٢٩. قوله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ . قال المفسرون : «لما أيسر رسول الله ﷺ من قومه أهل مكة أن يجيئوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام ، فلما انصرف إلى مكة فكان ببطن نخلة»^(٥) قام يقرأ القرآن

(١) قول قتيبة هذا غير موجود في تأويل المشكل ، وتفسير غريب القرآن . قال الطبري في تفسيره ٢٩ / ٢ : «كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها» ، وقال الثعلبي في تفسيره ١١٦ / ١٠ أ : «كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوها» ، وقال المؤلف في الوسيط ٤ / ١١٤ : «وأراد بالقرى المهلكة باليمن والشام» ، وقال القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٠٩ : «يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز ، وكانت أخبارهم متواترة عندهم» .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قرب) ٩ / ١٢٤ .

(٣) عند قوله تعالى : ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة : ٢٧] .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢ / ١٣٠ .

(٥) قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينها الطرف على الطريق ، وهو بعد أبرق العزاف للقاصد =

في صلاة الفجر مَرَّ به نفر من أشرف جن نصيين كان إبليس بعثهم
ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم ، فدفعوا إلى
النبي ﷺ وهو يصلي فاستمعوا لقراءته ، وهذا قول ابن عباس في
رواية مجاهد والكلبي ، وقول عبدالله وسعيد بن جبير ومقاتل^(١) .

وقال آخرون : «بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجنَّة ويدعوهم إلى الله ، ويقرأ
عليهم القرآن ، فصرف إليه نفر من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم» ، وهذا
معنى قول قتادة^(٢) ، واختلفوا في عدد النفر ، فقال ابن عباس : «كانوا سبعة»^(٣) ،
وقال الكلبي ومقاتل^(٤) : «كانوا تسعة» ، وهو قول زر بن حبيش^(٥) . وقوله :
﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ من صفة النكرة ، وهذا يدل على أنهم أتوا لاستماع
القرآن ، لأن المعنى : نفرًا مستمعين القرآن ؛ أي طالين سماعه ، فهذا يدل على
صحة القول الثاني .

إلى مكة . انظر : معجم البلدان ١/ ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، وقال ابن حجر في فتح الباري : / ٦٧٤ : «هي
موضع بين مكة وطائف» ، وقال البكري : «على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة ،
ووقع في رواية مسلم بنخل بلا هاء والصواب إثباتها» .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢/ ٣٠ ، وتفسير مجاهد ٦٠٣ ، وتنوير المقباس ٥٠٦ وتفسير مقاتل
٢٧/ ٤ ، والدر المنثور ٧/ ٤٥٢ ، والوسيط ٤/ ١١٥ .

(٢) انظر : زاد المسير ٧/ ٣٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢١٢ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ٣٠ عن ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١١٥ إلى ابن
عباس .

(٤) ورد في تنوير المقباس ٥٠٦ ، وتفسير مقاتل ٤/ ٢٧ ، ونسبه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦ إلى ابن
عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١١٥ إلى الكلبي ومقاتل .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ٣١ عن زر بن حبيش ، ونسبه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦
إلى زر بن حبيش ، وقال : «رواه البزار ورجاله ثقات» ، وأخرجه الهيثمي في كشف الأستار ٣/ ٦٨
عن زر بن حبيش .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ ﴾ ، إن عاد الضمير إلى النبي ﷺ فهو من تلوين الخطاب ، وإن عاد إلى القرآن ، وهو الظاهر ، فالمعنى : فلما حضروا استماعه^(١) قالوا : انصتوا ، قال زر بن حبیش : « قالوا : صِه^(٢) » ، وهو كلمة الإسكات .

قال ابن عباس والمفسرون : « قال بعضهم لبعض : اسكتوا^(٣) » ، وذلك أنهم ازدحموا وركب بعضهم بعضاً حباً للقرآن وحرصاً عليه ، قال ابن مسعود : « لما فتح النبي ﷺ القرآن ليلة الجن غشيته أسودة كثيرة^(٤) » .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ . قال أبو إسحاق : « أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرغ منه^(٥) » . ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد بما أمرهم به رسول الله ﷺ من توحيده وفرائضه وأحكامه^(٦) » .

والمعنى : أن هؤلاء الذين استمعوا القرآن انصرفوا إلى قومهم بعد الاستماع محذرين إياهم بأس الله إن لم يؤمنوا ، وهذا يدل على أن هؤلاء آمنوا بالنبي ﷺ ، ولو لم يؤمنوا لم يخبر عنهم بإنذار قومهم ، ولهذا قال مقاتل في تفسير ﴿ مُنْذِرِينَ ﴾ : « مؤمنين^(٧) » .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢١٥ ، والدر المصون ٦ / ١٤٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٢ / ٣٣ عن زر بن حبیش ، وكذا الهيثمي في كشف الأستار ٣ / ٦٨ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٧٥ / ٢٦٩ من دون نسبة ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢١٥ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢١٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤ / ٤٤٧ .

(٦) أخرج الطبري في تفسيره ١٣ / ٣٣ عن ابن عباس يقول : « انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به » .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٢٧ .

٣٠. ثم أخبر عنهم بما قالوا القومهم وهو قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ يعنون القرآن ، قال مقاتل : «وكانوا مؤمنين بموسى»^(١) .

٣١. قوله تعالى : ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يعنون محمداً ﷺ قالوا : وهذه القصة تدل على أن محمداً ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن كما كان مبعوثاً إلى الإنس»^{(٢)(٣)} .

قال مقاتل : «ولم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله ﷺ»^(٤) .

٣٢. قوله : ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يقول : لا يعجز الله فيسبقه ويفوته ، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ ؛ أنصار يمنعونه من الله . ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني : الذين لا يجيبون إلى الإيمان ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾» . قال مقاتل : «فأقبل إلى النبي ﷺ من الجن الذين أنذروا سبعون رجلاً ، فقرأ النبي ﷺ عليهم القرآن فأمرهم ونهاهم»^(٥) . واختلفوا في حكم مؤمني الجن ؛ فروى سفيان عن ليث قال : «الجن ثوابهم أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم كونوا تراباً مثل

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢٧٠ / ٧ ، وزاد المسير ٣٩٠ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٧ / ١٦ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٤ / ٦ ، والوسيط ١١٥ / ٤ .

(٣) يدل على ذلك ما ورد في صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠ / ١ ، من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . . . » ، وذكر منها : «وبعثت إلى كل أحر وأسود» . قال مجاهد : «الأحر والأسود : الجن والإنس» . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٧ / ١٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣٠ / ٤ ، والوسيط ١١٥ / ٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٢٨ / ٤ .

البهائم»^(١)، وهذا مذهب جماعة من أهل العلم قالوا: «لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، وتأولوا قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِمَكُمْ مِنَ عَذَابِ آلِيمٍ﴾»^(٢).

وذهب قوم إلى أنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون بالإحسان، وهو مذهب مالك وابن أبي ليلى^(٣)، قال الضحاك: «الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون»^(٤).

٣٣. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّمْ خَلْقَهُنَّ بِقَدِيرٍ﴾. قال مقاتل^(٥): «نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين أنكر البعث»، وقد مضت القصة في آخر سورة يس، الآية ٧٧^(٦).

واختلفوا في وجه دخول الباء في قوله: ﴿بِقَدِيرٍ﴾ وهو خبر (أن)، والباء لا تدخل في خبرها، فقال أبو عبيدة: «مجازها قادر، والعرب تؤكد الكلام بالباء وهي مُسْتَغْنَى عنها»^(٧).

- (١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٠ أ، وأورده البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٠.
- (٢) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢١٧.
- (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٠ أ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٠، والقرطبي في الجامع ١٦/ ٢١٨.
- (٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره عن الضحاك، وانظر: المصادر السابقة. قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ٣٠٥: «والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدلل لهذا بقوله عز وجل: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْشُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٥) فَإِنِّي آتِيكُمْ بِكُمْ كَذِبًا». .
- (٥) انظر: تفسير مقاتل ٤/ ٣٠.
- (٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/ ٣٠ عن مجاهد، وأورده الواحدي في أسباب النزول ٣٨٥، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٨.
- (٧) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١٣.

وقال الأخفش : «هذه الباء كالباء في قوله : ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [يونس : ٢٩] وقوله : ﴿تَبَّتْ يُالَ ذُهْنٍ﴾»^(١) [المؤمنون : ٢٠] فعلى قولها ، الباء زائدة مؤكدة .

وقال الفرّاء : «دخلت الباء لِّلم ، والعرب تدخلها مع الجحد مثل قولك : ما أظنك بقائم ، وما أظن أنك بقائم ، وأنشد :

فَمَا رَجَعْتُ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ حَكِيمٌ بِنِ الْمَسِيبِ مُتْتَهَاها»^(٢) .

وهذا مذهب الكسائي^(٣) ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج ، وزاد بياناً فقال : «لو قلت : ظننت أن زيداً بقائم ، لم يجوز ، ولو قلت : ما ظننت أن زيداً بقائم ، جاز بدخول (ما) . قال : ودخول (إن) إنما هو تأكيد الكلام فكأنه في تقدير : أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى»^(٤) .

وزاد أبو علي شرحاً فقال : «هذا من الحمل على المعنى ، وأدخل الباء لما كان الكلام في معنى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ﴾ [يس : ٨١]» .

قال : «ومثل ذلك من الحمل على المعنى :

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءٌ^(٥)
وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سِوَاهُ قَدْ ذَالِه فَبَدَا وَغِيَّبَ سَارَهُ الْمُعْزَاءُ^(٦)

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩٤ / ٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٥٦ / ٣ ، ٥٧ ، ومغني اللبيب ٩٤ / ١ ، وتفسير الطبري ٣٥ / ٢ / ١٣ ، وقد ذكره المرادي في الجنى الداني في حروف المعاني ٥٥ منسوباً إلى القحيف العقيلي . انظر : أيضاً بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٩٥ / ٢ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٧٤ / ٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٤٧ / ٤ .

(٥) بادت : تغيرت وبلبت ؛ أي غير البيود آيهن ، والآي : جمع آية ، وهي آثار الديار وعلاماتها . والبلى : تقادم العهد . والرواكِد : الأثافي لركودها وثبوتها . والهباء : الغبار جعل الجمرك كالهباء لقدمه وانسحاقه .

(٦) هذا موضع الشاهد . المشجج : الوتد من أوتاد الخباء وتشجيجه : ضرب رأسه لشيبته . والقذال : عنى =

لما كان معنى الكلام : بها رواكد ، حمل مشجج على ذلك»^(١) .

٣٥ . قوله تعالى : ﴿ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ . تفسير العزم قد تقدّم ذكره [البقرة : ٢٢٧] ، و[آل عمران : ١٥٩] . قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح : «يريد نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى» ، ونحو هذا روى معمر عن قتادة^(٢) .

وقال أبو العالية : «هم ثلاثة : نوح وإبراهيم وهود ، ومحمد ﷺ رابعهم»^(٣) .

وقال الحسن : «هم أربعة : إبراهيم وموسى ودود وعيسى ، أمّا إبراهيم فإنه ابتلي في نفسه وولده ووطنه فوجد صادقاً ، وأمّا موسى فإنه عزم ولم يشك حين قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾^(٤) قَالَ كَلَّا ﴿ الآية [الشعراء : ٦١-٦٢] ، وأمّا داود فإنه لما بُنِيَ على زلته بكى أربعين سنة ، وأمّا عيسى فإنه لم يضع في الدنيا لبنة على لبنة»^(٥) .

به أعلى الوند وهو من الدابة معقد العذار بين الأذنين . وسواؤه : وسطه . وساره : سائرته ؛ أي جميعه ، وهي لغة في سائرته . والمعزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة جمعها الأماعر ، وكانوا يتحرون النزول في الصلابة ليكونوا بمعزل عن السيل . الشاهد فيه رفع مشجج على المعنى . والبيتان لذي الرمة ، وقيل للشماخ . انظر : ملحقات ديوان ذي الرمة ٣ / ١٨٤ ، وديوان الشماخ ٤٢٨ ، والكتاب لسيبويه ١ / ١٧٣ ، واللسان (شجج) ٢ / ٣٠٤ .

(١) انظر : الحجة لأبي علي ٥ / ٣١٣ ، ٦ / ١٨٧ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٣٧٢ عن عطاء ، وانظر : تفسير الماوردي ٥ / ٢٨٨ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٧٢ ، وتفسير عبد الرزاق ٢ / ٢١٩ ، وتفسير الوسيط ٤ / ١١٦ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٥ / ٢٨٨ ، وزاد المسير ٧ / ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٢٠ ، وتفسير أبي الليث السمرقندي ٣ / ٢٣٧ .

(٤) أخرجه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٢١ عن الحسن ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ١٢١ ب ، وتفسير الحسن ٢ / ٢٨٦ .

وقال مقاتل : «هم ستة : نوح صبر على أذى قومه ، وإبراهيم صبر على النار ، وإسحاق صبر على الذبح»^(١) ، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ، ويوسف صبر على البئر والسجن ، وأيوب صبر على الضر»^(٢) .

وقال الكلبي : «هم أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين»^(٣) ، فهذا قول المفسرين في تفسير أولي العزم من الرسل .

وأما أهل المعاني والمحققون من العلماء فإنهم قالوا : «كل الرسل أولو العزم ، ولم يبعث الله رسولا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل» .

و(من) في قوله : ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ تبين لا تبعيض^(٤) كما يقال : أكسية من الخز ، وكأنه قيل له : اصبر كما صبر الرسل قبلك على أذى قومهم ، ووصفهم بالعزم لصبرهم ورزانتهم .

وهذا قول ابن زيد^(٥) وذكره الكلبي فقال : «ويقال كل الرسل قد كان ذا عزم»^(٦) .

(١) هذا على القول بأن الذبيح إسحاق لا إسماعيل ، وهو قول ضعيف .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٣١ ، ٣٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٢١ ب ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٧٢ .

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧١ عن الكلبي ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢١ أ ، والوسيط ٤/ ١١٦ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢١ أ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ٢/ ٢٩٨ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٧١ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٢/ ٣٧ عن ابن زيد ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢١ أ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٧١ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢١ أ ، وتنوير المقباس ٥٠٦ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد العذاب» ، ومفعول الاستعجال محذوف من الكلام ، وهو ما ذكره ابن عباس ^(١) ، وكان النبي ﷺ ضجر بعض الضجر ، وأحب أن ينزل الله العذاب بمن أبى من قومه ، فأمر بالصبر وترك الاستعجال ، ثم أخبر أن ذلك منهم قريب ^(٢) بقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ ؛ أي من العذاب في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ . وقال الكلبي : «لم يمكثوا في القبور إلا ساعة» ^(٣) ، وقال مقاتل : «لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار» ^(٤) ، والمعنى أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار ، أو كأنه لم يكن ؛ لهول ما عاينوا ؛ ولأن الشيء إذا مضى كأنه لم يكن ، وإن كان طويلاً ، ألا تسمع قول القائل :

كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ إِذَا مَضَى كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَزَلْ إِذَا أَتَى ^(٥)

وتم الكلام ^(٦) ثم قال : ﴿بَلِّغْ﴾ ؛ أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم ، كما قال : ﴿هَذَا بَلِّغُ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم : ٥٢] الآية ، والبلاغ بمعنى التبليغ ، وهذا مذهب المفسرين والقراء ، من أن قوله : ﴿بَلِّغْ﴾ ابتداء كلام آخر ^(٧) ، وقال مقاتل في قوله : ﴿بَلِّغْ﴾ يقول : «كأنهم تبلغوا فيها ، والبلاغ على هذا القول بمعنى التبليغ» ^(٨) ، والمعنى : أن طول لبثهم في الدنيا كأنه تبلغ . والقول هو الأول .

-
- (١) ورد في تفسير الطبري ٣٧/٢/١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٢٢/١٠ ب ، وتفسير البغوي ٢٧٢/٧ غير منسوب إلى ابن عباس .
- (٢) انظر : تفسير البغوي ٢٢/٧ ، وزاد المسير ٣٩٣/٧ ، وتفسير الوسيط ١١٧/٤ .
- (٣) ورد في تفسير الماوردي ٢٨٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٦ منسوباً إلى النقاش .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٣٢/٤ ، وتفسير الطبري ٣٧/٢/١٣ .
- (٥) لم أقف عليه .
- (٦) انظر : القطع والائتناف للنحاس ٦٦٤ .
- (٧) انظر : تفسير الثعلبي ١٢/١٠ ب ، وتفسير البغوي ٢٧٣/٧ ، وزاد المسير ٣٩٣/٧ ، والقطع والائتناف للنحاس ٦٦ ، والنشر في القراءات العشر ٤٨٢ .
- (٨) انظر : تفسير مقاتل ٣٢/٤ .

قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾ ؛ أي العاصون الخارجون عن أمر الله . يعني : أن العذاب لا يقع إلا بهم في ما بلغهم محمد ﷺ عن الله ، ولهذا قال قوم : « ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية »^(١) .

قال أبو إسحاق تأويله : « لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون »^(٢) .

* * *

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٨ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن

١٦/ ٢٢٢ ، وتفسير الوسيط ٤/ ١١٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٤٨ .

تفسير

سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال مقاتل : «بتوحيد الله»^(١) . ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس
 ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء ومجاهد : «يريد مشركي
 قريش أهل مكة ، وما فعلوا بالنبي ﷺ وأصحابه»^(٢) ، وقال في رواية
 الكلبي : «يعني المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلاً»^(٣) .

وذكر مقاتل أسماءهم : أبو جهل ، والحارث بن هشام ، وعتبة وشيبة ابنا
 ربيعة ، وأبي وأمية ابنا خلف ، ومنبهه^(٤) ونبيهه^(٥) ابنا الحجاج ، وأبو البختری بن

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤/٤٨ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٣٩ عن مجاهد ، وانظر : الجامع للقرطبي ١٦/٢٢٣ .

(٣) انظر : تفسير السمرقندي ٣/٢٣٩ ، وتنوير المقياس ٥٠٦ .

(٤) منبه بن الحجاج السهمي ، نديم جاهلي من أشرف قريش في الجاهلية وزنادقتها ، قتله أبو قيس
 الانصاري في وقعة بدر . انظر : المحبر ١٦١ ، وطبقات ابن سعد ٢/١٨ ، والأعلام ٧/٢٨٩ .

(٥) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي أبو الرزام ، شاعر من ذوي الوجاهة في
 قريش قبل الإسلام ، قتل في وقعة بدر . انظر : خزنة البغدادی ٣/١٠١ ، والمحبر ١٦٠ ، والأعلام
 ٨/٨ .

هشام^(١)، وزمعة بن الأسود^(٢)، وحكيم بن حزام، والحارث^(٣) بن عامر بن نوفل.

قوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. قال الكلبي^(٤) ومقاتل^(٥): «أبطلها؛ لأنها كانت في غير إيمان، يعني إطعامهم الطعام وصلتهم الأرحام».

قال أبو إسحاق: «أحبطها فلا يرون في الآخرة لها ثواباً»^(٦) والمعنى: أنها تصير كأن لم تكن، من قول العرب: ضل اللبن في الماء. وقال عطاء: «يريد أضل كيدهم الذي كادوا به النبي ﷺ»^(٧).

٢. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. قال مجاهد عن ابن عباس: «يعني: الأنصار»^(٨).

وقال الكلبي: «هم أصحاب محمد ﷺ»^(٩).

(١) العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، قُتل يوم بدر، وقيل قتله عمر، وقيل غيره، وهو من المستهزين، ومن عمل على شق الصحيفة. انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٣٣٦، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٨.

(٢) زمعة بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد الملك بن أسد، أحد زعماء قريش في الجاهلية. انظر: الكامل لابن الأثير ٢/ ٦١، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٥، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٨.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٤/ ٤٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢٣.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٥٠٧.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٤/ ٤٣.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٣ أمسوبة إلى الضحاك، وكذا البغوي في تفسيره ٧/ ٢٧٧، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢٣.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٣٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢٤.

(٩) انظر: تنوير المقباس ٥٠٧.

وقال مقاتل : «نزلت في بني هاشم وبني المطلب»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ . قال المبرّد : «البال الحال في هذا الموضع ، وقد يكون في غير هذا : القلب ، يقول القائل : ما يخطر هذا على بالي ؛ أي على قلبي»^(٢) . قال مجاهد عن ابن عباس : «أي حالهم في الدنيا»^(٣) ، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : «شأنهم»^(٤) ، وذكرهما الكلبي فقال : «حالهم وشأنهم»^(٥) ، وقال مقاتل : «زين أمرهم في الإسلام»^(٦) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد عصمهم أيام حياتهم»^(٧) ، وهذا تفسير حسن مبين لما أجمله المفسرون من إصلاح الأمر والشأن والحال ، وقد علم أن الله لم يرد بذلك إعطاء المال والثروة ؛ لأن أصحاب النبي ﷺ لم يكونوا مياسير ذوي [ذروه^(٨)] وإنما المراد بهذا الإصلاح إصلاح الأعمال حتى لم يعصوا .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤٣/٤ .

(٢) ذكر قول المبرّد هذا النحاس في إعراب القرآن ٤/١٧٨ ، والقرطبي في الجامع ١٦/٢٢٤ ، والمؤلف في الوسيط ٤/١١٨ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٢/٣٩ عن قتادة وابن زيد ، قال : «حالهم في الدنيا» .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٢/٣٩ عن ابن عباس ومجاهد ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٥/٢٩١ إلى مجاهد ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/٢٢٤ إلى مجاهد وغيره .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥٠٧ .

(٦) الذي عند مقاتل في تفسيره ٤/٤٣ : «أصلح بالتوحيد حالهم في سعة الرزق» .

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٧/٢٧٧ عن ابن عباس ، قال : «عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا» ، انظر : تفسر البغوي ٧/٢٧٧ . كما أورده بهذا النص أيضاً عن ابن عباس المؤلف في الوسيط ٤/١١٨ .

(٨) كذا رسمها في الأصل ، وهي إما أن تكون تصحيف (ثروة) ، وإما أن يكون معناه : (مأخوذ من ذروة الشيء ، وهو أعلاه ؛ أي لم يكونوا من ذوي الذروة ، وهي المنزلة العالية في الغنى والسعة في المال) .

٣. ثم ذكر السبب في ذلك قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ ؛ أي ذلك الإضلال والإصلاح لاتباع الذين كفروا الباطل ، قال ابن عباس : «يعني الشرك»^(١) ، وقال مقاتل : «يعني عبادة الشيطان»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «يعني التوحيد وتصديق النبي ﷺ»^(٣) ، وقال مقاتل : «يعني القرآن»^(٤) .

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ . قال عطاء : «يريد : فمصير الذين كفروا إلى النار ، ومصير الذين آمنوا إلى الجنة»^(٥) .

وقال مقاتل : «يعني حين ذكر إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين»^(٦) .

قال أبو إسحاق : «أي كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين ، أي كالبيان الذي ذكر» ، انتهى كلامه^(٧) ، والضمير في ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ يعود إلى الذين كفروا والذين آمنوا^(٨) .

ومعنى ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ : ما ذكر من إضلال أعمال أولئك الكفرة ، فصار ذلك مثلاً لمن كان على مثل شأنهم ، وما ذكر من تكفير سيئات أولئك المؤمنين ، فصار ذلك مثلاً لمن كان على مثل شأنهم ، فمن كان كافراً أضل الله عمله ، ومن

(١) انظر : تفسير أبي الليث السمرقندي ٣ / ٢٤٠ ، والجامع للقرطبي ١٦ / ٢٢٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٤ .

(٣) قال القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٢٥ : «الحق : التوحيد والإيمان» ، ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٤ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٦ / ٥ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٢٥ ، والدر المصون ٦ / ١٤٦ .

كان مؤمناً كفر سيئه ، هذا معنى قوله : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ ، وجائز أن يعود الضمير إلى الناس وهم الكفار والمؤمنون^(١) .

ولما ذكر ما يعمل بالكفار علم المؤمنين كيف يصنعون بهم إذا لقوهم ، فقال :

٤ . قوله تعالى^(٢) ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ قال أبو عبيدة : « هذا

كقول العرب : يا نفس ، صبراً »^(٣) ، وقال الفراء : « نصب على الأمر ،

والذي نصب به مضمراً »^(٤) .

قال أبو إسحاق : « معناه : فاضربوا الرقاب ضرباً ، منصوب على الأمر ، وتأويله : فاقتلوههم ، ولكن أكثر مواضع القتل ضرب العنق ، فأعلمهم الله كيف القصد ، وليس يتوهم بهذا أن الضرب محصور على الرقبة فقط »^(٥) .

قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ . قال ابن عباس : « أكثرتم القتل » ، ومضى

تفسير الإثخان^(٦) عند قوله : ﴿حَتَّى يُنْخِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام : ٦٧] . وقوله :

﴿فَشُدُّوا الوثاق﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : « يريد الأسر ، يعني إذا بالغم في

قتلهم فأسروهم ، فالأمر بعد المبالغة في القتل »^(٧) كما قال : ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتِي أَنْ يَكُونَ

(١) انظر : الدر المصون ١٤٦ / ٦ .

(٢) كذا نصها في الأصل .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٥٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٦ .

(٦) قال الأزهري في تهذيب اللغة (ثخن) ٧ / ٣٣٤ : ﴿حَتَّى إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ ، قال أبو العباس :

« معناه : حتى إذا عليتهموهم وقهرتموهم وكثر فيهم الجراح فأعطوا بأيديهم » . قال : « وقال ابن الأعرابي : أثخن : إذا غلب وقهر » ، وقال أبو زيد : « يقال : أثخن فلاناً معرفة ؛ أي قتله معرفة ، ورصته معرفة : نحو الإثخان » .

(٧) قال الزجاج في معاني القرآن ٥ / ٦ : ﴿اتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل . فالأسر بعد المبالغة في القتل ،

وذكر هذا المعنى غير منسوب البغوي في تفسيره ٧ / ٢٧٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٩٧ ،

وقال السمرقندي في تفسيره ٣ / ٢٤٠ : « يعني : حتى إذا قهرتموهم وأسروهم فشدوا الوثاق يعني :

فاستوثقوا بأيديهم من خلفهم » .

لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِرَ فِي الْأَرْضِ ﴿[الأنفال: ٦٧] . وَأَمَّا الْوِثَاقُ فَهُوَ اسْمٌ مِنَ الْإِثْاقِ ، وقد يوضع موضع المصدر يقال : أوثقه إيثاقاً ووثاقاً ، ومنه قوله : ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٦] ، والوِثَاقُ - بالكسر - اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط ^(١) .

قال المفسرون : «أمر الله - تعالى - بشد وثاق الأسارى كيلا يقتلوا ويهربوا» ^(٢) ، فأمر أولاً بالقتل ثم بالأسر ، ثم ذكر الحكم في الأسر بقوله : ﴿فَلَمَّا مَتَّعَهُمْ مَتَاعًا وَفَدَّاهُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي بعد أن تأسروهم ، إمّا منتهم عليهم متناً ، فأطلقوهم بغير عوض ، وإمّا أن تفدوا فداء» ^(٣) ، واختلف المفسرون في هذه الآية ، فذهب كثير منهم إلى هذا الحكم ، وهو المن والفداء منسوخ بالقتل ، وهو قوله : ﴿فَأَقْضُوا الْفُقَرَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وهو قول مجاهد ، وقتادة ، والحسن ، ومقاتل ، والضحاك ، والسُّدِّي ، وابن جريج . ورواية عطاء عن ابن عباس قالوا : «إمّا السيف ، وإمّا الإسلام» ^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : «إذا أئخذ بالقتل فادى ومن» ^(٥) وقال الشعبي : «الأسير يمن عليه ، أو يفادى» ، وهذا مذهب ابن عمر وعطاء ، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ^(٦) قال في قوله : ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الأنفال: ٦٧] الآية : قال : «ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى : ﴿فَلَمَّا مَتَّعَهُمْ مَتَاعًا وَفَدَّاهُمْ﴾ فجعل الله النبي ﷺ والمؤمنين بالخيار

(١) انظر : تهذيب اللغة (وثق) ٢٦٦/٩ ، واللسان (وثق) ٣٧١/١٠ .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٤٠/٢/١٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٦/٥ .

(٤) أخرج الطبري في تفسيره ٤١/٢/١٣ قول ابن جريج والسُّدِّي وقتادة وابن عباس والضحاك ، وذكر القرطبي في الجامع ٢٢٧/١٦ قول قتادة ومجاهد . انظر : تفسير البغوي ٢٧٨/٧ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٥/٣ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٦٦ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٤١/٢/١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦ ، وتفسير البغوي ٢٧٨/٧ .

في الأسارى إن شاءوا قتلوههم ، وإن شاءوا استعبدوهم ، وإن شاءوا فادوهم»^(١) ونحو هذا روى المبارك بن فضالة عن الحسن .

قال أبو عبيد^(٢) : «والقول عندنا هذا ، ولم يزل رسول الله ﷺ كان^(٣) عاملاً بهذه الأحكام التي أباحها له في الأسارى حتى توفاه الله على ذلك ، ولا نعلمه نسخ شيء منها ، بل كان يعمل بها على ما أراه الله من الأحكام التي أباحها له في الأسارى ، وجعل الخيار والنظر فيها إليه حتى قبضه الله على ذلك ، لم ينسخ من أحكامهم شيء ، والإمام مخير في الذكور والمذكورين منهم بين أربع خلال وهي : القتل والاسترقاق والفداء والمن ، إذا لم يدخل ذلك ميل بهوى في العفو ولا طلب الذل^(٤) في العقوبة ، ولكن على النظر للإسلام وأهله» ، هذا كلامه^(٥) .

ومذهب الشافعي - رحمه الله - مثل ما ذكر^(٦) في أحكام الأسارى من تخير الإمام في هذه أربع الخلال في الأسارى الوثنية ، وفي أهل الكتاب^(٧) ، يزيد حكم خامس ، وهو : أخذ الجزية عنهم إذا قبلوها ، وإن كان بعد الأسر .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٤١ / ١٣ ، وتفسير البغوي ٢٨٧ / ٧ .
 (٢) انظر : الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز لأبي عبيد ٢١١ .
 (٣) كذا رسمها في الأصل ، وفي إحدى نسخ كتاب الوسيط ، ووردت عند أبي عبيد ٢١١ بلفظ : (وذلك أنه كان عاملاً بالآيات كلها من القتل والفداء والمن حتى توفاه الله) .
 (٤) طلب الذل : طلب الثأر ، وقيل : طلب مكافأة بجناية جئيت عليك ، أو عداوة أتيت إليك . انظر : تهذيب اللغة (ذحل) ٤ / ٤٦٥ ، واللسان (ذحل) ١١ / ٢٥٦ .
 (٥) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢١١ - ٢١٦ .
 (٦) انظر : أحكام القرآن للشافعي ١ / ١٥٨ .
 (٧) قال ابن قدامة في المغني ٤٤ / ١٣ : «مَنْ أَسْرَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ : أَحَدُهَا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ . فَلَا يَجُوزُ قَتْلُهُمْ وَيَصِيرُونَ رَقِيقًا لِلْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَسْتَرْقَهُمْ إِذَا سَبَاهُمْ . الثَّانِي : الرِّجَالُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ الَّذِينَ يَقْرُونَ بِالْجُزْيَةِ فَيَتَخَيَّرُ الْإِمَامُ فِيهِمْ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : الْقَتْلُ ، وَالْمَنْ بَغِيرِ عَوْضٍ ، وَالْمَفَادَاةَ بِهِمْ ، وَاسْتَرْقَاقَهُمْ . الثَّالِثُ : الرِّجَالُ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْتَانِ وَغَيْرِهِمْ مَنْ لَا يَقْرُ بِالْجُزْيَةِ فَيَتَخَيَّرُ الْإِمَامُ فِيهِمْ بَيْنَ =

قوله تعالى : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ . تفسير الأوزار ومأخذها من اللغة قد تقدم^(١) .

قال أبو إسحاق : «(حتى) موصولة بالقتل والأسر ، المعنى : فاقتلوهم وأسروهم حتى تضع الحرب أوزارها»^(٢) . قال ابن عباس في رواية عطاء : «حتى لا يبقى أحد من المشركين»^(٣) ، يريد عبدة الأوثان .

وقال مجاهد : «حتى لا يكون دين إلا الإسلام»^(٤) .

وقال الحسن : «حتى يعبد الله ولا يشرك به»^(٥) .

وقال سعيد بن جبير : «يعني خروج عيسى ابن مريم»^(٦) ، ونحو هذا قال مقاتل : «وقال : أراد بالأوزار الشرك»^(٧) ، وقال قتادة : «حتى لا يكون شرك»^(٨) .

ثلاثة أشياء : القتل أو المن والمفاداة ولا يجوز استرقاقهم ، وعن أحمد جواز استرقاقهم ، وهو مذهب الشافعي . وبما ذكرنا في أهل الكتاب قال الأوزاعي والشافعي وأبو ثور .

(١) قال الفراء في قول الله جل وعز : ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ قال : «يريد آثامها وشركها حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسلم» . انظر : تهذيب اللغة (وزر) ١٣ / ٢٤٣ ، واللسان (وزر) ٤ / ٢٨٢ . وقال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٤٠٩ : «أصل الوزر : ما حملته فسمي السلاح أوزاراً لأنه يحمل» .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٦ / ٥ .

(٣) أورد هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٩٧ من دون نسبة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤ / ١٢٠ إلى ابن عباس .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٩٧ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٢٨ ، والمؤلف في الوسيط ٤ / ١٢٠ .

(٥) انظر : تفسير الحسن البصري ٢٨٨ ، والدر المنثور ٧ / ٤٥٩ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٣٩٧ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٢٨ ، والمؤلف في الوسيط ٤ / ١٢٠ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٤ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٤٢ عن قتادة .

وقال ابن حيان^(١): «حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وهذه الأقوال معناها واحد وهو ما ذكره الفراء فقال: ﴿أَوْزَارَهَا﴾ آثامها وشرورها، والمعنى: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسلم، قال: والهاء التي في ﴿أَوْزَارَهَا﴾ للحرب، وإنما يراد أوزار أهلها، وهم أهل الشرك خاصة كقولك: حتى تنفي الحرب أوزارها، يريد أوزار المشركين^(٢)، هذا كلامه. وتأويله: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين بأن يسلموا فلا يبقى دين غير الإسلام ولا يعبد وثن. والأوزار في هذا التفسير بمعنى الإجماع والآثام، وهذا المعنى موافق لقوله ﷺ: «والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»^(٣).

قال أبو إسحاق: «أي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا، فما دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبداً»^(٤).

وذكر في هذا المعنى وجهان آخران: أحدهما: أن معنى الأوزار هاهنا الأسلحة وآلات الحرب، وهو اختيار أبي عبيد^(٥) وابن قتيبة^(٦)، واحتجاً بقول الأعشى:

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحاً طَوَالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً^(٧)

(١) أي مقاتل بن حيان، ولم أقف عليه.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٥٧/٣.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب [٣٥]: في الغزو مع أئمة الجور ٤٠/٣، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، برقم ٢٣٦٧ عن أنس رضي الله عنه ١٤٣/٢، وأورده الزيلعي في نصب الراية ٣٧٧/٣. وقال: «قال المنذري في مختصره: يزيد بن أبي نُشْبَةَ في معنى المجهول، وقال عبدالحق: يزيد بن أبي نُشْبَةَ هو رجل من بني سليم، لم يرو عنه إلا جعفر بن برقان».

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٦/٥.

(٥) انظر: قول أبي عبيد في تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٤/١٣.

(٦) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٩.

(٧) انظر: ديوان الأعشى ٧١، وتهذيب اللغة ٢٤٤/١٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٩، والدر المصون ١٤٧/٦، والجامع ٢٢٩/١٦.

ففسر الأوزار بالرماح ، قال ابن قتيبة : «وأصل الوزر ما حملته ، فسمي السلاح أوزاراً ، لأنه يحمل ، قال : والمعنى : حتى تضع أهل الحرب السلاح» ، ثم يعود هذا إلى ما ذكره الفراء : «حتى يسلموا أو يسالموا»^(١) .

الوجه الثاني : أن معنى الحرب هاهنا : القوم المحاربون ، يقال : هؤلاء حرب لفلان ، إذا كانوا يعادونه ويحاربونه . والتأويل : حتى يضع المحاربون لملة الإسلام السلاح والشرك والآثام بالسلم والإسلام^(٢) . وللحرب تأويلان ، وللأوزار تأويلان على [ذكرنا^(٣)] .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : «الأمر ذلك ، قال : ويجوز أن يكون منصوباً على معنى : افعِلُوا ذَلِكَ»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بغيركم»^(٥) .

وقال مقاتل : «لانتصر منهم بملك واحد»^(٦) ، والمعنى : إن الله -تعالى- قادر على الانتصار منهم بغيركم من الملائكة ، أو يهلكهم ويعذبهم بما يشاء ، ﴿وَلَكِنْ﴾ يأمركم بالحرب ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ . قال ابن عباس : «يريد مَنْ قُتِلَ من المؤمنين فمصييره إلى النعيم والثواب ، وَمَنْ قُتِلَ من المشركين فمصييره

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٥٧/٣ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢٧٩/٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٦ .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (على ما ذكرنا) .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧/٥ .

(٥) ذكر القرطبي في تفسيره ٢٣٠/١٦ قول ابن عباس ، ولكن بلفظ : (لأهلكم بجند من الملائكة) .

(٦) لم يرد هذا القول في تفسير مقاتل ٤٤/٤ عند هذه الآية ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٦١/٧ بلفظ : (لأرسل عليهم ملكاً فدمر عليهم) ، ونسبه إلى ابن المنذر وابن جريج ، ونسبه القرطبي في الجامع ٢٣٠/١٦ إلى ابن عباس بلفظ : (لأهلكم بجند من الملائكة) .

إلى العذاب» ، [وهو^(١)] الذي ذكر ابن عباس هو معنى الابتلاء ، وذلك أن الله -تعالى- ابتلى الفريقين أحدهما بالآخر ليثبت المؤمن ويكرمه بالشهادة ، ويخزي الكافر ويذله بالقتل .

وقال أبو إسحاق : «أي ليمحص المؤمنين وليمحق الكافرين»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ أي جاهدوا المشركين .

﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني : كما يضل أعمال الذين كفروا في قوله : ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ، وقرأ أبو عمرو : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، والوجه قراءة العامة ؛ لأنها أعم من حيث إنها تشمل من قاتل ولم يُقتل ، ومن قاتل وقُتل وقد حصل للمقاتل الثواب كما حصل للمقتول ، فكان أولى لعمومه . وعلى قراءة أبي عمرو يختص المقتول^(٣) بقوله : ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ، وحجة أبي عمرو^(٤) ما قال قتادة^(٥) ومقاتل^(٦) : «أن المراد بقوله : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قتل أحد من المؤمنين» ، غير أن قوله :

(١) كذا رسمها ، ولعل الصواب : (وهذا) ، وانظر : هذا القول في الوسيط ٤ / ١٢٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧ / ٥ .

(٣) هذا المحذور لا يرد على هذه القراءة . فالتعبير بـ (قُتِلُوا) لبيان أن القتال مظنة القتل ولو لم يُقتل المقاتل ، فإنه كان معرضاً نفسه لذلك . وعليه فحتى على هذه القراءة لا يختص ما ورد فيها من ثوبة بمن قُتل فحسب . وبذلك لا يعكر على تفسيره ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ٦ / ١٩٠ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٧٦ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٦٦ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣ / ٤٤ عن قتادة ، وذكره عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٢١ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٨٠ .

(٦) ذكره مقاتل في تفسيره ٤ / ٤٥ ، بيد أنه قال : «قتلى بدر» ، وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٣ / ٤١ : «قتلى يوم أحد وبدر» .

٥. ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ينقض هذا القول ، فإن ابن عباس قال : «سيهديهم إلى أرشد الأمور ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا»^(١) ، وهذا لا يحسن في وصف المقتولين ، وحمل أبو إسحاق إصلاح البال في الموضعين من هذه السورة على إصلاح أمر المعاش وحال الدنيا ، وقال : «أراد أنه يجمع له خير الدنيا والآخرة ، واحتج بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنشِيلَ﴾ [المائدة: ٦٦] إلى قوله : ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ، وبقوله : ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١] إلى قوله : ﴿أَنهَرًا﴾^(٢) ، ويمكن أن يقال على قول قتادة ومقاتل [يعني^(٣)] الآية : «سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح بالهم ، وحالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم ، وقبول أعمالهم ، وما شاكل ذلك» .

٦. وقوله : ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ﴾ . قال ابن عباس في رواية أبي صالح : «إذا دخلوا الجنة حيّاهم الله بما يحيون به ، وأعطاهم ما أعطاهم ، ثم يقال لهم : تفرقوا إلى منازلكم ، فيتفرقون إليها ، فلهم أعرفُ بمنزلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم»^(٤) .

وقال مجاهد : «يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون ، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً»^(٥) .

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٩٨/٧ منسوباً إلى ابن عباس ، ولم يذكر قوله : «يعصمهم . . .» ، وذكره المؤلف في الوسيط ١٢١/٤ عن ابن عباس .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٧/٥ .

(٣) في الأصل كتبت (يعني) ، ولعل الصواب : (معنى) .

(٤) أخرج نحوه الطبري في تفسيره ٤٤/٢/١٣ عن مجاهد وابن زيد ، ذكر نحوه البغوي ٢٨٠/٧ ، ونسبه إلى أكثر المفسرين ، وذكره من دون نسبة القرطبي في الجامع ٢٣١/١٦ ، والمؤلف في الوسيط ١٢١/٤ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٤/١٣ عن مجاهد ، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٢٥/١٠ ، والبغوي في تفسيره ٢٨٠/٧ .

هذا قول عامة المفسرين وأهل المعاني^(١) ، وتلخيصه ما قال أبو عبيدة : «عَرَّفَهَا لَهُمْ» : بَيَّنَّهَا لَهُمْ حتى عرفوها من غير استدلال^(٢) ، على أن مقاتل بن حيان جعل هذا تعريفاً باستدلال ، فإنه يقول : «بلغنا أن الملك الذي وُكِّلَ بحفظ عمل ابن آدم يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة ، فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه ، فهذا تعريف بوساطة الملك^(٣) ، والأول تعريف من قبل الله تعالى» ، وروي عن سلمة بن كهيل أنه قال : «عَرَّفَهَا لَهُمْ» طرقها^(٤) ، وعلى هذا ، التعريف واقع على الطرق إلى الجنة ، على معنى : إن الله يعرفهم طرقها حتى يهتدوا إليها ، ويكون التقدير : عَرَّفَ طرقها لهم ، فحذف المضاف^(٥) .

وقال الحسن : «وصف الله الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها»^(٦) . وعلى هذا القول ، هذا التعريف وقع في الدنيا . ويكون المعنى : يدخلهم الجنة التي عَرَّفَهَا لَهُمْ ، واللام في (لهم) لام الأجل ، وهذه الأقوال كلها من التعريف الذي هو واقع المعرفة .

(١) انظر : معاني القرآن للقرآء ٥٨ / ٣ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٠٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٦٥ / ٦ .

(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٤ / ٢ .

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨ / ٧٥ منسوباً إلى مقاتل ، وذكره الشوكاني مختصراً في فتح القدير ٣١ / ٥ ، ونسبه إلى مقاتل .

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٦ / ٤٦٦ منسوباً إلى سلمة بن كهيل ، والشوكاني في فتح القدير ٣١ / ٥ من دون نسبة .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٣١ / ١٦ .

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره ٥ / ٢٩٤ منسوباً إلى الحسن ، ونسبه القرطبي في الجامع ٢٣١ / ١٦ إلى الحسن ، وانظر : تفسير الحسن البصري ٢ / ٢٨٨ .

وروي عن ابن عباس قول آخر ، قال عطاء : «يريد طَيِّبُهَا لَهَا»^(١) ، وهذا القول اختيار المؤرج^(٢) وأصحاب اللغة^(٣) ، وأصله من العَرَف وهو الرائحة الطيبة ، وطعام مُعَرَّف ؛ أي مطيب ، وأنشدوا قول الأسود بن يعفر :

فَتَدْخِلُ أَيْدِي فِي خَنَاجِرٍ أَقْنَعَتْ لِعَادَتِهَا مِنَ الْخَزِيرِ الْمُعَرَّفِ^(٤)

وعلى هذا ، معنى الآية : طَيِّبُهَا لَهَا بما خلق فيها من الروائح الطيبة ، وقال بعض أهل المعاني : «طَيِّبُهَا لَهَا بضروب الملاذ التي تتقبلها النفس تقبل ما تعرفه ولا تنكره»^(٥) ، وروى أبو العباس عن بعضهم في قوله : ﴿عَرَفَهَا لَهَا﴾ . قال : «هو وضع الطعام بعضه على بعض من كثرته ، وخزير معرَّف بعضه على بعض»^(٦) ، وعلى هذا القول ، هو من العَرَف المتتابع كعَرَف الفرس .

٧ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ . قال أهل المعاني : «إن تنصروا دين الله^(٧) ورسوله بالجهاد ، إلا أنه أضيف النصر إلى الله تفخيماً لشأنه وتعظيماً وتلطفاً في الاستدعاء إليه كالتلطف في ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرُضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] . وقوله : ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ ؛ أي بالغلبة على عدوكم» . ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «يعني

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٢٩٤/٥ من دون نسبة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٢١/٤ إلى عطاء عن ابن عباس ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٨٠/٧ منسوباً إلى عطاء .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٢٥/١٠ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عرف) ٣٤٥/٢ .

(٤) البيت استشهد به ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٤١٠ من دون نسبة ، وهو في تهذيب اللغة ٣٤٥/٢ منسوب إلى الأسود بن يعفر . أقنعت : مدت ورفعت للقم . والخزير : الحساء من الدسم . وقد استشهد بالبيت الثعلبي في تفسيره ١٢٥/١٠ من دون نسبة .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤٦٦/٦ ، وزاد المسير ٣٩٨/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣١/١٦ .

(٦) انظر : قول أبي العباس في تهذيب اللغة (عرف) ٣٤٥/٢ ، وفي الجامع لأحكام القرآن ٢٣١/١٦ غير منسوب .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١٦ .

عند القتال»^(١)، وقيل : على الإسلام^(٢)، وروي عن ابن عباس على الصراط^(٣).

٨. قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ . قال الكلبي : «يعني : كفار قريش»^(٤)، وقال قتادة : «هي للكفار خاصة»^(٥)، وهذا أشبه ؛ لأن قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّنْصِرُوا اللَّهَ﴾ يعم المؤمنين كلهم ، كذلك ما بعده من حكم الكفار . ومعنى التّعس في اللغة : قال النضر : «التعس : الهلاك . وتعس : هلك»^(٦).

وقال أبو الهيثم : «تعس يتعس معناه : انكب وعثر فسقط على يديه ، وأتعسه الله»^(٧).

وقال أبو إسحاق : «التعس في اللغة : الانحطاط والعثور»^(٨).

وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة : «تعسه الله وأتعسه في باب فعّلت وأفعلت بمعنى واحد» ، قال شمر : «لا أعرف : تعسه الله ، ولكن يقال : تعس بنفسه وأتعسه الله» ، وذكر عن الفراء قال : «يقال : تَعَسَتْ ، إذا خاطبت الرجل . فإذا صرت إلى أن تقول فَعَلْتُ قلت : تعس ، بكسر العين» ، قال شمر : «وهكذا سمعته

(١) انظر : تنوير المقياس ٥٠٧ ، وتفسير مقاتل ٤ / ٤٥ .

(٢) ذكر هذا القول والذي قبله الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٥ أ من دون نسبة ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٢ .

(٣) ذكر هذا القول القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٢ من دون نسبة ، وذكره الشوكاني مع القولين السابقين في فتح القدير ٥ / ٣١ من دون نسبة .

(٤) ورد في تنوير المقياس ٥٠٧ : (أبطل حسناتهم ونفقاتهم يوم بدر) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٤٦ عن قتادة ، قال : «هي عامة للكفار» .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (تعس) ٢ / ٧٨ .

(٧) انظر : اللسان (تعس) ٦ / ٣٢ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٨ .

في حديث عائشة : تعس مسطح»^(١) ، وأنكر ابن شميل وأبو الهيثم : تعس ، بكسر العين . قال ابن شميل : «تقول العرب : تعس فما انتعش وشيك فلا انتقش ، إذا دعيت^(٢) على إنسان» ، وأنشد^(٣) أبو الهيثم بيت الأعشى :

فالتَّعْسُ أَذْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا^(٤)

قال : «ولا يجوز تعس ، ولو جاز لقال : فالتعس أذنى لها» ، هذا قول أهل اللغة في تفسير التعس وتعريفه .

وأما المفسرون ، فقال ابن عباس : «يريد في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار»^(٥) .

(١) أخرجه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - في كتاب التفسير ، باب [٢٥] : ومن سورة النور ٣٣٢/٥ .

(٢) نص الحديث عند البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب [٧٠] : الحراسة في الغزو في سبيل الله ٢٢٢/٣ : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» .

(٣) نظر : هذا النص من قوله : روي أبو عبيد عن أبي عبيدة في تهذيب اللغة (تعس) ٧٨/٢ وانظر : اللسان (تعس) ٣٢/٦ .

(٤) انظر : ديوان الأعشى ١٠٥ ، وتهذيب اللغة (تعس) ٧٩/٢ ، واللسان (تعس) ٣٢/٦ ، والكشاف ٤٥٤/٣ . قال صاحب مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ٧٦ : «يقال للعائر : لعاك ، دعاء له بالانتعاش ، وتعساً لك دعاء عليه بالسقوط ، يريد أنها لا تعثر ، ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها» .

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧٦/٨ منسوباً إلى ابن عباس ، ولكن بلفظ : (في الدنيا القتل) ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٨١/٧ من دون نسبة ، ونسبه الرمخشري في الكشاف ٤٥٤/٣ إلى ابن عباس ، ولكن بلفظ : (في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردد في النار) .

وقال مقاتل : «فنكسأ لهم» . قال : «ويقال : فخيبة لهم»^(١) ، وهو قول الضحاك^(٢) ، وقال أبو العالية : «سقوطاً لهم»^(٣) ، وقال ابن زيد : «شقاء»^(٤) .

وقال ابن جرير : «فخزيّاً وبلاءً»^(٥) ، وقال المبرّد : «فمكروهاً لهم وسوءاً ، قال : وإنما يقال هذا لمن دُعي عليه بالشر والهلكة»^(٦) .

وأما إعراب الآية ونظمها ، فقال أبو إسحاق : ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع على الابتداء ويكون : ﴿فَتَعَسَّاهُمْ﴾ الخبر^(٧) . قال صاحب النظم : «موضع الفاء جزم على الجزاء ؛ لأنه منسوق على قوله : ﴿إِنْ نُنْصِرُوا اللَّهُ يَضُرَّكُمْ﴾ وإنما جاء بالفاء في الجواب ، لأن ذلك لم يوجب عليه إلا بشرطة الكفر» ، وهذا الذي قاله صاحب النظم قد تقدّم شرحه في مواضع ، منها قوله : ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْهَكَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى قوله : ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ، وقوله : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٥٨] ، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٩٥] ، وانتصب (تعساً) على الدعاء كما تقول : سقياً له ورعياً ، على معنى : سقاه الله سقياً ، ورعاه رعيّاً ، كذلك هاهنا تعسهم الله تعساً على قول أبي عبيدة وعلى قول غيره : «أتعسهم الله فتعسوا تعساً»^(٨) ، ولهذا التقدير عطف بقوله : ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على ﴿فَتَعَسَّاهُمْ﴾ لأن التقدير : فأتعسهم الله وأضل أعمالهم ، قاله الفرّاء^(٩) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٥ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٢٨١ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٢ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٥ أ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٨١ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٥ أ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٨١ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٢ .

(٥) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٤٥ .

(٦) لم أقف على هذا القول .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٨ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (تعس) ٢ / ٧٩ ، والدر المصون ٦ / ١٤٨ .

(٩) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٥٨ .

٩. قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي ذلك الإتعاس والإضلال ﴿يَأْنَهُمْ كَرَهُوْماً أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ . قال الفرّاء والزّجاج : «كرهوا القرآن ونبوّة المصطفى ﷺ ، وسخطوا ما أنزل الله عليه»^(١) ، وهذا معنى قول المفسرين^(٢) .

وقال سفيان وعمر بن ميمون : «كرهوا الفرائض»^(٣) التي أنزل الله من الصلاة والزكاة .

﴿فَأَحْطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني : ما عملوا من شيء يريدون به الله ؛ لأنها لم تكن في إيمان ، ولا يقبل الله إلا من المتقين»^(٤) .

ثم خوّف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ، فقال :

١٠. قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ . قال مجاهد : «أمثال ما دمر به القرون الأولى ، وعيد من الله لهم»^(٥) ، وقال مقاتل : «وللكافرين من هذه الأمة أمثالها من العذاب»^(٦) .

وقال عطاء : «يريد لمن كذب النبي ﷺ مثل ما أصاب الأمم قبلهم» ، قال أبو إسحاق : «أي أمثال تلك العاقبة من الهلاك ، فأهلك الله - عز وجل - بالسيف

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٥٩ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٨/ ٥ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ٤٦ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٤٢ .

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٤٦٢ عن عمرو بن ميمون ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، ولم أقف على نسبته إلى سفيان .

(٤) انظر : تفسر مقاتل ٤/ ٤٥ ، والقرطبي ١٦/ ٢٣٣ فقد ذكر معنى هذا القول ولم ينسبه .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣/ ٤٦ عن مجاهد ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٤٦٣ ، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٤٥ .

مَنْ أَهْلَكَه من كفار هذه الأمة»^(١) ، هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية ، وهو أن هذا الوعيد قد لحقهم .

وقال مقاتل بن حيان في قوله : ﴿وَالْكَافِرِينَ أَهْلَكْنَا﴾ : «يعني : عذاباً ينزل من السماء يصيب قرناً ولم يكن بعد» ، وإنما حمّله على هذا القول أن عذاب الذين كانوا من قبلهم نزل من السماء كالصيحة والرجفة والغرق ، ولم يكن بيد المؤمنين ، ولما قال الله تعالى : ﴿أَمْثَلُهَا﴾ حمّلها على ما ينزل من السماء كشأن ما قبلها من عذاب الأمم^(٢) ، والصحيح هو الأول ؛ لأن الله - تعالى - أراد أمثالها في الإهلاك والتدمير .

١١ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ . قال مقاتل : «ذلك النصر ، يعني قوله : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾» ، ثم ذكر سبب ذلك النصر فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) . قال ابن عباس : «ناصر الذين صدقوا»^(٤) ، وقال مجاهد ومقاتل بن حيان والكلبي : «يعني : وليُّ أصحاب رسول الله ﷺ ينصرهم على عدوهم»^(٥) .

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ ؛ كفار قريش ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ؛ لا ولي لهم ، ولا ناصر لهم .

قال أبو إسحاق : «المعنى : ذلك بأن الله يتولى الذين آمنوا في هدايتهم والنصر على عدوهم ، وبأن الكافرين لا ولي لهم ينصرهم من الله في هداية ولا في علو على المؤمنين»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨ / ٥ .

(٢) لم أقف على هذا القول .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤٥ / ٤ .

(٤) ذكر هذا القول القرطبي في الجامع ٢٣٤ / ١٦ .

(٥) لم أقف على قول هؤلاء .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٨ / ٥ .

وقال غيره من أهل المعاني^(١) : «المولى هو الجاعل نصرته على مَنْ أرادها له ، وكل مؤمن بالله مولاة بنصره إياه ، وكل كافر فلا مولى له ينصره من عقاب ربه فهو يُسَلَّمُ لهلاكه» ، ولهذا المعنى لا يقال : الله مولى الكافرين ؛ لأنه لا يتولا هم .

وقد روينا عن علي - رضي الله عنه - بإسناد أذكره في مسند التفسير إن شاء الله ، قال الأبهري لابن الكوا : «مَنْ رَبُّ النَّاسِ ؟ قال : الله ، قال : فَمَنْ مَوْلَى النَّاسِ ؟ قال : الله ، قال : كذبت ، الله مولى الذين آمنوا والكافرين لا مولى لهم»^(٢) .

ثم ذكر حال الكفار ومآلهم ، فقال :

١٢ . قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الدنيا ، يأكلون كما تأكل الأنعام»^(٣) ، قال الكلبي : «الأنعام تأكل وتشرب ولا تدري ما في غد ، وهكذا الكفار»^(٤) ، وقال مقاتل : «يأكلون ولا يلتفتون إلى الآخرة ، كما تأكل الأنعام ليس لها هَمٌّ إِلَّا الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ فِي الدُّنْيَا»^(٥) ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ؛ منزل ومقام ومصير ومأوى ، كل هذا من ألفاظ المفسرين^(٦) .

ثم خَوَّفَهُمْ ليحذروا ، فقال :

-
- (١) لم أقف على هذا القول .
 (٢) ذكره المؤلف في الوسيط ٤ / ١٢٢ .
 (٣) لم أقف عليه .
 (٤) أورده من دون نسبة الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٥ ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٠٠ .
 (٥) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٥ ، ٤٦ .
 (٦) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٤٧ ، وتفسير السمرقندي ٣ / ٢٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٥ / ١٦ .

١٣. قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ يعني: مكة ﴿الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾. خرج الكلام على القرية والمراد أهلها، وهكذا ذكر المفسرون، قال ابن عباس: «وكاين من رجال هم أشد من أهل مكة»^(١)، وقال أبو إسحاق: «المعنى: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجك أهلها»^(٢)، يدل على هذا قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾. قال مقاتل: «أي بالعذاب حين كذبوا رسلهم»^(٣).

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾. قال ابن عباس: «فلم يكن لهم ناصر»^(٤).

قال الفراء: «ويجوز إضمار (كان) وإن كنت قد نصبت الناصر بالتبرية، قال: ويكون: أهلكناهم فلا ناصر لهم الآن»، هذان وجهان ذكرهما الفراء في نظم الآية: أحدهما: إضمار كان، والآخر: أن يكون المعنى: فلا ناصر لهم الآن^(٥)، وأصح مما ذكر أن يقال: هذا على طريق الحكاية للحال الماضية عند الإهلاك، أي كأن يقال فيهم عند إهلاكهم: لا ناصر لهم، كما ذكرنا في قوله: ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عُدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وفي آيات سواها، ويدل على صحة هذا الوجه قوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾. ولا يقال فيها وهي مهلكة: هي أشد قوة، ولا يصح في هذا شيء من الوجهين اللذين ذكرهما، وإنما يصح فيه الحكاية، أي التي كان يقال فيها هي أشد قوة من مكة، ثم ذكر بُعد ما بين المؤمن والكافر.

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٨٢/٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٩/٥.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٤٦/٤.

(٤) ذكره المؤلف في الوسيط ١٢٢/٤ عن ابن عباس.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٥٩/٣.

١٤ . قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ . قال أبو إسحاق : « هذه ألفٌ توقيف وتقرير ؛ لأن الجواب معلوم »^(١) .

قال ابن عباس^(٢) ومقاتل^(٣) والكلبي^(٤) : « يريد على بيان من ربه ويقين من دينه وهو محمد ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله ﴾ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ﴾ يعني : عبادة الأوثان ، وهو أبو جهل والكفار . ﴿ وَابْتَغُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ في عبادة الحجارة .

١٥ . ثم وصف الجنات التي وعدّها المؤمنين بقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ الآية ، والكلام في معنى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ، وإعرابه قد مرّ في سورة الرعد [آية : ٣٥] بأبلغ استقصاء . قوله تعالى : ﴿ الْمُتَّقُونَ ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : « هم أمة محمد ﷺ يتقون الشرك »^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ . وتقرأ : (أسن) بالقصر . روى أبو عبيد عن أبي زيد : « آسَنَ الماءُ يَأْسِنُ آسْنًا وَأُسُونًا ، إذا تَغَيَّرَ ، وهو الذي لا يشربه أحدٌ من ننته^(٦) ، وكذلك : آسن الرجل يأسن ، إذا غشي عليه من ريح خبيثة ، وربما مات منها^(٧) ، وأنشد لزهير :

يُغَادِرُ الْقِرْنَ مُضْفَرًا أَنَامِلُهُ يَمِيدُ فِي الرُّمَحِ مَيْدَ الْمَائِحِ الْأَسِنِ^(٨)

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٩ / ٥ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥ / ١٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤٦ / ٤ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥٠٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤٦ / ٤ ، وتنوير المقباس ٥٠٨ .

(٦) انظر : هذا القول بنصه في تهذيب اللغة (أسن) ٨٤ / ١٣ ، واللسان (أسن) ١٦ / ١٣ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (أسن) ٨٥ / ١٣ ، واللسان (أسن) ١٧ / ١٣ .

(٨) انظر : ديوان زهير ١٢١ ، وتهذيب اللغة (أسن) ٨٤ / ١٣ ، واللسان (أسن) ١٧ / ١٣ ، والحجة ١٩١ / ٦ ، والدر المصون ١٥٠ / ٦ ، والبحر المحيط ٧٠ / ٨ .

وهو الرجل الذي دخل بئراً فاشتد عليه ريحها حتى يصيبه دوار فيسقط ، وقال المُبَرَّد : «يقال أَسْنُ يَأْسِنُ أَسْنًا فهو أَسِنٌ وَأَسِنٌ ، وهو المتغيَّر الرائحة وقياسه : حذر يحذر حذراً فهو حاذر وحذر»^(١) ، قال المفسرون في الآسن : «هو المتغيَّر المتن»^(٢) . ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ ؛ قالوا : «لا يحمض كما تتغيَّر ألبان أهل الدنيا ، وذلك أنها لم تخرج من ضروع الإبل ولا الغنم»^(٣) . ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ﴾ كقوله : ﴿يُضَاءُ لَذَّةٌ لِلشَّرْبِ﴾ [الصفات ٤٦] ، وقد مرَّ . قال ابن عباس : «يريد لم تعصره الرجال»^(٤) .

قوله : ﴿مِنْ عَسَلٍ﴾ . العسل هو المستحلى من لعاب النحل ، والعرب تسمي ما يستحلى عسلاً كصمغ العُرْفُط^(٥) . وصقر الرطب^(٦) .

وأقرأني العروضي - رحمه الله - قال : «أقرأني الأزهري قال : أخبرني عبد الملك^(٧) عن الربيع عن الشافعي ، أنه قال : عسل النحل هو المنفرد بالاسم

(١) انظر : الكامل للمُبَرَّد ٦٨ / ٣ .

(٢) انظر : جامع البيان ٤٩ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١٢٦ أ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٨٢ .

(٣) قال ابن جرير : «لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار فهو بهيته لم يتغير عما خلقه عليه» انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٤٩ .

(٤) قال الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٦ أ : «أي لم تدسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي» ، ولم أقف على قول ابن عباس .

(٥) قال شَمِر : «العُرْفُط : شجرة قصيرة متدانية الأغصان ذات شوك كثير ، طولها في الساء كطول البعير باركاً ، ولها وريقة صغيرة ، تنبت بالجبال تعلقها الإبل ؛ أي تأكل فيها أعراض غصتها» ، وقال أبو عبيد عن الأصمعي : «العُرْفُط : شجرة من العضاة» . انظر : تهذيب اللغة (باب العين والطاء) ٣ / ٣٤٦ .

(٦) قال الليث في تهذيب اللغة (قصر) ٨ / ٣٦٤ : «والصَّقر : ما تحلب من العنب والتمر من غير عصر» .

(٧) عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الجرجاني الاسترأبادي ، سمع من الربيع بن سليمان وغيره ، وقال الخطيب : «كان أحد الأئمة ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتيقظ وورع» ، توفي سنة ٣٢٣ هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٢٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨١٦ .

دون ما سواه ، والعرب تؤنث العسل وتذكره ، وتأنثه في شعر الشماخ ، والعاسل الذي يشتار العسل ، ومنه قول لبيد :

وَأَرْيُّ دُبُورَ شَارَهُ النحلَ عاسِلٌ^(١)

ويقال : عسلت الطعام أعسله ، إذا جعلت فيه عسلاً^(٢) . قال ابن عباس : «يريد لم يخرج من بطون النحل»^(٣) ، وذلك قوله : ﴿مَنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ، وقال مقاتل : «ليس فيها عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ . قال أبو علي الفارسي : «(من) زائدة للتوكيد»^(٥) ، وأنشد قول ذي الرمة :

تَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الْأَقَاحِي فِي الثَّرَى

وَفَتَرْنَ مِنْ أَبْصَارٍ مَضْرُوجَةٍ كَحُلٍ^(٦)

أراد : وفترن أبصار مضروجة .

قوله : ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «يغفر ذنوبهم ، ولا يجازون بالسيئات ، ولا يوبخون في الجنة فَيُهَنَّوْنَ الفوز العظيم والعطاء الجزيل»^(٧) .

(١) عجز البيت في تهذيب اللغة (عسل) ٩٤ / ٢ ، واللسان (عسل) ٤٤٥ / ١١ .

(٢) من بداية الحديث عن العسل . انظره بنصه في تهذيب اللغة (عسل) ٩٣ / ٢ ، ٩٤ .

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧٩ / ٨ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٦ / ٤ .

(٥) انظر : الدر المصون ١٥١ / ٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧ / ١٦ ، ولم أقف عليه عند أبي علي .

(٦) انظر : ديوانه ٤٨٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٠ / ٥ .

قوله : ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ . قال الفرّاء : «لم يقل : أَمَنْ كان في هذا النعيم كَمَنْ هو خالد في النار ؟ ولكن هذا المعنى في ضمن هذا الكلام فبني عليه»^(١) .

وقال أبو إسحاق : «المعنى : أَمَنْ كان على بَيِّنَةٍ من ربه ، وأعطي هذه الأشياء كَمَنْ زُيِّن له سوء عمله وهو خالد في النار ؟»^(٢) ، وعلى ما قال أبو إسحاق ﴿كَمَنْ﴾ في هذه الآية بدل من قوله : ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ ، واختار صاحب النظم قول الفرّاء ، وقال : «الكاف في قوله : ﴿كَمَنْ﴾ تدل على مبتدأ قبله ، ولم يجر له ذكر ، وإنما جرى ذكر الجنة وصفتها ، فكأنه - عز وجل - قال : أَمَنْ هو في الجنة كَمَنْ هو خالد في النار ؟ فدل الجواب على الابتداء»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ . قال مقاتل : «ماء شديد الحر تستعر عليهم جهنم ، فهي تغلي منذ خُلقت السماوات والأرض ، فقطع أمعاءهم في الجوف من شدة الحر»^(٤) .

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ قال : «إذا شربه قطع أمعاء حتى تخرج من دبره»^(٥) .

قال ابن عباس : «وهذه الآية كقوله^(٦) : ﴿يُصَبِّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٧) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ» [الحج : ١٩-٢٠] ونحو هذه الآية قوله : ﴿وَيُسْقَى مِنْ

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٠ / ٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٠ / ٥ .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ٦٠ / ١٥ ، والدر المصون ١٥١ / ٦ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٧ / ٤ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٠ / ١٣ عن أبي أمامة ، والمؤلف في الوسيط ١٢٣ / ٤ ، وأخرجه الحاكم عن أبي أمامة في المستدرک في کتاب التفسير (تفسير سورة محمد ﷺ) ٤٥٧ / ٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

(٦) لم أقف عليه .

مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ. [إبراهيم: ١٦-١٧] الآية ، وقوله : ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَهْلٍ يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] الآية ، وواحد الأمعاء : معى ، مثل ضلَع . وتشيته : معيان ، وهو جميع ما في البطن من الحوايا^(١) .

١٦ . قوله : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : «يعني المنافقين يستمعون خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة ، وكان يعرض بالمنافقين ويعيبهم ، فإذا خرجوا من المسجد قالوا لأولي العلم من الصحابة : ماذا قال آنفاً ، وذلك قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾»^(٢) .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كنت في من سئل ، يعني أنه من الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾»^(٣) . وروى عطاء عن ابن عباس : «يريد عبدالله بن مسعود» ، وهو قول ابن بريدة^(٤) ومقاتل^(٥) .

قوله : ﴿مَاذَا قَالَ آنفاً﴾ ؛ أي ماذا قال الساعة ، ويعني الأنف من الائتلاف ، وهو الابتداء يقال : ائتنفت الكلام ائتناً ؛ أي ابتدأته ، قال ذلك أبو زيد . والاستئناف أيضاً بهذا المعنى ، وهما من الأنف ، وهو أول كل شيء ، يقال : هذا أنف العدو ، وأنف البرد ، وأنف المطر ؛ أي أوله^(٦) ، قال امرؤ القيس :

(١) انظر : تفسير البغوي ٢٨٣/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٦ .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٢٤٣/٣ ، وتنوير المقباس ٥٠٨ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٥١/١٣ ، والحاكم في المستدرک في کتاب التفسير (سورة محمد ﷺ)

٢/٤٥٧ ، وقال : «صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٢٩٨/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/١٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤٧/٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (أنف) ٤٨٢/١٥ ، واللسان (أنف) ١٤/٩ .

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لَاحِقُ الْأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُرٌّ^(١)

أي في أول جريه ، ومن هذا أنف الجبل ، وأنف الإنسان ، وأنف خف البعير ، وقال أبو علي الفارسي : «و(أنفاً) من أنف ، أي ابتداءً وهو غير مستعمل ، وإن كان القياس يوجهه ، وقد يجيء اسم الفاعل على ما لم يستعمل من الفعل نحو : فقير ، جاء على فقره ، والمستعمل افتقر ، وكذلك شديد ، والمستعمل اشتد ، فكذا ذلك قوله : أنفاً ، والمستعمل ائتنف»^(٢) .

وروى أحمد بن موسى بإسناده عن ابن كثير من طريق البزي : (أنفاً) بالقصر^(٣) ، وهذا يحمل على أنه توهمه ، مثل : خادر وخدر ، وفاكهه وفكه ، والوجه قراءة العامة ، ويدل عليه قول الشاعر :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ^(٤)

يريد : أنهم يؤثرونه بأفضل الطعام وأوله لا البقايا ، وأنف جمع أنف بالمد ، مثل : قَاتِلٍ وَقُتِلٍ ، وبازلٍ وَبُزْلٍ^(٥) .

وذكر المفسرون في وجه سؤال المنافقين قولين : أحدهما : أنهم سألوا استهزاءً منهم ، وإعلاماً أنهم لم يستمعوا إلى كلامه ولم يلتفتوا إلى ما قال ، وهذا اختيار الزَّجَّاج^(٦) ، القول الثاني : أنهم سمعوا كلامه ولم يفقهوه ، فلذلك سألوا^(٧) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (أنف) ٤٨٢/١٥ ، واللسان (أنف) ١٤/٩ .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٩٣/٦ .

(٣) انظر : الحجة ١٩٢/٦ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون ٦٨٣/٢ .

(٤) البيت للحطيفة في ديوانه ٦٢ ، ولسان العرب (أنف) ١٣/٩ ، والزاهر ٣١٢/٢ .

(٥) انظر : الحجة للقراء السبعة ١٩٤/٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٠/٥ ، وتفسير الماوردي ٢٩٨/٥ ، وزاد المسير ٤٠٢/٧ .

(٧) تفسير الماوردي ٢٩٨/٥ ، وزاد المسير ٤٠٢/٧ .

قال مقاتل : «وقد سمعوا قول النبي ﷺ فلم يفقهوه»^(١) ، وعلى هذا دل كلام ابن عباس في رواية عكرمة ، قال : «كان المنافقون إذا جلسوا عند النبي ﷺ يخرجون فيقولون : ماذا قال أنفأ»^(٢) ليس معهم قلوب» ، وعلى هذا دل سياق الآية ، وهو قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ . قال مقاتل : «ختم على قلوبهم بالكفر فلا يعقلون الإيمان . ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الكفر»^(٣) والنفاق» .

١٧ . ثم ذكر المؤمنين فقال : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ . قال الكلبي : «يعني أهل الإسلام»^(٤) .

﴿زَادَهُمْ﴾ ؛ أي زادهم الله هدى . قاله عطاء عن ابن عباس^(٥) ، وقال أبو صالح عنه : «والذين اهتدوا بالمنسوخ زادهم الله هدى بالناسخ»^(٦) ، ويجوز أن يكون المعنى : «زادهم الناسخ هدى» .

وقال مقاتل بن سليمان : «والذين اهتدوا من الضلالة زادهم الله هدى بالحكم الذي نسخ الأمر الأول»^(٧) .

وقال مقاتل بن حيان : «والذين اهتدوا هم المؤمنون الذين كانوا يؤمرون بالأمر من طاعة ربهم فيعملون به ، ثم ينسخه الله فيحولهم إلى غيره فيتحولون

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٧ .

(٢) ذكر أبو حيان قريباً من ذلك في البحر المحيط ٨ / ٧٩ ، ولم ينسبه ، وذكر نحوه ابن كثير في تفسيره ٣١٦ / ٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٧ .

(٤) قال الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٧ : «يعني المؤمنين» ، وورد في تنوير المقباس ٥٠٨ : «والذين اهتدوا بالإيمان» .

(٥) ذكره من دون نسبة ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٠٣ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٩ .

(٦) ذكر نحوه القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٣٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٧ .

إلى ما يؤمرون به ، فيأجرهم الله لما مضى ويزيدهم بتحويلهم عما كانوا أمروا به إلى الذي تحولوا إليه هدىً مع هديهم»^(١) .

وذكر الفرّاء وأبو إسحاق في ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ وجهين آخرين : أحدهما : زادهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هدىً . والثاني : زادهم ما قال الرسول آنفاً هدىً^(٢) .

وقال الضحاك : «كلما أتاهم من الله تنزيل فرحوا به ، فزادهم الله به هدىً»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ تَقَوُّهُمْ﴾ . قال الكلبي : «وألهمهم تقواهم»^(٤) .

وقال سعيد بن جبير : «وألهمهم ثواب تقواهم»^(٥) ، وذكر ابن حيان معنى القولين ، فقال في معنى القول الأول : «وفقهم للعمل بما أمروا به مما فرض عليهم ، قال : ومنهم من يقول : أتاهم ثواب أعمالهم في الآخرة»^(٦) .

ثم خوّف كفار مكة بقرب الساعة ، وأنها إذا أتت لم يقبل منهم شيء ، فقال :

١٨ . قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ وتفسير هذا قد

تقدّم في أي كثيرة [الحج : ٥٥] ، [الزخرف : ٦٦] . قال أبو إسحاق : «موضع

أن نصب على البديل من الساعة ، المعنى : فهل ينظرون إلا أن تأتيهم

بغتة ، وهذا من البديل المشتمل على الأول في المعنى»^(٧) ، ونحو هذا

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦١ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١١ / ٥ .

(٣) ذكره المؤلف في الوسيط ١٢٤ / ٤ عن الضحاك .

(٤) ورد في تنوير المقياس ٥٠٨ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٣٩ / ١٦ من دون نسبة .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٧ أ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٨٣ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١١ / ٥ .

ذكر الفرء^(١) والكسائي^(٢)، وزاد المبرّد بياناً فقال: ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل من الساعة والتقدير: فهل ينظرون إلا الساعة إتيانها بغتة، فإذا نحت الساعة صار المعنى: فهل ينظرون إلا إتيان الساعة بغتة، وهذا كقوله: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ أي عن قتال في الشهر الحرام، ومثله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] إنها هو لولا أن تطؤوهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾. قال أبو عبيد: «قال الأصمعي: هي علاماتها، قال: ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، إنما هي علامات يجعلونها بينهم قال: ولهذا سميت الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها».

قال أبو عبيد: «وقال غيره في بيت^(٣) أوس بن حجر: فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا^(٤) هو من هذا أيضاً، يريد أنه جعل نفسه علماً لهذا الأمر».

وقال أبو سعيد: «أشراط الساعة أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها، قال: وأشراط كل شيء ابتداء أوله، ومنه يقال للدون من الناس: الشرط؛ لأنهم دون الذين هم أعظمهم، وأنشد للكميت: وجدتُ الناسَ غيرَ ابْنِي نِزَارٍ وَلَمْ أَذْمُ لَهُمْ شَرَطاً وَدُوناً^(٥)».

(١) انظر: معاني القرآن للفرء ٦١/٣.

(٢) لم أقف على قول الكسائي والمبرّد.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (شرط) ٣٠٩/١١، واللسان (شرط) ٣٣٠/٧.

(٤) انظر: المصدرين السابقين، وانظر: أيضاً الدر المصون ١٥٢/٦.

(٥) انظر: ديوانه ١١١/٢، وتهذيب اللغة (شرط) ٣٠٩/١١، والمحاسب لابن جني ٨٩/١، واللسان (شرط) ٣٣١/١١.

قال الليث : «والشرطان كوكبان ، يقال : إنها قرنا الحمل ، وهو أول نجم من نجوم الربيع ، ومن ذلك صار أوائل كل أمر يقع أشرأطه»^(١) ، وأكثر أهل اللغة على القول الأول : أبو عبيدة^(٢) ، والمُبَرَّد ، والزَّجَّاج^(٣) ، كلهم قالوا في الأشرط : إنها الأعلام ، ونحو ذلك قال المفسرون^(٤) .

وأنشد أبو عبيدة لابن المفرغ^(٥) :

وَشَرِيتُ بُرْدًا لِيَتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ
وَتَبَعْتُ عَبْدَ بَنِي عِلَاجٍ تِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ^(٦)

وواحد الأشرط : شَرَطَ بفتح العين ، قال ابن عباس : «أشرطها : معالمها»^(٧) ، يريد أن النبي ﷺ من أشرطها ، وقد قال : «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(٨) «كفرسي رهان»^(٩) .

- (١) من قوله : قال أبو عبيد : قال الأصمعي .. إلخ . انظره بنصه في تهذيب اللغة (شرط) ١١ / ٢٠٩ ، ٢١٠ .
- (٢) ورد في مجاز القرآن ٢ / ٢١٥ ، وذكر قول المُبَرَّد في إعراب القرآن للنحاس ٤ / ١٨٥ .
- (٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ١١ .
- (٤) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٥٢ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١٢٧ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٨٤ .
- (٥) يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري أبو عثمان ، شاعر غزل وضع سيرة تبع وأشعاره ، وكان هجاءً مقذعاً ، وله مديح ، ونظمه سائر ، توفي سنة ٦٩ هـ تقريباً . انظر : خزنة البغدادي ٢ / ١١٢ ، والوفيات ٢ / ٢٨٩ ، والأعلام ٨ / ١٨٣ .
- (٦) أورد أبو عبيدة البيت الأول فقط في مجاز القرآن ١ / ٤٨ ، ٣٠٤ ، وأورده أيضاً صاحب اللسان (شرى) ٤٢٨ / ١٤ .
- (٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٥ / ٢٩٩ ، ولكن بلفظ : (أوائلها) ، وعلّق عليه المحقق ، فقال : «هكذا في الأصول ولعلها : أدلتها ؛ أي أماراتها» .
- (٨) أخرجه البخاري عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - في صحيحه في كتاب التفسير سورة النازعات ٧٩ / ٦ ، وأخرجه مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - في صحيحه في كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب [٢٧] : قرب الساعة ٣ / ٢٢٦٨ ، رقم ٢٩٥١ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ٩٨ / ١٥ ، رقم ٤٢٩٤ .
- (٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٣١ عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

وقال الحسن : «محمد من أشراطها»^(١) ، وقال مقاتل : «يعني أعلامها من انشقاق القمر والدخان ، وخروج النبي ﷺ فقد عاينوا هذا كله»^(٢) .

قوله تعالى : ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : فمن أين لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة ؟ (ذكراهم) في موضع رفع بقوله : ﴿فَأَنَّى﴾»^(٣) قال ابن عباس : «من أين لهم بالتوبة إذا جاءتهم الساعة ؟»^(٤) .

وقال مقاتل : «في الآية تقديم ، تقول : من أين لهم التذكرة والتوبة عند الساعة إذا جاءتهم وقد فرطوا فيها ؟»^(٥) .

وقال قتادة : «يقول : أنى لهم أن يتذكروا ويتوبوا إذا جاءتهم الساعة ؟»^(٦) .

وقال الحسن : «إذا جاءت الساعة لا تقبل منهم»^(٧) .

قال الفراء : «ومثله قوله»^(٨) : ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ﴾ [الفجر: ٢٣] .

١٩ . قوله : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ . لم أر في هذا شيئاً أمثل مما قال أبو إسحاق ، وهو أنه قال : «المعنى : قد بينّا ما يدل على أن الله - عز

(١) انظر : تفسير الحسن ٢/ ٢٨٩ ، وتفسير ابن كثير ٦/ ٣١٧ ، والدر المنثور ٧/ ٤٦٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٤٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١ .

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٧ من دون نسبة ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٠٤ منسوباً إلى قتادة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١٢٤ إلى عطاء .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٤٨ .

(٦) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٩٩ ، وزاد المسير ٧/ ٤٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤١ .

(٧) ذكره الهواري في تفسيره ٤/ ١٦٥ من دون نسبة ، والفخر الرازي في تفسيره ٢٨/ ٦٠ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٦١ .

وجل - واحد فاعلم أنه لا إله إلا الله ، والنبي ﷺ قد علم ذلك ، ولكنه خطاب يدخل الناس مع النبي ﷺ كما قال : ﴿يَأْتِيهَا الْبُتَّىٰ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ١] والمعنى : مَنْ علم فليقم على ذلك العلم ، كما قال : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥] أي ثبّتنا على الهداية»^(١) ، هذا كلامه ، على أنه قد ذكر عن عبدالعزيز بن يحيى أنه قال : «كان النبي ﷺ يضجر ويضيق صدره من طعن الكافرين والمنافقين فيه ، فأنزل الله هذه الآية يعني : فاعلم أنه لا كاشف يكشف ما بك إلا الله ، فلا تعلق قلبك على أحد سواه»^(٢) .

ويجوز أن يكون قوله : ﴿فَاعْلَمْ﴾ جواباً لقوله ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ له جوابان : أحدهما : سابق ، وهو قوله : ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ﴾ ، والآخر : ﴿فَاعْلَمْ﴾ ، ويكون المعنى على هذا : إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله ، أي في ذلك الوقت تبطل الممالك والدعوى ، فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله ، ولا ملجأ إلى أحد إلا الله ، كقوله : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ، وهذا المعنى يروى عن سفيان بن عيينة وأبي العالية^(٣) .

قوله : ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾ الكلام في ذنبه ﷺ يأتي في أول سورة الفتح إن شاء الله ، قال أهل المعاني : «وإنما أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له ؛ لتستن به أمته في الاستغفار»^(٤) ، وقد قال ﷺ : «إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢/٥ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/١٢٧ أ .

(٣) انظر : تفسير سفيان بن عيينة ٣٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١٢٧ ب ، وتفسير البغوي ٧/٢٨٥ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/١٢٧ ب ، والبغوي في تفسيره ٧/٢٨٥ ، والقرطبي في الجامع

٢٤٢/١٦ .

(٥) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه في كتاب التفسير ، باب [٤٨] : ومن سورة محمد ﷺ ٥/٣٨٣ ،

رقم ٣٢٥٩ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» . وقد نسبته إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن =

قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ؛ أي ولذنوبهم ، وهذا إكرام من الله -تعالى- للمؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة حين أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لهم ، وهو الشافع المجاب ، ثم أخبر عن علمه بأحوال الخلق ومآلهم بقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار»^(١) .

وقال مقاتل : «منتشركم بالنهار ، ومأواكم بالليل»^(٢) .

وقال عكرمة : «متقلبكم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومقامكم في الأرض»^(٣) . وقال ابن كيسان : «متقلبكم حيث تتقلبون فيه من ظهر إلى بطن ، ومقامكم في القبور»^(٤) ، والمعنى : أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها .

٢٠ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد أن المؤمنين يسألون ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله يحرّض فيها المؤمنين»^(٥) ، وقال في رواية الكلبي : «كان المؤمنون إذا أبطأ عليهم الوحي اشتاقوا إلى نزوله فقالوا : هلاً أنزلت سورة على محمد ﷺ ؟»^(٦) ، والقول هو الأول أنهم

المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان . انظر : الدر المنثور ٧/ ٤٩٥ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٢٣ .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٨ أ ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٨٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٠٥ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ٢٤٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٤٨ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٨٥ ، وزاد المسير ٧/ ٤٠٥ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٧ ب ، ١٢٨ أ ، وانظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٨٦ ، وزاد المسير ٧/ ٤٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤٣ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٨ أ ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٨٦ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ٢٤٣ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٢٨ أ من دون نسبة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١٢٦ إلى ابن عباس .

(٦) ذكره من دون نسبة الماوردي في تفسيره ٥/ ٣٠٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٠٥ ، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٤٣ ، وانظر : تنوير المقباس ٥٠٩ .

أحبوا أن ينزل سورة فيها ذكر القتال ، ألا ترى أن الله - تعالى - قال : ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مُحْكَمَةً﴾ قال قتادة : «كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة»^(١) ، وهذا معنى ما روى عطاء عن ابن عباس في المُحْكَمَة أنها ما أمر فيها بنصر نبي الله ﷺ .

وروي عن ابن عباس في المُحْكَمَة أنها التي لا ينسخ ما نزل فيها^(٢) ، وهو اختيار الزَّجَّاج ، قال معنى مُحْكَمَة : «غير منسوخة»^(٣) ، ونحو هذا قال الكلبي ومقاتل : «إنها البَيِّنَة بالحلال»^(٤) ، والأمر والنهي لا ينسخ .

وقال عبدالله بن مسلم : «سورة مُحْكَمَة : أي محدثة ، وسميت المُحْكَمَة محدثة ؛ لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى ينسخ منها شيء» ، يدل على صحة هذا أن في حرف عبدالله (فإذا أنزلت سورة محدثة وذكر فيها القتال)^(٥) قال المفسرون : «أي فرض فيها الجهاد»^(٦) ، والمعنى : ذكر فيها فرض القتال ، قاله الزَّجَّاج^(٧) .

قوله تعالى : ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ كقوله : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب : ١٩] ، وقد مر . قال ابن قتيبة : «يريد

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٤ / ١٣ عن قتادة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٠١ / ٥ ، والثعلبي في تفسيره ١١٢٨ / ١٠ ، والبغوي في تفسيره ٢٨٦ / ٧ .

(٢) ذكر نحوه الماوردي في تفسيره ٣٠١ / ٥ من دون نسبة ، وكذا المؤلف في الوسيط ١٢٦ / ٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٢ / ٥ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥٠٩ ، وتفسير مقاتل ٤٨ / ٤ .

(٥) ورد في تأويل مشكل القرآن ١٣٢ / ٢ ، وتفسير الطبري ٥٤ / ٢٦ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٢٨ / ١٠ ، والماوردي في تفسيره ٣٠٠ / ٥ ، وصرح أنه ابن مسعود ، وذكره أيضاً ابن عطية في تفسيره ٦٧ / ١٥ ، والقرطبي في تفسيره ٢٤٣ / ١٦ .

(٦) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٢ / ٢ ، وزاد المسير ٤٠٥ / ٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٣ / ١٦ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٢ / ٥ .

أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم ، وينظرون نظراً شديداً بتحديد وتحديق ، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت ، من شدة العداوة^(١) .

وقال أبو إسحاق : «إنما ذكر ذلك لأنهم منافقون يكرهون القتال ؛ لأنهم إذا قعدوا عنه ، ظهر نفاقهم ، فخافوا على أنفسهم القتل»^(٢) .

قوله : ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ فيه مذاهب ثلاثة :

قال قتادة : «هذا وعيد لهم وانقطع الكلام»^(٣) ، ونحو هذا قال مقاتل والكلبي^(٤) ، واختاره الزجاج وابن قتيبة^(٥) ، وهو قول أكثر أهل اللغة^(٦) ، واختلفوا لم صارت هذه الكلمة للتهديد ؟ فقال الأصمعي : «معنى قولهم في التهديد : أولى لك : وليك وقاربك ما تكره ، وأنشد :

فَعَادَى بَيْنَ هَادِيَتَيْنِ مِنْهَا وَأُولَىٰ أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ^(٧)
أي قاربك أن يزيد على الثلاث» .

قال ثعلب : «ولم يقل أحد في (أولى لك) أحسن مما قال الأصمعي»^(٨) ، وأبو إسحاق يختار هذا القول ، ويقول : «المعنى : وليهم المكروه»^(٩) .

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٢/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢/٥ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٥/١٣ عن قتادة ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٠١/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٨/٤ ، وتنوير المقباس ٥٠٩ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢/٥ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤١١ .

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٥٥/١٣ ، وانظر : تهذيب اللغة (ولي) ٤٤٨/١٥ ، واللسان (ولي)

٤١١/١٥ ، ومقاييس اللغة (ولي) ١٤١/٦ .

(٧) انظر : المصادر السابقة ، والدر المصون ١٥٣/٦ .

(٨) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (ولي) ٤٤٨/١٥ ، وانظر : المصادر السابقة .

(٩) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢/٥ .

قال أبو العباس : « وقال غير الأصمعي : (أولى) يقولها الرجل لآخر يحسره على ما فاتته ، ويقول له : يا محروم ، أي شيء فاتك ؟ »^(١) .

وقال صاحب النظم : « (أولى) مأخوذ من الويل »^(٢) ، وللويل تصريف قد درج ، ولم يبق منه إلا الويل فقط ، وقد قال جرير :

يَعْلَمَنَّ بِالْأَكْبَارِ وَيَلًا وَائِلًا^(٣)

فقلوه : أولى أفعل من الويل ، إلا أن فيه قلباً ، وهو أن عين الفعل وضع موضع اللام .

٢١ . قوله : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ يرتفع بمحذوف ، ورافعه إمّا قبله وإمّا بعده ، فمذهب سيبويه^(٤) والخليل أن المعنى : « طاعة وقول معروف أمثل » ، والمعنى على هذا : أن الله - تعالى - قال : لو أطاعوا وقالوا معروفاً كان أمثل وأحسن ، وهذا اختيار الزّجاج^(٥) .

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (ولى) ٤٤٨ / ١٥ ، والقرطبي في الجامع ٢٤٤ / ١٦ من دون نسبة .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٤٤ / ١٦ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ١٥٣ / ٦ .

(٣) الويل : قال الليث هو حلول الشر ، والويلة : البلية والفضيحة ، وأصل الويل في اللغة : الهلاك والعذاب . انظر : تهذيب اللغة (ويل) ٤٥٥ / ١٥ ، واللسان (ويل) ٧٣٧ / ١١ ، ولم أعثر على هذا الشطر من البيت .

(٤) انظر : الكتاب ١٣٦ / ٢ .

(٥) ذكره الزّجاج في معاني القرآن ١٣ / ٥ ، ونقل قول سيبويه والخليل ، وذكرهما أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٤ / ١٨٦ ، ١٨٧ .

وهو على حذف الخبر، ويجوز أن يقدر الحذف ابتداءً على تقدير: أمر بالطاعة وقول معروف، وهذا قول المبرّد^(١)، واختيار ابن قتيبة، قال: «هذا مختصر يريد قولهم قبل نزول الفرض: سمع لك وطاعة»^(٢).

المذهب الثاني: أن الكلام تم عند قوله: ﴿فَأُولَى﴾، وهو تهديد على ما ذكرنا، ثم ابتداءً فقال لهم: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾^(٣)، وهو القول الحسن الذي يعرف حسنه وصحته، ويجوز على هذا القول أن يكون المعنى: للمنافقين طاعة وقول معروف باللسان، فإذا جدّ الأمر تبين كذبهم في ما قالوا بعودهم عن نصره النبي ﷺ، يدل على صحة هذا سياق الآية في ما بعد.

المذهب الثالث: أن الآية الثانية التي هي قوله: ﴿طَاعَةٌ﴾ متصلة بالآية الأولى في المعنى، والتقدير: فأولى لهم طاعة وقول معروف، وهذا معنى ما روي عن عطاء عن ابن عباس^(٤): «يريد: كانت الطاعة أولى لهم»، والمعنى على هذا: طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة أولى لهم، وهذا القول اختيار الكسائي^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾. قال ابن عباس ومجاهد^(٦) ومقاتل: «جدّ القتال عن حقائق الأمور»^(٧).

(١) انظر: الكامل للمبرّد ٥٧/٢.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٢/٢.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ٣٠٨/٢، والدر المصون ١٥٤/٦.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٨٦/٧، ونسبه إلى ابن عباس في رواية عطاء، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١٦.

(٥) ذكره المؤلف في الوسيط ١٢٦/٤.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٥/١٣ عن مجاهد، وذكره من دون نسبة الماوردي في تفسيره ٣٠١/٥، والبغوي في تفسيره ٢٨٦/٧، والقرطبي في الجامع ٢٤٤/١٦.

(٧) ذكره مقاتل في تفسيره ٤٨/٤، لكنه قال: «عند دقائق الأمور».

وقال أبو إسحاق : «جَدَّ الأمر ولزم فرض القتال»^(١).

قال أبو الهيثم : «عَزَمَ الْأَمْرُ» هو فاعل بمعنى مفعول ، وإنما يُعَزَمُ الأمر ولا يُعَزَمُ ، والعزم لإنسان لا للأمر ، قال : وهذا كقولهم : هلك الرجل ، وإنما أهلك»^(٢).

وقال غيره : «معنى عزم الأمر : انعقد الأمر بالإرادة أنه يفعله ، فإذا عقد الأمر على أنه يفعل قيل : عزم الأمر»^(٣) على طريق البلاغة .

قال الفرّاء : «معنى الآية : فإذا عزم الأمر نكلوا ولم يفعلوا»^(٤) ، ونحو هذا قال ابن قتيبة : «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ» ؛ أي جاء الجد كرهوا ذلك ، فحذف الجواب»^(٥).

وقال صاحب النظم : «قوله : عَزَمَ الْأَمْرُ» يقتضى جواباً ولم يذكر ذلك الجواب ، فلمّا قال : «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ» كان هذا دليلاً على المضمّر ، وهو أن يكون كذبوا»^(٦) ومثله قوله : «أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ» [الشعراء : ٦٣] ، وقد مرّ .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣ / ٥ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (عزم) ١٥٢ / ٢ ، واللسان (عزم) ٤٠٠ / ١٢ .

(٣) ذكر نحوه ابن فارس في مقاييس اللغة (عزم) ٣٠٨ / ٤ .

(٤) هذا القول لم أجده في معاني الفرّاء عند هذه الآية ٦٢ / ٣ . قال السمرقندي في تفسيره : «فإذا عزم الأمر يعني : وجب الأمر وجدّ الأمر ، كرهوا ذلك» ، وقال الشوكاني في فتح القدير ٢٤٤ / ٣ : «عزم الأمر : جدّ الأمر ؛ أي جدّ القتال ووجب وفرض» ، وقال المفسرون : «معناه إذا جدّ الأمر ولزم وفرض القتال خالفوا وتخلفوا» . انظر : فتح القدير ٣٨ / ٥ .

(٥) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٣ / ٢ .

(٦) ذكر قريباً من هذا المعنى البغوي في تفسيره ٢٨٦ / ٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٦ / ٧ .

قوله : ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ ؛ أي في إيمانهم وجهادهم سمحوا بالطاعة والإجابة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من المعصية والكرهية ، قاله ابن عباس ^(١) . والمعنى : لكان الصدق خيراً لهم ، فأضمر لدلالة صدقوا عليه .

٢٢ . ثم قال : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد عن الإسلام» ^(٢) ، وعلى هذا معنى الآية .

قال أبو إسحاق : «لعلكم إن توليتم عما جاء به النبي ﷺ أن تعودوا إلى أمر الجاهلية تفسدوا ، ويقتل بعضكم بعضاً ، وتقطعوا أرحامكم ؛ أي تتدوا البنات وتدفنوهن أحياء» ^(٣) .

وقال ابن قتيبة : «أي إذا انصرفتم عن النبي ﷺ أن تفسدوا يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً وما يأمركم به أن تعودوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر والإفساد في الأرض وقطع الأرحام» ^(٤) ، وعلى هذا القول كأن الله - تعالى - يذكر منته عليهم بالإسلام ومحمد ﷺ حين جمعهم به وأكرمهم بالإلفة بعد ما كانوا عليه في جاهليتهم من القتل والبغي وقطيعة الرحم ، فيقول : لعلكم إذا كرهتم الإسلام والقرآن ، تريدون أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه ، والمراد بقطع الأرحام قتل بعضكم بعضاً ، ويحتمل ما ذكره أبو إسحاق من الوأد .

(١) ذكر نحوه الشوكاني في فتح القدير ٣٨/٥ .

(٢) ذكر البغوي في تفسيره ٢٨٧/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٧ قريباً من هذا المعنى ، ولم ينسباه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٣/٥ .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٢٣/٢ .

وفي الآية قول آخر ، قال الكلبي : «إن توليتم إمرة هذه الأمة»^(١) ، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي في قراءة النبي ﷺ : (إِنْ تُؤَلِّتُمْ)^(٢) ، وَمَنْ قَالَ بهذا القول قال : «المراد بهذا الخطاب بنو أمية»^(٣) يقول لهم : «إن توليتم أمر الناس أفسدتم وقطعتم رحم بني هاشم»^(٤) بقتلهم ، وعلى هذا القول : قتادة والمسيب^(٥) بن شريك^(٦) ، وذكر الفرّاء والزّجاج^(٧) القولين جميعاً ، وما قبل هذه الآية يدل^(٨) في المنافقين ، فلعل منافقي بني أمية خوطبوا بهذا ، والله أعلم ، ثم وصف هؤلاء المنافقين بقوله :

- (١) ذكره القرطبي في تفسيره ١٦ / ٢٤٥ ، وانظر : تنوير المقباس ٥٠٩ .
- (٢) انظر : المحتسب لابن جني ٢ / ١٧٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٨٢ ، والتذكرة في القراءات لابن غلبون ٦٨٤ ، قال : «وقرأ رويس : (توليتم) بضم التاء والواو وكسر اللام» ، وانظر : النشر في القراءات العشر ٢ / ٣٧٤ ، وقال القرطبي في تفسيره ١٦ / ٢٤٣ : «قرأ علي بن أبي طالب : (تُؤَلِّتُمْ) بضم التاء والواو وكسر اللام» ، وهي قراءة ابن أبي إسحاق ، ورواها رويس عن يعقوب .
- (٣) هم : بطن من قريش من العدنانية ، وهم بنو أمية الأكبر بن عبد شمس بن مناف ، وبنو أمية هؤلاء هم المراد ببني أمية عند الإطلاق ، وكان له عشرة أولاد ؛ أربعة منهم يسمون العياص ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وستة يسمون العنابس ، وهم : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وسموا بذلك بابن من أبناء حرب ، وأحد أساء عنبسة غلب عليهم اسمه ، ومن عقبه عثمان بن عفان ، ومنهم أيضاً معاوية بن أبي سفيان . انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٨٥ .
- (٤) هم : بنو هاشم من قريش من العدنانية ، وهم بنو هاشم بن عبد مناف ، كان له خمسة أولاد منهم : عبد المطلب ، وحنظلة ، وأسد ، وصيفي ، وأبو صيفي ، واسم هاشم عمرو ، وسُمِّيَ هاشماً لهشمه الثريد لقومه في شدة المحل ، وذلك أنه كان إليه الرفادة والسقاية بمكة ، و انتهت إليه سيادة قريش . انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٨٦ .
- (٥) المسيب بن شريك أبو سعيد التميمي الشقري الكوفي ، روى عن الأعمش . قال يحيى : «ليس بشيء» ، وقال أحمد : «ترك الناس حديثه» ، وقال البخاري : «سكتوا عنه» . انظر : ميزان الاعتدال ٤ / ١١٤ .
- (٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٨ ب ، وأبو حيان في البحر ٨ / ٨٢ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٤٥ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٦٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥ / ١٣ .
- (٨) كذا رسمها في الأصل ، ولم يتضح لي معناها .

٢٣. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية .

٢٤. قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ؛ أي ليعرفوا ما أعدَّ الله للذين لم يتولوا عن الإسلام ولم يقطعوا أرحامهم ، قال ابن عباس : «ومعنى تدبر القرآن ذكرناه في سورة النساء ، الآية ٨٢

﴿أَمْرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ . قال الليث : «القفل معروف ، وفعله الإقفال ، وقد أقفلته فاقتفل^(١) ، وأصله من اليبس والصلابة ، ويقال لما يبس من الشجر القفل ، وأقفله الصوم ، إذا أبيسه»^(٢) .

قال ابن عباس : «يريد على قلوب هؤلاء أقفال»^(٣) .

وقال مقاتل : «يعني الطبع على القلب»^(٤) ، وفي هذا تنبيه على القدر والقضاء السابق بالختم على القلب ، والأقفال استعارة لارتياح القلب ، من الباب الذي ما لم يرفع الختم عن القلب لم يدخله الإيمان والقرآن ، وفي تنكير القلوب وإضافة الأقفال إليها مع ما في ظاهر اللفظ تأكيد للمعنى الذي ذكرنا ، ومعنى تنكير القلوب : إرادة لقلوب هؤلاء وقلوب من بهذه الصفة من غيرهم ، ولو قال : أم على قلوبهم ، لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة ، وفي قوله : ﴿أَقْفَالُهَا﴾ دليل على ما ذكرنا من أن المراد بالأقفال الختم وانغلاق القلب ، ولو قال : أقفال ، لذهب الوهم إلى ما نعرف بهذا الاسم ، فلمَّا أضافها إلى القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب .

(١) انظر : كتاب العين (قفل) ١٦١ / ٥ ، وتهذيب اللغة (قفل) ١٦٠ / ٩ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قفل) ١٦١ / ٩ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٩ / ٤ .

ومعنى الاستفهام في قوله : ﴿أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ الإخبار أنها كذلك ، ويصدق هذه الجملة التي ذكرناها ما روي أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه السورة شاباً^(١) من أهل اليمن فلما قرأ : أم على قلوب أقفالها . قال : بل عليها أقفالها حتى يفرجها الله ، فقال النبي ﷺ : « صدقت »^(٢) .

ثم ذكر اليهود وسوء عاقبتهم حين ارتدوا بعد المعرفة :

٢٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ ؛ رجعوا كفاراً ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ ؛ يعني اليهود ، ظهر لهم أمر النبي ﷺ بنعته وصفته في كتابه ، وكانوا يعرفونه لما دعاهم إلى دينه كفروا به . هذا قول الكلبي^(٣) ومقاتل^(٤) وقتادة^(٥) .

وقال السُّدِّيُّ والضحاك : « يعني المنافقين »^(٦) .

-
- (١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (وعنده شاب) .
 (٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٨ / ١٣ عن هشام بن عروة عن أبيه ، ولم يذكر لفظ : (صدقت) ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٩ أ ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٨٧ بمثل لفظ الطبري ، ونسبه السيوطي في الدر ٧ / ٥٠١ إلى إسحاق بن راهويه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه بلفظ : (صدقت) ، وانظر : الوسيط ٤ / ١٢٦ .
 (٣) انظر : تنوير المقياس ٥٠٩ .
 (٤) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٤٩ .
 (٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٨ / ١٣ عن قتادة ، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٩ ب مشوباً إلى قتادة ، وكذا البغوي في تفسيره ٧ / ٢٨٧ .
 (٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٨ / ١٣ عن الضحاك ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٢٩ ب إلى ابن عباس والضحاك والسُّدِّيُّ ، وكذا البغوي في تفسيره ٧ / ٢٨٨ ، والقرطبي في الجامع ١٦ / ٢٤٩ .

ثم قال: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾. قال ابن عباس: «زَيْنَ لَهُم القبيح»^(١)، وتفسير التسويل قد سبق في سورة^(٢) يوسف، [آية: ١٨ : ٨٣].

قوله: ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ يعني الإملاء في اللغة: الترفيه في العمر، والمدفيه^(٣)، وذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. قال مقاتل: «يعني: وأمهل الله لهم»^(٤). وهذا قول أكثر المفسرين^(٥)، وقوله: ﴿أَنَّمَا تُمَلَّى لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الحج: ٤٤]، وقوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الرعد: ٣٢].

والمعنى: لم يعجل عليهم العقوبة وأمهلهم موسعاً عليهم ليتمادوا في طغيانهم، جزاء لهم على ما فعلوا، وقرأ أبو عمرو: (وَأَمَلِيَ لَهُمْ) بضم الهمزة وفتح الياء على ما لم يسم فاعله.

قال أبو الحسن الأخفش: «هي خشنة في المعنى، يريد أن هذه القراءة فصل بين فعل الشيطان وفعل الله تعالى، حيث بنى الفعل للمفعول، ويعلم يقيناً أنه لا يؤخر أحد مدة أحد، ولا يوسع له فيها إلا الله سبحانه»^(٦)، ففصل من حيث الرفع اللفظ، وعلى القراءتين يحسن الوقف على قوله: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾^(٧)، لا على قول

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٨٨/٧ من دون نسبة، وقال القرطبي في الجامع ٢٤٩/١٦: «زين لهم خطاياهم»، ونسبه إلى الحسن.

(٢) قال الأزهري في تهذيب اللغة (سول) ٦٦/١٣: «قال الله جل وعز: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾؛ أي زينت لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون، وكأن التسويل تفعيل من سول الإنسان، وهو أمنيته التي يتمناها فتزين لطالبها الباطل والغرور».

(٣) انظر: تفسير البغوي ٢٨٨/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٦.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٤٩/٤.

(٥) انظر: تفسير أبي الليث ٢٤٥/٣، وتنوير المقباس ٥٠٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٦.

(٦) ورد في الحجة ١٩٤/٦، والكشف لمكي ٢٧٨/٢، ولم أقف عليه عند الأخفش.

(٧) انظر: القطع والائتناف ٦٦٧، والمكتفى ٥٢٥.

الحسن ، فإنه قال في قوله : ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ على قراءة العامة : «مد لهم الشيطان في الأمل»^(١) .

٢٦. قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي ذلك الإملاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ ؛ يعني اليهود ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ ؛ يعني المشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ . قال مقاتل : «في تكذيب محمد ﷺ ، وهو بعض الأمر»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «جاء في التفسير أنهم قالوا : سنطيعكم في الظاهر على عداوة النبي ﷺ»^(٣) .

قال مقاتل : «إنهم قالوا ذلك سراً فيما بينهم»^(٤) .

فأخبر الله - تعالى - نبيه بذلك ، وأعلم أنه يعلم ذلك ، فقال : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ بكسر الألف على المصدر ، وبفتحها على جمع سر^(٥) .

٢٧. ثم خوفهم فقال : ﴿فَكَيْفَ﴾ قال أبو إسحاق : «المعنى : فكيف يكون حالهم»^(٦) ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية ، وقد مر تفسيرها في سورة الانفال عند قوله : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [آية ٥٠] .

(١) انظر : قول الحسن في القطع والائتناف ٦٦٧ ، وتفسير الماوردي ٣٠٣/٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤٩/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٩/٤ .

(٥) قرأ بالكسر حمزة والكسائي وحفص ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم بفتح الألف . انظر : الحجة

١٩٦/٦ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٧٨/٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤/٥ .

٢٨. ثم ذكر سبب ذلك الضرب فقال : ﴿ذَلِكَ﴾ يعني : ذلك الضرب
﴿يَأْنَهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما كنتموا من
التوراة»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني الكفر بمحمد ﷺ»^(٢) ، وقال الزجاج : «اتبعوا من
خالف النبي ﷺ»^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ ؛ يعني : كرهوا ما فيه رضوان الله تعالى ،
وما هو سبب الرضوان من طاعة الله وطاعة رسوله والإيمان به ، وإذا كرهوا سبب
الرضوان فقد كرهوا الرضوان ، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وأهل التفسير^(٤)
﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وصلة رحم ؛ لأنها في
غير إيمان .

ثم رجع إلى ذكر المنافقين فقال :

٢٩. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ . قال
الليث^(٥) : «الضغن الحقد ويجمع الأضغان ، ومثله الضغينة ، وجمعها
ضغائن ، وضغن فلان يضغن ضغناً فهو ضغن ، والمرأة ضغنة ،
وأضغن عليّ ضغناء ، أي أضمره ، وأصله من الضغن ، والضغن هو
الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابة والقناة وكل شيء ، ومنه قول
بشر :

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٨٨/٧ ، والقرطبي في الجامع ٢٥١/١٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤٩/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٤/٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤٩/٤ ، وتفسير أبي الليث ٢٤٦/٣ ، وتفسير البغوي ٢٨٨/٧ .

(٥) انظر : كتاب العين (ضغن) ٣٦٦/٤ ، وتهذيب اللغة (ضغن) ١١/٨ ، واللسان (ضغن) ٢٥٥/١٣ .

كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ^(١) .

وأنشد الليث :

إِنْ قَنَاتِي مِنْ صَلِيَّاتِ الْقَنَا مَا زَادَهَا التَّثْقِيفُ إِلَّا ضَعْفًا^(٢)

والحق في القلب مشبه به ، لأنه لا يستقيم الحقود عليه ، قال ابن عباس في قوله : ﴿ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ : « أن لا يطلع الله على ما في قلوبهم »^(٣) ، وقال مقاتل : « أن لا يظهر الله الغش الذي في قلوبهم »^(٤) .

وقال أبو إسحاق : « لا يبدي الله عداوتهم لرسوله ﷺ والمؤمنين ، ويظهره على نفاقهم »^(٥) .

٣٠. قوله : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ ﴾ . قال مقاتل والمفسرون : « لأعلمناكمهم »^(٦) . كقوله : ﴿ بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] ؛ أي بما علمك الله ، وقد مرّ ، وقال الفراء والزجاج : « يريد لعرفناكمهم . وأنت تقول للرجل : أريتك كذا وكذا ، تريد عرفتَكَ وعَلِمْتَكَ »^(٧) .

-
- (١) انظر : تهذيب اللغة (فرق) ١١٣/٩ ، واللسان (ضغن) ٢٥٥/١٣ ، والدر المصون ١٥٧/٦ .
- (٢) انظر : كتاب العين (ضغن) ٣٦٦/٤ ، وتهذيب اللغة (ضغن) ١١/٨ ، واللسان (ضغن) ٢٥٦/١٣ .
- الثقاف : حديدة تكون مع القوأس والرمّاح يقوم بها الشيء المعوج ؛ أي كأن الشاعر يقول : « ما زادها التقويم إلا اعوجاجاً » . انظر : اللسان (ثقف) ٢٠/٩ .
- (٣) ذكره المؤلف في الوسيط ١٢٨/٤ من دون نسبة .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ .
- (٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥/٥ .
- (٦) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ ، وتفسير البغوي ٢٨٨/٧ ، وزاد المسير ٤١١/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/١٦ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٦٣/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٥/٥ .

قوله : ﴿فَلَعَرَفْنَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ ؛ أي فعرفتهم ، ودخلت اللام لتأكيد المعرفة ، والكلام في تفسير السيماء قد سبق في سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

قال أبو إسحاق : «المعنى : لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة ، وهي السيماء فلعرفتهم بتلك العلامة»^(١) .

قوله : ﴿وَلَعَرَفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ . قال أبو عبيدة والفرّاء والزّجاج : «في نحو القول معنى القول»^(٢) : في فحوى القول وقصد القول ، وهو الذي يدل على ما عنده وفي قلبه من غير تصريح به ، وقريب منه قول النبي ﷺ في سعد^(٣) بن معاذ وسعد بن عباد^(٤) حين وجههما لاستعلام خبر قريظة : «فإن رأيتهما على العهد فأعلننا ذلك ، وإلا فالحنا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتان أعضاد المسلمين»^(٥) .

وقال الليث : «ما تلحن إليه بلسانك : تميل إليه»^(٦) .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ١٥/٥ .
 (٢) ورد في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٥/٢ بلفظ : (في فحوى القول) ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٣/٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ١٥/٥ .
 (٣) سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي ، سيد قومه ، وهو الذي حكم على بني قريظة بأن تقتل النساء والذرية وتسبى . انظر : الاستيعاب ٢٧/٢ ، وأسد الغابة ٢٩٦/٢ .
 (٤) سعد بن عباد بن دليم الأنصاري سيد الخزرج . انظر : الاستيعاب ٣٥/٢ ، والإصابة ٣٠٠/٢ .
 (٥) لم أقف على هذا الحديث ، بيد أن ابن الأثير ذكر نحوه في النهاية في غريب الحديث (لحن) ٢٤١/٤ ، وهو : «أنه بعث رجلين إلى بعض الثغور عيناً . فقال لهما : إذا انصرفتما فالحنا» ؛ أي أشيرا إلي ولا تفصحا ، وعرضا بما رأيتهما . أمرهما بذلك لأنهما ربما أخبرا عن العدو ببأس وقوة ، فأحب ألا يقف عليه المسلمون .
 (٦) انظر : كتاب العين (لحن) ٢٢٩/٣ .

وقال أبو زيد : «لحنت له ألحن ، إذا قلت له قولاً يفقه عنك ، ويخفى على غيره»^(١) .

وقال ابن دريد^(٢) : «معنى اللحن : أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر»^(٣) .

وقيل لمعاوية : إن عبد الله يلحن ، فقال : أو ليس بظريف لابن أخي^(٤) أن يتكلم بالفارسية ، ظن معاوية أنهم عنوا بقولهم : عبد الله يلحن ؛ أي يتكلم بالفارسية ؛ إذ كان المتكلم بها معدولاً عن جهة العربية .

وقال الفزاري^(٥) :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَانًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(٦)

(١) انظر : تهذيب اللغة (لحن) ٦٠ / ٥ .

(٢) هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمادي بن جروين واسع بن وهب بن سلمة ، من أئمة اللغة والأدب ، كانوا يقولون ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء ، وُلِدَ في البصرة سنة ٢٢٣ هـ ، ومن كتبه : الاشتقاق ، والمقصود والممدود ، والجمهرة ، والمجتبى ، توفي سنة ٣٢١ هـ . انظر : مقدمة جمهرة اللغة ٣ / ١ ، ٤ ، ووفيات الأعيان ١ / ٤٩٧ ، وتاريخ بغداد ٢ / ١٩٥ .

(٣) انظر : جمهرة اللغة (لحن) ٢ / ١٩٢ بلفظ : (اللحن صرفك الكلام عن جهته ، لحن يلحن لحنًا ولحنًا ، وعرفت ذلك في لحن كلامه ؛ أي في ما دل عليه كلامه) .

(٤) انظر : اللسان (لحن) ١٣ / ٣٨٠ .

(٥) هو : مالك بن أسماء بن خارقة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو الحسن ، شاعر غزل ظريف من الولاة ، كان هو وأبوه من أشرف الكوفة ، وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، واختار له أبو تمام أبياتاً في الحماسة . انظر : الشعر والشعراء ٥٢٧ ، ولسان الميزان ٥ / ٢ ، والأعلام ٥ / ٢٥٧ .

(٦) انظر : الشعر والشعراء ٥٢٧ ، وتهذيب اللغة (لحن) ٥ / ٦١ ، واللسان (لحن) ١٣ / ٣٨٠ ، والدر المصون ٦ / ١٥٧ .

يريد أنها تتكلم بالشيء وهي تريد غيره ، وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من ذكائها وفطنتها كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ، وكما قال القتال الكلابي^(١) :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْهَمُوا وَلَحْنَتْ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمَرْتَابِ^(٢)

واللحن في العربية راجع إلى هذا ، لأنه العدول عن الصواب ، هذا كلامه في ما حكاه حمزة^(٣) صاحب الأمثال ، وهو سديد ، وذكر أبو القاسم الزجاجي - رحمه الله - معنى اللحن في كلام العرب بأبلغ شرح فقال^(٤) : « أصل (ل ح ن) على هذا الترتيب موضوع للميل عن الشيء والعدول عنه ، يقال : لحن فلان في منطقته ، إذا أخذ في شيء ترك الظاهر له وعدل عنه إلى غيره ، يعميه على السامع ، وذلك كالتعريض في الكلام ، ويقال لمثل ذلك القول : ملاحن القول ، وهذا كقولهم : والله ما رأيت زيدا برائب ، أصبت ريبة لا روبة البصر ، ويقال : لاحنت فلاناً ، أي راطنته ، وذلك أن تضع بينك وبينه كلاماً يفهمه عنك وتفهمه عنه ، ولا يفهم غيركما ، لأنكما قد عدلتما عن المعتاد من الكلام ، ومنه قول الطرماح :

وَأَدَّتْ إِلَى الْقَوْلِ عَنْهُمْ زَوْلَةٌ تُلَاحِنُ أَوْ تَرْثُو لِقَوْلِ الْمُلاحِنِ^(٥) .

(١) ورد خلاف في اسمه ، والمشهور : عبدالله بن مجيب بن مضر حى الكلابي أبو المسيب ، شاعر إسلامي غلب عليه لقب القتال لشجاعته ، له ديوان مطبوع ، وهو من بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة . انظر : الأغاني ٢ / ١٥٩ ، والمحرر ٢٨٨ ، والخزانة ٣ / ٦٨٨ ، والشعر والشعراء ٤٧١ .

(٢) انظر : ديوانه ٣٦ ، والزاهر لابن الأنباري ١ / ٣٠٦ ، واستشهد القرطبي بهذا البيت بهذا اللفظ ، انظر : ١٦ / ٢٥٣ ، وهو في اللسان (لحن) ١٣ / ٣٨٠ بلفظ : (لحنت لكم) (بدل) (وحيت لكم) ، وانظر : الدر المصون ٦ / ١٥٧ .

(٣) لعله : حمزة بن الحسن الأصبهاني أبو عبدالله ، إمام لغوي له مؤلفات حسان ، من كتبه : الأمثال السائرة ، والأمثال الصادرة في بيوت الشعر ، توفي نحو سنة ٣٦٠ هـ . انظر : ترجمته في أخبار أصبهان ١ / ٣٠٠ ، والأعلام للزركلي ٢ / ٣٠٩ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٧٨ .

(٤) لم أقف عليه عند الزجاجي ، وانظر : مقاييس اللغة (لحن) ٥ / ٢٣٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (لحن) ٥ / ٦٣ ، واللسان (لحن) ١٣ / ٣٧٩ .

أي تتكلم بمعنى كلام لا يفتن له غيري ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ؛ أي في فحواه ومعناه ، يعني : المنافقين ، وذلك أنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ بكلام تواضعوه بينهم والنبي ﷺ يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد ، فنبهه الله - تعالى - على ذلك ، فكان بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقين إذا سمع [كلام^(١)] ، فلحن القول : ميلهم عن الظاهر .

وحكى سلمة^(٢) عن الفراء : «يقال للرجل يعرض ولا يصرح : قد جعل كذا وكذا لحناً لحاجته ، ويقال من هذا : لَحَنَ يلحن ، فأما لَحَنَ يلحن فالمراد به^(٣) فَطِنَ وفهم» .

ومنه قول النبي ﷺ : «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»^(٤) ؛ أي أفطن لها وأقدر على لحن القول وفحواه ومعناه .

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : (كلامهم) .

(٢) هو : سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي صاحب الفراء ، روى القراءة عن أبي الحارث الليث بن خالد ، وروى عنه أحمد بن يحيى ثعلب . قال ابن الأنباري : «كتاب سلمة في معاني القرآن للفراء أجود الكتب ؛ لأن سلمة كان عالماً وكان يراجع الفراء في ما أخذ عليه ويرجع عنه» ، توفي بعد سنة ٢٧٠ هـ . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٣٧ ، وإنباه الرواة ٥٦ / ٢ ، وغاية النهاية ٣١١ / ١ .

(٣) انظر : كتاب العين (لحن) ٢٣٠ / ٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٦٣ / ٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ، باب [٣٧] : مَنْ أقام البينة بعد اليمين ١٦٢ / ٣ ، وفي كتاب الحيل ، باب [١٠] / ٨ / ٦٢ ، وفي كتاب الأحكام ، باب [٢٠] : موعظة الإمام للخصم ١١٢ / ٨ ، وأخرجه مسلم في كتاب الأفضية ، باب [٣] : الحكم بالظاهر واللعن وبالحنة ١١٢ / ٢ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الاحكام ، باب [١١] : ما جاء في التشديد على مَنْ يقضى له بشيء ليس له أن يأخذه ٢٣٣ / ٣ ، وفي باب [٣٣] : ما يقطع القضاء ٢٤٧ / ٨ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب [٥] : قضية الحاكم لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ٧١٩ / ٢ ، وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الأفضية ، باب [١] : الترغيب في القضاء بالحق ٧١٩ / ٢ ، وأخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ٣٣٢ / ٢ ، وأخرجه أيضاً عن أم سلمة ٢٠٣ / ٦ ، ٢٩٠ / ٦ ، ٣٠٧ / ٦ ، ٣٠٨ / ٦ ، ٣٢٠ / ٢ .

قال أبو عبيد^(١): «اللَّحْنُ بفتح الحاء الفطنة، واللَّحْنُ بالكسر الحاذق بالكلام الفطن، وإنما قالوا: لَحْنٌ، إذا فطن وفهم، لأنه سمع ما لَحَنَ له من القول فعلم فحوى ما قيل له، فقليل: لَحْنٌ كما يقال: فطن، وأَمَّا قول الكلائية قال^(٢):

وَقَوْمٌ لَهُمْ لَحْنٌ سِوَى لَحْنِ قَوْمِنَا وَشَكْلٌ وَبَيْتٌ لِلَّهِ لَسْنَا نُشَاكِلُهُ»^(٣).

أي لغة ومذهب في الكلام يذهبون إليه سوى كلام الناس المعتاد، لأنهم عدلوا به إلى ما أرادوا وتركوا ما يتعارفه الناس، والألحان: الضروب من الأصوات في الأغاني، كقولهم: لحن معبد، ولحن سريج، سمي بذلك لأن كل صوت له طريق ومذهب غير مذهب الصوت الآخر، فكأن المعنى عدل بالصوت إلى طريق آخر، والملحّن الذي يسوي طريق الأغاني.

وقال النضر: «سألت الخليل عن قولهم: لحن القارئ في ما قرأ، فقال: ترك إعراب الصواب وعدل عنه»^(٤).

وأَمَّا المفسرون فقال ابن عباس: «في معنى القول»^(٥).

(١) انظر: تهذيب اللغة (لحن) ٦٢/٥ بتصرف.

(٢) كذا في الأصل بمد اللام، وفي تهذيب اللغة الكلية. انظر: تهذيب اللغة (لحن) ٦٢/٥، واللسان (لحن) ٣٨٠/١٣، ولم أقف لها على ترجمة.

(٣) انظر: هذا الشاهد وكلام أبي عبيد الذي قبله في تهذيب اللغة (لحن) ٦٢/٥، واللسان (لحن) ٣٨٠/١٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٢٨٩/٧، وكذا القرطبي في تفسيره ٢٥٢/١٦.

وقال الحسن : «في فحواه»^(١) ، وقال القرطبي : «في مقصده ومغزاه»^(٢) ، وقال أبو إسحاق : «دل بهذا - والله أعلم - أن قول القائل قد يدل على نيته»^(٣) ، هذا كلامه ، ومعنى الآية : ولتعرفنهم في معاريض كلامهم وما يلحنون به ، من غير تصريح في تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم ، قال الكلبي : «كان بعد ذلك لا يتكلم منافق عند رسول الله ﷺ إلا عرفه بكلامه»^(٤) .

وقال مقاتل : «لم يخف منافق بعد هذه الآية على النبي ﷺ»^(٥) .

ونحو هذا روي عن أنس أنه قال : «لم يخف بعد نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ شيء من المنافقين»^(٦) ، وهذا يحمل على أنه ﷺ تأمل كلامهم وتفكر في أنحاء مخاطباتهم لما نبهه الله على ذلك بقوله : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ . فاستدل بفحوى كلامهم على فساد دخيلتهم وسوء اعتقادهم .

قال مقاتل : «ثم رجع إلى المؤمنين أهل التوحيد فقال : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ من الخير والشر»^(٧) ، فلا يخفى عليه منها شيء .

(١) ذكره من دون نسبة ابن الجوزي ٤١١/٧ ، والقرطبي ٢٥٢/١٦ .

(٢) ذكره المؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ من دون نسبة .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٥/٥ .

(٤) ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره ٢٤٦/٣ من دون نسبة ، ونسبه القرطبي في الجامع ٢٥٣/١٦ إلى الكلبي ، وذكره المؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ من دون نسبة .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ .

(٦) ذكره القرطبي في الجامع ٢٥٣/١٦٦ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ .

٣١. قوله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ؛ أي لنعاملنكم المختبر نأمركم بالقتال والجهاد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره ، وهو قوله : ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ . قال ابن عباس : «حتى نميز»^(١) .

وقال مقاتل : «حتى نرى»^(٢) وذكرنا الكلام في مثل هذا في مواضع ، والمعنى حتى نعلم علم شهادة ووجود ، وهو العلم الذي يقع به الجزاء والذي علمه غيباً لا يقع به الجزاء ، والقراء قرؤوا : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ وما بعده بالنون لما تقدمه من قوله : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لُكَّاهُمْ﴾ جعلوا قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ كالا عراض ، ويجوز أن يكون ذلك عوداً إلى لفظ الجمع بعد لفظ الأفراد فيكون كقوله : ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء : ٢٠] بعد قوله : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء : ١] ، وروي عن عاصم الياء فيها حملاً على قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد : ٣٠] .

وقوله : ﴿وَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ عطف على قوله : ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾^(٣) . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد لنظهر ما تسرون» .

وقال في رواية الكلبي يقول : «نظهر نفاقكم للمؤمنين»^(٤) .

ومعنى الآية : حتى نعلم المجاهدين ، وحتى نكشف أخباركم ونظهرها ؛ يعني يأبى مَنْ يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد فيفضح ويظهر سر نفاقه ، فمعنى (نبلوا) هاهنا ليس من الاختبار في شيء ، لأنه لا يقال : ولنبلونكم حتى نبلوا أخباركم ، ولأن بلو الأخبار بمعنى التجربة لا يصح ، فمعناه ما ذكره ابن عباس من الكشف والإظهار ، ويجوز أن يوضع البلو موضع الكشف ، لأن القصد

(١) ذكره القرطبي في الجامع ٢٥٣/١٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي ١٩٧/٦ ، وتفسير الطبري ٦٢/١٣ ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٧٨/٢ ، والمحزر الوجيز لابن عطية ٧٦/١٥ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥١٠ .

بالبلو الكشف والإظهار ، فجاز أن يفسر بما يؤول إليه ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق : ٩] ؛ أي تظهر ، ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى :

٣٢. قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الآية . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد قريظة والنضير»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني اليهود»^(٢) .

وقال الكلبي : «نزلت في المطعمين يوم بدر»^(٣) ، والقول أنها نزلت في اليهود لقوله : ﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدَى﴾ بعد ما بين لهم في التوراة ، وهذا لا يصح في وصف المشركين من أهل مكة .

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «أي بالشك والنفاق»^(٤) ، وقال الكلبي عنه : «بالرياء والسمعة»^(٥) . والمعنى : أخلصوها لله ، وقال مقاتل : «أي بالمن»^(٦) ، نزلت في قوم

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٢/٧ ، والمؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ من دون نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٥٠/٤ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٧/٢٩٠ ، والسمرقندي في تفسيره ٣/٢٤٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٢ ، والقرطبي في الجامع ١٦/٢٥٤ ، ونسبه إلى ابن عباس ، وانظر : تنوير المقباس ٥١٠ .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٧/٢٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٢ ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ إلى عطاء .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/٣٠٦ ، والبغوي في تفسيره ٧/٢٩٠ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٢ ، ونسبه إلى ابن السائب ، والقرطبي في الجامع ١٦/٢٥٤ ، ونسبه إلى ابن جريج ، والمؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ منسوباً إلى الكلبي .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٥١/٤ .

كانوا يمتنون بإسلامهم على رسول الله ﷺ، وقال الحسن: «أي بالمعاصي والكبائر»^(١).

وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص لله ذنبٌ، كما لا ينفع مع الشرك عمل صالح»^(٢).
فأنزل الله هذه الآية، فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال.

وقال مقاتل بن حيان: «يقول: إذا عصيتم النبي ﷺ فقد أبطلتم أعمالكم»^(٣).

٣٥. ثم قال للمسلمين: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾؛ فلا تضعفوا، قاله الجميع^(٤).
وقوله: ﴿وَتَدْعُوا﴾ في محل الجزم بالعطف على ما قبله^(٥).

قوله: ﴿إِلَى السَّلَامِ﴾. وقرئ بفتح السين^(٦) وقد تقدّم الكلام فيه في سورة البقرة، الآية ٢٠٨. قال قتادة: «لا يكونوا أولى الطائفتين ترغب إلى صاحبها»^(٧).
قال ابن حيان: «ولا تبدؤوا فتدعوا إلى الصلح»^(٨).

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٠٦/٥ من دون ذكر الكبائر، والبغوي في تفسيره ٢٩٠/٧، والقرطبي في الجامع ٢٥٤/١٦ من دون ذكر الكبائر، والمؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ منسوباً إلى الحسن.

(٢) ذكره السمرقندي في تفسيره ٢٤٧/٣، والبغوي في تفسيره ٢٩٠/٧، والسيوطي في الدر ٥٠٤/٨، ونسبه إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي وابن أبي حاتم، ونسبه القرطبي في الجامع ٢٥٥/١٦ إلى أبي العالية، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٢٩/٤ إلى أبي العالية.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع ٢٥٥/١٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٨٥/٧.

(٤) انظر: تفسير السمرقندي ٢٤٧/٣، وتفسير البغوي ٢٩٠/٧، وزاد المسير ٤١٣/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٦.

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١٩٢/٤، والدر المصون ١٥٨/٦.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ١٩٨/٦.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٣/١٠، والقرطبي في الجامع ١٥٦/١٦.

(٨) ذكره مقاتل في تفسيره ٥٣/٤.

قال أبو إسحاق : « منع الله المسلمين أن يدعوا الكافرين إلى الصلح ، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا »^(١) .

وقال أبو علي : « المعنى : لا توادعوه ، ولا تتركوا قتالهم ، لأنكم الأعلون فلا ضعف بكم فتدعوا إلى المودعة »^(٢) ، فقال ابن عباس في قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ : « وأنتم الغالبون » ، وهو قول مجاهد والمقاتلين وقتادة^(٣) : « وأنتم أولى بالله منهم » .

وقال الكلبي : « آخر الأمر لكم ، وإن غلبوكم في بعض الأوقات »^(٤) .

وقال الزَّجَّاج : « وأنتم الأعلون في الحجة »^(٥) . ومضى الكلام في نظير هذه الآية في سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

قوله : ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد على عدوكم » ، وقال مقاتل وغيره : « والله معكم بالنصر »^(٦) ﴿ وَلَنْ يَتْرَكُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾ . قال الكسائي : « لن ينقصكم ، يقال : وتره يتره وترأ وترأ وترأ وترأ » ، ونحو هذا قال أبو عبيدة والمُبرِّد والزَّجَّاج^(٧) وجميع أهل اللغة ، واحتجوا بما روي في الحديث : « مَنْ فاته العصر فكأنما وتر أهله وماله »^(٨) ؛ أي نقص أهله وماله فبقي فرداً .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦/٥ .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ١٩٩/٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٦٣ عن مجاهد ، ومجاهد في تفسيره ٦٠٥ ، ومقاتل في تفسيره ٥٣/٤ ، والبغوي في تفسيره ٢٩٠/٧ من دون نسبة .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩٠/٧ ، وانظر : تنوير المقباس ٥١٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦/٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٥٣/٤ ، وتفسير البغوي ٢٩٠/٧ ، وزاد المسير ٥١٤/٧ .

(٧) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢١٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١٦/٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٨٦/٦ ، وتفسير الطبري ١٣/٦٤ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤١١ .

(٨) أخرجه البخاري عن ابن عمر بلفظ : (الذي تفوته صلاة العصر كأنها وتر أهله وماله) في صحيحه في =

قال الزَّجَّاج : «أي لن ينقصكم شيئاً من ثوابكم»^(١).

وقال الفرَّاء : «هو من وترت الرجل ، إذا قتلت له قتيلاً ، وأخذت ماله فقد وترته»^(٢) ، وحمل الحديث على هذا المعنى وهو من الوتر ، وهو أن يجني الرجل على الرجل جنايةً ويقتل له قتيلاً أو يذهب بهاله وأهله فيقال : وتر فلان أهله وماله ، قال أبو عبيد والمُبَرِّد : «وأحد القولين قريب من الآخر»^(٣) ، لأن الموتير إنما هو مطالبة بما نقص من عدده ، والمفسرون قالوا : لن ينقصكم ولن يظلمكم»^(٤) ، قال ابن حيان : «لن يظلمكم أعمالكم الصالحة ؛ أي يؤتيكم أجورها في الآخرة»^(٥).

٣٦. ثم حضَّ على طلب الآخرة قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ﴾ . قال ابن عباس : «باطل وغرور»^(٦) . ﴿وَلِإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ؛ تصدقوا بمحمد ﷺ ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «الفواحش والكبائر ومعاصي الله»^(٧) . ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ ؛ يعني جزاء أعمالكم في الآخرة .

كتاب المواقيت ، باب أثم من فاتته العصر ١٣٨ / ١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر ٤٣٥ / ١ ، وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب وقوت الصلاة ، باب [٥] ١١ / ١٢ .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٦٤ / ٣ .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (وتر) ٣١٤ / ١٤ ، وانظر : اللسان (وتر) ٢٤٧ / ٥ .

(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة في تفسيره ٦٤ / ١٣ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٠٦ / ٥ منسوباً إلى مجاهد وقتادة ، ونسبه البغوي في تفسيره ٢٩٠ / ٧ إلى ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩٠ / ٧ ، من دون نسبة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٣٠ / ٤ إلى ابن حيان .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩٠ / ٧ من دون نسبة .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٥٣ / ٤ ، وتنوير المقباس ٥١٠ .

﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ . قال الكلبي : «لا يسألكم أموالكم كلها في الصدقة»^(١) ، ويدل على هذا :

٣٧ . قوله تعالى : ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ ؛ أي يجهدكم بمسألة جميع أموالكم ، يقال : أحفى فلان فلاناً ، إذا برح به في الإلحاح عليه وسأله فأكثر عليه الطلب ، وهو مثل الإلحاف سواء .

قال الكلبي : «إن يسألكموها كلها في الصدقة فيجهدكم ، تبخلوا بها فلا تعطوها»^(٢) ، وقال أبو إسحاق : «أي إن يجهدكم بالمسألة»^(٣) .

﴿تَبْخُلُوا وَيَخْرُجَ أَضْغَنْتُكُمْ﴾ . قال الكلبي : «يظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ، ولكنه فرض عليكم يسيراً ربع العشر» ، وهذا قول مقاتل والجميع^(٤) .

وقال السُّدِّي : «إن سألكم جميع ما في أيديكم تبخلوا»^(٥) ، ولكن يسألكم أن تنفقوا في سبيل الله ، وهو يسير في ما أعطاكم .

وقال قتادة : «علم الله أن في مسألة المال خروج الأضغان»^(٦) .

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٠٦/٥ من دون نسبة ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٩١/٧ منسوباً إلى ابن عيينة ، وكذا القرطبي في تفسيره ٢٥٧/١٦ .

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩١/٧ من دون نسبة ، وانظر : تنوير المقباس ٥١٠ ، والوسيط ١٣٠/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٦/٥ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٢٩١/٧ ، وتفسير مقاتل ٥٤/٤ ، وزاد المسير ٤١٤ .

(٥) ذكره عن السُّدِّي المؤلف في الوسيط ١٣٠/٤ .

(٦) ذكر نحوه الطبري في تفسيره ٦٥/١٣ ، والبغوي في تفسيره ٢٩١/٧ ، وأورد الثعلبي في تفسيره ١٣١/١٠ أقول قتادة ، وكذا المؤلف في الوسيط ١٣٠/٤ .

وقال الفرّاء : «يخرج ذلك البخل عداوتكم»^(١) ، يعني أن قوله : ﴿بَخَلُوا﴾ يدل على البخل .

قوله تعالى : ﴿يُخْرِجْ﴾ مسند إليه ، أي ذلك البخل يظهر عداوتكم لله ورسوله لو سألكم أموالكم كلها ، قال : ويجوز أن يكون يخرج الله أضغانكم .

٣٨ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أن لا ينفق أحد في سبيل الله إلا أعطاه الله في الدنيا أضغافه ، وفي الآخرة ما لا يقدر الواصفون يصفونه»^(٢) .

وقال مقاتل بن سليمان : «فإنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه»^(٣) ، وقال ابن حيان : «فإنما يبخل بالكرامة والفضل من الله على نفسه»^(٤) .

﴿وَاللَّهُ الْعَلِيُّ﴾ عما عندكم من الأموال ، وقال عطاء : «عن خلقه»^(٥) ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة .

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ . قال ابن عباس : «عن الإسلام»^(٦) ، وقال مقاتل : «وإن تعرضوا عما افترضت عليكم من حقي» ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ . قال مقاتل : «يعني قوماً أمثل وأطوع لله منكم»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٤ / ٣ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٥٤ / ٤ .

(٤) ذكره عن مقاتل المؤلف في الوسيط ١٣٠ / ٤ .

(٥) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤١٥ / ٧ : «عنكم وعن أموالكم» من دون نسبة .

(٦) أخرج الطبري في تفسيره ٦٦ / ١٣ عن قتادة ، قال : «عن كتابي وطاعتي» ، وذكره بهذا اللفظ المؤلف

في الوسيط ١٣٠ / ٤ من دون نسبة .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٥٤ / ٤ .

قوله : ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ . قال : يكونوا خيراً منكم ، وقال عطاء عن ابن عباس : «لا يكونوا أمثالكم في النفاق والبخل»^(١) ، وعلى هذا ، يجب أن يكون الخطاب للمنافقين .

وقال الكلبي : «لم يتولوا ولم يستبدل بهم»^(٢) .

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ سئل عن الذين يستبدل بهم إن تولوا ، ف ضرب على منكب سلمان ، وقال : «هذا وقومه»^(٣) .

وهذا كما قال الحسن : «هم العجم»^(٤) ، ونحو هذا قال عكرمة : «فارس»^(٥) .

وأحسن مجاهد في قوله : «من شاء»^(٦) ، يعني يستبدل الله بهم من شاء من عباده ، فيجعلهم خيراً من هؤلاء .

* * *

(١) قال الطبري في تفسيره ٦٦/١٣ : «لا يخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله ولا يضعون شيئاً من حدود دينهم ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به» .

(٢) ذكره المؤلف في الوسيط ١٣٠/٤ عن الكلبي .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٦/١٣ عن أبي هريرة ، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب التفسير ، باب [٤٨] : ومن سورة محمد ﷺ ٣٨٤/٥ ، وأخرجه المؤلف في الوسيط ١٣١/٤ عن أبي هريرة .

(٤) ورد في تفسير الحسن البصري ٢٩١/٢ ، وذكره البغوي في تفسيره ٢٩١/٧ منسوباً إلى الحسن ، وكذا ابن الجوزي في زاد المسير ٤١٥/٧ ، والقرطبي في تفسيره ٢٥٨/١٦ .

(٥) ذكره البغوي ٢٩١/٧ ، وابن الجوزي ٤١٥/٧ ، والقرطبي ٢٥٨/١٦ عن عكرمة .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٦٠٦ ، وزاد المسير ٤١٦/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٨/١٦ ، والدر المنثور ٥٠٦/٧ .

تفسير

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ . اختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، ومعنى هذا الفتح ، فذهب الأكثرون إلى أن الآية نزلت في صلح الحديبية ، والمراد بالفتح ذلك الصلح ، وهو قول جابر والبراء وأنس^(١) في رواية قتادة .

وروي ذلك مرفوعاً ، وهو أن النبي ﷺ لما انصرف من الحديبية ، وأنزلت عليه هذه السورة ، قرأها على أصحابه ، فقال عمر : أَوْ فَتَحَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : «نعم ، والذي نفسي بيده إنه لفتح»^(٢) .

(١) أخرجه البخاري عن أنس في صحيحه في كتاب التفسير ، باب [١] : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ٤٣ / ٦ ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٣٢ / ١٠ ب عن جابر والبراء ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨٦ / ١٥ ، وتفسير البغوي ٢٩٦ / ٧ ، والبحر المحيط ٨٩ / ٨ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٠ / ١٣ عن أبي وائل ، وانظر : الوسيط ١٣٣ / ٤ .

وروي عن مسور بن مخرمة أنه قال: «نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها»^(١)، وهو قول الشعبي ومجاهد وابن عباس^(٢) في رواية الكلبي: «قال: كان فتحاً بغير قتال، والصلح من الفتح»، واختاره الفراء، وقال: «الفتح قد يكون صلحاً»^(٣) فعلى قول هؤلاء، معنى هذا الفتح هو صلح الحديبية، ومعنى الفتح في اللغة: فتح المغلق^(٤). والصلح الذي حصل بينه وبين المشركين في ذلك اليوم كان مسدوداً عليه متعذراً حتى فتحه الله ذلك اليوم ويُسِّره، ودخل بعد ذلك ناس كثير في الإسلام حتى قال جابر: «ما كنّا نعد فتح مكة إلّا يوم الحديبية»^(٥)، وقال الشعبي: «أصاب النبي ﷺ في ذلك الوجه ما لم يصب في وجهه، ببيع بيعه الرضوان، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس»^(٦).

وقال الزهري: «ما كان في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام»^(٧).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب التفسير (سورة الفتح) ٢/٤٥٩، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وانظر: لباب النقول للسيوطي ١٩٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣/٧١، وتفسير الماوردي ٥/٣٠٩، وتفسير البغوي ٧/٢٩٦، وزاد المسير ٧/٤١٩، وتنوير المقباس ٥١١، والمغازي للواقدي ٢/٦١٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/٦٤.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (فتح) ٤/٤٥٥، واللسان (فتح) ٢/٥٣٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٧٠ عن جابر، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/٢٦٠ إلى جابر، وكذا المؤلف في الوسيط ٤/١٣٣.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/٧١، والماوردي في تفسيره ٥/٣٠٩، والبغوي في تفسيره ٧/٢٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤١٨، والقرطبي في الجامع ١٦/٢٦٠.

(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٧/٢٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤١٩، والقرطبي في الجامع ١٦/٢٦١، والمؤلف في الوسيط ٤/١٣٣.

وقال الضحاك : «فتحنا لك فتحاً بغير قتال ، وكان الصلح من الفتح»^(١) .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «اليهود شمتوا بالنبي ﷺ والمسلمين لما نزل قوله : ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف : ٩] ، وقالوا : كيف نتبع من لا يدري ما يفعل به ولا بمن آمن به وصدقه ؟ واشتد ذلك على النبي ﷺ فأُنزل الله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ . قال : يريد : قضينا لك قضاء واجباً»^(٢) ، ونحو هذا قال مقاتل في سبب النزول سواء^(٣) .

وقال أهل التفسير : «قضينا لك قضاء مبيناً ، يعني : الإسلام» ، وهو قول قتادة ، واختاره الزجاج ، وقال معناه : «حكمنا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك»^(٤) ، فهذا الفتح في الدين ، وهو الهداية إلى الإسلام ، ودليل ذلك قوله تعالى :

٢ . ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، واختلفوا في الجالب لهذه اللام في ﴿لِيَغْفِرَ﴾ فالذين قالوا : هذا الفتح في الدين ومعناه الحكم له بالإسلام والهداية ، تتعلق اللام بالفتح ، لأن سبب مغفرة الذنب هو الدين والإسلام ، فكأنه قال : هديناك للدين ليغفر لك ، وهذا معنى قول الحسن^(٥) وأبي إسحاق : «فتح الله عليك الإسلام ليغفر لك الله» . ومن ذهب إلى أن المراد بالفتح صلح الحديبية ، ذكر في اللام وجوهاً ؛ أحدها : ما قال أبو حاتم ، وهو أنه قال : «هذه اللام لام اليمين» ،

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩٦/٧ عن الضحاك ، وكذا القرطبي في تفسيره ٢٦٠/١٦ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٣/١٠ منسوباً إلى مقاتل بن سليمان ، ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٥٩/١٦ إلى الضحاك عن ابن عباس ، وذكره المؤلف في أسباب النزول ٤٠٣ عن عطاء عن ابن عباس ، وانظر : تفسير مقاتل ٦٥/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٦٥/٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٩/٥ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٣٣/١٠ ، والدر المصون ١٥٩/٦ ، والوسيط ١٣٣/٤ .

كأنه قال ليغفرن الله لك ، فحذفت النون وكسرت اللام ، فأشبهت في اللفظ لام كي^(١) فنصبوا كما نصبوا بلام كي ، واحتج بأن العرب تقول في التعجب : أطرف بزيد ! فيجزمونه لشبهه بلفظ الأمر ، قال ابن الأنباري : « هذا الذي قاله أبو حاتم غلط ، لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ، ولو جاز أن يكون معنى ﴿لِيَغْفِرَ﴾ : ليغفرن ، لقلنا : ليقوم زيد بتأويل : والله ليقومن ، وهذا معدوم في كلام العرب ، وليس هذا بمنزلة : أطرف بزيد ! لأن التعجب عدل به إلى لفظ الأمر ، ولام القسم لم توجد مكسورة قط »^(٢) .

ثم قال : « سألت أبا العباس عن اللام في قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ فقال : هي لام كي معناها : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لكي يجتمع لك مع المغفرة [كا]^(٣) تمام النعمة في الفتح ، فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع حسن معنى كي^(٤) ، وقال ابن جرير وصاحب النظم : « هذا مقتص من قوله : ﴿فَسَيَحْيِي بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ [النصر: ٣] أعلمه أنه إذا جاء الفتح واستغفر غفر له »^(٥) ، والقول ما قال أبو العباس .

وقوله : ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ . قال مقاتل : « يعني ما كان في الجاهلية ، وما تأخر بعد النبوة »^(٦) .

(١) أوردته الثعلبي في تفسيره ١٠/١٣٣ ب ، وانظر : الوسيط ٤/١٣٤ ، والدر المصون ٦/١٥٩ .

(٢) أوردته القرطبي في الجامع ١٦/٢٦٢ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/٤٤ .

(٣) كذا في الأصل زيادة : (كا) ، وليس لها معنى .

(٤) ذكره بنصه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٢٣ ، والمؤلف في الوسيط ٤/١٣٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن جرير ١٣/٦٨ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١٣٣ أ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤/٦٦ .

وروي عن ابن عباس : «أي ما كان عليك من إثم الجاهلية ، وما تأخر مما يكون ، وهذا على طريقة من جَوَزَ الصغائر على الأنبياء»^(١) .

وقال عطاء الخراساني : «﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ﴾» يعني : ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ، «﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾» يعني : من ذنوب أمتك بدعوتك»^(٢) ، وهذا القول يمكن توجيهه على بُعْد ، وهو أن يحمل قوله : «﴿مِنْ ذَنْبِكُمْ﴾» على حذف المضاف بتقدير : من ذنب أبويك ، ويحمل قوله : (ما تأخر) على ذنوب أمته ، ويبين هذا القول أنه لا ذنب له بعد النبوة ، فإذا حكمنا ببراءته من الذنب ، حمل الذنب المضاف إليه على الوجه الذي يصح وجوده ، وهو ما ذكرنا^(٣) .

وقال سفيان الثوري : «﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ﴾» ؛ ما عملت في الجاهلية وما تأخر ، يعني : ما لم تعمله»^(٤) ، هذا كلامه ، يقال على هذا : ما لم يعمله كيف يوصف بأنه يغفره ولم يعمله بعد ؟ والجواب : أن هذا يذكر على طريق التأكيد والإمكان ، كما تقول : أعطى مَنْ رآه وَمَنْ لم يره ، وضرب مَنْ لقيه وَمَنْ لم يلقه^(٥) ، وليس يمكن أن يضرب مَنْ لم يلقه ولا أن يعطيه ، ولكنه يذكر تأكيداً للكلام على معنى : أنه كان يضربه إن أمكنه ، كذلك في الآية غفر المتقدم والمتأخر لو وجد .

قوله تعالى : «﴿وَيَسِّرْ لَّكَ يَوْمَئِذٍ الذِّكْرَ﴾» . قال ابن عباس : «في الجنة» وروي عنه : «أي بالنبوة والمغفرة» ، والمعنى : ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو الإسلام^(٦) .

(١) ذكره بنصه الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٣٣ أ ، وانظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٩٧ ، وزاد المسير ٧/ ٤٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦٢ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٣٣ أ ، والبغوي في تفسيره ٧/ ٢٩٨ ، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٦٣ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠/ ١٣٣ أ .

(٤) ذكره الثعلبي ، والبغوي ، والقرطبي ، والمؤلف في الوسيط : المواضع السابقة .

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٧/ ٢٩٨ .

(٦) ورد في تفسير البغوي ٧/ ٢٩٨ من دون نسبة ، وذكر ابن الجوزي القولين في زاد المسير ٧/ ٤٢٣ ، ونسبهما إلى ابن عباس ، وكذا القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٦٣ ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ١٣٤ .

٣. قوله تعالى: ﴿وَيُصْرِكُ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾. قال ابن عباس ومقاتل: «وينصرك الله على عدوك نصرًا منيعاً فلا تستذل»^(١)، وقال أبو إسحاق: «معنى ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾: نصرًا إذا عز لا يقع معه ذل»^(٢) وحقيقة معناه: الغالب الممتنع فلا يغلب.

٤. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: «هي الرحمة والطمأنينة والوقار»^(٣).

وقال أهل المعاني: «هي البصيرة التي تسكن إليها النفس وتجد الثقة بها وهي للمؤمنين خاصة، وأمّا غيرهم فتزعج نفوسهم لأول عارض يرد عليهم، لأنهم لا يجدون برد اليقين في قلوبهم»^(٤)، وهذا مما تقدّم تفسيره [التوبة: ٢٦، و٤٠].

قوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾. قال ابن عباس والمفسرون: «تصديقاً مع تصديقهم، وبقيناً مع يقينهم، يعني: بالشرائع وبما يأمرهم من الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة والحج، كلما صدقوا بشيء من ذلك ازدادوا تصديقاً، وذلك بالسكينة التي أنزلها الله في قلوبهم»^(٥).

(١) ورد في تفسير مقاتل ٤/٦٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٣ من دون نسبة، وتنوير المقباس ٥١١.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٣/٧١، وتفسير البغوي ٧/٢٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٤، والوسيط ٤/١٣٥.

(٤) انظر: تفسير الوسيط ٤/١٣٥، وتفسير البغوي ٧/٢٩٨، وفتح القدير ٥/٤٥.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/٧٢ عن ابن عباس، ونسبه إلى ابن عباس كل من البغوي في تفسيره ٧/٢٩٨، والثعلبي في تفسيره ١٠/١٣٤، وذكره المؤلف في الوسيط ٤/١٣٥ من دون نسبة.

وقال الكلبي : «كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم»^(١).

قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . قال ابن عباس : «يعني : الملائكة والجن والإنس والشياطين»^(٢) ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما في قلوب عباده ﴿حَكِيمًا﴾ في حكمه وتديره .

٥ . قوله تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية . ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ لما قرأ على أصحابه قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ الآية ، قالوا : هنيئاً لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ فأنزل الله : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) ، واللام في ﴿لِيَدْخُلَ﴾ متعلق بما يتعلق به اللام في قوله : ﴿لِيَغْفِرَ﴾ على البذل منه ، وتكرر إنا فتحنا^(٤) .

قوله : ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ ؛ أي ذلك الوعد بإدخالهم الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ؛ أي في حكمه ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ؛ لهم أي الوعد من الله بإدخال المؤمنين الجنة فوز عظيم

(١) ذكر الثعلبي في تفسيره ١٣٤/١٠ أعن الكلبي : «هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» ، وورد في تفسير البغوي ٢٩٨/٧ بهذا اللفظ أيضاً ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٣٥/٤ إلى الكلبي .

(٢) أورده القرطبي في تفسيره ٢٦٤/١٦ عن ابن عباس ، وذكره الشوكاني في فتح القدير ٤٦/٥ من دون نسبة ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٣٥/٤ إلى ابن عباس .

(٣) أخرجه البخاري عن أنس في صحيحه في كتاب المغازي ، باب [٣٥] : غزوة الحديبية ٦٦/٥ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ٢٢٢/١٤ ، والترمذي عن أنس في سننه في كتاب التفسير ، باب [٤٩] : ومن سورة الفتح ٣٨٥/٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير (سورة الفتح) ٤٥٩/٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ، وقال الذهبي : «أخرج مسلم أولاً» ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٤٠٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧٣/١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/١٦ .

لهم في حكم الله ، كأن الله - تعالى - حكم لهم بالفوز العظيم ، فلذلك وعدهم إدخالها .

٦ . قوله تعالى : ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «أي من أهل المدينة ، والمشركون والمشركات من أهل مكة»^(١) ، وظاهر الكلام يدل على أن المراد بهذا العذاب : عذاب الدنيا بأيدي المؤمنين ، لأن نصرة الرسول والفتح عليه يقتضي ذلك^(٢) ، وإن حملنا الفتح على الهداية والبيان له في الدين ، فذلك سبب عذاب المنافقين والمشركون ، لأنه كما سعد بتصديقه المؤمنون فاستوجبوا المغفرة والجنة ، شقي بتكذيبه المنافقون والمشركون فاستوجبوا العذاب والنار .

قوله : ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءُ﴾ . هو أنهم ظنوا أن محمداً لا ينصر ، هذا قول أكثر المفسرين^(٣) ، وقال مقاتل : «كان ظنهم أنهم قالوا : واللات والعزى ما نحن وهو عند الله إلا بمنزلة واحدة»^(٤) حين نزل قوله : ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف : ٩] .

وقال أبو إسحاق : «زعم الخليل وسييويه أن معنى (السوء) هاهنا : الفساد ، فالمعنى : الظانين بالله ظن الفساد ، وهو ما ظنوا أن الرسول ومن معه لا

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٩٩/٧ ، ومقاتل في تفسيره ٦٩/٤ ، وأبو الليث في تفسيره ٢٥٣/٣ ، والمؤلف في الوسيط ١٣٦/٤ .

(٢) انظر : الوسيط ١٣٦/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧٣/١٣ ، وتفسير البغوي ٢٩٩/٧ ، وزاد المسير ٤٢٦/٧ ، والوسيط ١٣٦/٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٦٩/٤ .

يرجعون»^(١)، وذلك في قوله : ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ الآية [الفتح: ١٢] .

قوله : ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ قال ابن عباس : «عليهم يدور العذاب»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «أي الفساد والهلاك يقع بهم»^(٣) .

وقال أبو علي : «عليهم دائرة السوء ؛ أي الذي أرادوه بالمسلمين وتمنوه لهم يقع بهم لا بالمسلمين»^(٤) ، والكلام في تفسير ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ والقراءة فيه قد تقدّم في سورة^(٥) براءة ، الآية ٩٨ .

قال مقاتل : «فلما نزلت هذه الآية ، قال عبدالله بن أبي المنافقون : يزعم محمد أن الله ينصره على عدوه هيئات هيئات ، لقد بقي له من العدو أكثر وأكثر ، فإن أهل فارس والروم وهم أكثر عدداً وأشدّ بأساً ، ولن يظهر محمد عليهم»^(٦) ، فأنزل الله في ذلك قوله :

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٠ / ٥ .

(٢) ذكره من دون نسبة الطبري في تفسيره ٧٣ / ١٣ ، والثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٣ ب ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٢٩٩ ، والمؤلف في الوسيط ٤ / ١٣٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١ / ٥ .

(٤) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ٦ / ٢٠١ .

(٥) اختلفوا في ضم السين وفتحها من قوله تعالى : ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] ، فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (دائرة السوء) بضم السين ، وكذلك في قوله تعالى : (عليهم دائرة السوء) [الفتح: ٦] ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي ﴿السَّوْءِ﴾ بفتح السين فيهما ، ولم يختلف في غيرهما . انظر : الحجة ٤ / ٢٠٦ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٦٩ .

٧. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ﴾ يعني : الملائكة ، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني : المؤمنين ، وهم أكثر من أهل فارس والروم ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره .

٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد على جميع الخلق»^(١) ، وقال المقاتلان : «شاهداً على أمتك بالرسالة»^(٢) ، وقال الكلبي : «شاهداً بالبلاغ إلى أمتك»^(٣) وهذه الشهادة تكون في الآخرة يشهد يوم القيامة على الأمم بتبليغ الرسل إليهم ، على قول ابن عباس^(٤) ، وعلى قول الآخرين . فانصاب قوله : ﴿شَهِدًا﴾ يكون على تقديم الحال ، كأنه قيل : مقدر الشهادة كما تقول : معه صقر صائداً به غداً^(٥) وقد مرّت نظائره ، فقوله : ﴿شَهِدًا﴾ حال مقدّرة ، أي يكون يوم القيامة ، وقوله : ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ حال يكون النبي ﷺ ملابساً لها في الدنيا^(٦) .

قال عطاء : «ومبشراً لأوليائي وأهل طاعتي ، ونذيراً لأعدائي وأهل معصيتي» . وقال الكلبي : «مبشراً بالقرآن للمؤمنين بالجنة ، ونذيراً للكافرين بالسخط»^(٧) .

(١) لم أقف على هذا القول .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٦٩ ، وتفسير الشوكاني ٥/ ٤٧ .

(٣) ورد في تنوير المقياس ٥١١ ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/ ٢٦٦ إلى قتادة .

(٤) لم أقف على هذا القول .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١ ، وانظر : أيضاً تفسير ابن عطية ١٤/ ٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦٦ .

(٧) لم أقف على قولي عطاء والكلبي .

وقال المقاتلان : «مبشراً بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة للمؤمنين ، ونذيراً من النار»^(١) .

٩ . قوله تعالى : ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قُرئ : بالتاء والياء ، وكذلك ما بعده من الأفعال ، فَمَنْ قرأ بالتاء فعلى معنى : قل لهم : إنا أرسلناك لتؤمنوا ، وَمَنْ قرأ بالياء ، وهو اختيار أبي عبيد ، قال ذكر المؤمنين قبله وهو قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ولقوله بعده : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ ولأنه لا يقال للنبي ﷺ : لتؤمنوا بالله ورسوله وهو الرسول ، وهذا معنى قول أبي إسحاق في وجه هذه القراءة ، لأن النبي ﷺ قد آمن بالله وبأنبيائه وكتبه^(٢) .

وقوله : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿وَأَمْنٌ مُمِ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة : ١٢] . قال مقاتل : «تعينوه وتنصروه على أمره»^(٣) .

وقال قتادة : «تنصروه وتعزروه بالسيف واللسان»^(٤) .

وقال ابن حيان : «تنصروا النبي ﷺ بالسيف»^(٥) .

وقال عكرمة : «تقاتلوا معه بالسيف»^(٦) .

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٧٠ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٦ / ١٦ .
 (٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١ / ٥ ، والتذكرة في القراءات ٦٨٧ / ٢ ، والحجة لأبي علي ٢٠٠ / ٦ ، وقد أشار القرطبي في تفسيره ٢٦٦ / ١٦ إلى اختيار أبي عبيد .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٠ / ٤ .
 (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٤ / ١٣ عن قتادة ، ونسبه القرطبي إلى قتادة ، وذكره المؤلف في الوسيط ١٣٦ / ٤ من دون نسبة .
 (٥) لم أقف على هذا القول .
 (٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٥ / ١٣ عن عكرمة ، ونسبه النحاس في معاني القرآن ٤٩٩ / ٦ إلى عكرمة ، ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٦٦ / ١٦ إلى ابن عباس وعكرمة .

وروى الحجاج بن أرطاة عنه قال : «قلت لابن عباس : ما قوله : ﴿وَتَعَزَّوْهُ﴾ ؟ قال : الضرب بين يدي النبي ﷺ بالسيف»^(١) .

قوله : ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ قال قتادة : «تكرمونه وتعظمونه وتسودونه»^(٢) .

وقال ابن حيان : «تشفوه وتبجلوه وتحملوه»^(٣) ، كل هذا من ألفاظ المفسرين .

قوله : ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ هذه الكناية راجعة إلى اسم الله^(٤) في قوله : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِالله﴾ ، وكثير من القرءاء اختاروا الوقف على قوله : ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾^(٥) لمخالفة الكناية في : ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ الكناية التي قبلها ، والمعنى : وتصلوا لله بالغداة والعشي . قاله المقاتلان^(٦) .

١٠ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ . قال المفسرون : «يعني بيعة الرضوان ، وكانت بالحديبية تحت الشجرة ، وكان المسلمون يومئذ ألفاً وأربعمائة رجل بايعوا النبي ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا»^(٧) .

(١) أخرج الطبري في تفسيره ١٣ / ٧٥ عن عكرمة ، قال : «يقاتلون معه بالسيف» ، ونسبه القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٦٧ إلى ابن عباس وعكرمة .

(٢) أخرج الطبري في تفسيره ١٣ / ٧٤ عن قتادة : ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ ، قال : «أمر الله بتسويده وتفخيمه» .

(٣) لم أقف على هذا القول .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٧٥ ، وتفسير الماوردي ٥ / ٣١٣ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٩٩ .

(٥) انظر : المكتفَى للذاني ٥٢٨ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٩٩ ، وتفسير القرطبي ١٦ / ٢٦٧ ، ونقل النحاس عن أبي حاتم وأحمد بن موسى أن التمام عند قوله : (ويوقروه) ؛ لأنها قالوا : «المعنى : ويوقروا النبي ﷺ ، ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً» . وخولفاً في هذا لأن (ويسبحوه) معطوف على ما قبله ، قد حذفت منه النون للنصب ، فكيف يتم الكلام على ما قبله . انظر : القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ٦٧٠ .

(٦) تفسير مقاتل ٤ / ٧٠ .

(٧) هذا ثابت في الحديث الصحيح عند مسلم من حديث جابر في صحيحه في كتاب الإمارة ، باب [١٨] : استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة ٢ / ١٤٨٣ ، وانظر : تفسير الطبري ١٣ / ٧٦ ، وتفسير البغوي ٧ / ٢٩٩ ، والوسيط ٤ / ١٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٦٦ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُوكَ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن تلك البيعة طاعة لله وتقرب إليه ، باعوا أنفسهم من الله - تعالى - بالجنة كما ذكر في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ الآية [التوبة : ١١١] ، والعقد كان مع النبي ﷺ ، وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال أكثر المفسرين : «يد الله بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء والعهد حين بايعوك» ، وهذا قول ابن عباس ومقاتل^(١) واختيار الفرّاء^(٢) ومعناه : الله أوفى منهم كما قال : ﴿ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وقال الكلبي : «نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا»^(٣) ، واختاره الزّجاج فقال : «يد الله في المنّة بالهداية فوق أيديهم في الطاعة»^(٤) ، أي إحسان الله - تعالى - إليهم بأن هداهم للإيمان أبلغ وأتم من إحسانهم إليك بالنصرة والبيعة .

وقال ابن كيسان : «قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم»^(٥) ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء^(٦) ، والمعنى على هذا : ثقب بنصرة الله لك ، لا بنصرتهم ، وإن بايعوك^(٧) .

(١) ورد في تفسير مقاتل ٧٠ / ٤ ، وتفسير البغوي ٣٠٠ / ٧ منسوباً إلى ابن عباس ، ومعاني القرآن للزّجاج ٢٢ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٥ / ٣ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٥ / ١٠ ب ، والبغوي ٣٠٠ / ٧ ، والقرطبي ٢٦٧ / ١٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٢٢ / ٥ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٥ / ١٠ ب ، والقرطبي ٢٦٨ / ١٦ ، والفخر الرازي ٧٨ / ٢٨ ، والمؤلف في الوسيط ١٣٦ / ٤ .

(٦) ذكر الثعلبي في تفسيره ١٣٥ / ١٠ ب عن رواية ابن عباس بلفظ : (يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم بالوفاء) .

(٧) ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره ٣٠١ / ٤ أقوال المؤلفين في صفة اليد ، ورجّح مذهب السلف ، وهو :

أنها صفة من صفاته ، هي يد غير أنها ليست بجارحة كجوارح بني آدم ، وقال البغوي ٧٦ / ٣ :

في تفسير آية المائدة : «ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه ، وقال جل ذكره : =

قوله تعالى : ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ ؛ أي نقض ما عقد من البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ؛ أي يرجع ضرر ذلك النقض عليه ، قال ابن عباس : «وليس له الجنة»^(١) ، ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ ؛ أي ثبت على الوفاء ، ﴿يَمَّا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني : الجنة ، قال ابن عباس : «والعظم لا يوصف»^(٢) .

١١ . قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ .

قال المفسرون : «إن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية استنفر من حول المدينة من أعراب غفار^(٣) ومزينة^(٤) وجهينة وأسلم^(٥) ، فقعدوا عنه وقالوا في ما بينهم : نذهب معه إلى قوم جاؤوه فقتلوا أصحابه نخرج إليهم فنقاتلهم في دارهم ، فأخبر الله - تعالى - نبيه بما يقول له هؤلاء ، إذا عاد إليهم

﴿لَمَّا خَلَفْتُ بِدَيٍّ﴾ ، وقال النبي ﷺ : «كلتا يدي يمين» والله أعلم بصفاته ، على العبد فيها الإيثار والتسليم ، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات : أمرؤها كما جاءت بلا كيف» ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٩٠ / ٥ بعد أن ذكر وجوب الإيثار بصفة اليد وعدم تأويلها ونقل كلام المتقدمين من سلف الأمة ، قال : «ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة» .

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ٤ / ١٣٦ عن ابن عباس .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) هم : بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبدمناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة عمرو بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، كانوا حول مكة ، ومن مياهم بدر ، ومن أوديتهم ودان . انظر : معجم قبائل العرب ٣ / ٨٩٠ لعمر رضا كحالة .

(٤) هم : بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، واسم ولديه عثمان وأوس ، وأمهها مزينة ، فسمي جميع ولديهما بها . كانت مساكن مزينة بين المدينة ووادي القرى ، ومن ديارهم وقراهم فيحة الرّوحاء ، والعمق ، والفرع . انظر : معجم قبائل العرب ٣ / ١٠٨٢ لعمر رضا كحالة .

(٥) هم : بطن من خزاعة من القحطانية ، وهم بنو أسلم بن قصي بن حارثة بن عمرو بن مزيقيا ، منهم الحجاج بن مالك بن عويمر الأسلمي الصحابي ، من قراهم وبرة وهي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٤٨ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٦ لعمر رضا كحالة .

بقوله : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ ؛ وهم الذين خلفهم الله عن صحبة نبيه ^(١) ﷺ ، ولم يقل : المتخلفون ، تحقيقاً أن تخلفهم [كان بغضاً لله ، وأنا الذي خلفهم] ^(٢) .

وقوله : ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ يعني : القبائل الذي ذكرنا ﴿سَعَلْتَنَا﴾ عن الخروج معك ﴿أَمَوَلْنَا﴾ ؛ أي لم يكن لنا من يقوم بها ويكفيننا أمرها .

قوله : ﴿وَأَهْلُونَا﴾ يعنون : النساء والذراري ، أي لم يكن من يخلفنا فيهم ، وهو جمع أهل ، وأهل الرجل أخص الناس به ^(٣) ، ويقال : أهل وأهلون وأهال وأهلة وأهلات ^(٤) ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحریم : ٦] . وأنشد المفضل :

وَأَهْلَةً وُدٌّ قَدْ تَبَرَّضْتُ وُدَّهُمْ وَأَبْلَيْتُهُمْ فِي الْحَمْدِ جُهْدِي وَنَائِلِي ^(٥)

وأنشد في الأهلات :

فَهُمْ أَهْلَاتُ حَوْلَ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ إِذَا أَدْبَجُوا بِاللَّيْلِ يَدْعُونَ كَوْثَرًا ^(٦)

قال الفرّاء : «والأهل يجوز أن يكون واحداً وجمعاً» ^(٧) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٠ / ١٣٥ ب ، وتفسير أبي الليث ٣ / ٢٥٤ ، وتفسير البغوي ٧ / ٣٠٠ ، وتفسير القرطبي ١٦ / ٢٦٨ ، والوسيط ٤ / ١٣٧ .

(٢) كذا رسمها بالأصل ، ولعل الصواب : (كان بغضاً من الله لهم وأنه الذي خلفهم) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (أهل) ٦ / ٤١٧ .

(٤) انظر : لسان العرب (أهل) ١١ / ٢٨ .

(٥) الأهل : أهل الرجل وأهل الدار وكذلك الأهلة ، قال ابن سيده : «أهل الرجل : عشيرته وذوو قرياه ، والجمع أهلون وآهال وأهال وأهلات وأهلات» . والشاهد من البيت : وأهلة وُدٌّ ، وقد ورد هذا البيت في اللسان (أهل) ١١ / ٢٨ منسوباً إلى أبي الطمحان ، وفيه : (تبريت ودهم) .

(٦) الشاهد قوله : أهلات . الإدلاج : السير في الليل . والبيت للمخبل السعدي في اللسان (أهل) ١١ / ٢٨ ، واسمه : ربيعة بن مالك ، وهو من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة ، هاجر هو وابنه إلى

البصرة ، وولده كثير بالأحساء وهم شعراء . انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٦٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٦٥ .

قوله : ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ؛ أي تخلفنا عنك ، أي سَلَّ ربك أن يغفر ذلك لنا فإنَّا كنَّا معذورين ، قال ابن عباس : «ولم يكن شغلهم إلا الشك في الله ، يعني : أنهم شكوا في نصره الله رسوله ، فكذبهم الله في قولهم : ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾»^(١) .

وقوله : ﴿يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ . قال مقاتل : «أي من أمر الاستغفار لا يبالون استغفر لهم النبي أم لا»^(٢) ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد : ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ . قال ابن عباس : «يريد : مَنْ يمنعكم من الله»^(٣) ، وهذا مفسرٌ في سورة المائدة^(٤) وغيرها .

قوله تعالى : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ . وُقِرَّ : (ضُرًّا) و(الضَّر) بالفتح : خلاف النفع ، وبالضم سوء الحال ، كقوله : ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ [الأنبياء : ٨٤] قال أبو علي الفارسي : «ويجوز أن يكونا لغتين ، كالفقر والفقر ، والضَّعْف والضُّعْف»^(٥) .

قال ابن عباس : «هو العذاب»^(٦) .

وقال مقاتل : «يعني : سوءاً ، وهو الهزيمة»^(٧) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧١ / ٤ .

(٣) ذكر السمرقندي في تفسيره ٢٥٤ / ٣ قريباً من هذا المعنى غير منسوب ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٣٧ / ٤ إلى ابن عباس .

(٤) هو قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة : ٧٦] .

(٥) قرأ حمزة والكسائي بالضم ، وقرأ الباقر بالنصب . انظر : الحجة لأبي علي ٢٠٢ / ٦ .

(٦) نسبه القرطبي في الجامع ٢٦٨ / ١٦ إلى ابن عباس بلفظ : (الهزيمة) ، وذكره صاحب تنوير المقباس ٥١٢ بلفظ : (قتلاً أو هزيمة) .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٧١ / ٤ .

قوله تعالى : ﴿نَقَعًا﴾ قال ابن عباس : «يريد الغنيمة»^(١) ، ومعنى هذا الكلام الرد عليهم حين ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم ، ثم قال : ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ؛ أي عالماً بما كنتم تعملون في تخلفكم ، ثم أعلم أنهم إنما تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ بظنهم ظن السوء .

١٢ . قوله : ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ ؛ أي ظننتم أنهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد ، لأن العدو يستأصلهم . قوله : ﴿وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «زَيَّنَّ الشيطان ذلك الظن في قلوبكم»^(٢) .

قال المفسرون : «وذلك أنهم قالوا : إن محمداً وأصحابه أكلة رأس ، لا يرجع هو ولا أصحابه أبداً ، فأنتى تذهبون ؟ أقتلون أنفسكم ؟ انتظروا ما يكون من أمره»^(٣) ، فذلك قوله : ﴿وَوَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ . قال الكلبي عن

(١) ذكره القرطبي في الجامع ٢٦٩/١٦ بلفظ : (نصراً أو غنيمة) ، ولم ينسبه ، وذكره المؤلف في الوسيط ١٣٧/٤ غير منسوب .

(٢) ذكره من دون نسبة البغوي في تفسيره ٣٠١/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٠/٧ ، والقرطبي في تفسيره ٢٦٩/١٦ ، والمؤلف في الوسيط ١٣٧/٤ .

(٣) ذكره الثعلبي ١٠/١٣٦ أ ، والبغوي ٣٠١/٧ ، والقرطبي ٢٦٩/١٦ .

ابن عباس : «البور بكلام أهل عُمان^(١) : الفاسد ، يقول : فاسدة قلوبكم» ، وقال مقاتل : «يعني : هلكى بلغة عُمان»^(٢) .

وقال مجاهد : «هلكى^(٣) لا يصلحون لشيء من الخير» .

وقال أبو إسحاق : «أي هالكين عند الله جل وعزَّ»^(٤) .

وقال الفرَّاء : «البور في كلام العرب لا شيء ، يقول : أصبحت أقوالهم وأعمالهم بوراً ؛ أي لا شيء»^(٥) ، وهذا الحرف مفسَّر في سورة الفرقان [آية : ١٨] ، ثم أُوعد تارك الإيمان بقوله :

١٣ . ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية ، ثم عظم نفسه وأخبر بنفسه أنه غني عن عباده ، فقال :

١٤ . ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية .

(١) كذا في الأصل ، وفي تفسير مقاتل ٧١ / ٤ : بلغة عُمان ، وفي تفسير السمرقندي ٢٥٤ / ٣ : في لغة أزد عُمان ، وفي زاد المسير ٧٨ / ٦ : في لغة أزد عُمان . ذكره صاحب تنوير المقباس ٥١٢ بلفظ : (هلكى فاسدة القلوب قاسية القلوب) .

(٢) عُمان (بضم أوله ، وتخفيف ثانيه ، وآخره نون) : اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، وعُمان في الإقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر ، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع ، بيد أن حرها يضرب به المثل ، وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ أو غريب . انظر : معجم البلدان ١٥٠ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧١ / ٤ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٩ / ١٣ عن مجاهد ، ولكن بلفظ : (هالكين فقط) . انظر : تفسير مجاهد ٦٠٨ ، وورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩ / ١٦ بلفظ : (هلكى) .

(٥) ورد في معاني القرآن للزجاج ٢٣ / ٥ بلفظ : (هالكين عند الله عز وجل ، فاسدين في علمه) .

(٦) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٦٦ / ٣ بلفظ : (يقال : أصبحت أعمالهم بوراً ومسكنهم قبوراً) .

١٥. قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ ؛
يعني : هؤلاء القبائل الذين ذكرناهم إذا انطلقتم أيها المؤمنون ، أي
سرتهم وذهبتم إلى مغانم لتأخذوها ، يعني : مغانم خيبر^(١) .

قال المفسرون : «وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية بالصلح وعدهم الله
فتح خيبر ، وخصَّ بغنائمها مَنْ شهد الحديبية دون غيرهم ، فلما انطلقوا إليها قال
هؤلاء المخلفون^(٢) : ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾» .

قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ . وقرئ : (كَلِمَ الله)^(٣) ،
والكلام مصدر ، والكَلِمُ : جمع كلمة ، وكلاهما ورد به التنزيل ، وهو قوله :
﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] ، وقوله : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾
[المائدة : ٤١] قال ابن عباس : «يريد مواعيد الله ؛ لأن الله - تعالى - جعل خيبر لأهل
الحديبية خاصة^(٤) لم يجعل لأحد من الناس فيها شيئاً إلا لِمَنْ تَخَلَّفَ عنها لعذر» .

وقال مقاتل : «يعني : يغيروا كلام الله الذي أمر الله النبي ﷺ أن لا يسير معه
منهم أحد»^(٥) ، قال أبو إسحاق : «يعني بقوله : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾
قوله عز وجل : ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة : ٨٣] فأرادوا
أن يأتوا بما ينقض هذا ، فأعلم الله - عز وجل - أنهم لا يفعلون ولا يقدرّون على

(١) خيبر : الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ ، وهو ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ، ويطلق
هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير ، وقد فتحها
النبي ﷺ سنة سبع هجرية ، وقيل : سنة ثمان . انظر : معجم البلدان ٢ / ٤٠٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ٨٠ ، وتفسير البغوي ٧ / ٣٠٢ ، وزاد المسير ٧ / ٤٣٠ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٦ / ٢٧٠ .

(٣) قرأ حمزة والكسائي (كَلِمَ) ، وقرأ الباقون (كلام) . انظر : الحجة ٦ / ٢٠٢ ، والتذكرة في القراءات
٢ / ٦٨٧ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٣٠ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٢ .

ذلك»^(١) فقال الله تعالى : ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : في الحديبية»^(٢) ، وقال مقاتل : «يعني : هكذا قال الله بالحديبية من قبل خيبر أن لا تتبعونا»^(٣) .

وقال غيره : «من قبل مرجعنا إليكم ، أخبرنا الله أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية»^(٤) ، فعلى هذا القول ، الذي ذكرنا يعني : قال الله - تعالى - من قبل ما سبق من وعده بالغنيمة لأهل الحديبية .

وقال الكلبي : «لما قالوا لهم : لن تتبعونا ، قالوا : والله ما أمركم الله بذلك وما بكم إلا الحسد»^(٥) ، فقال لهم المؤمنون : كذلك قال الله لنا حين انصرفنا من الحديبية : إنهم سيقولون لكم إذا لم تأذنوا لهم إلى خيبر : إن بكم إلا الحسد كما قلتم لنا فهو بمعنى قوله : ﴿كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ . واختار الفراء هذا القول ، فقال : «إنهم قالوا الرسول الله : ذرنا نتبعك ، قال : نعم على أن لا نسهم لكم ، فإن خرجتم على ذا فاخرجوا ، فقالوا للمسلمين : كذلك»^(٦) قال الله من قبل : تقولون قد أخبرنا بما تقولون قبل أن تقولوه ، وعلى هذا معنى قوله : ﴿كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .

قوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ ، والأول أظهر ؛ لأن ذكر الحسد لم يتقدم على قوله : ﴿كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ﴾ ، وإنما ذكر بعد ، قال مقاتل : «يقولون : يمنعكم

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٢٤/٥ ، ولكن بلفظ : (لا يعقلون) بدل (لا يفعلون) .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٨١/١٣ منسوباً إلى قتادة ، وذكره البغوي في تفسيره ٣٠٢/٧ غير منسوب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٢/٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨١/١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٣٦/١٠ ب ، وتفسير البغوي ٣٠٢/٧ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥١٢ .

(٦) العبارة فيها تصحيف ، ونصها عند الفراء في المعاني ٦٦/٣ : (فقالوا للمسلمين : ما هذا لكم ما فعلتموه بنا إلا حسداً ؟ قال المسلمون : كذلك قال الله لنا من قبل أن تقولوا) .

الحسد من أن نصيب معكم الغنائم»^(١) فقال الله : ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ ؛ أي لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ؛ قال الكلبي : «إِلَّا يسيراً منهم وهو من ترك النفاق وصدق بالله وبالرسول»^(٢) .

قل لهم : إن كنتم إنما ترغبون في الغزو والجهاد لا في الغنائم ، فستدعون غداً إلى أهل اليمامة ، وهو قوله تعالى :

١٦ . ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء وأبي صالح : «هم بنو حنيفة»^(٣) أتباع مسيلمة»^(٤) ، وهو قول مقاتلين والزهري والكلبي^(٥) ، واختيار الفراء والزجاج^(٦) ، ويؤكداه ما روي عن رافع بن خديج^(٧) أنه قال : «لقد كنّا نقرأ هذه

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٢ / ٤ .

(٢) ذكره المؤلف في الوسيط ١٣٨ / ٤ من دون نسبة .

(٣) حي من بكر بن وائل من العدنانية ، وهم بنو حنيفة بن لحيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ، وبكر كان له من الولد : الرول ، وعدي ، وعامر ، وكانت منازل بني حنيفة اليمامة ، وكان يسكنها منهم : هودة بن علي بن ثامة بن عمرو بن عبد العزى بن لحيم بن مرة بن الدوك بن حنيفة ، وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٢٢٣ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٣ / ١٣ منسوباً إلى سعيد بن جبيرة وعكرمة ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٣٦ ب إلى الزهري ومقاتل ، وكذا البغوي في تفسيره ٣٠٣ / ٧ ، والقرطبي في تفسيره ٢٧٢ / ١٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٢ / ٤ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٢٦ / ٢ ، وتنوير المقياس ٥١٣ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٦٦ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤ / ٥ .

(٧) هو : رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي ، أبو عبدالله أو أبو خديج ، شهد أحداً وما بعدها ، وتوفي في خلافة معاوية على الصحيح . انظر : الإصابة ١ / ٤٩٥ ، وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٢٩ ، والأعلام ١٢ / ٣ .

الآية ، ولا نعلم مَنْ هم ، حتى دعا أبو بكر - رضي الله عنه - إلى قتال بني حنيفة فعملنا أنهم هم^(١) .

وعلى هذا التفسير ، الآية تدل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أن الله - تعالى - ذكر أنهم يدعون إلى قتال بني حنيفة ، وعلم أن ذلك الداعي أبو بكر ، ووعدهم على طاعته وإجابته الأجر الحسن وهو الجنة ، فقال : ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا ﴾ يعني الداعي إلى قتال مَنْ ذكرهم وهو أبو بكر ﴿ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ؛ قال مقاتل : « يعني : الجنة »^(٢) ، ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ يعني : تُعرضوا عن قتال أهل اليهامة ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ؛ أعرضتم عن المسير إلى الحديبية ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ في الآخرة ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فأوعد على مخالفة أبي بكر - رضي الله عنه - كما أوعد على مخالفة الرسول ﷺ بالنار ، وهذا ظاهر بحمد الله .

وقال أبو إسحاق : « ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا ﴾ ؛ أي تبتم وتركتم النفاق وجاهدتم ﴿ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا ﴾ ؛ أي إن أقمتهم على نفاقكم ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ ﴾ على عهد رسول الله ﷺ ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ »^(٣) .

(١) ذكره الثعلبي ١٠/١٣٦ ب ، والألوسي في روح المعاني ٢٦/١٠٢ ، والبغوي ٧/٣٠٣ ، والقرطبي

٢٧٢/١٦ ، والمؤلف في الوسيط ٤/١٣٨ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/٧٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/٢٥ .

وذكر المفسرون في تفسير قوله : ﴿قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أنهم فارس ، وقيل : الروم^(١) ، وقيل : هوزان^(٢) وثقيف^(٣)^(٤) ، وغطفان ، كل هذا من أقوالهم^(٥) .

قوله : ﴿نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ . قال الفرّاء : «تقاتلونهم ، أو يكون منهم الإسلام»^(٦) .

وقال الزّجاج : «المعنى : أو هم يسلمون»^(٧) .

(١) أخرج الطبري ٨٣ / ١٣ عن ابن عباس وابن أبي ليلى والحسن ومجاهد وابن زيد أنهم فارس ، وأخرج عن الحسن وابن أبي ليلى وابن زيد أنهم فارس والروم .
وذكر الثعلبي في تفسيره ١٣٦ / ١٠ ب عن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبدالرحمن بن أبي ليلى ومجاهد أنهم فارس ، وذكر عن كعب أنهم الروم ، وعن الحسن أنهم فارس والروم .

(٢) هوزان : هم بطن من قيس عيلان من العدنانية ، وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وهم الذين أغار عليهم النبي ﷺ وغزاهم . انظر : جهرة أنساب العرب ٢٦٤ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٣٩١ .

(٣) ثقيف : هم بطن من هوزان من العدنانية ، اشتهروا باسم أبيهم ، فيقال لهم ثقيف ، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوزان . قال أبو عبيد : «وكان لثقيف من الولد جشم وناصرة» ، قال في العبر : «وهم بطن متسع» ، قال : «وكانت منازلهم بالطائف ، وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة» . انظر : نهاية الأرب ١٨٦ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٣ / ١٣ عن عكرمة وسعيد بن جبير ، ونسبه إلى سعيد بن جبير كل من الثعلبي ١٣٦ / ١٠ ب ، والبغوي ٣٠٣ / ٧ .

(٥) أخرج الطبري عن قتادة أنهم هوازن وغطفان يوم حنين ، وكذا ذكر الثعلبي في تفسيره ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢٢٦ / ٢ ، وذكر الماوردي في تفسيره ٣١٦ / ٥ عن سعيد بن جبير وقاتدة أنهم هوازن وغطفان .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٦ / ٣ .

(٧) ورد في معاني القرآن للزّجاج ٢٤ / ٥ بلفظ : «تقاتلونهم حتى يسلموا وإلا أن يسلموا» .

قال أبو صالح عن ابن عباس : «لَمَّا أَنْزَلَ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أَتَى أَهْلَ الزَّمَانَةِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا : كَيْفَ لَنَا إِذَا دَعَيْنَا وَلَا نَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ ؟ » ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى :

١٧ . ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾ ، وَيَبَيِّنُ عَذْرَهُمْ ^(١) .

وقال مقاتل : «عَذَرَ أَهْلَ الزَّمَانَةِ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ ، يَقُولُ : لَا حَرْجَ عَلَيْهِمْ ، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يَسِيرَ مَعَكُمْ إِلَى خَيْبَرِ فَيْلِسَ» ^(٢) . ونحو هذا قال ابن حيان يقول : «مَنْ تَخَلَّفَ مِنْ هَؤُلَاءِ عَنِ الْحُدَيْبِيَّةِ فَهُمْ مَعْدُورُونَ» ^(٣) .

ثم أعلم - عز وجل - بخبر مَنْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ فَقَالَ :

١٨ . قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ .

قال المفسرون : «يَعْنِي بَيْعَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَهِيَ تَسْمَى بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ لِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ سَمْرَةً بَايَعَ تَحْتَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى أَنْ يَنَاجِزُوا قَرِيشًا وَلَا يَفِرُوا» ^(٤) .

وذكر ابن عباس سبب هذه البيعة ، فقال في ما روى عنه عطاء : «إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَرِيدُ مَكَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَقَفَتْ نَاقَتُهُ وَزَجَرَهَا فَلَمْ تَنْزَجِرْ ،

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٧/١٠ أ عن ابن عباس ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٥٥/٥ ، رقم ٤٩٢٦ عن زيد بن ثابت ، وقال حمدي السلفي في تحقيقه : «في إسناد محمد بن جابر اليمامي صدوق ، ومحمد بن جابر السحيمي ضعيف ، ويكتب حديثه وبقيته رجاله رجال الصحيح» .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٣/٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) وردت قصة هذه البيعة بروايات مختلفة في بعض الألفاظ . انظر : صحيح البخاري في كتاب المغازي ، باب [٣٥] : غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ٦١/٥ ، وتفسير الطبري ٨٥/١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٣٧/١٠ أ - ب ، وتفسير البغوي ٣٠٥/٧ ، وزاد المسير ٤٢٠/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/١٦ ، والبداية والنهاية ١٦٤/٤ .

وبركت فقال أصحابه : خلأت^(١) الناقة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذا لها بعادة ، ولكن حبسها حابس الفيل » ودعا عمر - رضي الله عنه - ليرسله إلى أهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه ، فقال : يا رسول الله ، والله ما لي بها من حميم ، وإني أخاف قريشاً على نفسي ، ولقد علمت قريش بشدة عداوتي إياها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان ، قال : صدقت . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وأرسله ، فجال الشيطان وصاح في عسكر رسول الله ﷺ بأن أهل مكة قتلوا عثمان ، فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند إليها وبايع الناس على قتال أهل مكة .

قال عبدالله بن أبي أوفى : « كنّا يومئذ ألفاً وثلاثمائة »^(٢) .

وقال ابن عباس في رواية عطية : « كانوا خمسمائة وخمسة وعشرين رجلاً »^(٣) .

وقال قتادة : « كانوا خمس عشرة مائة »^(٤) .

(١) قال الليث : « الخلاء في الإبل كالحران في الدواب . يقال : خلأت الناقة تخلأ خلاءً ، إذا لم تبحر مكانها » ، وقال الأزهري في تهذيب اللغة (خلا) ٧ / ٥٧٦ : « قلت : والخلاء لا يكون إلا للناقة ، وأكثر ما يكون الخلاء منها إذا ضبعت فتبرك ولا تثور » .

(٢) أخرجه البخاري عن عبدالله بن أبي أوفى في صحيحه في كتاب المغازي ، باب [٣٥] ٥ / ٦٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ٨٨ عن عبدالله بن أبي أوفى ، وانظر : تفسير البغوي ٧ / ٣٠٥ ، وزاد المسير ٧ / ٤٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٧٦ .

(٣) أخرج الطبري في تفسيره ١٣ / ٨٧ عن ابن عباس أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين ، وكذا ذكر الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٣٨ أ عن العوفي ، وأورد الرواية نفسها ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٢٢ عن العوفي عن ابن عباس ، وذكر الألويسي في تفسيره ٢٦ / ١٠٧ عن ابن سعد أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين ، فلعل هذا خطأ من الناسخ .

(٤) ذكره البخاري عن قتادة وجابر في صحيحه في كتاب المغازي ، باب [٣٥] ٥ / ٦٣ ، وأخرجه الطبري ١٣ / ٨٧ عن قتادة ، ونسبه البغوي ٧ / ٣٠٤ إلى جابر ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٢٢ إلى جابر وقاتدة .

وقال جابر بن عبد الله : «كانوا ألفاً وأربعمائة»^(١).

قوله تعالى : ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ . قال ابن عباس : «من الصدق والوفاء» وهذا قول أكثرهم^(٢) ، وقال مقاتل : «فعلم ما في قلوبهم من الكراهة للبيعة على أن يقاتلوا ولا يفروا»^(٣).

﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : الطمأنينة والرضا حتى أقروا على أن يقاتلوا ولا يفروا ، وذكر الفراء قولاً آخر قال : «كان النبي ﷺ أري في منامه أن يدخل مكة فلم يتهياً لذلك ، وصالح أهل مكة على أن يخلوها له ثلاثاً من العام المقبل ، ودخل المسلمين من ذلك أمر عظيم ، فقال لهم النبي ﷺ : «إنما كانت رؤيا أريتها ، ولم يكن وحياً من السماء» فعلم الله ما في قلوب المسلمين من ذلك ، فأنزل السكينة عليهم ؛ أي الطمأنينة^(٤) في هذه السورة وفي غيرها» ، وقال الكلبي في تفسير السكينة هاهنا : «الطمأنينة»^(٥) حين صدهم المشركون فأذهب تلك الحمية من قلوبهم ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني : خبير في قول الجميع»^(٦).

(١) أخرجه عن جابر كل من البخاري في صحيحه في كتاب المغازي ، باب [٣٥] ٥/٦٣ ، والطبري في تفسيره ١٣/٨٧ ، والبغوي في تفسيره ٧/٤٠٣ .

(٢) ذكره من دون نسبة الطبري ١٣/٨٨ ، والثعلبي ١٠/١٣٨ ، والبغوي ٧/٣٠٦ ، وزاد المسير ٧/٤٣٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٤/٧٣ .

(٤) انظر : معاني الفراء ٣/٦٧ .

(٥) هكذا فسرها الطبري ١٣/٨٨ ، وقال البغوي ٧/٣٠٦ : «الطمأنينة والرضاء» ، وكذا ابن الجوزي ٧/٤٣٤ ، وانظر : تنوير المقياس ١٣/٥١٣ .

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٨٨ عن قتادة وابن أبي ليل ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٠/١٣٨ ب ، وتفسير البغوي ٧/٣٠٦ .

١٩. ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من أموال يهود خيبر ، وكانت خيبر ذات عقار وأموال ، هذا قول الأكثرين^(١) ، وقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي : «يريد مغنم فارس والروم مما هم آخذوها ولم يأخذوها بعد»^(٢) ، والقول هو الأول ؛ لأن سائر المغنم قد وعدوها وذكرت بعد هذه الآية قوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ ؛ غالباً ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره حكم لكم بالغنيمة ، ولأهل خيبر بالسبي والهزيمة .

٢٠. ثم ذكر سائر المغنم التي يأخذونها في ما يأتي من الزمان فقال : ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ . قال مقاتل : «أي مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة»^(٣) وهذا قول الجميع^(٤) ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني : غنيمة خيبر .

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ . قال المفسرون : «لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر ، وحاصر أهلها فهزمت حلفاء يهود خيبر من أسد وغطفان ويهود المدينة أن يغيروا على عيال المسلمين وذرايعهم بالمدينة فكف الله أيديهم

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٣٨/١٠ ب ، وتفسير البغوي ٣٠٦/٧ ، وزاد المسير ٤٣٥/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/١٦ .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٥١٣ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٤/٤ ، ٧٣/٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩٠/١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٣٨/١٠ ب ، وتفسير البغوي ٣٠٦/٧ ، وزاد المسير ٤٣٥/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/١٦ .

بإلقاء الرعب في قلوبهم» ، وهذا قول قتادة^(١) ومقاتل^(٢) ، وقال عطاء عن ابن عباس : «أراد بالناس أهل مكة»^(٣) .

قوله : ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ أي ولتكون هزيمة هؤلاء الذين هموا بذراري المسلمين وسلامتكم آية للمؤمنين على صدقك ونبوتك ، وهذا معنى قول مقاتل^(٤) .

وقال مقاتل بن حيان وقتادة : «وليكون كف أيديهم عن عيالكم عبرة للمؤمنين»^(٥) ، وأجود القولين أن يكون المعنى : ولتكون هذه التي عجلها لكم آية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم أن يصيبوها^(٦) . وذلك أننا إن قلنا : ولتكون الهزيمة ، كان إخباراً عما لم يجز له ذكر ، إذ الهزيمة لم تذكر ، وإن قلنا : وليكون كف أيدي الناس آية ، وجب أن يقال : وليكون بالياء ؛ لأن الكف مصدر مذكر ، والواو في ﴿وَلِتَكُونَ﴾ مقحمة على مذهب الكوفيين ، وعلى مذهب البصريين الواو عاطفة على مضمير بتقدير : وكف أيدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون آية للمؤمنين^(٧) .

(١) أخرجه الطبري ٩٠ / ١٣ عن قتادة ، ونسبه إلى قتادة كل من الثعلبي ١٠ / ١٣٨ ب ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٧٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٤ .

(٣) ذكره من دون نسبة الطبري ٩٠ / ١٣ ، والثعلبي ١٠ / ١٣٨ أ ، والماوردي ٥ / ٣١٧ ، والبغوي ٣٠٦ / ٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٤ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ، وانظر : تفسير الماوردي ٥ / ٣١٧ ، وزاد المسير ٧ / ٤٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٧٩ .

(٦) ذكره السمرقندي في تفسيره ٣ / ٢٥٦ ، والماوردي ، وابن الجوزي ، والقرطبي .

(٧) ذكره القرطبي في الجامع ١٦ / ٢٧٩ ، وأبو حيان في البحر ٨ / ٩٧ .

﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ؛ أي يزيدكم هدى بالتصديق لمحمد ولما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة ، وهذا قول مقاتل ^(١) .

وقال غيره : «﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يعني : طريق التوكل والتفويض ^(٢) ، وذلك أنه لما جاءهم أمر من همّ بهم من عدوهم ، وكان بذلك هادياً لهم إلى طريق التوكل حتى يتوكلوا على الله في ما نابهم فيكفيهم كما كفاهم هذا من غير سعي منهم» .

٢١ . ثم ذكر ما وعدهم سوى خير مما يفتحه عليهم فقال : ﴿وَأُخْرَى﴾ وهي في محل النصب بالعطف على قوله : ﴿مَعَانِمَ كَثِيرَةً﴾ على تقدير : ووعدكم مغنم أخرى على ما قال الزّجاج ^(٣) ، وبلاداً أو قرى أخرى على ما ذكر المفسرون .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد فارس والروم ، وهو قول أكثرهم» ^(٤) .

قوله : ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ خطاب للعرب ، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهما ، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام ، وعز أهله .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٩١ / ١٣ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١٣٨ ب ، وزاد المسير ٧ / ٤٣٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٥ / ٢٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ٢٠١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢ / ٣١١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٤٢ ب إلى ابن عباس وابن أبي ليلى والحسن ومقاتل ، ونسبه الماوردي ٥ / ٣١٨ إلى ابن عباس ، ونسبه البغوي في تفسيره ٧ / ٣١٣ إلى ابن عباس والحسن ومقاتل ، ونسبه القرطبي ١٦ / ٢٧٩ إلى ابن عباس والحسن ومقاتل وابن أبي ليلى .

قوله تعالى : ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ . قال الكلبي : «أحاط الله لكم بها وجعلها لكم وحوأها لكم»^(١) .

قال الفرّاء : «أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم»^(٢) ، ومعنى الإحاطة على هذا القول : الحفظ ، كأنه قال : حفظها لكم ومنعها عن غيركم حتى تفتحوها^(٣) فتأخذوها .

وقال ابن عباس : «علم أنها ستكون لكم»^(٤) ، وهو قول مقاتل^(٥) ، واختيار الزّجاج قال : ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ قد علمها الله ، وقال : «وهو ما يغنم المسلمون إلى أن لا يقاتلهم أحد»^(٦) ، وهذا معنى قول مجاهد في تفسير ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ لأنه قال : «هي ما فتحوا حتى اليوم»^(٧) ، ومعنى الإحاطة في هذا القول : العلم ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من فتح القرى وغير ذلك ﴿قَدِيرًا﴾ .

٢٢ . قوله تعالى : ﴿وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن عباس في رواية الكلبي : «يعني : أسد وغطفان والذين أرادوا نصره يهود خيبر»^(٨) ، وقد

(١) قال صاحب تنوير المقياس ٥١٣ : «قد علم الله أنها ستكون ، وهي غنيمة فارس» .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٧/٣ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٣١٨/٥ ، وتفسير البغوي ٣١٢/٧ ، وزاد المسير ٤٣٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٦ .

(٤) ذكره البغوي ٣١٢/٧ ، وذكره من دون نسبة ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٧/٧ ، والقرطبي في الجامع ٢٧٩/١٦ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٤/٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٢٦/٥ .

(٧) أخرجه الطبري ٩١/١٣ عن مجاهد ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٦/٧ إلى مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٨ .

(٨) ذكره من دون نسبة الثعلبي ١٤٢/١٠ ب ، والسمرقندي ٢٥٧/٣ ، والبغوي ٣١٢/٧ ، والقرطبي ٢٨٠/١٦ ، وانظر : تنوير المقياس ٥١٣ .

ذكرناهم ، وقال في رواية عطاء : « يريد أهل مكة » ، وهو قول قتادة^(١) والضحاك ومقاتل^(٢) .

وقال أبو إسحاق : « لو قاتلك مَنْ لم يقاتلك لنصرت عليهم »^(٣) ، وهذا عام في كل مَنْ يخالفه في دينه .

قوله : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : مَنْ تَوَلَّى غير الله خذله الله ولم ينصره »^(٤) ، ثم ذكر أن سُنَّة الله النصر لأوليائه ، قوله :

٢٣ . ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ . قال الزَّجَّاج : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ ﴾ منصوبة على المصدر لأن قوله : ﴿ لَوْلَا الْأَذْبَرُ ﴾ معناه : سَنَّ الله خذلانهم سُنَّةً^(٥) ، قال ابن عباس في هذه الآية : « يريد : هذه سُنَّتِي في أهل طاعتي وأوليائي ، وهذه سُنَّتِي في أعدائي وأهل معصيتي ، يريد : أنصُرُ أوليائي ، وأخذل أهل معصيتي »^(٦) .

٢٤ . ثم ذكر سُنَّتَهُ بالمحاجة بين الفريقين ، فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ . قال ابن عباس : « يريد : أيدي أهل مكة ، وذلك أن المشركين جاءوا يصدون رسول الله ﷺ عن البيت وعليهم عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إليه ومعه خيل المسلمين فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، وكان يومئذ بينهم قتال

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٣/١٣ عن قتادة ، ونسبه إلى قتادة كل من الثعلبي في تفسيره ١٤٢/١٠ ب ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٧/٧ ، والقرطبي في الجامع ٢٨٠/١٦ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٧٤/٤ ، ولم أقف على نسبته إلى الضحاك .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦/٥ .

(٤) ذكره المؤلف في الوسيط ١٤١/٤ عن ابن عباس .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦/٥ .

(٦) ذكره المؤلف في الوسيط ١٤١/٤ عن ابن عباس .

بالحجارة» ، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة وعطاء والكلبي^(١) ، ونحو هذا قال مقاتل قال : «كانوا قد خرجوا يقاتلون النبي ﷺ فهزمهم بالطعن والنبل ، حتى أدخلهم بيوت مكة»^(٢) ، فمعنى قوله : ﴿وَأَيَّدِيكُمْ عَنْهُمْ﴾ : يعني : حتى لم تقتلوا منهم ببطن مكة ، قال عطاء : «يريد : الحديبية»^(٣) .

وقال مقاتل : «يعني ببطن : أرض مكة كلها ، والحرم كله مكة»^(٤) .

وقال الكلبي : «يعني : جوف مكة ، وبكة الأرض التي فيها البيت ، ومكة التي فيها الحديبية اسم الأرض» ، هذا كلامه^(٥) ، والحديبية : من الحل^(٦) ، وعلى ما ذكروا ، اسم مكة يجب أن يكون واقعاً على الحل والحرم .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٤ / ١٣ عن عكرمة ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ١٤٣ إلى عكرمة ، وانظر : تنوير المقباس ٥١٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٥ / ٤ .

(٣) أخرج الطبري ٩٤ / ١٣ عن قتادة ، قال : «بطن مكة الحديبية» ، ونسب ابن الجوزي هذا القول إلى أنس ٧ / ٤٣٨ ، وأورده القرطبي ١٦ / ٢٨٢ غير منسوب .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٥ / ٤ .

(٥) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٤٢٥ أن بكة المسجد والبيت ، ومكة اسم للحرم كله ، قاله الزهري وضمرة بن حبيب ، وذكر القرطبي عن مالك بن أنس في الجامع ٤ / ١٣٨ أن بكة موضع البيت ، ومكة سائر البلد ، وقال محمد بن شهاب : «بكة المسجد ، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت» ، وقال مجاهد : «بكة هي مكة ، فالميم على هذا مبدلة من الباء ، كما قالوا : طين لازِبٌ ولازم» ، وقاله الضحاك والمؤرج .

(٦) قال الشافعي في الأم ٢ / ٢١٨ : «ونحر ﷺ في الحل ، وقد قيل في الحرم ، وإنما ذهبنا إلى أنه نحر في الحل ، وبعضها في الحرم ، لأن الله - عز وجل - يقول : ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ والحرم كله محله عند أهل العلم» ، وانظر : أحكام القرآن للشافعي ٢ / ١٣١ ، ونقل ابن القيم عن الشافعي في زاد المعاد ٣ / ٣٠٣ أن الحديبية بعضها في الحل ، وبعضها في الحرم .

قوله تعالى : ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ يريد : أن الظفر كان للنبي ﷺ على أهل مكة ، والمعنى : أن الله - تعالى - يذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا ، وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح ، وسلم للرجل من بينه وبينه قرابة ، ومن هو مؤمن من أهل مكة أن يصاب ، وهذا قول عامة المفسرين .

وقال عبدالله بن المغفل : «بيننا نحن بالحديبية ، وكتاب الصلح يكتب بين يدي رسول الله ﷺ ، إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال رسول الله ﷺ : «هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمانة ؟» ، قالوا : اللهم لا ، فخلّى سبيلهم ، فأنزل الله هذه الآية»^(١) .

وقال أنس : «إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ﷺ ثم أعتقهم ، فأنزل الله هذه الآية»^(٢) ، ثم ذكر سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام عن دخول مكة في قوله :

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير ٤٦٤ / ٦ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٩٤ / ١٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في كتاب التفسير ٤٦٠ / ٢ ، وقال : «حديث صحيح على شرط الشيخين» ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٥ / ٦ : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ، وأخرجه البغوي في تفسيره ٣١٣ / ٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب [٤٦] : قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ ١٤٤٢ / ٢ ، رقم ١٨٠٨ ، وأخرجه الطبري ٩٤ / ١٣ ، والبغوي ٣١٣ / ٧ .

٢٥. ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني : كفار مكة ، ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «أن تحلوا من عمرتكم وتطوفوا به»^(١) ﴿وَالْهَدْيَ﴾ : منصوب^(٢) المعنى وصدوا الهدى .

وقال ابن عباس : «يعني البدن التي ساقها رسول الله ﷺ ، وكان قد ساق معه سبعين بدنة»^(٣) ، بدنة بين عشرة ، وبقرة بين سبعة ، وقال مقاتل : «كان النبي ﷺ أهدى عام الحديبية مائة بدنة»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿مَعَكُوفًا﴾ . قال المفسرون : «محبوساً» ، والعكف : الحبس ، يقال : عكفه يعكفه عكفاً ، إذا حبسه ، وعكفت القوم عن كذا ، أي حبستهم ، ويقال : إنك لتعكفني عن حاجتي ؛ أي تصرفني^(٥) ، قال الأزهري : «يقال : عكفته عكفاً فعكف عكوفاً»^(٦) ، وهو لازم وواقع ، كما يقال : رجعته فرجع ، إلا أن مصدر اللازم العكوف ، ومصدر الواقع العكف .

(١) انظر : تفسير البغوي ٧/ ٣٢٠ ، وزاد المسير ٧/ ٤٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٨٣ ، وتفسير مقاتل ٤/ ٧٥ .

(٢) غير واضحة في الأصل عليها آثار مسح ، ولكنها في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧ : عبارة مطابقة للصورة الموجودة ، وهي : «الهدى منصوب نسق على الكاف والميم ، المعنى وصدوا الهدى» ، وقال صاحب الدر المنون ٦/ ١٦٣ : ﴿وَالْهَدْيَ﴾ العامة على نصبه ، والمشهور أنه نسق على الضمير المنصوب في ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ وقيل : نصب على المعية ، وفيه ضعف لإمكان العطف .

(٣) أخرج الطبري عن مروان بن الحكم ، والمسور بن مخرمة في تفسيره ١٣/ ٩٥ ، ٩٦ أن هديه كان سبعين بدنة ، وأخرجه عنها أيضاً البغوي في تفسيره ٧/ ٣١٣ .

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره ٤/ ٧٥ ، وقد أشار إلى القول : «بأنها سبعون بدنة» ، كما أشار السمرقندي ٣/ ٢٥٧ إلى القولين جميعاً .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٩٥ ، وتفسير السمرقندي ٣/ ٢٥٧ ، وتفسير البغوي ٧/ ٣٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٨٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (عكف) ١/ ٣٢١ .

قوله : ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ . قال الزَّجَّاج : «موضع (أن) منصوب على معنى :
وصدوا الهدى محبوساً عن أن يبلغ محله»^(١) .

قال مقاتل : «يعني منحره»^(٢) ، وهو الحرم كله .

﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ يعني : المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا
بمكة بين ظهري الكفار وهم كالوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن
أبي ربيعة ، وأبي جندل^(٣) بن سهيل وأشباهم ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ ؛ أي لم تعرفوهم
كقوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] . قال مقاتل : «لم تعلموهم أنهم
مؤمنون»^(٤) .

قوله : ﴿أَنْ تَطُوهُمْ﴾ ؛ أي بالقتل وتوقعوا بهم ، يقال : منه وطئت القوم ؛ أي
أوقعت بهم ، ومنه قول الشاعر :

ووطئتنا وطأ على حنقي وطأ المقيد يابسَ الهرم^(٥)

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٧/٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٧٥/٤ .

(٣) أبو جندل بن سهيل بن عمرو بن عامر بن لؤي ، أبوه سهيل بن عمرو الذي بعثته قريش إلى رسول الله
ﷺ في صلح الحديبية . ولما اتفق مع رسول الله ﷺ على الصلح جاء ابنه أبو جندل يرسف في الحديد
قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه ، وقال : يا محمد ، قدمت القضية
بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : «صدقت» ، وأخذه ليرده إلى قريش ، فصاح أبو جندل : يا معشر
المسلمين ، أرد إلى المشركين ليفتنوني في ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : «احتسب فإن الله جاعل لك ولئن
معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً» . توفي - رضي الله عنه - سنة ٢٣ هـ . انظر : الكامل لابن الأثير
١٣٨/٣ ، ٤١/٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٥/٤ .

(٥) البيت لزهير في تهذيب اللغة (هرم) ٢٩٦/٦ ، واللسان (هرم) ٦٠٧/١٢ ، والدر المصون ١٦٤/٦ .

قال أبو إسحاق : « موضع (أن) رفع بدل من رجال ، المعنى : لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات »^(١) .

قوله : « فَتَضَيَّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ » . قال مقاتل وابن زيد : « إثم »^(٢) ، قال أبو عبيدة وابن هانئ : « المعرة : الجناية ؛ أي جناية كجناية العرّ وهو الجرب »^(٣) .

وقال النضر : « يقال عَرَّه بشر ؛ أي ظلمه وشتمه وأخذ ماله » .

وقال شمر : « المعرة التي كانت تصيب المؤمنين أنهم لو كبسوا »^(٤) أهل مكة وبين ظهرانيهم قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار ، لم يأمنوا أن يطؤوا المؤمنين بغير علم فيقتلوهم ، فتلزمهم دياتهم وتلحقهم سبّةٌ بأنهم قتلوا مَنْ هو على دينهم ؛ إذ كانوا مختلطين بهم ، فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها هي غُرم الديات ومسبّة الكفار إياهم ، انتهى كلامه^(٥) ، أمّا غُرم الدية فهو قول محمد بن إسحاق بن يسار^(٦) ، وهو غلط لأن الله - تعالى - لم يوجب على قاتل المؤمن خطأ في دار الحرب الدية ، وإنما أوجب الكفارة في قوله : « فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ » [النساء : ٩٢] ، فالصحيح أن يقال : غُرم الكفارة^(٧) ، وأمّا المسبّة فهو اختيار أبي إسحاق^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٧/٥ .

(٢) ذكره منسوباً إلى ابن زيد كلٌّ من الماوردي في تفسيره ٣٢٠/٥ ، والبغوي في تفسيره ٣٢٠/٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٠/٧ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/١٦ ، ولم أجده في تفسير مقاتل .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٧/٢ ، وتهذيب اللغة (عر) ٩٩/١ ، وفتح القدير للشوكاني ٥٤/٥ .

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة (كبس) ٨٠/١٠ : التكبيس : الاقتحام على الشيء ، تقول كبسوا عليهم .

(٥) انظر : قول النضر وشمر في تهذيب اللغة (عر) ٩٩/١ ، ١٠٠ .

(٦) أخرجه الطبري ١٠٢/١٣ عن ابن إسحاق ، وذكره الثعلبي ١٠١/١٥١ ، والماوردي ٣٢٠/٥ ، والبغوي ٣٢٠/٧ ، وابن الجوزي ٤٤٠/٧ ، والقرطبي ٢٨٦/١٦ .

(٧) هذا اختيار الطبري ١٠٢/١٣ ، وأورده الثعلبي ١٠١/١٥١ ، والبغوي ٣٢٠/٧ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٧/٥ .

قوله : ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مقدم في المعنى ، كأن التقدير : لولا أن تطؤوهم بغير علم^(١) ، وهذه الآية دليل على أن القرية من قرى المشركين إذا كان فيها طائفة من المسلمين لا يجوز البيات عليهم ولا تعميمهم بالحرق والغرق والمجانيق ، وفي هذه الآية ضروب من النظم .

قال صاحب النظم : «التأويل : ولولا تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفون إيمانهم فتوقعون ، فلما قدّم ذكر الرجال والنساء ، والمراد في التقديم الوطأة بنى عليه الوطأة^(٢) كال تكرير في ذكره» ، وهذا معنى ما ذكره أبو إسحاق أن قوله : أن ﴿تَطْؤُوهُمْ﴾ بدل من قوله : ﴿رِجَالٌ﴾^(٣) .

واختلفوا في جواب قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ فذهب قوم إلى أنه محذوف على تقدير : لسأطناكم عليهم ولأذنّا لكم في دخولها ، وحذف الجواب كثير في التنزيل ، وقال آخرون : «جوابه قوله : ﴿لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو جواب لكلامين أحدهما : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ ، والثاني : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ . اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام على تقدير : حال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته مَن يشاء ، يعني مَن أسلم من الكفار بعد الصلح ، ودل على الحيلولة قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾^(٥) .

وقال أبو جعفر النحاس : «أجاز أبو حاتم الوقف على قوله : ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، وجعل اللام في قوله : ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ﴾ لام قسم كما جعل في قوله : ﴿يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾

(١) انظر : تفسير الوسيط ١٤٣ / ٤ .

(٢) كذا رسمها في الأصل ، ولم أقف عليه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٧ / ٥ .

(٤) انظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١١٦٧ / ٢ ، والدر المصون ١٦٤ / ٦ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٣٢٠ / ٧ ، والبحر المحيط ٩٩ / ٨ .

ما تقدم الآية [لَمَّا] ^(١) يَرَقِبُ اللام فعلاً متعلقاً به] ، وفي هذا المعنى لطف ، فلذلك أشكل عليه ، والتقدير : لم يأذن لكم في القتال ودخول مكة على سبيل الحرب ، ليدخل الله في رحمته مَنْ يشاء ممن يسلمون» ، وتم الكلام ^(٢) ، ثم قال : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ قال أبو عبيدة : «لو انمازوا» ^(٣) ، وقال الفرّاء والزّجاج : «لو تميزوا» ^(٤) ، وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله : ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس : ٢٨] . قال الكلبي : «لو تفرق بعضهم من بعض حتى يخلص الكفار وحدهم» ^(٥) .

قوله تعالى : ﴿لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . قال مقاتل : «لو اعتزل المؤمنون الذين بمكة من كفارهم لعذبنا الذين كفروا» ^(٦) .

قال الفرّاء : «أي لو خلاص الكفار من المؤمنين لأنزل الله بهم القتل والعذاب» ^(٧) .

وقال ابن قتيبة : «لو تميزوا من المشركين لعذبنا المشركين بالسيف عذاباً أليماً» ^(٨) . قال مجاهد : «يعني القتل والسبي» ^(٩) .

(١) نص العبارة عند النحاس في القطع والانتناف ٦٧١ : (فجعلها لام قسم لما لم ير الفعل قبلها يتعلق به) .

(٢) انظر : القطع والانتناف ٦٧١ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٧ / ٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٨ / ٣ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٢٧ / ٥ .

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٣٢٠ / ٥ ، والقرطبي في الجامع ٢٨٦ / ١٦ ، وانظر : تنوير المقياس ٥١٤ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٥ / ٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٨ / ٣ .

(٨) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٣٤ / ٢ .

(٩) لم أقف على هذا القول ، وقال الطبري ١٠٣ / ١٣ : «لقتلنا مَنْ بقي فيها بالسيف ، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل» ، وذكر في الوسيط ١٤٣ / ٤ بلفظ المؤلف غير منسوب .

٢٦. قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾. (إذ) متعلق بقوله: ﴿لَعَذَبْنَا﴾؛ لأن المعنى: لعذبنا الذين كفروا إذ جعلوا في قلوبهم الحمية، وهي مصدر قولك: حمى فلان أنفه يحميه حمية أو حمية، وفلان ذو حمية منكرا، إذا كان ذا غضب وأنفة^(١)، ومعناها الحفاظ من قولهم: حمى فلان الشيء يحميه، إذا منعه من أن يُقَرَّبَ، ويجوز أن يكون من الحمى بمعنى الحرارة، قال الليث: «حميت من هذا الشيء أحمي منه حمية، أي أنفاً وغضباً، وإنه لرجل حمي لا يحتمل الضيم، وحمي الأنف»^(٢).

قال المُبرِّد: «الحمية الأنفة والإنكار، فإذا كانت مما لا يوقف من مثله فهو ضلالة وعلو، كما قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، وإذا كانت لما يجب أن يوقف منه فصاحبها محمود».

قال الفراء: «حموا أنفاً أن يدخلها عليهم النبي ﷺ»^(٣).

قال مقاتلان: «قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا ونسائنا، وتحديث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، يعنون محمداً وأصحابه. فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم»^(٤).

(١) انظر: تهذيب اللغة (حمى) ٢٧٤/٥.

(٢) ورد في العين (حمى) ٣/٣١٢، وتهذيب اللغة (حمى) ٥/٢٧٤، ولكن بلفظ: (أنفاً وغيطاً) بدل (غضباً).

(٣) ورد في معاني القرآن للفراء ٣/٦٨، ولم أقف على قول المُبرِّد.

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٤/٧٥، ٧٦، وأورد السمرقندي ٣/٢٨٥ هذا القول من دون نسبة، وذكره البغوي ٧/٣٢١ منسوباً إلى مقاتل، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٤١ من دون نسبة، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/١٣٤ إلى المقاتلين.

وقال الزهري : « كانت حميتهم أنهم لم يُقَرُّوا أنه نبي الله ولم يُقَرُّوا ببسم الله الرحمن الرحيم »^(١) . وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء ، وذلك أن سهيل بن عمرو كان عند النبي ﷺ وهو يملي كتاب الصلح ، وسهيل مشرك فقال رسول الله ﷺ لعلي : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهيل : لا ندري ما الرحمن ، ولكن اكتب : بسمك اللهم . ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » ، فقال سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . تفسير السكينة في هذه السورة قد مرّ مراراً ، ومعناها هاهنا ما ذكره الفراء : « أذهب الله عن المؤمنين أن يدخلهم ما دخل أولئك من الحمية فيعضوا الله »^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْفَوَى ﴾ . قال مقاتل : « ألزم المؤمنين كلمة الإخلاص وهي : لا إله إلا الله »^(٤) ، وهذا قول جماعة المفسرين^(٥) ، ورواية أبي بن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٣/١٣ عن الزهري ، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٠/١٥١ ب من دون نسبة ، ونسبه إلى الزهري كل من الماوردي ٣٢٠/٥ ، والقرطبي ٢٨٨/١٦ ، ٢٨٩ .

(٢) أورده الطبري ٩٩/١٣ ، والثعلبي ١٠/١٤٧ ب ، والبغوي ٣١٦/٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٦٨/٣ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٦/٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٠٤/١٣ ، ١٠٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠/١٥٢ أ ، وتفسير السمرقندي ٢٥٨/٣ ، وتفسير الماوردي ٣٢١/٥ ، وتفسير البغوي ٣٢١/٧ .

كعب عن النبي ﷺ أنه قال في تفسيرها هي : « لا إله إلا الله »^(١) ، وزاد علي وابن عمر : « والله أكبر »^(٢) .

قال عمرو بن ميمون : « ما تكلم الناس بشيء أعظم عند الله من لا إله إلا الله ، وهي الكلمة التي ألزمها الله أصحاب محمد »^(٣) .

وقال الزهري : « هي بسم الله الرحمن الرحيم »^(٤) ، يعني أن المشركين لما أبوا أن يُقرُّوا بهذا خص الله بهذه الكلمة المؤمنين^(٥) ، والقول هو الأول ؛ لأن معنى كلمة التقوى هي التي يُتَّقَى بها من الشرك وهي : لا إله إلا الله .

قوله : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ . قال مقاتل : « كانوا أحق بها من كفار مكة ، وكانوا أهلها في علم الله »^(٦) .

وقال أبو إسحاق : « أي كانوا أحق بها من غيرهم ، لأن الله - جل وعزَّ - اختار لنبه ولدينه أهل الخير ومستحقه ، ومن هو أولى بالهداية من غيرهم »^(٧) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، باب [٤٩] : ومن سورة الفتح ٣٨٦/٥ ، وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة » ، قال : « وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه » ، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ١٥٢/١٠ عن أبي بن كعب ، ونسبه البغوي ٣٢١/٧ ، والقرطبي ٢٨٩/١٦ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٤/١٣ عن علي رضي الله عنه ، والثعلبي في تفسيره ١٥٢/١٠ ، ونسبه إلى علي وابن عمر كل من ابن الجوزي ٤٤٢/٧ ، والقرطبي ٢٨٩/١٦ ، والبغوي ٣٢١/٧ .

(٣) أخرجه الطبري ١٠٥/١٣ عن عمرو بن ميمون ، قال : « لا إله إلا الله » فقط دون ما ذكره المؤلف .

(٤) أخرجه الطبري ١٠٦/١٣ عن الزهري ، وأخرجه الثعلبي ١٥٢/١٠ عن الزهري ، وكذا عبدالرزاق في تفسيره ٢٢٩/٢ ، ونسبه إلى الزهري كل من الماوردي ٣٢١/٥ ، والبغوي ٣٢٢/٧ ، وابن الجوزي ٤٤٢/٧ .

(٥) ذكره القرطبي في الجامع ٢٨٩/١٦ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٧٦/٤ .

(٧) ورد في معاني القرآن للزجاج ٢٨/٥ بلفظ : (ومن هو أولى بالهداية من غيره) .

قوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ . قال مقاتل : «عليماً بأنهم كانوا أهلاً للتوحيد في علم الله»^(١) . والمعنى : أنه عليم بأمر الكفار وما يستحقونه ، وأمر المؤمنين وما يستحقونه .

٢٧ . وقوله : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ . قال مقاتل : «إن الله -تعالى- أرى نبيه -عليه السلام- في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه وأصحابه حلّقوا وقصروا ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوه عامهم ذلك ، وقالوا : إن رؤيا النبي ﷺ حق ، فلما انصرفوا ولم يدخلوه قال المنافقون : والله ما حلّقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام ، فأنزل الله هذه الآية»^(٢) .

وقال مجاهد : «أرى هذه الرؤيا بالحديبية ، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية أين رؤيا محمد ﷺ ، فنزلت الآية»^(٣) ، والمعنى : أن الله -تعالى- يخبر عن صدق ما أرى رسوله بقوله : صدقه الله رؤياه ، أي أراه الصدق في منامه لا الباطل .

قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ . المفسرون يجعلون هذا تفسير رؤياه وشرح ما رأى ، ومقاتل يجعل هذا ابتداء إخبار عن الله -تعالى- أخبر المؤمنين أنهم يدخلونه فقال : ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ ، يعني : العام المقبل^(٤) ، وابن كيسان يجعل هذا الكلام خبراً عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك لأصحابه^(٥) والتقدير : فقال : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ، والاستثناء بالمشيئة على هذا القول

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٦/٤ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٧٦/٤ ، وتفسير الطبري ١٠٧/١٣ ، وأخرجه عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وأورده البغوي ٣٢٢/٧ غير منسوب ، ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٨٩/١٦ إلى قتادة .

(٣) أخرجه الطبري ١٠٧/١٣ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٩ ، وتفسير البغوي ٣٢٢/٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٧٦/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/١٦ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٥٢/١٠ ب ، والبغوي في تفسيره ٣٢٣/٧ ، والقرطبي في تفسيره ٢٩٠/١٦ .

حسن ، لأنه من كلام رسول الله ﷺ ، ثم معنى الاستثناء بالمشيئة يجوز أن يعود إلى الدخول ، ويجوز أن يعود إلى الأمن ، أي لتدخله إن شاء الله الدخول ، أو لتدخله آمنين إن شاء الله الأمن^(١) ، وإذا كان هذا من كلام الله واختاره للمؤمنين بذلك ، فوجه الاستثناء مختلف فيه .

قال أبو عبيدة : «(إن) بمعنى إذ ؛ يعني : إذ شاء الله ، حيث أرى رسوله ذلك»^(٢) ، وذكر أبو إسحاق فيه وجهين ؛ أحدهما : أن معناه : لتدخلن إن أمركم الله ، فالمشيئة هاهنا بمعنى الأمر ، لأنه إذا شاء أمر ، والثاني : أن يكون ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ على ما أمر الله به في كل ما يتوقع فقال : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِي إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٣﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤] ، وهذا معنى ما روي عن أبي العباس أنه سئل عن هذا فقال : «استثنى الله في ما يعلم ، ليستثني الخلق في ما لا يعلمون»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿ءَامِنِينَ﴾ ؛ أي من العدو ، و﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ . يقال : حَلَقَ رأسه ، وحَلَّقَ رأسه ، والمُحَلَّقُ موضع حلق الرأس بمنى ، ومنه قول الراجز :

(١) ذكره الثعلبي ١٠ / ١٥٢ ب ، والبغوي ٧ / ٣٢٣ ، وابن الجوزي ٧ / ٤٤٣ .
 (٢) لم أجد قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ، ولكن الثعلبي نسبته إليه في تفسيره ١٠ / ١٥٢ ب ، وكذا البغوي ٧ / ٣٢٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٤٣ والقرطبي ١٦ / ٢٩٠ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨ / ١٠١ ، والمؤلف في الوسيط ٤ / ١٤٥ . قال النحاس في إعراب القرآن ٤ / ٢٠٤ : «وقد زعم بعض أهل اللغة أن المعنى : لتدخلن المسجد الحرام إذ شاء الله ، وزعم أنه مثل قوله : ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، وأن مثله : (وإننا إن شاء الله بكم لاحقون) ، وهذا قول لا يعرج عليه ، ولا يعرف أحد من النحويين (إن) بمعنى (إذ) ، وإنما تلك (أن) ، فَغَلَطَ وبينها فصل في اللغة والأحكام عند الفقهاء والنحويين» ، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥ / ١٢٠ : «وقال قوم : (إن) بمعنى (إذ) فكأنه قال : إذ شاء الله ، وهذا حسن في معناه ، ولكن كون (إن) بمعنى (إذ) غير موجود في لسان العرب» .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٨ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٤٣ ، والقرطبي ١٦ / ٢٩٠ عن ثعلب .

كلا ورب البيت والمُحَلَّق^(١)

قوله: ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾؛ أي من الشعر، يقال: قصر شعره، إذا جزَّ من طوله، وهذا يدل على أن المُحَرَّم بالخيار عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق، وإن شاء قصر^(٢).

قوله: ﴿لَا تَخَافُوكَ﴾ حال من المحلقين والمقصرين، على تقدير غير خائفين^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾؛ أي علم الله ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح، ولم تعلموه أنتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه العظيم أثره. قال مقاتل: «فعلم الله أنه يفتح عليهم خير قبل ذلك، ولم يعلموا»^(٤).

وقال غيره: «علم الله أن ذلك كائن إلى سنة، ولم تعلموا أنتم»^(٥).

(١) ورد الرجز في اللسان (حلق) ٦٤ / ١٠ من دون نسبة.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الحج، باب الحلق والتقشير عند الإحلال ١٨٨ / ٢ عن نافع عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم ارحم المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «اللهم ارحم المحلقين». قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصرين»، وقال القرطبي ٣٨١ / ٢: «قال علمنا: ففي دعاء رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة دليل على أن الحلق في الحج والعمرة أفضل من التقشير، وأجمع أهل العلم على أن التقشير يجزئ عن الرجال إلا شيء ذكر عن الحسن أنه كان يوجب الحلق في أول حجة يحجها الإنسان».

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ٣١٢ / ٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٧٧ / ٤.

(٥) ذكره السمرقندي في تفسيره ٢٥٨ / ٣ منسوباً إلى الكلبي، ونسبه إلى الكلبي كل من الماوردي في تفسيره ٣٢٢ / ٥، والقرطبي ٢٩١ / ١٦.

قوله : ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ؛ أي من قبل الدخول فتحاً قريباً ، يعني فتح خيبر في قول ابن عباس في رواية عطاء ومقاتل وابن زيد^(١) ، وفي قول الآخرين هو صلح الحديبية^(٢) .

٢٨ . قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ مفسّر في سورة براءة [آية : ٣٣] إلى قوله : ﴿وَكَفَنَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ؛ أي على ما أرسل ، قال مقاتل : «وهذا رد على المشركين لما أملى رسول الله ﷺ : هذا ما صالح عليه محمد رسوله ، أنكروا ذلك على ما بيّنا ، فأنزل الله هذه الآية»^(٣) .

٢٩ . قوله تعالى : ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «شهد له بالرسالة»^(٤) وهو جملة مبتدأ وخبر ، ويجوز أن يكون ﴿تُحَمَّدُ﴾ ابتداء ، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ نعت ، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ عطف على الابتداء ، وخبره في ما بعده^(٥) .
قال ابن عباس : ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أهل الحديبية^(٦) .

(١) أخرجه الطبري ١٠٨/١٣ عن ابن زيد ، وذكره مقاتل في تفسيره ٧٧/٤ ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠٥٣/١٠ إلى ابن زيد ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٤/٧ إلى ابن عباس وعطاء وابن زيد ومقاتل ، ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٩١/١٦ إلى ابن زيد والضحاك .

(٢) أخرجه الطبري ١٠٨/١٣ عن مجاهد والزهري وابن إسحاق ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٠٥٣/١٠ إلى أكثر المفسرين ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٣٢٢/٥ إلى مجاهد ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٤/٧ إلى مجاهد والزهري وابن إسحاق ، ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٩١/١٦ إلى مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦٠٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٧/٤ ، وزاد المسير ٤٤٥/٧ ، والقرطبي ٢٩٢/١٦ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٥/٧ ، والمؤلف في الوسيط ١٤٦/٤ عن ابن عباس .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٠٥/٤ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٣١٣/٢ .

(٦) ذكره القرطبي في الجامع ٢٩٢/١٦ منسوباً إلى ابن عباس ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٤٦/٤ إلى ابن عباس .

وقال مقاتل : «والذين آمنوا معه من المؤمنين»^(١) .

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ؛ غلاظ عليهم كالأسد على فريسته . ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ يرحم أحدهم الآخر ، قال ابن عباس : «الرجل للرجل منهم كالولد لوالده ، والعبد لسيده»^(٢) .

وقال مقاتل : «متوادلون بعضهم لبعض»^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة : ٥٤] .

﴿تَرَبَّؤُهُمْ رُكْعًا سَجَدًا﴾ ؛ إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ، قال ابن عباس : «إن عروة بن مسعود الثقفي أتى النبي ﷺ وهو بالحديبية فأقام بلال فتقدّم رسول الله ﷺ وهم خلفه وعروة يعجب من حسن ما يرى من ركوعهم وسجودهم»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ . قال مقاتل : «يعني الجنة ورضا الله»^(٥) .

﴿سَيِّمَاهُم فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «أي مما حملت من الأرض جباههم» ، وهذا قول عكرمة وسعيد بن جبير وأبي العالية ، قال سعيد : «هو ندى الطهور ، وندى الأرض»^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٨ / ٤ .

(٢) ذكره غير منسوب البغوي ٣٢٣ / ٧ ، ٣٢٤ من دون قوله : «والعبد لسيده» ، والمصنف في الوسيط ١٤٦ / ٤ بنصه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٧٨ / ٤ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٧٨ / ٤ ، ونص العبارة : (فضلاً يعني : رزقاً من الله ورضواناً ، يعني يطلبون رضى ربهم) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٣ / ١١١ ، ١١٢ عن سعيد بن جبير وعكرمة ، ونسبه الثعلبي في تفسيره

وقال أبو العالية : «لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب»^(١).

وقال شمر بن عطية : «هو التهيج والصفرة في الوجه وأثر السهر»^(٢). وهو قول الحسن والضحاك ؛ قال الحسن : «تحسبهم مرضى وما هم بمرضى ، يعني من كثرة السهر للصلاة» .

وقال الضحاك : «إذا سهر الرجل أصبح مصفراً» .

وقال عطية : «مواضع السجود»^(٣) أشد وجوههم بياضاً يوم القيامة»^(٤) ، وعلى هذا القول هذه السيمات تعرف في وجوههم يوم القيامة ، وهذا قول الزهري وشهر بن حوشب ، قال : «يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر» ، والقولان جميعاً ذكرهما الكلبي عن ابن عباس فقال : «سيماهم من السهر بالليل والصفرة في وجوههم يعرفون بها يوم القيامة غراً»^(٥).

وقال مجاهد : «هو الخشوع والتواضع وأنكر أن يكون [السحادة]^(٦) بين العينين ، وقال : إنه ليكون في وجه الرجل مثل ركة العنز ، وإنه لأخبت من

١٠/ ١٥٣ ب إلى عكرمة وسعيد بن جبیر ، ونسبه الماوردي في تفسيره ٥/ ٣٢٣ إلى سعيد بن جبیر ، ونسبه البغوي ٧/ ٣٢٤ إلى عكرمة وسعيد بن جبیر .

(١) ذكره الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، والبغوي ٧/ ٣٢٤ ، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٦ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١١١ عن شمر ، وذكره الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب ، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٧ ، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤ منسوباً إلى شمر .

(٣) نص العبارة عند ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٤٧ : (مواضع السجود من وجوههم يكون أشد وجوههم بياضاً يوم القيامة) ، ونصها عند الطبري ١٣/ ١١٠ : (مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضاً) .

(٤) ذكر هذه الأقوال الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ب ، والماوردي ٥/ ٣٢٣ ، والبغوي ٧/ ٣٢٤ ، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤ .

(٥) ذكره الثعلبي ١٠/ ١٥٣ ، ١٥٤ ، وابن الجوزي ٧/ ٤٤٧ ، والقرطبي ١٦/ ٢٩٤ .

(٦) كذا في الأصل ، ولعل المراد (السحنة) .

كذا»^(١)، وهذا قول طاوس ومقاتل، ورواية الوالبي عن ابن عباس، قالوا: «هو الهدي والسمت الحسن وسيما الإسلام وسحته»^(٢)، وعلى هذا معنى قوله ﴿مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾؛ أي من أثر الصلاة، والمعنى: أن السجود أورثهم ذلك الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به.

وحكى أبو إسحاق: «أن هذه السبيا هو أنهم يبعثون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الطهور، يجعله الله لهم يوم القيامة علامة يبين بها فضلهم على غيرهم»^(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ يعني: ما ذكر من وصفهم وهو ما وصفوا في التوراة أيضاً، والمعنى أنهم وصفوا في التوراة بما وصفوا في القرآن، وتم الكلام هاهنا في قول ابن عباس في ما روى عنه ابن جريج، وهو قول الضحاك وقتادة ومقاتل وابن زيد^(٤).

(١) أخرجه الطبري ١١١/١٣ عن مجاهد، وذكره الثعلبي ١٠/١٥٣ ب، والقرطبي ١٦/٢٩٤، ونسبه إلى مجاهد مع اختلاف في بعض الالفاظ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/١٤٦ إلى مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري ١١١/١٣ عن ابن عباس، ونسبه إلى ابن عباس كل من الثعلبي ١٠/١٥٣ ب، والبغوي ٧/٣٢٤، ونسبه المؤلف في الوسيط إلى ابن عباس في رواية الوالبي، وانظر: تفسير مقاتل ٧٨/٤.

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٥/٢٩، وأورده مسلم عن أبي هريرة في صحيحه في كتاب الطهارة، باب [١٢]: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١/٢١٦، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فيلفعل».

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/١١٢، ١١٣ عن قتادة والضحاك وابن زيد، ورجّحه، وكذلك الثعلبي في تفسيره ١٠/١٥٤ أ، والبغوي ٧/٣٢٤، وأشار ابن الجوزي ٥/٣٢٣ إلى القولين، ونسب هذا القول إلى الضحاك وابن زيد، ونسب القول بأنه مثل واحد إلى مجاهد، وأورد القولين من دون نسبة ولا ترجيح الماوردي في تفسيره ٥/٣٢٣.

قال مقاتل : «يقول ذلك الذي ذكر نعت أمة محمد ﷺ في التوراة ، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل»^(١) فقال : ﴿وَمَتَّلَعُوا فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ . وقال مجاهد : «المثلان في التوراة والإنجيل واحد» ، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي قال : «يقول صفتهم في التوراة والإنجيل كصفتهم في القرآن»^(٢) ، وذكر الفرّاء القولين أيضاً^(٣) ، وتام الكلام على قول مجاهد عند قوله : ﴿فِي الْإِنْجِيلِ﴾ ، ثم ابتداء ، فقال : ﴿كَزَرْعٍ﴾ ، أي هم كزرع ، أو هو يعني : رسول الله كزرع ، والكاف في محل الرفع ، لأنه خبر المبتدأ المحذوف»^(٤) .

قوله تعالى : ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يقرأ : بسكون الطاء وفتحها^(٥) ، قال أبو زيد : «أشطأت الشجرة بغصونها ، إذا أخرجت غصونها»^(٦) ، وقال ابن الأعرابي : «أخرج شطأه ؛ أي فراخه ، وجمعه أشطاء ، وقد أشطأ الزرع ، إذا فرخ»^(٧) ، ونحو هذا قال أبو عبيدة^(٨) .

وقال الزّجاج : «أخرج نباته»^(٩) .

وقال المبرّد : «أشطأ فراخ الزرع ، يقال قد أشطأ الزرع ، ومن هذا ، يقال للواحد من الأولاد : إنك لشطأة صالحة»^(١٠) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٧٨ / ٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٣ / ١٣ عن مجاهد ، ونسبه القرطبي ٢٩٤ / ١٦ إلى مجاهد .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٦٩ / ٣ .

(٤) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٣١٤ / ٢ ، والدر المصون ١٦٦ / ٦ .

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر بالفتح ، وقرأ الباقر بالسكون . انظر : الحجة لأبي علي ٢٠٣ / ٦ .

(٦) انظر : الحجة ٢٠٤ / ٦ ، وتهذيب اللغة (شطأ) ٣٩٢ / ١١ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (شطأ) ٣٩٢ / ١١ ، واللسان (شطأ) ١٠٠ / ١ .

(٨) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨ / ٢ .

(٩) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٢٩ / ٥ .

(١٠) لم أقف عليه .

وقال أبو علي الفارسي : «الشَّطْءُ والشَّطْأُ يشبه أن يكونا لغتين ، كالشَّمْع والشَّمْع والنَّهْر والنَّهْر»^(١) .

أمَّا التفسير ، فقال أنس بن مالك : «نباته وفروخه»^(٢) .

وقال مجاهد : «جوانبه»^(٣) ، وقال [أبو زيد]^(٤) : «أولاده»^(٥) .

وقال الضحاك : «هو ما يخرج بجانب الحلقة فينمو»^(٦) .

قوله تعالى : ﴿فَازَرَهُ﴾ القراءة بالمد ، وقرأ ابن عامر : (فأزره) مقصوراً على فعله^(٧) .

قال أبو عبيدة : «ساواه وصار مثل الأم ، وأنشد لحميد الأرقط^(٨) :

يَسْتَقِي بَغِيْثٌ غَدِقِ السَّاحَاتِ زَرْعًا وَقَضْبًا مُؤْزَرَ النَّبَاتِ»^(٩) .

(١) انظر : الحجة لأبي علي ٦ / ٢٠٤ .

(٢) أخرجه الطبري ١٣ / ١١٣ عن أنس من دون لفظ : (فروخه) ، ونسبه إليه الثعلبي ١٠ / ١٥٤ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١١٤ عن مجاهد بلفظ : (ما يخرج بجانب الحلقة فيتم وينمي) ، ونسبه إليه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥٤ أ .

(٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، والصحيح : (ابن زيد) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١١٤ عن ابن زيد ، ونسبه إليه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥٤ أ ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦ / ٢٩٤ إلى ابن زيد وغيره .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١١٤ عن مجاهد ، ونسبه إليه الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥٤ أ إلى مجاهد والضحاك .

(٧) انظر : السبعة لابن مجاهد ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، والحجة لأبي علي ٦ / ٢٠٤ .

(٨) لم أقف على ترجمته .

(٩) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١٨ ، والبيت بلفظ : (السَّحَات) .

وقال المُبرِّد: «معناه: أن هذه الأفرخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها»^(١)، والمعنى: آزر الشطأ الزرع فصار في طوله.

وقال الأصمعي: «فساوى الفراخ الطوال فاستوى طولها، وأنشد قول امرئ القيس:

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا مَجَرَّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخَيْبٍ^(٢)

قال: أراد: أن نبت هذه المحنية طال حتى ساوى السدر، لأن الناس هابوه فلم يرعوه»، وعلى قول هؤلاء فاعل (آزر) الشطأ، وآزر وزنه أفعِل، ويدل عليه قول حميد.

وقال بُزْرج: «يقال: ووازرني فلان على الأمر وآزرني، والألف أعرب»^(٣) وهو من المؤازرة، وفعلت منها آزرت أزرًا^(٤).

وقال الفرّاء: «آزرت فلاناً آزره أزرًا، قَوَّيته، على وزن عَزَّرتَه، وآزرتَه عاونته»^(٥).

وقال الزَّجَّاج: «آزرت الرجل على فلان، إذا أعتته عليه وقَوَّيته»^(٦)، وعلى هذا القول، آزر وزنه فاعِل.

(١) ذكره المؤلف في الوسيط ١٤٦/٤، ونسبه إلى المبرِّد.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٧/١٣، واللسان (آزر) ١٨/٤، والحجة لأبي علي ٢٠٤/٦، وشرح الأبيات المشككة الإعراب ٣٣٢، ٣٣٣. المحنية: واحدة المحاني، وهي معاطف الأودية، والمحنية أخصب موضع في الوادي. والضال: شجر السدر. وآزر: ساوى، يريد: لحق النبت بالشجر، وهي مجمع للجيش فلا ينزلها أحد ليرعاها خوفاً من الجيوش. وانظر: ديوان امرئ القيس ٥١.

(٣) في تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٦/١٣: (والألف أفصح).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٦/١٣، ٢٤٧.

(٥) انظر: تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٧/١٣، ومعاني القرآن للفرّاء ٦٩/٣.

(٦) ذكره صاحب تهذيب اللغة (وزر) ٢٤٧/١٣ منسوباً إلى الزَّجَّاج، والذي في معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٩/٥: (فآزره أي فآزر الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض).

قال المبرّد: «يقال: أزرني على أمري؛ أي قوّاني»^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: ٣١]، وفلان موازر لفلان على أمره، وليس هذا من الوزير؛ لأن هذا فاؤه مهموز، والوزير فاؤه واو، فاعل (أزر) على هذا القول الزرع، والمعنى: أزر الزرع الشطأ^(٢).

قال أبو الحسن الأخفش: «الأشبه في أزر أفعل^(٣) لا فاعل ليكون قول أبي عامر أزره فعله، فيكون فيه لغتان فَعَلَ وأفْعَلَ؛ لأنهما كثيراً ما يتعاقبان على الكلمة كما قالوا: أَلْتَهُ وَأَلَّتُهُ يُؤْلِتُهُ، وكذلك أزره وأزره»^(٤).

قال ابن عباس ومقاتل ومجاهد: ﴿فَفَازَرُهُ﴾ فشده وأعانه^(٥)، وقال الزهري وقتادة: «فتلاحق»^(٦).

قوله: ﴿فَاسْتَغَلَّظَ﴾. يقال: استغلظ الشيء، إذا صار غليظاً، وهذا لازم، واستغلظت الثوب، إذا خيّل إليك أنه غليظ^(٧) واقع، واستغلظ النبات والشجر إذا غلظ، قوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾. ذكرنا تفسير السوق عند قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] وهي جمع ساق، قال الكلبي: «فقام على قصبه

(١) لم أقف على قول المبرّد، وفي تهذيب اللغة (وزر) ١٣/ ٢٤٧: (الأزر: القوة)، وفي اللسان (أزر) ١٧/ ٤: (الأزر: القوة والشدة).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٩٥.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٥، وهذا النقل بنصه في الحجة ٦/ ٢٠٥.

(٤) انظر: الحجة لأبي علي ٦/ ٢٠٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١١٤، والثعلبي ١٠/ ١٥٤ ب، وتفسير مقاتل ٤/ ٧٨.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١١٥ عن قتادة والزهري.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (غلظ) ٨/ ٨٤.

وأصوله فأعجب ذلك زارعه»^(١) وهو قوله : ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ . وقال مقاتل : «يعجب الزارع حُسْنُ زرعه حين استوى قائماً على ساقه»^(٢) .

قال المفسرون : «وهذا كله مثل ضربه الله - تعالى - لمحمد ﷺ وأصحابه فالزرع محمد ، والشيطان أصحابه والمؤمنون حوله ، وكانوا في ضعف وقلة»^(٣) ، كان أول الزرع دقيقاً ثم غلظ وقوي وتلاحق ، كذلك المؤمنون يقوي بعضهم بعضاً حتى يستغلظوا ويستووا على أمرهم ، كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سوقه ، وهذا قول مقاتل^(٤) .

وقال الكلبي : «محمد ﷺ بدأ حين بدأ وحده ، فجعل الناس يأتونه ، وجعلوا يزدادون ويكثرون حتى امتنعوا وهابهم العدو وقهروا من حولهم»^(٥) .

قوله تعالى : ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ من صفة كمال ذلك الزرع وحسنه .

وقال أبو إسحاق : «﴿الزَّرَّاعُ﴾ الدعاة إلى الإسلام»^(٦) ، وعلى هذا ، معنى الكلام : أن قوة صحابة محمد ﷺ وكثرتهم تعجب الدعاة إلى دينه ، كما يعجب حسن هذا الزرع الذين زرعه ، وتم الكلام ثم قال : ﴿يَغِيظُ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ . واللام متعلق بمحذوف دل عليه ما سبق والتقدير : فعل الله بهم ذلك ليغيظ

(١) لم أقف عليه بهذا النص ، وذكر الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥٤ ب أنه بمعنى أصوله ، ولم ينسبه ، وكذا البغوي في تفسيره ٧ / ٣٢٥ ، وذكره في الوسيط ٤ / ١٤٧ بنص ما هنا ، ولم ينسبه .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١١٥ ، وتفسير الثعلبي ١٠ / ١٥٤ ب ، وتفسير الماوردي ٥ / ٣٢٤ ، وتفسير البغوي ٧ / ٣٢٥ ، وزاد المسير ٧ / ٤٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٧٨ .

(٥) ذكر نحوه في تنوير المقباس ٥١٥ ، وفي تفسير الوسيط ٤ / ١٤٧ ولم ينسبه .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٢٩ .

بهم الكفار^(١)، أي إنما كثّرهم وقوّاهم ليكونوا غيظاً للكافرين، وروي لنا عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال: «في قوله: ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ما آمن أن يكونوا قد صاروا الكفار، يعني: الرافضة، لأن الله - تعالى - يقول: ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فمن غاظه واحد من أصحاب النبي ﷺ خفت عليه أن يكون ممن دخل في قوله: ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾»^(٢).

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. قال أبو إسحاق: «فيها قولان: يكون منهم تخلصاً للجنس من غيره، كما تقول: أنفق نفقتك من الدراهم؛ أي اجعل نفقتك هذا الجنس، والمعنى: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب رسول الله ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً، فضّلهم على غيرهم لسابقتهم وعظم أجرهم»، هذا كلامه في أحد القولين، وبيانه أنه ليس يمكن حمل قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ على التبعض؛ لأنهم كلهم مؤمنون، فحمله على الجنس ليدخل فيه كلهم، وتخصيصهم بوعده المغفرة والأجر تفضيل لهم، وإن وعد المؤمنون كلهم ذلك، ولكنهم إذا ذكروا على التخصيص كان ذلك فضيلة لهم، قال: «والقول الثاني: أن يكون المعنى وعد الله الذين آمنوا؛ أي أقاموا على الإيمان والعمل الصالح»^(٣).

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. قال ابن عباس: «ثواباً لا ينقطع»^(٤)، وقال مقاتل: «يعني الجنة»^(٥)، والله - تعالى - أعلم.

(١) انظر: الدر المصون ١٦٧/٦، والبحر المحيط ١٠٣/٨.

(٢) ذكر القرطبي نحوه ١٦/٢٩٧، وكذا أبو حيان في البحر المحيط ١٠٣/٨، وابن كثير في تفسيره ٣٦٥/٦ منسوباً إلى مالك.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢٩/٥، ٣٠، والدر المصون ١٦٧/٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٦، ٢٩٥/١٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٧٨/٤.

تفسير

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية ، قَدَّمَ هاهنا
بمعنى : تقدَّم وهو لازم لا يقتضي مفعولاً ، يدل عليه قراءة الضحاك
ويعقوب : (لَا تَقَدَّمُوا) بفتح التاء والdal من التقدم ، ومعناها
واحد^(١) .

قال الفرَّاء : «يقال قَدَمْتُ في أمر كذا وكذا ، وتقدَّمت»^(٢) .

وقال الأزهري : «يقال قَدَّمْتُ يُقَدَّم ، وتقدَّمت يُتقدَّم ، وأقدم يُقدِّم ، واستقدم
يستقدم بمعنى واحد»^(٣) .

(١) انظر : التذكرة في القراءات ٦٨٩/٢ ، والدر المصون ١٦٨/٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٦٩/٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (قدم) ٤٩/٩ .

وقال أبو [عبيد]^(١) : «تقول العرب : لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب ، أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي»^(٢) ، يجيء فعل بمعنى يفعل ، يقال : حول بمعنى تحول ، ومنه قول ذي الرمة :

إِذَا حَوَّلَ الظِّلَّ العَشيَّ رَأَيْتُهُ حَنِيفاً وَفِي قَرْنِ الضَّحَى يَنْصَرُّ^(٣)

ومعنى بين اليدين هاهنا : القدام والأمام ، وذلك راجع إلى قدام الأمر والنهي ، لأن المعنى : لا تقدموا قبل أمرهما ونهيهما ، وبين اليدين عبارة عن الأمام ، لأن ما بين يدي الإنسان أمامه ، وهذا اللفظ بهذا المعنى كثير في التنزيل .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، قال الكلبي والسُّدِّي والمقاتلان وعطاء الخراساني : «نزلت [٤]» قصة بئر معونة^(٥) وقيل : للثلاثة الذين قتلوا الرجلين المسلمين اللذين اعتزيا إلى بني عامر ، وكان بنو عامر قتلوا أصحاب بئر معونة ، فلما اعتزى الرجلان إليهم قتلوهما وأخذوا ما كان معهما ، فلامهم رسول الله ﷺ وقال : «بئسما صنعتما هما رجلان من بني سليم^(٦) من أهل ميثاقي» ونزلت هذه

(١) كذا في الأصل ، والصواب : (عبيدة) .

(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١٩ .

(٣) انظر : ديوان ذي الرمة ٢٢٩ ، وتهذيب اللغة (ولى) ١٥ / ٤٥٢ . قال الأزهري : «أراد تحول الظل بالعشي» .

(٤) كذا في الأصل ، وقد سقط حرف (في) .

(٥) بئر معونة : قال ابن إسحاق : «بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، وقال : كلا البلدين منها قريب إلا أنها إلى حرّة بني سليم أقرب ، وقيل : بئر معونة بين جبال يقال لها : أثلى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة وهي لبني سليم» ، وقال الواقدي : «بئر معونة في أرض بني سليم وأرض بني كلاب ، وعندها كانت قصة الرجيع» ، والله أعلم . انظر : معجم البلدان ١ / ٣٠٢ .

(٦) بنو سليم (بضم السين) : قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى ، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس . قال الحمداي : «وهم أكثر قبائل قيس ، وكان لسليم من الولد بهته ومنه جميع أولاده» . قال صاحب العبر : «وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، قال : وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم» . انظر : نهاية الأرب ٢٧١ .

الآية^(١) يقول : لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ، ولا تعجلوا به ، وهذه رواية بإذن عن ابن عباس^(٢) .

وقال ابن الزبير : «قدم المدينة ركب من بني تميم^(٣) على النبي ﷺ [. . .]^(٤) ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي . وتمازيا حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله هذه الآية^(٥) وهذه رواية عطاء عن ابن عباس^(٦) .

وقال جابر بن عبد الله : «نزلت في النهي عن الذبح يوم الأضحى قبل الصلاة ، وذلك أن ناساً من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح» . وهو قول الحسن^(٧) ، واختيار الرجاج ، قال : «أعلم الله أن ذلك

(١) أورده الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥ ، ونسبه إلى السدي وعطاء الخراساني ، وذكره الماوردي في تفسيره ٥ / ٣٢٦ منسوباً إلى الضحاك عن ابن عباس ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٠١ ، والألوسي في تفسيره ٢٦ / ١٣٣ ، وانظر : تفسير مقاتل ٤ / ٨٧ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٥٧ ب .

(٣) بنو تميم : بطن من طابخة ، وطابخة من العدنانية ، وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة ، والتميم في اللغة : الشديد ، وكان لتميم من الولد زيد مناة وعمرو بن الحارث ، قال صاحب العبر : «وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة واليامة وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة» . انظر : نهاية الأرب ١٧٧ .

(٤) سقط من الأصل قوله : (فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمر الأقرع بن حابس) .

(٥) أخرجه عن عبد الله بن الزبير البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٦ / ٤٧ ، والطبري ١٣ / ١١٩ ، وأخرجه الثعلبي ١٠ / ١٥٧ ، والمؤلف في أسباب النزول ٤٠٦ ، والبغوي ٧ / ٣٣٤ .

(٦) سبقت الإشارة إليها في قصة بئر معونة وقتل الرجلين .

(٧) أخرجه الثعلبي ١٠ / ١٥٦ ب عن جابر بن عبد الله ، وأشار أيضاً إلى أنه اختيار الحسن البصري ، ونسبه صاحب الوسيط ٤ / ١٥٠ إلى جابر ، ونسبه إلى الحسن كل من الطبري ١٣ / ١١٧ ، والماوردي ٥ / ٣٢٥ ، وابن الجوزي ٧ / ٤٥٤ ، والقرطبي ١٦ / ٣٠١ .

غير جائز ، قال : وفي هذا دليل أنه لا يجوز أن يؤدَّى فرض قبل وقته ، ولا تطوُّع قبل وقته مما جاءت به الشُّنة»^(١) .

وروى مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك ، قالت : « لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم »^(٢) .

وأما التفسير ، فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : « لا تقولوا خلاف الكتاب والشُّنة »^(٣) ، وقال العوفي عنه : « لا تتكلموا بين يدي كلامه »^(٤) .

وقال مجاهد : « لا تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه »^(٥) ، وقال الضحاك : « لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله »^(٦) .

وقال الكلبي : « لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم »^(٧) .

وهذه عبارات المفسرين ومعناها واحد .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣١ / ٥ .

(٢) أخرجه الثعلبي ١٥٦ / ١٠ ب عن عائشة ، ونسبه إليها البغوي ٣٣٤ / ٧ ، وابن الجوزي ٤٥٥ / ٧ ، ونسبه السيوطي في الدر ٥٤٧ / ٧ إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه ، ونسبه صاحب الوسيط ١٥٠ / ٤ إلى مسروق عن عائشة .

(٣) أخرجه الطبري ١١٦ / ١٣ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، ونسبه الثعلبي في تفسيره ١٥٦ / ١٠ ب إلى ابن عباس عن علي بن أبي طلحة .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٦ / ١٣ عن ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٣٥٢ / ٥ إلى ابن عباس ، ونسبه ابن الجوزي ٤٥٥ / ٧ إلى العوفي ، وذكره السيوطي في الدر ٥٤٦ / ٧ ، ونسبه إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس .

(٥) ورد في تفسير مجاهد ٦١٠ ، وأخرجه الطبري ١١٦ / ١٣ ، ونسبه إلى مجاهد كل من الثعلبي ١١٥٧ / ١٠ ، والبغوي ٣٣٤ / ٧ ، والقرطبي ٣٠١ / ١٦ .

(٦) ذكره الثعلبي ١٥٧ / ١٠ ، والبغوي ٣٣٤ / ٧ منسوباً إلى الضحاك .

(٧) نسبه الثعلبي ١٥٧ / ١٠ إلى الكلبي ، وانظر : تنوير المقباس ٥١٥ .

٢. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ . قال ابن عباس: «في رواية عطاء والكلبي والمقاتلان: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، كان إذا تكلم عند النبي ﷺ رفع صوته فربما كان ينادي رسول الله ﷺ بصوته»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ . قال مقاتل: «يقول: لا تدعوه باسمه يا محمد بن عبد الله، كما يدعو الرجل منكم غيره باسمه: يا فلان ويا فلان، ولكن عظموه وقولوا: يا رسول الله، يؤدبهم»^(٢).

وقال مجاهد: «لا تنادوه ولا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا قولاً لينا: يا رسول الله»^(٣).

وقال أبو إسحاق: «أمرهم الله - عز وجل - بتبجيل نبيه، وأن يغضوا أصواتهم، ويخاطبوه بالسكينة والوقار، وأن يفضلوه في المخاطبة قال: ومعنى ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾؛ أي لا تنزلوه بمنزلة بعضكم من بعض فتقولوا: يا محمد، خاطبوه بالنبوة والسكينة والإعظام»^(٤).

(١) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٤٦/٦ عن أنس بن مالك، قصة فقد الرسول ﷺ لثابت بن قيس وسؤاله عنه، وذكر قيس سبب تحلفه وهي هذه الآية، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحيط عمله ١١٠/١، والطبري في تفسيره ١١٨/١٣ عن أنس، وذكر الثعلبي في تفسيره ١٥٨/١٠ أنها نزلت في قيس بن شماس ولم ينسب ذلك إلى أحد، وأخرجه البغوي في تفسيره ٣٣٥/٧ عن أنس، ونسبه صاحب الوسيط ١٥٠/٤ إلى أنس، وانظر: تفسير مقاتل ٨٩/٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٩٠/٤.

(٣) أخرجه الطبري ١١٨/١٣ عن مجاهد، وذكره الماوردي ٣٢٦-٣٢٧ من دون نسبة، وانظر: تفسير مجاهد ٦١٠.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٢/٥.

قوله تعالى : ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ﴾ . قال ابن قتيبة : «لئلا تحبط»^(١) ، وهذا مذهب الكوفيين ، قال الأخفش : «مخافة أن تحبط ، كما تقول : أدعم الحائط أن يميل ؛ أي مخافة أن يميل»^(٢) ، وهذا قول البصريين ، وقد بيّنا هذا في مواضع .

قال مقاتل : «يعني أن تبطل حسناتكم وأنتم لا تشعرون»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «هذا إعلام أن النبي ﷺ يجب أن يُجَلَّ ويُعَظَّم غاية الإجلال والإعظام ، وأنه قد يفعل الشيء مما لا يشعر به في أمر النبي ﷺ فيكون ذلك مهلكاً لفاعله أو قائله ، ولذلك قال بعض الفقهاء : مَنْ قال : إن زَرَّ رسول الله ﷺ وسخ ، يريد به النقص وجب قتله ، هذا مذهب مالك وأصحابه» ، انتهى كلامه^(٤) .

قال المفسرون : «فلما نزلت هذه الآية انطلق ثابت مهموماً حزيناً ، فمكث في بيته أياماً مخافة أن يكون قد حبط عمله ، وكان سعد بن عبادته جاره فانطلق سعد حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بقول ثابت أنه قد حبط عمله وأنه في النار فقال : «اذهب فأخبره أنه ليس من أهل النار وأنه من أهل الجنة»^(٥) ففرح ثابت وخرج إلى النبي ﷺ فكان بعد ذلك إذا كان عند النبي ﷺ خفض صوته فلا يسمع من يليه ، فنزلت فيه» .

(١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤١٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩٥/٢ ، ونص عبارته : «أي مخافة أن تحبط أعمالكم ، وقد يقال : (اسمُك الحائط أن يميل)» .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٠/٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٢/٥ .

(٥) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في صحيحه في كتاب التفسير (سورة الحجرات) ٤٦/٦ ، وأخرجه الطبري ١١٩/١٣ عن عكرمة ، وأورده الثعلبي في تفسيره ١٥٨/١٠ أ- ب ، وذكره القرطبي في الجامع ٣٠٥/١٦ .

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس: «لما نزل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ تألى أبو بكر ألا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله -تعالى- في أبي بكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾»^(١) ونحو هذا روي لنا عن أبي هريرة^(٢).

وقال ابن الزبير: «ما حدثت عمر النبي ﷺ بعد قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ فسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾»^(٣).

والغض: النقص من كل شيء، ومنه غض البصر وغض الصوت^(٤). قال الله تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، قال مقاتل: «يخفضون كلامهم عند رسول الله»^(٥)، قال ابن عباس: «يريد أبا بكر»^(٦).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى﴾ . قال مقاتل ومجاهد وقتادة: «أخلص الله قلوبهم»^(٧)، وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الامتحان

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٨/٧، وقال: «رواه البزار وفيه حصين بن عمر الأحسي وهو متروك، وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٢٦/٥، والبغوي ٣٣٦/٤، والقرطبي ٣٠٨/١٦، والمؤلف في الوسيط ١٥١/٤.

(٢) أخرجه الثعلبي ١٥٩/١٠ عن أبي هريرة، والحاكم في المستدرک في کتاب التفسير (سورة الحجرات) ٤٦٢/٢، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وذكره البغوي في تفسيره ٣٣٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ٤٦/٦، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٥٩/١٠ عن ابن الزبير، والبغوي في تفسيره ٣٣٧/٧، والقرطبي في الجامع ٣٠٨/١٦، ولا مانع من نزول الآية في جميع من ذكر لما اتحد فعلهم.

(٤) انظر: تهذيب اللغة (غض) ٣٦/١٦، واللسان (غضض) ١٩٧/٧.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٩٠/٤.

(٦) انظر: الوسيط ١٥١/٤.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٩٠/٤، وتفسير الطبري ١٢٠/١٣، والوسيط ١٥١/٤.

معناه في اللغة : الاختبار^(١) ، والاختبار إنما يكون الإخلاص كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص ، والتقدير : امتحن الله قلوبهم فأخلصها للتقوى فحذف الإخلاص لدلالة الامتحان عليه ، وذلك أن الامتحان إنما كان للإخلاص .

قال عطاء عن ابن عباس : « يريد طَهَّر قلوبهم من كل قبيح ، وجعل التقوى في قلوبهم والخوف من الله »^(٢) ، قال الفرّاء : « أخلص قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبثه »^(٣) ، وقال أبو عبيدة : « امتحنه : اصطفاه »^(٤) ، وهذا كقول المفسرين .

وقال أبو سعيد الضرير : « محنت الأديم محناً إذا مددته حتى توسعه ، قال : ومعنى قوله : ﴿ اَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ شرح الله قلوبهم ، كان معناه وسَّع الله قلوبهم للتقوى »^(٥) ، وعلى هذا القول لا يحتاج إلى تقدير محذوف ، وقال المقاتلان : « قال ثابت لما نزلت هذه الآية : ما يسرني أني لم أجهر بصوتي عند النبي ﷺ إذ امتحن الله قلبي للتقوى ، وجعل لي مغفرة وأجرًا عظيمًا »^(٦) .

٤ . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في قوم حفاة أجلاف من بني تميم قدموا على النبي ﷺ لفداء ذرارٍ لهم سُبيت ، وكان النبي ﷺ قد نام للقائلة ، فجعلوا ينادونه : يا محمد ، اخرج إلينا ، ولم يعلموا في أي حجرة هو من حجر نسائه ، فكانوا يطوفون على الحجر وينادونه : يا

(١) انظر : تهذيب اللغة (مخ) ٥ / ١٢١ ، واللسان (مخ) ١٣ / ٤٠١ .

(٢) ذكره القرطبي في الجامع ١٦ / ٣٠٨ عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٧٠ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢١٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (مخ) ٥ / ١٢١ ، ١٢٢ ، واللسان (مخ) ١٣ / ٤٠١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٩٠ ، ٩١ .

محمد ، اخرج إلينا ، وهذا قول جابر^(١) ، وابن عباس^(٢) ، والمقاتلين^(٣) ، ومجاهد^(٤) ، والكلبي^(٥) .

وروي لنا مرفوعاً أن النبي ﷺ سئل عن قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ الآية قال : «هم الجفأة من بني تميم»^(٦) ، والحجرات جمع حجرة ، وفُعلة تجمع فعلات ، نحو : عرفات وظلمات ، ومنهم من يستثقل الضمتين فيفتح الجيم .

وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿خُطَوَاتِ السَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] .

قال الفرّاء : «وأصل الحجر المنع ، وكل ما منعت من أن توصل إليه فقد حجرت عليه ، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هو ما حوَّطوا عليه»^(٧) ، وأنشد أبو عبيدة قول الفرزدق :

أما كان عبادة^(٨) كفيلاً لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات
وقوله : ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وصفهم الله بالجهل ، وقلة العقل ، ونعى عليهم قلة صبرهم فقال :

- (١) أخرجه الثعلبي ١٥٩/١٠ ب عن جابر ، وذكره البغوي ٣٣٨/٧ ، وأخرجه المؤلف في أسباب النزول ٤٠٩ ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ١٥٦ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٨/٧ .
- (٢) أورده البغوي في تفسيره ٣٣٧/٧ منسوباً إلى ابن عباس ، وكذا ابن حجر في الكافي الشاف ١٥٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٥٩/٧ .
- (٣) انظر : تفسير مقاتل ٩١/٤ .
- (٤) ورد في تفسير مجاهد ٦١٠ ، وأخرجه الطبري ١٢٢/١٣ ، وذكره القرطبي ٣٠٩/١٦ .
- (٥) انظر : تنوير المقياس ٥١٥ .
- (٦) أخرجه الطبري ١٢٢/١٣ عن مجاهد ، ونسبه القرطبي ٣٠٩/١٦ إلى مجاهد .
- (٧) لم أقف عليه في معاني القرآن للفرّاء ، ونسبه صاحب تهذيب اللغة (حجر) ١٣٢/٤ إلى أبي إسحاق .
- (٨) كذا في الأصل ، وعند أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢١٩/٢ : (عباً كفيلاً لدارهم) ، وعند الطبري في تفسيره ١٢١/١٣ : (عباد كفيلاً لدارم) ، وكذا عند المبرّد في الكامل ٦٤/١ ، ولم أقف عليه عند الفرزدق .

٥. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ فاداهم نصف ذراريهم ، وأعتق نصفهم ، يقول الله : ولو صبروا كنت تعتق كلهم .

قال مقاتل : «يعني بالخير أنهم لو صبروا لخلّى سبيلهم بغير فداء»^(١) ، هذا قول المفسرين^(٢) .

قوله : ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لمن تاب منهم»^(٣) .

٦. قوله تعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ . قال ابن عباس وقتادة ومجاهد^(٤) والمقاتلان^(٥) : «نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ مصداقاً إلى بني المصطلق^(٦) فلما سمعوا به فرحوا واجتمعوا ليلتقوه ، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية ، ففرق الوليد ورجع إلى النبي ﷺ وقال : إنهم قد منعوا الصدقة وارتدوا ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فلما دنا خالد منهم بعث عيوناً

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ / ٤ .

(٢) ذكره الثعلبي ١٠ / ١٦٢ ، والسمرقندي ٣ / ٢٦٢ ، والماوردي ٥ / ٣٢٨ ، والقرطبي في تفسيره ٣١١ / ١٦ .

(٣) ذكره صاحب الوسيط ٤ / ١٥٢ غير منسوب .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٢٤ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٢٧٩ عن الحرث بن ضرار الخزاعي ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٠٩ منسوباً إلى الإمام أحمد ، وقال : «رجال أحمد ثقات» ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٣١ عن قتادة ، وقال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف ١٥٦ : «رواه ابن إسحاق والطبراني من حديث أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف» .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٢ / ٤ .

(٦) بنو المصطلق : حي من خزاعة ، حاربهم رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع في شعبان ، سنة ست من الهجرة . انظر : سيرة ابن هشام ٣ / ٣٣٣ ، والبداية والنهاية ٤ / ١٥٦ .

ليلاً فإذا هم ينادون ويصلون ، فاتاهم خالد فلم يرَ منهم إلا طاعةً وخيراً ، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره ونزلت الآية .

وذكرنا القراءة في قوله : ﴿ فَتَيَّنُوا ﴾ في سورة النساء^(١) .

قوله : ﴿ أَنْ تُصِيبُوا ﴾ ؛ يعني : لئلا تصيبوا ، وكراهة أن تصيبوا^(٢) على ما ذكرنا في مواضع .

وقوله : ﴿ بِجَهْلَةٍ ﴾ ؛ أي بجهالة بحالهم ، وما هم عليه من الإسلام والطاعة .

﴿ فَضْصِبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ . قال مقاتل : « يعني الذين انتدبوا لقتال بني المصطلق »^(٣) .

٧ . ثم وعظهم فقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ، ومعناه : اتقوا أن تكذبوه أو تقولوا باطلاً ، فإن الله يخبره فتفتضحوا ، يعني : أنهم إذا لم يراعوا هذا كانوا كأنهم لم يعلموا أن رسول الله بين أظهرهم ؛ لأنهم لم يعملوا على موجب ما علموا ، فقال لهم : اعلموا ذلك علماً تعملون به فتتقوا الكذب .

ثم قال : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ ﴾ ؛ أي رسول الله ﴿ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ ؛ أي مما تخبرونه فيه بالباطل ﴿ لَعَنَتمْ ﴾ ؛ لوقعتم في عنت ، وهو الإثم والهلاك .

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿ فَتَيَّنُوا ﴾ بالنون ، وكذا في الحجرات ، الآية ٦ ، وقرأ حمزة والكسائي (فتثبتوا) بالطاء ، وكذا في الحجرات . انظر : الحجة لأبي علي ١٧٣ / ٣ ، وتفسير الطبري ١٢٣ / ١٣ .

(٢) انظر : البحر المحيط ١٠٩ / ٨ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ / ٤ .

قال مقاتل : «لأنهم^(١) في دينكم» ، ثم خاطب المؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي ﷺ ولا يخبرونه بالباطل فقال : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَا يَمُنُّ﴾ ؛ جعله أحب الأديان إليكم حتى أحببتموه ، ﴿وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ حتى اخترتموه ، ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ﴾ ؛ جعل الكفر تكرهونه وتجتنبونه ﴿وَالْفُسُوقَ﴾ قال ابن عباس : «يريد الكذب»^(٢) ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ جميع معاصي الله .

ثم عاد إلى الخبر فقال : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «يعني المهتدين في محاسن أمورهم»^(٣) ، ومثل هذا في النظم قوله : ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّنْ ذَكْوَةٍ﴾ الآية [الروم : ٣٩] .

٨. ثم بين أن جميع ذلك بفضل من الله فقال : ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : «﴿فَضْلًا﴾ منصوب مفعول له ، المعنى : فعل الله بكم ذلك فضلاً ؛ أي للفضل والنعمة»^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد تفضلاً مني عليهم ، ورحمة مني لهم»^(٥) . ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيهم بعلمه .

وقال مقاتل : «عليم بخلقه ، حكيم في أمره»^(٦) .

٩. قوله تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا﴾ . قال المفسرون : «نزلت في حَيٍّ من الأنصار كان بينهما قتال بالنعال والأيدي» .

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ / ٤ ، ونصها : (لأثتم في دينكم) .

(٢) ذكره البغوي ٣٣٩ / ٧ منسوباً إلى ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٣٢٩ / ٥ إلى ابن زيد ، ونسبه القرطبي ٣١٤ / ١٦ إلى ابن عباس وابن زيد ، ونسبه صاحب الوسيط ١٥٣ / ٤ إلى ابن عباس .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٩٣ / ٤ ، وذكره صاحب الوسيط ١٥٣ / ٤ من دون نسبة .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٥ / ٥ .

(٥) ذكره صاحب الوسيط ١٥٣ / ٤ منسوباً إلى ابن عباس .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٩٣ / ٤ .

قال أبو مالك : «اقتتل رجلان فاقتتل حياهما ، فاقتتلوا بالنعال والعصي ، فأنزل الله ما قد سمعتم»^(١) ، ونحو هذا قال الحسن^(٢) ، وقتادة^(٣) ، والسُّدي^(٤) .

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ؛ أي بالدعاء إلى حكم كتاب الله ، والرضاء بما فيه لهما وعليهما .

وقوله : ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ ؛ أي طلبت ما ليس لها ، ولم ترجع إلى الصلح والرضا بحكم الله الذي حكم في كتابه .

قال أبو إسحاق : «والباغية : التي تعدل عن الحق وما عليه أئمة المسلمين وجماعتهم»^(٥) .

قوله تعالى : ﴿فَقَنِلُوا آلَ لَئِي تَبْغِيَ حَتَّى نَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «ترجع إلى طاعة الله»^(٦) .

وقال مقاتل : «ترجع إلى الصلح الذي أمر الله به»^(٧) .

(١) أخرجه الطبري ١٣ / ١٢٨ عن أبي مالك ، ونسبه السيوطي في الدر ٧ / ٥٦٠ إلى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن أبي مالك .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢ / ٢٩٦ عن الحسن ، وانظر : تفسير الحسن .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٢٩ عن قتادة ، ونسبه إلى قتادة كل من الماوردي ٥ / ٣٣٠ ، والبغوي ٧ / ٣٤٠ ، وابن الجوزي ٧ / ٤٦٣ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٢٨ عن السُّدي ، ونسبه إلى السُّدي كل من الثعلبي ١٠ / ١١٦٤ ، والماوردي ٥ / ٣٣٠ ، والبغوي ٧ / ٣٤٠ .

(٥) انظر : معاني الزَّجاج ٥ / ٣٥ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٤ / ٩٤ .

قال أصحابنا : «ودلت عليه هذه الآية ، على أنه يجب أن يقاتل المارق الباغي المشاق لما عليه الأمة^(١) ، لأن ظاهر الأمر الوجوب ، والبغاة الذين يجب قتالهم هم الذين يجتمع لهم أوصاف ثلاثة : الغلبة بالشوكة والقوة ، والتأويل المحتمل^(٢) ، والإمام الذين يجتمعون عليه ، فهو لاء يدعون أولاً إلى طاعة الله بالإنذار ، والعود إلى طاعة الإمام العادل ، فإن أبوا قوتلوا من غير أن يبدأ بالقتال ، ولكن إن قصدوا أهل العدل قاتلوهم للدفع ، ثم لا يتبع مدبرهم ، ولا يجهز على جرحتهم ، ونحو ما ذكرنا سار أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - في أهل البغي^(٣) ، وما أتلف أهل البغي من مال أهل العدل وما أراقوا من دمائهم يجب عليهم الغرامة على الصحيح من مذهب الشافعي ، والقود يسقط بالشبهة^(٤) .

قوله تعالى : ﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾ ؛ أي رجعت الباغية إلى طاعة الله ، ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ . قال ابن عباس : «بالديات التي فرضها الله ، يعني : أنهم يدون الجرحى والقتلى ، وذلك هو الإصلاح بين الفريقين ، يؤخذ للعادل من الباغي دية الجراحة والقتل وغرم ما أتلف من المال^(٥) ، ﴿وَأَفْسَطُوا﴾ ؛ واعدلوا في الإصلاح بينهما وفي كل حكم . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ . وذكرنا معنى الإقساط في أول سورة النساء ، الآية ٥ .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٢٨ ، وتفسير البغوي ٧/ ٣٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣١٧ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٧/ ٣٤٢ .

(٣) أخرجه الحاكم عن أبي أمامة في المستدرک في کتاب قتال أهل البغي ٢/ ١٥٥ وقال : «هذا صحيح الإسناد في هذا الباب» ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي موقوفاً على علي في سننه في کتاب قتال أهل البغي ، باب أهل البغي إذا فاؤوا لم يتبع مدبرهم ولم يقتل أسيرهم ولم يجهز على جريحهم ولم يستمتع بشيء من أموالهم ٨/ ١٨١ ، وانظر : التلخيص الحبير لابن حجر ٤/ ٤٣ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للشافعي ١/ ٢٩٢ ، وإرواء الغليل للألباني ٨/ ١١٦ . القود : قتل القاتل بالقتيل ، تقول : أقدته واستقدت الحاكم ، وإذا أتى الإنسان إلى آخر أمرأ فانتقم منه مثلها ، قيل : استقادها منه . انظر : تهذيب اللغة (قاد) ٩/ ٢٤٨ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للشافعي ١/ ٢٩٣ ، وكتاب الأم : حكم أهل البغي في الأموال وغيرها ٤/ ٢٢٠ .

١٠. ونزل في هذا أيضاً قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .
قال أبو إسحاق : «أعلم الله - عز وجل - أن الدين يجمعهم وأنهم
إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم ، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل
النسب لأنهم لآدم وحواء ، فإن اختلفت أديانهم افترقوا في النسب وإن
كانوا لأب ولأم ، ألا ترى أنه لا يرث الولد المؤمن الأب الكافر ؟ ولا
الحميم المؤمن نسيبه الكافر ؟»^(١) .

وقوله : ﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ؛ يعني : بين كل مسلمين تحاصبا وتقاتلا .
وقال الكلبي ومقاتل^(٢) : «نزلت هذه الآية وما قبلها في الأوس والخزرج»^(٣) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦ / ٥ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٩٤ / ٤ ، وذكره الماوردي ٣٣٠ / ٥ منسوباً إلى مقاتل والكلبي والفرّاء ، وانظر :
معاني القرآن للفرّاء ٧١ / ٣ .

(٣) الأوس : بطن من مُزَيْقِيَا من القحطانية ، وهم بنو الأوس بن حارثة بن تغلب بن مُزَيْقِيَا ، وهم أحد
قبيلتي الأنصار ، وكان لهم مُلك يثرب نزلوها عند خروجهم من اليمن وجاء الإسلام وهم بها ،
فكانوا أنصاراً للنبي ﷺ . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٦٥ .

الخزرج : بطن من مُزَيْقِيَا من الأزد ، غلب عليهم اسم أبيهم ف قيل لهم الخزرج ، وهم المراد عند
الإطلاق لهذا الاسم ، وهم إحدى قبيلتي الأنصار أخوة الأوس ، ويقال لكليتيها : بنو قيلة . انظر :
نهاية الأرب للقلقشندي ٦٠ ، وجهرة أنساب العرب ٣٦٢ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٣٤٢ .

وقال أبو علي الفارسي : «اقتتلا بسبب عبدالله بن أبي ، وعبدالله بن رواحة»^{(١)(٢)} ، وعلى هذا ، قال مقاتل : «بين أخويكم : يعني : الأوس والخزرج»^(٣) .

وقال أبو علي الفارسي : «يراد بالأخوين الطائفتان ونحوهما مما يكون كثرة ، وإن كان اللفظ لفظ التشية يرد والمراد به الكثرة والعموم»^(٤) ، وذكرنا شواهد ذلك في قوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وقال أبو عبيدة في قوله : ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ : «معنى الآيتين يأتي على الجميع إنما تأويله : على كل أخوين»^(٥) .

وفي قوله : ﴿بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ دليل على أن صفة البغي لا تزيل اسم الإيمان ؛ لأن الله - تعالى - أثبت الأخوة بين المؤمنين بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ثم سَمَّى الباغي والعاذل أخوين فقال : ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ، وجعلها أخوين للمؤمنين ، فالباغي أخو المؤمن كما أن العادل أخوهم ، ونحو هذا قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فيهم لما سأله الحارث^(٦) الأعور عن أهل الجمل

(١) هو : عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري من الخزرج أبو محمد ، يُعدُّ من الأمراء والشعراء الراجزين ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، واستخلفه النبي ﷺ في إحدى غزواته على المدينة ، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها . انظر : حلية الأولياء / ١ / ١١٨ ، والاستيعاب / ٢ / ٢٩٣ ، والإصابة / ٢ / ٣٠٦ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) انظر : تفسير مقاتل / ٤ / ٩٤ .

(٤) انظر : الحجة لأبي علي / ٦ / ٢٠٩ .

(٥) لم أقف عليه عند أبي عبيدة ، وقد نسب القرطبي / ١٦ / ٣٢٣ إلى أبي عبيدة .

(٦) هو : الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني الخارفي أبو زهير الكوفي ، ويقال : الحارث بن عبيد ، ويقال : الحوتي ، وحوت بطن من همدان ، روى عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وروى عنه الشعبي وأبو إسحاق السبيعي وأبو البختری الطائي وغيرهم ، وهو ضعيف في الحديث ، توفي سنة ٦٥ هـ . انظر : ميزان الاعتدال / ١ / ٤٣٥ ، وتهذيب التهذيب / ٢ / ١٤٥ .

وصفين^(١) فقال : أمشركون هم ؟ قال : لا ، من الشرك فروا^(٢) . فقال : أهم منافقون ؟ قال : لا ، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . قال : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا^(٣) .

١١ . قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾ الآية . قال مقاتل : «يقول : لا يستهزئ الرجل من أخيه فيقول : إنك رديء المعيشة ، لئيم الحسب ، وأشباه ذلك مما يتنقصه به ، ولعله خير منه عند الله»^(٤) ، وهو قوله : ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ ، ونحو هذا قال مجاهد^(٥) ، والقوم : الرجال دون النساء ، قاله الليث^(٦) وأبو العباس^(٧) ، وأنشد الليث قول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء^(٨)

-
- (١) صفين (بكسرتين ، وتشديد الفاء) : موضع قرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وكانت وقعة صفين بين علي - رضي الله عنه - ومعوية - رضي الله عنه - سنة ٣٧هـ ، في غرة صفر . انظر : معجم البلدان ٤١٤ / ٣ .
- (٢) قال الفراء : «فَرَّ فلان يَفِرُّ فراراً إِذَا هَرَبَ» . انظر : تهذيب اللغة (فَرَّ) ١٥ / ١٧٢ . وفي الحديث عنه ﷺ قال لعدي بن حاتم : «ما يَفِرُّك إلا أن يقال : لا إله إلا الله» . أفرزته أفره : فعَلْتُ به ما يَفِرُّ منه وَيَهْرُبُ ؛ أي ما يملك على الفرار إلا التوحيد . انظر : النهاية في غريب الحديث ٤٢٧ / ٣ .
- (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠ / ١٦٤ أعن الحارث عن علي ، والبغوي في تفسيره ٧ / ٣٤١ ، والقرطبي في الجامع ٣٢٣ / ١٦ .
- (٤) انظر : تفسير مقاتل ٩٤ / ٤ .
- (٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٣١ عن مجاهد ، وانظر : تفسير مجاهد ٦١١ .
- (٦) انظر : كتاب العين (قوم) ٥ / ٢٣١ ، وتهذيب اللغة (قوم) ٩ / ٣٥٦ .
- (٧) انظر : تهذيب اللغة (قوم) ٩ / ٣٥٦ ، واللسان (قوم) ١٢ / ٥٠٥ .
- (٨) انظر : ديوان زهير ٧٣ ، والعين (قوم) ٥ / ٢٣١ ، وتهذيب اللغة (قام) ٩ / ٣٥٦ ، واللسان (قوم) ١٢ / ٥٠٥ .

وعلى هذا تدل الآية ؛ لأن الله - تعالى - فصل بينهما فذكر الرجال بلفظ القوم ، ثم ذكر النساء فقال : ﴿وَلَا فِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ . يعني اللمز في اللغة : العيب^(١) ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة : ٥٨] ، قال ابن عباس والمفسرون كلهم : «لا يطعن بعضهم على بعض»^(٢) والمعنى : لا تلمزوا إخوانكم الذين هم كأفئسكم كما قال : ﴿فَأَفْئَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ٥٤] ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء : ٢٩] ، وقد مرَّ .

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ . التنايز : تفاعل من النبز ، وهو المصدر والنبز الاسم ، وهو كاللقب . قال المبرِّد : «ويقال لبني فلان نبز يعرفون به إذا كان لقباً متابعاً»^(٣) ، والألقاب جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الإنسان ، قاله الليث ، يقال : لقبنا فلاناً تلقياً^(٤) .

قال عكرمة والحسن ومجاهد وقتادة : «وهو أن يقول المسلم لأخيه المسلم : يا فاسق ، يا منافق»^(٥) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (لزم) ١٣ / ٢٢٠ .

(٢) أخرجه الطبري ١٣ / ١٣٢ عن ابن عباس ، ونسبه الماوردي ٥ / ٣٣٢ إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر ، ونسبه إلى هؤلاء جميعاً القرطبي ١٦ / ٣٢٧ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : كتاب العين (لقب) ٥ / ١٧٢ ، وتهذيب اللغة (لقب) ٩ / ١٧٧ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣ / ١٣١ ، ١٣٢ عن عكرمة ومجاهد وقتادة ، ونسبه الثعلبي ١٠ / ١٦٦ أ إلى قتادة وعكرمة ، ونسبه القرطبي ١٦ / ٣٢٨ إلى قتادة ومجاهد والحسن .

وقال المقاتلان : « لا تدعوا مسلماً بغير اسم أهل دينه ، وهو أن تقول : يا يهودي ، يا نصراني ، تدعوه بالدين الذي كان عليه في الشرك ، نهاهم الله أن يتنازوا بذلك »^(١) .

وروي عن طلحة بن عمرو أنه قال : « قلت لعطاء : يا أبا محمد ، ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ما هذا الذي نهى عنه ؟ قال : كل شيء أخرجت به أخاك من الإسلام ، يا كلب ، يا حمار ، يا خنزير ، ونحو هذا »^(٢) ، فهذا الذي نهى عنه . وقال إبراهيم : « كانوا يقولون إذا قال الرجل للرجل : يا حمار ، يا كلب ، يا خنزير ، قال الله له يوم القيامة : أتراني خلقتك كلباً أو حماراً أو خنزيراً ؟ »^(٣) .

وقال الشعبي : « قال أبو جبيرة^(٤) بن الضحاك : قدم علينا رسول الله ﷺ المدينة [وليس له رجل^(٥) إلا وله اسمان] أو ثلاثة ، وكان رسول الله ﷺ يدعو الرجل فيقول : يا فلان ، فيقال : يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا الاسم ، قال : ففينا أنزل الله : ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ »^(٦) ، وهذا كما قال أبو إسحاق في هذه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٣٢ عن الحسن ، ونسبه القرطبي ١٦/ ٣٢٨ إلى الحسن ومجاهد ، وانظر : تفسير مقاتل ٤/ ٩٥ .

(٢) ذكره البغوي ٧/ ٣٤٤ منسوباً إلى عطاء ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٥٦٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء ، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/ ١٥٥ إلى عطاء .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) هو : زيد بن جبيرة بن محمد بن أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري أبو جبيرة المدني ، روى عن أبيه ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبي الطوالة ، وروى عنه سويد بن عبد العزيز ويحيى بن أيوب والليث ونافع بن يزيد . قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال النسائي : « ليس بثقة » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث » . انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٩٩ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٠٠ .

(٥) نص العبارة في تفسير الثعلبي ١٠/ ١٦٦ أ (وما مثلاً رجل إلا له اسمان . . .) ، وهو الأصوب .

(٦) أخرجه الترمذي عن أبي جبيرة في سننه في كتاب تفسير القرآن ، باب [٥٠] : ومن سورة الحجرات ٥/ ٣٨٨ ، وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٢/ ٢٥٣ ، وقال حسين سليم أسد محقق المسند : « إسناده صحيح » .

الآية : «يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ لِقَابٍ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُجِبُ أَنْ يُخَاطَبَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ»^(١) ، والقول في هذا النهي هو أن يسميه باسم يضاد الإسلام والإيمان ؛ لقوله : ﴿يَسَّ الْأَنْتُمْ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي بسّ الاسم أن يقول له : يا يهودي ، يا نصراني ، وقد آمن»^(٢) .

وقال غيره : «معنى هذا : أن مَنْ دعا أخاه بلقب يكرهه لزمه اسم الفسق لمخالفة النهي ، والله - تعالى - يقول : ﴿يَسَّ الْأَنْتُمْ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ؛ مَنْ فعل ما نهى الله عنه من السخرية واللمز والنبز فسق بذلك»^(٣) ، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ﴾ ؛ أي من هذه الأشياء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : مَنْ لم يتب فهو ظالم»^(٤) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ ، وهو أن يظن بأخيه المسلم سوءاً [كأنه]^(٥) سمع منه كلاماً لا يريد به سوءاً ، أو رآه يدخل مدخلاً لا يقصد به سوءاً ، فظن به سوءاً ، فذلك الظن هو المأمور باجتنابه ، ولا بأس به ما لم يتكلم به ، فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ ؛ يعني : ما أعلن وأبدى مما ظن بأخيه ، هذا قول المقاتلين^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦/٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٦/٥ .

(٣) ذكر نحوه الطبري في تفسيره ١٣/١٣٣ ، ١٣٤ ، والبغوي في تفسيره ٣٤٤/٧ ، والقرطبي في الجامع ٣٢٨/١٦ .

(٤) ورد في زاد المسير ٤٦٩/٧ عن ابن عباس بلفظ : (الضارون لأنفسهم بمعصيتهم) .

(٥) كذا في الأصل ، ولعلها : (لأنه) .

(٦) ورد في تفسير مقاتل ٩٦/٤ ، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٣٤/٥ ، منسوباً إلى مقاتل بن حيان ، ونسبه المؤلف في الوسيط ١٥٥/٤ إلى المقاتلين .

وقال أبو إسحاق: «أمر الله باجتنب كثير من الظن، وهو أن يظن بأهل الخير سوءاً، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾. قال الليث: «الجسّ: جسّ الخبر، والجاسوس: العينُ يتجسس الأخبار، والتجسس: البحث»^(٢).

وقال يحيى بن أبي كثير: «التجسس البحث عن باطن أمور الناس، وأكثر ما يقال ذلك في الشر»^(٣)، قال المقاتلان: «يقول: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه إذ ستره الله عليه»^(٤)، وهذا معنى قول ابن عباس: «يريد: لا تجسسوا من عيوب الناس»^(٥)، وقال مجاهد: «يقول: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله»^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقال: اغتاب فلان فلاناً اغتياباً وغيبةً يغتابه، قال الأزهري: «وروي عن بعضهم أنه سمع: غابه يغيبه، إذا غابه وذكر منه ما يسوؤه مما هو فيه»^(٧)، وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان، وهذا قول جميع المفسرين^(٨).

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٦/٥، ٣٧.

(٢) انظر: كتاب العين (جسس) ٥/٦، وتهذيب اللغة (جسس) ٤٤٨/١٠.

(٣) ذكره صاحب اللسان (جسس) ٣٨/٦ من دون نسبة، وأورد نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٧١ منسوباً إلى يحيى بن أبي كثير.

(٤) ورد في تفسير مقاتل ٩٦/٤، وذكره المؤلف في الوسيط ١٥٦/٤ من دون نسبة.

(٥) أخرجه الطبري ١٣/١٣٥ عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري عن مجاهد.

(٧) انظر: تهذيب اللغة (غيب) ٢١٥/٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري ١٣/١٣٥، وتفسير الثعلبي ١٠/١٦٨، وتفسير الماوردي ٥/٣٣٤، وزاد المسير ٧/٤٧١، وتفسير القرطبي ١٦/٣٣٤، والوسيط ٤/١٥٦.

وروي ذلك عن النبي ﷺ قال : «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا بِمَا فِيهِ فَقَدْ اغْتَابَهُ ، وَمَنْ ذَكَرَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ»^(١) .

قال مقاتل : «ثُمَّ ضَرَبَ لِلْغِيْبَةِ مَثَلًا فَقَالَ : ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بِقَوْلِهِ ، فَكَمَا كَرِهْتُمْ أَكْلَ لَحْمِ الْمَيْتِ ، فَكَذَلِكَ فَاعْرِهُوا الْغِيْبَةَ لِإِخْوَانِكُمْ»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «تَأْوِيلُهُ : إِنْ ذَكَرَكَ بِسُوءٍ مَنْ لَمْ يَحْضُرْكَ بِمَنْزِلَةٍ أَكَلَ لَحْمَهُ وَهُوَ مَيْتٌ لَا يَحْسُ بِذَلِكَ ، وَيُقَالُ لِلْمَغْتَابِ : فَلَانٌ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ»^(٣) .

وهذا استفهام معناه التقرير ، كأنه قيل لهم : لَمْ تَحْبُونِ أَكْلَ لَحْمِ أَخِيكُمْ مَيْتًا ؟ وَعُطِفَ قَوْلُهُ : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ عَلَى مَعْنَى لَفْظِ الاسْتِفْهَامِ^(٤) ، كَمَا قَالَ : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٥) وَوَضَعْنَا عَنكَ ﴿الشرح : ١-٢﴾ فَقَوْلُهُ : ﴿وَوَضَعْنَا﴾ عُطِفَ عَلَى مَعْنَى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَقَالُ : أَلَمْ وَضَعْنَا ، وَلَكِنْ مَعْنَى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ لَا عَلَى لَفْظِهِ وَلَكِنْ مَعْنَى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ قَدْ شَرَحْنَا ، فَعُطِفَ عَلَى مَعْنَاهُ ، كَذَلِكَ هَذِهِ

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة بلفظ : «أتدرون ما الغيبة ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «ذكرك أخاك بما يكره» ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته» . انظر : صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب [٢٠] : تحريم الغيبة ٣/ ٢٠١ ، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه في كتاب البر والصلة ، باب [٢٣] : ما جاء في الغيبة ٤/ ٣٢٩ ، وقال أبو عيسى : «هذا حديث حسن صحيح» ، وأخرجه أبو داود عن أبي هريرة في سننه في كتاب الأدب ، باب [٤٠] : في الغيبة ٥/ ١٩١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٣٧ عن أبي هريرة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٤/ ٩٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٧ .

(٤) انظر : روح المعاني للألوسي ٢٦/ ١٥٨ .

الآية ، قاله المُبرِّد^(١) ، وقال الفرَّاء : « قوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ؛ أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه »^(٢) .

قال صاحب النظم : « التأويل : أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً وقد كرهتم ذلك ، أي فاكرهوا الغيبة أيضاً ، فإنها مثل أكلكم لحوم إخوانكم »^(٣) .

وقال مجاهد : « لما قيل لهم : (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟) ، قالوا : لا ، ف قيل : فكرهتموه ؛ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً »^(٤) ، وشرح أبو علي الفارسي هذا الوجه فقال : « الفاء في قوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ عطف على المعنى ، كأنه لما قيل لهم : أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ، قالوا : لا ، ف قيل لهم لما قالوا لا : فكرهتموه ؛ أي كرهتم أكل لحمه ميتاً ، فكذلك فاكرهوا غيبته »^(٥) .

قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوف على هذا الفعل المقدَّر ، ولا يكون قوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ بمعنى فاكرهوه واتقوا الله ؛ لأن لفظ الخبر لا يوضع للأمر في كل موضع ، ولأن قوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ محمول على المعنى الذي ذكرنا ، فمعنى الخبر فيه صحيح^(٦) .

(١) لم أقف عليه ، وقد ذكر قريباً من هذا النحاس في إعراب القرآن ٢١٥ / ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٧٣ / ٣ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) أخرج نحوه الطبري ١٣ / ١٣٧ عن مجاهد ، وأورده البغوي ٣٤٦ / ٧ بهذا النص ، وانظر : تفسير مجاهد ٦١٢ .

(٥) انظر : الحجة لأبي علي ٢١٢ / ٦ .

(٦) انظر : المصدر السابق .

قال مقاتل : «واتقوا الله في الغيبة ، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على مَنْ تاب ﴿رَّجِيمٌ﴾ به»^(١) .

١٣ . قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ . نزلت هذه الآية في الزجر عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء ، وسبب نزولها على ما ذكره الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : «أن ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر ، وكان إذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول ، فأتى ذات يوم وقد أخذ الناس في مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ، فقال لرجل : تفسح ، فقال : قد أصبت مجلساً فاجلس ، فجلس مغضباً ، ثم قال للرجل : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان ، فقال له ثابت : ابن فلانة ، وذكر أمّاً له كان يعير بها في الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه واستحيا ، فقال رسول الله ﷺ : «مَنْ الذاكر فلانة ؟» فقام ثابت فقال : أنا يا رسول الله ، فقال : «انظر في وجوه الناس » فنظر إليهم ، فقال : « ما رأيته ؟ » قال : رأيته أبيض وأسود وأحمر ، قال : « فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى » . وأنزل الله في ثابت هذه الآية^(٢) .

وقال مقاتل : «نزلت في بلال المؤذن وفي أربعة نفر من قريش عابوه بسواده يوم فتح مكة ، وذلك أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤذن على ظهر الكعبة ليذل المشركين بذلك ، فلما أذن قالوا : ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً»^(٣) ،

(١) انظر : تفسير مقاتل ٩٦ / ٤ .

(٢) ذكره الثعلبي ١٠ / ١٦٥ عن ابن عباس ، وأورده الماوردي في تفسيره ٥ / ٣٣٣ مختصراً ، ونسبه إلى الكلبي والفرّاء ، ونسبه إلى ابن عباس كل من البغوي في تفسيره ٧ / ٣٤٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧ / ٤٦٥ ، وذكره المؤلف في أسباب النزول ٤١٥ من دون سند .

(٣) ذكره مقاتل في تفسيره ٤ / ٩٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٧ / ٥٦٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وذكره البغوي في تفسيره ٧ / ٣٤٣ ، والقرطبي في تفسيره ١٦ / ٣٤١ .

فأنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ يعني : آدم وحواء ، والمعنى : أنكم متساوون في النسب ، ليس يفضل أحد غيره بنسبه ؛ لأن كلكم مخلوق من آدم وحواء ، ترجعون بالنسب إليهما ، كما قال رسول الله ﷺ : «كلكم بنو آدم ، وكلكم بنو رجل واحد كطف الصاع»^(١) .

ثم ذكر الله - تعالى - أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال : ﴿وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا﴾ ؛ وهي : جمع الشعب ، وهو الحي العظيم ، والقبائل دون ذلك ، وهذا قول أبي عبيدة^(٢) والفرّاء^(٣) وجميع أهل اللغة^(٤) قالوا : «الشعب أعظم من القبيلة ، وهي مثل مضر^(٥) وربيعة^(٦) ، والقبائل : واحدتها قبيلة وهم كـ (بكر)^(٧) من ربيعة ، وتميم من مضر ، وأصل الشعب مأخوذ من : شعبت الشيء ، إذا ضمّمته وأصلحته»^(٨) ، والقبائل مأخوذ من قبائل الرأس ، وهي كل فلقة

(١) نص الحديث : «إن الله أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها ، كلكم لآدم وحواء ، كطف الصاع بالصاع ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم فمن أتاكم ، ترضون دينه وأمانته فزوجوه» . انظر : الدر المنثور ٥٧٩ / ٧ ، وأخرج نحوه الطبري ١٣ / ١٤٠ عن عقبة بن عامر . قال أبو عبيد الهروي في غريب الحديث ١ / ٤٢٥ : «الطف هو أن يقرب الإناء من الامتلاء من غير أن يمتلئ ، يقال : هو طف المكيال وطفافه ، إذا كرب أن يملأه ، ومنه التطفيف في الكيل إنما هو نقصانه أي لم يملأ إلى شفته إنما هو إلى دون ذلك» . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ١٢٩ .

(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٢٢٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٧٢ .

(٤) انظر : (شعب) في تهذيب اللغة ١ / ٤٤٢ ، والصحاح ١ / ١٥٥ ، واللسان ١ / ٤٩٧ .

(٥) مضر : قبيلة من العدنانية ، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان . قال صاحب العبر : «وكانت مضر أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان ، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم» . انظر : نهاية الأرب ٣٧٧ .

(٦) ربيعة : حي من مضر من العدنانية ، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر ، وتعرف بريبعة الحمرا . قال صاحب العبر : «وديارهم ما بين اليمامة والبحرين والعراق» . انظر : جهرة أنساب العرب ٢٩٢ ، ونهاية الأرب ٢٤٢ .

(٧) بنو بكر : بطن من ربيعة من العدنانية ، وهم بنو بكر القحطانية ، وهم بنو بكر بن عامر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات . انظر : نهاية الأرب ١٧٠ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة (شعب) ١ / ٤٤٣ .

قد قوبلت بالأخرى ، وكذلك قبائل العرب بعضها متصل ببعض ، والشعوب يجمعها ويضمها ، هذا قول الليث وأبي العباس في معنى الشعب والقبيلة^(١) .

ونحو هذا ذكر أبو الهيثم فقال : «الشعب شعب الرأس ، يعني : شأنه الذي يضم قبائله ، وفي الرأس أربع قبائل^(٢) ، والشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه ويجمعهم ويضمهم» ، ونحو هذا قال المفسرون في تفسير الشعوب والقبائل .

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : «الشعوب الجمهور مثل : ربيعة ومضر والقبائل والأفخاذ»^(٣) ، ونحو هذا روى الكلبي^(٤) عنه .

وقال مقاتل : «الشعوب رؤوس القبائل مضر وربيعة والأزد ، وقبائل يعني : الأفخاذ سعد وبني عامر»^(٥) .

قال الزبير بن بكار^(٦) : «العرب على ست طبقات ؛ وهي : شعب ، وقبيلة ، وعمارة ، وبطن ، وفخذ ، وفصيلة»^(٧) ، فالشعب يجمع القبائل ، والقبائل تجمع العمار ، والعمائر تجمع البطون ، والبطون تجمع الأفخاذ ، والأفخاذ تجمع

(١) انظر : (شعب) في العين ١/ ٢٦٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٤٤٢ ، واللسان ١/ ٥٠٠ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (شعب) ١/ ٤٤٢ ، واللسان (شعب) ١/ ٤٩٨ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٣٩ عن سعيد بن جبير ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٦/ ٣٤٤ إلى ابن عباس .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥١٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٩٧/ ٤ .

(٦) هو : الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أبو عبدالله الأسدي المدني العلامة ، عالم بالأنساب وأخبار العرب ، وُلد بالمدينة ، وولي قضاء مكة ، فتوفي فيها ، له تصانيف منها : أخبار العرب وأيامها ، ونسب قريش وأخبارها ، والأوس والخزرج ، توفي سنة ٢٥٦ هـ ، وعمره ٨٤ سنة . انظر : تاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣١٢ .

(٧) ورد في اللسان (شعب) ١/ ٥٠٠ منسوباً إلى الزبير بن بكار .

الفصائل^(١)، فمضر شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة^(٢).

وروى عطاء عن ابن عباس قال: «يريد بالشعوب: الموالي، والقبائل: العرب»^(٣)، وإلى هذا ذهب قوم فقالوا: «الشعوب من العجم وهم من لا يعرف لهم أصل نسب كالهند والجيل والترك»^(٤)، والقبائل من العرب.

قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾؛ أي ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبُعده، ثم أعلمهم أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾، وقال مقاتل: «يعني: بلالاً»^(٥) أخبر أن أتقاهم بلال، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة: إني جعلت نسباً فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون؟ أين المتقون؟»^(٦).

(١) انظر: اللسان (شعب) ١/٥٠٠، ٥٠١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/١٧٠، ١٧١، وتفسير البغوي ٧/٣٤٨، والبحر المحيط ٨/١٠٤.

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ١٠/١٧١ أ، من دون نسبة، وذكره البغوي ٧/٣٤٨ غير منسوب، ونسبه ابن الجوزي ٧/٤٧٤ إلى عطاء عن ابن عباس، وذكره القرطبي ١٦/٣٤٤ من دون نسبة، ونسبه المؤلف في الوسيط ٤/١٥٨ إلى عطاء عن ابن عباس.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره ١٦/٣٤٤ منسوباً إلى القشيري، وذكره المؤلف في الوسيط ٤/١٥٨ من دون نسبة.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٤/٩٧.

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١٠/١٧١ ب عن أبي هريرة، وأورده السمرقندي في تفسيره ٣/٢٦٦ غير منسوب، وأورده القرطبي في الجامع ١٦/٣٤٥ منسوباً إلى أبي هريرة، وأخرجه الحاكم عن أبي هريرة، وقال: «هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «غريب»، قلت: «المخزومي ابن زباله ساقط». انظر: المستدرک في کتاب التفسير (سورة الحجرات) ٢/٤٦٣ - ٤٦٤.

وقال أهل العلم : «هذا في الزجر عن الازدراء بالناس والتحقير لهم لأجل النسب والاستطالة على مَنْ يكون حاصل^(١) النسب والتفاخر بالآباء والأجداد ، فأما اعتبار النسب في الكفاءة فإن ذلك متفق عليه ، والأصل فيه شيان : نسب يتصل برسول الله ﷺ ، أو سبب ثانٍ وهو العلم الموروث عنه ﷺ ، وقد نبّه على هذا بقوله : «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»^(٢) ، فأما نسب الأمراء والوزراء والرؤساء والظلمة ، فذلك مما لا يشترط في الكفاءة ، والتقوى تشترط كما يشترط أصل الدين .

١٤ . قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ تُوْمِرْنَا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمة^(٣) ، أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة ، وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر ، إنما أتوا يطلبون الصدقة ، هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبيرة^(٤) ، وقالوا : «المراد بالأعراب هاهنا بنو أسد» .

(١) كذا رسمها في الأصل .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٢٣/٤ من حديث المسور بن مخرمة .

(٣) هم : بنو أسد حي من بني خزيمة من العدنانية ، وهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة ، وكان لأسد هذا من الولد : دودان ، وكاهل ، وعمر ، وصعب ، وحلمة . قال صاحب العبر : «وهم بطن كبير متسع وذو بطون ، قال : وبلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طي ، قال : ويقال : إن بلاد طي كانت لبني أسد فلما خرج بنو طي من اليمن غلبوا على سلمى وأجا ، وقد تفرقوا بعد ذلك في الأقطار ولم يبق لهم حي» . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٤٧ .

(٤) أخرجه الطبري ١٣/١٤١ عن مجاهد ، وذكره الثعلبي ١٠/١٧٢ غير منسوب ، وأخرجه النسائي عن سعيد بن جبيرة في السنن الكبرى في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ ٦/٤٦٧ ، وذكره البغوي ٧/٣٤٩ من دون نسبة ، ونسبه ابن الجوزي ٧/٤٧٥ إلى مجاهد ، وذكره القرطبي ١٦/٣٤٨ غير منسوب ، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط ٨/١١٦ إلى مجاهد ، وذكره المؤلف في أسباب النزول ٤١٩ ، والوسيط ٤/١٥٩ ، ١٦٠ من دون نسبة .

وقال السُّدِّي ومقاتل : يعني : «الأعراب الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ عام الحديبية»^(١) ، وقد ذكرناهم في سورة الفتح ، وهؤلاء كانوا قد أظهروا كلمة الإسلام ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تمر بهم ، والمعنى : أنهم يقولون : قد صدَّقنا بما جئت به ، ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ لم تصدَّقوا ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ ، قال ابن عباس : «أقرنا بالإيمان»^(٢) .

وقال مقاتل ومجاهد وقتادة : «انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسي»^(٣) ، ثم بين أن الإيمان محله القلب لا اللسان بقوله : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ .

قال أبو إسحاق : «والإسلام : إظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبي ﷺ ، وبذلك يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان ، وصاحبه المؤمن المسلم حقاً ، وأمّا مَنْ أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم ، والإيمان لا بد أن يكون صاحبه صديقاً ؛ لأن قولك : آمنت بكذا ، معناه : صدَّقت به ، وقد أخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ؛ أي لم تصدَّقوا إنما أسلمتم تعوداً من القتل ، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوداً غير مؤمن في الحقيقة ، إلّا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين» ، انتهى كلامه^(٤) .

ومعنى الإيمان والإسلام وحقيقتهما في اللغة قد سبق ذكره في سورة البقرة .

(١) ذكره الثعلبي ١٠/ ١٧٢ ، والبغوي ٧/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي ٧/ ٤٧٦ ، والقرطبي ١٦/ ٣٤٨ منسوباً إلى السُّدِّي ، وانظر : تفسير مقاتل ٤/ ٩٧ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ٤/ ٩٨ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٤٢ عن مجاهد وسعيد بن جبير .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٨ .

قوله : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ . قال ابن عباس : «تخلصوا للإيمان»^(١) ، ﴿يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا﴾ ، وقرأ أبو عمرو : (لا يَأْتِكُمْ) من أَلَتْ ، وهما لغتان^(٢) ، قال أبو زيد : «قالوا : أَلَتْهُ السُّلْطَانُ حَقَّهُ يَأْتُهُ أَلْتًا ، مثل : ضربه يضربه ضرباً ، إذا نقصه ، قال : وقوم يقولون : لات يلت ، وحكى التوزي^(٣) : في أَلَتْ أَلَتْ يُولَتْ إِيْلَاتًا^(٤) .

وحكى الزَّجَّاج في لات : «أَلَاتٌ يُلِيْتُ ، فاجتمع أربع لغات : أَلَتْ وَأَلَتْ وَلَاتٌ وَأَلَاتٌ ، كلها معناها النقصان» ، وحجة أبي عمرو قوله : ﴿وَمَا أَلْنَتْهُمْ﴾ [الطور : ٢١] فالبناء مضارعه يَأْتِكُمْ ، وحجة الباقي خط المصحف ، قال أبو إسحاق : «والمعنى فيهما واحد»^(٥) .

قال ابن عباس ومقاتل : «لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً»^(٦) ، ثم نعت المؤمنين الصادقين في إيمانهم فقال :

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٥٠ / ٧ عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٤٧٧ / ٧ عن ابن عباس ، والقرطبي ٣٤٨ / ١٦ من دون نسبة .

(٢) قرأ أبو عمرو : (يَأْتِكُمْ) من أَلَتْ يَأْتُ أَلْتًا ، مثل : ضرب يضرب ضرباً ، وقرأ الباقون : ﴿يَلْتَكُم﴾ ، من لات يَلِيْتُ ، إذا نقص . انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٨٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٧٦ .

(٣) هو : عبدالله بن محمد بن هارون التوزي أبو محمد مولى قريش من أكابر أئمة اللغة . قال السيرافي : «قرأ على الجرمي كتاب سيبويه ، وكان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة ، وقد قرأ أيضاً على الأصمعي وغيره» ، صَنَّفَ كتاب الخيل والأمثال والأضداد ، توفي سنة ٢٣٣ هـ . انظر : بغية الوعاة للسيوطي ٢ / ٦١ ، وأخبار النحويين والبصريين ٨٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (لات وولت) ١٤ / ٣٢١ ، والمحتسب لابن جني ٢ / ٢٩٠ ، والبحر المحيط ١٠٤ - ١٤٩ ، وزاد المسير ٧ / ٤٧٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥ / ٣٩ .

(٦) ذكره غير منسوب للعلبي ١٠ / ١٧٣ ، والبغوي ٧ / ٣٥٠ ، والقرطبي ١٦ / ٣٤٨ ، ونسبه صاحب الوسيط ٤ / ١٦٠ إلى ابن عباس ومقاتل ، وانظر : تفسير مقاتل ٤ / ٩٨ .

١٥. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ . قال مقاتل : «لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان»^(١) ، أي لم يشكوا في وحدانية الله ونبوة محمد ﷺ .

(وجاهدوا في سبيل الله)^(٢) قال أبو إسحاق : «هو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه»^(٣) ، والجهاد مع النبي ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت^(٤) .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم ، قال المفسرون : «فلما نزلت الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون ، وعرف الله غير ذلك منهم»^(٥) .

١٦. قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ ؛ أي الذي أنتم عليه ، وهذا يحمل على أحد وجهين : إما أن تكون الباء زائدة ويكون المعنى : أتعلمون الله دينكم ؛ لأنه يقال : علمته الشيء ، أو يحمل على أن علم هاهنا بمعنى أعلم ، ذكر ذلك أبو العباس عن ابن الأعرابي قال : «يكون علم بمعنى علم»^(٦) قال : «ومنه قوله : ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وقد مرَّ .

قال المفسرون : «وكان هؤلاء النفر يقولون لرسول الله ﷺ جئناك بالعيال والأثقال والذراري ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، يمنون عليك بذلك» ، فأنزل الله :

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ٩٩ / ٤ .
 (٢) كذا في الأصل ، وقد سقط : (بأموالهم وأنفسهم) .
 (٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣٨ / ٥ .
 (٤) انظر : زاد المسير ٤٧٧ / ٧ .
 (٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٧٣ / ١٠ ب ، والبغوي في تفسيره ٣٥١ / ٧ ، والسمرقندي في تفسيره ٢٦٧ / ٣ .
 (٦) ذكر الوسيط ١٦١ / ٤ .

١٧ . ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾^(١) الآية . والمُن الذي معناه : اعتداد الصنعة يُعدَّى بالجار يقال : مَنْ عليه بكذا ، وحذف الجار في هذه الآية من المواضع الثلاثة .

قال الفرّاء في قوله : ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾ و﴿أَنْ هَدَيْتُمْ﴾ : «موضعها نصب لا بوقوع الفعل ، ولكن بسقوط الصفة»^(٢) .

* * *

(١) أخرجه الطبري عن سعيد بن جبير وقتادة في تفسيره ١٣ / ١٤٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١١٢ : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه الحجاج بن أرطاة ، وهو ثقة ، ولكنه مدلس وبقيّة رجاله رجال الصحيح» ، وأورده السيوطي في أسباب النزول ١٩٩ منسوباً إلى الطبراني والبراز .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٧٤ .

تفسير

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿قَ﴾ اختلفوا في تأويله . فأكثر المفسرين قالوا : إنه جبل محيط بالدنيا من زَبَرْجَد ، والسماء مقببةٌ عليه ، وهو من وراء الحجاب التي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة ، وما بينهما ظلمة . وهذا قول مقاتل ، وابن بريده ، وعكرمة ، والضحاك ، ومجاهد ، ورواية عطاء ، وأبي الجوزاء عن ابن عباس . قال الفرّاء : «على هذا القول ، كان يجب أن يظهر الإعراب في قاف ؛ لأنه اسم وليس هجاء . ثم قال : ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه كما قال :

قَلْتُ لَهَا قَفِي فَقَالَتْ قَافٌ^(١)

(١) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وبعده : لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافَ . والايحاف : العدو . والشاهد فيه قوله : فَقَالَتْ قَافٌ ، والمراد : فقالت : إني واقفة أو أقف . انظر : الأغاني للأصفهاني ١٨١ / ٤ ، والخصائص لابن جني ٣٠ / ١ ، وشرح شواهد الشافية ٢٧١ ، والكتاب لسيبويه ٦٢ / ٢ ، والمحتسب لابن جني ٢٠٤ / ٢ .

قال : ذكرت قاف أرادت الوقف ، أي أنا واقفة»^(١) . وقال قتادة : «قاف اسم من أسماء القرآن»^(٢) . وروى خفيف عن مجاهد قال : «قاف فاتحة السورة»^(٣) . وهذا مذهب أهل اللغة ، قال أبو عبيدة : «مجازها مجاز أوائل السور»^(٤) . يعني : مجاز الحروف التي في أوائل السور نحو ﴿ت﴾ [القلم : ١] و﴿الر﴾ [الحجر : ١] و﴿المر﴾ [لقمان : ١] واختاره الزجاج ، وقال : «هو ابتداء للسورة ، يعني أن السورة افتتحت بهذا الحرف ، كما افتتحت سائر السور التي ابتدئ فيها بحروف الهجاء»^(٥) . وحكى الفراء وأبو إسحاق أن قوماً من أهل اللغة قالوا : معنى ﴿ق﴾ قضي الأمر ، أو قضي ما هو كائن كما قيل في ﴿حم﴾ ﴿حم﴾ الأمر . واحتجوا بقول الشاعر^(٦) :

قلنا لها قفي فقالت قاف

معناه : قالت : أقف^(٧) .

-
- (١) انظر : معاني القرآن للفراء ٧٥ / ٣ .
- (٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٣٤ ، وجامع البيان للطبري ٩٣ / ٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ / ١٧ .
- (٣) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢١ ، قال : «والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى : ﴿ص﴾ ، ﴿ت﴾ ، ﴿حم﴾ ، ﴿طس﴾ ، ﴿الر﴾ ونحو ذلك ، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا القول هو المرجح عند ابن كثير وغيره ، وانظر : تفسير القاسمي ١٥ / ٥٤٨٢ .
- (٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٢٢ .
- (٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ٤١ .
- (٦) تقدم ذكره في الصفحة السابقة .
- (٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٧٥ / ٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٤١ . وقد رد ابن كثير - رحمه الله - هذا القول ؛ لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل عليه دليل ، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟ انظر : تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢١ . قلت : وما ذكره ابن كثير هو المرجح ، وسيأتي زيادة بيان في أول سورة القلم ، والله - تعالى - أعلم .

قوله تعالى : ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ قال المفسرون : «الكريم على الله الكثير الخير» . وذكرنا معنى المجيد^(١) في سورة هود^(٢) . واختلفوا في جواب القسم ، فقال الأخفش : جوابه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ﴾ [ق: ٤]^(٣) .

قال الزَّجَّاج : «ويكون المعنى : ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم . وحذفت اللام ؛ لأن ما قبلها عوض منها كما قال عز وجل : ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس : ١٠] إلى قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس : ٩]^(٤) . وقال الفراء : «جواب القسم محذوف يدل عليه قوله : ﴿أَيُّهَا مِتْنَا﴾ [ق: ٣] والمعنى : ق والقرآن المجيد لتبعثن بعد الموت ، فقالوا : إذا كنا تراباً بُعِثْنَا ؟ فجحدوا البعث» . واختار الزَّجَّاج هذا القول أيضاً^(٥) .

وذهب كثير من الناس إلى أن الجواب قوله : ﴿بَلْ يَجِبُوا﴾^(٦) . وقد ذكرنا الكلام في هذا مستقصى عند قول : ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٧) . ونظم ابتداء هذه السورة شبيه بنظم ابتداء سورة ص .

(١) (ك) : (المجيد . والمجيد) .

(٢) عند تفسيره الآية ٧٣ من سورة هود ، قال : «المجيد الماجد وهو ذو الشرف والكرم . يقال : مجد الرجل يمجد مجداً ومجدادةً ، ومجد يمجد : لغة» ، وقال الحسن والكلبي : «المجيد الكريم» ، وهو قول أبي إسحاق ، وقال ابن الأعرابي : «المجيد الرفيع» ، وقال أهل المعاني : «المجيد الكامل الشرف والرفعة والكرم والصفات المحمودة» .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٦٩٦/٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤٢/٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٧٥/٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤١/٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٦٨٢/٢ .

(٦) قاله نحاة الكوفة . انظر : الجامع للقرطبي ٣/١٧ ، والبحر المحيط ١٢٠/٨ .

(٧) عند تفسيره الآيتين (٢-١) من سورة ص ، وقد ذكر ستة أقوال في جواب القسم في قوله تعالى : ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ، وهي :

١ . حكى الكسائي والفراء والزَّجَّاج أن جواب القسم : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ، ثم نقل استبعاد الكسائي والفراء له .

٢. قوله تعالى: ﴿بَلْ يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ مفسر في سورة ص^(١).
قوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾. قال مقاتل: «يعنون هذا الأمر عجب أن يكون محمد رسولاً»^(٢). والعجيب يعني المُعْجَب، وهو الذي يحمل على العجب.

وقال الليث: «يقال: إنه عجب وعجاب، ويقال: هذا شيء عجب وعجاب»^(٣)، على معنى أنه ذو عجب أي يعجب منه. وقوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ وقال في سورة ص: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ [ص: ٤] بالواو وهاهنا بالفاء. ذكر صاحب النظم أن في سورة (ص) قراءة: ﴿وَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وقال الْكَافِرُونَ [ص: ٤] خبران:

أحدهما قوله: ﴿يَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ فهذا خبر تام.

ثم نسق عليه خبر آخر فقال: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ أخبر عنهم بالعجب وبقولهم: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾. وفي هذه السورة عطف بالفاء، لأن الآية كلها خبر واحد، والعجب سبب لقولهم: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾؛ لأنهم عجبوا

٢. أن يكون قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ اعترض بين القسم وجوابه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومعناه: لكم

أهلكنا. فلما طال الكلام المعترض بينهما حذفت اللام.

٣. أن يكون قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ﴾.

٤. أن موضع القسم: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كما قال: ﴿وَالْفُرْعَانِ الْمَجِيدِ﴾ ① بَلْ يَجِبُوا.

٥. أن يكون لـ (ص) معنى يقع عليه القسم لا نعرفه كقولك: الحق والله.

٦. الجواب محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار. قال الواحدي في البسيط ٣/ ٢٠٤: «وهو قول حسن».

(١) عند تفسيره الآية ٤ من سورة ص. ومما قال: «قال صاحب النظم: هذا منظوم بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في عَرْفٍ وَشِقَاقٍ» لأنه مسوق عليه بالواو.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٢٣ ب.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٣٨٦، واللسان (عجب) ٢/ ٦٨٨. وفي (ك): (عجب وعجيب).

فقالوا : هذا شيء عجيب ، كما تقول : قام فمَرَّ . جعلت القيام سبباً للمرور . ولو قلت : قام ومَرَّ ، كنت قد أخبرت عنه بشيئين ولم تجعل الأول سبباً للثاني ، يدل على أن الآية في هذه السورة خبر واحد قوله : ﴿ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ، فهذا من جنس قوله : ﴿ وَنَجِجُوا ﴾ ، وقال في سورة ص : ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ ، وهذا ليس من جنس (عجبوا) ^(١) .

٣ . قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِنَا ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي أنبئنا إذا متنا وكنا تراباً؟» . ولو لم يكن ^(٢) لإذا متعلق ، لم يكن في الكلام فائدة ^(٣) .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ . الرجوع معناه الرد . قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٣] ، وقد مرَّ ^(٤) .

قال مقاتل : «ذلك رجوع إلى الحياة بعيد ، فإن البعث غير كائن» ^(٥) .

أي يبعد عندنا أن نبعث بعد الموت . قال الفرَّاء : «جحدوا البعث أصلاً كما تقول للرجل يخطئ في المسألة : لقد ذهب مذهباً بعيداً من الصواب ؛ أي أخطأت» ^(٦) .

قال مقاتل : «أنكروا البعث ، وقالوا : إن الله لا يحيينا ، وكيف يقدر علينا وقد كنا تراباً وضللنا في الأرض» ^(٧) . فقال الله تعالى :

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٨ / ١٥١ .

(٢) في (ك) : (ولم لم يكن) ، والصواب ما أثبتته .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٤٢ .

(٤) قال : «معنى الرجوع تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه . يقال رجعت رجلاً كقولك : رددته رداً» .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣ / ٧٥ ، ٧٦ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ أ .

٤. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ؛ أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم وأبدانهم .

وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، ومقاتل ، والكلبي^(١) .

وقال السُّدِّي : «قد علمنا من يموت منهم»^(٢) . جعل نقص الأرض من الناس الموت ، وذلك أن من مات دفن في الأرض ، فهي تأخذ من مات ، وتنقص من الناس بالأخذ منهم ، وهذا قول قتادة والضحاك^(٣) .

ثم ذكر أن عنده بذلك كتاباً فقال : ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد اللوح المحفوظ»^(٤) .

وقال الضحاك : «وعندنا كتاب محفوظ بعدتهم وأسمائهم»^(٥) .

وقال مقاتل : «محفوظ من الشياطين ، يعني اللوح المحفوظ»^(٦) .

٥. ثم استأنف فقال : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ ؛ [ق: ٥] أي بالقرآن ومحمد ﷺ . قاله المفسرون^(٧) . ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ . قال أبو عبيدة والمبرِّد : «مختلط»^(٨) . يقال للشيء المخل ، قد اختلط بعضه ببعض : مريج ، ومنه قوله ﷺ : «قد مرجت عهودهم وأماناتهم ، وصاروا هكذا ،

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤أ ، وجامع البيان ٩٤/٢٦ ، ومعالم التنزيل ٢٢٠/٤ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٢٢٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٧ .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٣٦/٢ ، وجامع البيان ٩٤/٢٦ .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١٠/١٧٥ ب ، وغرائب القرآن ١٠٧/٢٦ من دون نسبة .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٢٢١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٧ ، والدرر ١٠٢/٦ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤أ .

(٧) انظر : التفسير الكبير ١٥٣/٢٨ ، وروح المعاني ١٧٤/٢٦ ، وقال القرطبي في جامع ٤/١٧ ، أي

بالقرآن في قول الجميع .

(٨) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٢٢ .

وشبك بين أصابعه»^(١). ذكره المُبرِّد^(٢). وأصله على هذا من قوله :
مرج الشيء ، إذا أرسله وخلاه ، ومرج دابته ، خلاها ، ومنه قوله :
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩] والمريج المهمل ، والمهمل يختلط ، فسمي
المختلط مريجاً .

وأنشد أبو عبيدة قول الهذلي^(٣) فقال :

فَجَالَتْ وَالتَّمَسْتُ بِهِ حَشَاهَا فَخَرَّ كَأَنَّهُ خُوطُ مَرِيَجٍ^(٤)
أي غصنٌ قد أرسل من الشجر بأن قطع منه فسقط . وعلى هذا المعنى يدور
كلام المفسرين ، فإنهم قالوا في تفسير المريج : «المختلف والمتبس والمختلط» .
والاختلاط يؤدي إلى الالتباس .

وهذا الذي ذكرنا قول ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل ، والضحاك ، وقد قال
عطاء عن ابن عباس : «يريد : مختلط مثل البهائم الممرجة»^(٥) .

(١) انظر : جزء من حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ١٦٢/٢ ، ٢١٢ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن ، باب التثبت في الفتنة ١٣٠٧/٢ ، وأبو داود في كتاب الملاحم ٥١٣/٤ ، وانظر : المسند ٧٠٤٧/١ ، ٧٠٦٢ ، تحقيق أحمد شاكر ، وصحيح سنن ماجه للألباني ٣٥٤/٢ .

(٢) لم أجده في مؤلفات المُبرِّد المطبوعة ، ولعله نُقل من كتاب إعراب القرآن للمُبرِّد ، وهو من الكتب التي لم يصل إلينا سوى اسمها . انظر : منهج ابن حيان النحوي الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق مزيد إسماعيل نعيم ، رسالة في مكتبة الرسائل الجامعية بجامعة الإمام في الرياض .

(٣) عمرو بن الداهل الهذلي ، أصله من بني سهم بن معاوية ، له قصيدة جيمة ، ومنها هذا البيت . انظر : ديوان الأدب ٨٩/٣ ، وتاريخ التراث العربي ٢٦١/٢ ، والأمال ١/٢٦٤ .

(٤) البيت ورد منسوباً في ديوان الهذليين ١٠٣/٣ ، وتهذيب اللغة (التحقيق) ٧٢/١١ ، واللسان (مرج) ٤٦١/٣ ، ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٢٢ إلى أبي ذؤيب الهذلي ، ولم أجده في ديوانه ، ومعناه أن البقرة راغت عن السهم فأصاب حشوة الجوف ، وكأن السهم غصن طرح وترك عندما سقط .

(٥) ومن قال به أيضاً : قتادة ، وابن زيد ، وابن جبير . قال ابن جرير في جامع البيان ٩٤/٢٦ : «وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها ، وإن كانت متقاربات المعاني» ، وانظر : تفسير مقاتل

وقيل في قول الهذلي : (خوط مريج) إنه الذي اختلط شعبه والتبس بعضه ببعض^(١). وقال قوم : «أصل هذا من المريج وهو القلق والاضطراب». يقال : مريج الخاتم في يدي ، ومريج العهود اضطرابها ، ومنه قول الشاعر :

مَرْجَ الدِّينِ فَأَعْدَدْتُ لَهُ مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدِ^(٢)
أي اضطرب والتبس .

وعلى هذا ، المريج المضطرب غير المستقر^(٣) . وعلى هذا الأصل قول مَنْ قال من المفسرين في المريج : «الفساد والمتغير» . قال الحسن : «ما ترك قوم الحق إلا مريج أمرهم»^(٤) .

قال أبو إسحاق : «هو أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة : شاعر ، ومرة : ساحر ، ومرة : معلّم . وللقرآن : إنه سحر ، ومرة يقولون : مفترى . وهذا دليل أن أمرهم ملتبس مختلط عليهم» . ثم دهم - عز وجل - على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه الذي يدل على^(٥) قدرته على البعث^(٦) فقال :

١٢٤أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٤ ، ٥ .

(١) انظر : تهذيب اللغة (مرج) ١١/ ٧٢ .

(٢) البيت لأبي دؤاد في ديوانه ٣٠٤ ، واللسان (مرج) ٣/ ٤٦١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥ .
الحارِك : أعلى الكاهل . وقيل : الحارِك من الفرس فروع الكتفين ، والكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس . انظر : اللسان (كتد) ٣/ ٢١٨ ، و(حرك) ١/ ٦١٥ .

(٣) انظر : اللسان (مرج) ٣/ ٤٦١ ، والمفردات ٤٦٥ .

(٤) انظر : الوسيط ٤/ ١٦٣ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢١ .

(٥) في (ك) : (عليه على) .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥/ ٤٢ .

٦. قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ . [ق:٦].
قال المفسرون: «يعني بغير عمد»^(١) ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ ؛ أي بالكواكب ،
﴿وَمَا هَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ؛ أي فتوق وشقوق وصدوع وفصول . كل هذا
من ألفاظهم . وقال مقاتل : «من خلل»^(٢) . ومعنى الفُرَج في اللغة :
الخلل ، والفُرجة بين الشيئين . ويقال لما بين دوارج^(٣) الدابة : الفروج .
ومنه قول امرئ القيس :

تسدُّ به فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ^(٤)

أراد لما بين فخذيها ورجليها .

٨. قوله تعالى: ﴿بَصْرَةَ وَذِكْرٍ﴾ . قال أبو إسحاق : «فعلنا لنبصر ونذكر
به» ، ويدلُّ على القدرة : ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يرجع إلى الله ويفكر في
قدرته^(٥) .

٩. قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ يعني كثير الخير ، وفيه حياة كل
شيء وهو المطر . قوله ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ . الحصيد المحصود ، وقد مرَّ
تفسيره عند قوله: ﴿مِنْهَا قَائِرٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠]^(٦) .

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٢١/٤ ، وروح المعاني ١٧٥/٢٦ ، وتفسير القاسمي ٥٤٨٥/١٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ أ .

(٣) دوارج الدابة : قوائمها . انظر : اللسان (درج) ٩٦٣/١ .

(٤) وصدرة :

لها ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ

انظر : ديوانه ١١٢ ، وتهذيب اللغة (فَرَج) ٤٥/١١ ، والخزانة ٢١٠/٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٤٣/٥ .

(٦) عند تفسيره الآية ١٠٠ من سورة هود . ومما قال : «الحصيد غير القائم وهو من الديار الحرب
والمخسوف به ، ومن الزرع ما أهلك ومحي أثره» .

قال ابن عباس : «يريد القمح»^(١) .

وقال قتادة : «هو البر والشعير»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «جمع بذلك جميع ما يقتات ويحصد من حَب»^(٣) . قال
الفرّاء : «الحَب الحصيد ، وهو مما أضيف إلى نفسه»^(٤) . والبصريون يقولون :
«أراد حَب النبت الحصيد»^(٥) .

١٠ . قوله : ﴿وَلَنَخْلَ بِسِقَتٍ﴾ يعني طوالاً ، وبسوقها طولها . يقال :
جبل باسق ، وبناء باسق ، وحَسَب باسق ، وبسقت المرأة إذا طالت ،
وكذلك النخلة^(٦) .

وأشدد أبو عبيدة^(٧) :

يَا ابْنَ الَّذِينَ بِفَضْلِهِمْ بَسَقَتْ عَلَى قَيْسٍ فَزَارَةٌ^(٨)

-
- (١) الذي ورد عنه - رضي الله عنه - قوله : (الحبوب كلها التي تحصد) . انظر : تنوير المقباس ٥/ ٢٥٣ ، وهو ما قال به الزَّجَّاج أيضاً .
- (٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٣٧ ، وجامع البيان ٢٦/ ٩٦ .
- (٣) انظر : معاني القرآن ٥/ ٤٣ .
- (٤) ذكر في معاني القرآن ٣/ ٧٦ . قال الأزهري في تهذيب اللغة (حصد) ٤/ ٢٢٦ : «وقول الزَّجَّاج : أصح ؛ لأنه أعم» .
- (٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١٣ ، والبحر المحيط ٨/ ١٢١ .
- (٦) انظر : تهذيب اللغة (بسق) ٨/ ٤١٨ ، والمفردات ٤٦ .
- (٧) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٣ ، واللسان (بسق) ١/ ٢١٤ .
- البيت لأبي نوفل يمدح ابن هبيرة . انظر : اللسان (بسق) ١/ ٢١٤ ، والدر المصون ١٠/ ٢٠ ، ٢١ .
- (٨) قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، قبيلة عظيمة تشعبت إلى ثلاثة بطون من كعب وعمر ووسع ، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية . انظر : معجم قبائل العرب ٣/ ٩٧٢ .
- فزارة : بطن عظيم من غطفان ، وهم بنو فزارة بن ذبيان ، ومنهم جماعة من العلماء والأئمة من بطن بني غراب ، كانت منازلهم في نجد ووادي القرى ، ثم تفرقوا ، لهم أيام في الإسلام وقبلة . انظر : معجم قبائل العرب ٣/ ٩١٨ .

والمفسرون كلهم قالوا في الباسقات : «إنها الطوال»^(١) .

قوله : ﴿هَاطَلْعٌ﴾ ؛ وهو أول ما يظهر من ثمر النخل . يقال : طَلَعَ الطَّلْعُ ؛ أي يطلق طلوغاً ، وأطلعت النخلة ، إذا أخرجت طلعتها . وطلعتها كفرأها^(٢) قبل أن ينشق . وقال المفضل : «الطلع أول ما يرى من عذق النخلة . الواحدة طَلْعَةٌ»^(٣) .

قوله : ﴿نَضِيدٌ﴾ . يقال : نضدت الشيء أنضده نضداً ، إذا وضعت بعضه فوق بعض ، وهو منضود ونضيد ونضد .

قال المفسرون^(٤) : «﴿نَضِيدٌ﴾ منضود بعضه على بعض» .

قال الفرّاء : «طلع الكُفْرَى نضيد ما كان في أكمامه ، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد»^(٥) . وهذا قول الكلبي ، واختاره ابن قتيبة فقال : «وذلك قبل أن ينفتح ، فإذا انشق جفت الطلعة وتفرقت فليس بنضيد»^(٦) . ومجاهد جعله نضيداً بعد الانشقاق ، فقال : «﴿طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ : حيث ينشق عنه كمامه»^(٧) . والقولان تحتملها المشاهدة ، وذلك أنه قبل الانشقاق أشد تنضداً بعد الانشقاق ، فقال :

(١) قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والسُّدِّي ، وغيرهم . انظر : تفسير مجاهد

٦١٠ / ٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٣٧ ، وجامع البيان ٢٦ / ٩٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٢ .

(٢) الكُفْرُ ، الكُفْرِيُّ ، والكُفْرِيُّ ، والكُفْرِيُّ : وعاء طلع النخل ، وكُفْرَاهُ (بالضم) ، وتشديد

الراء ، وفتح الفاء وضمها) : وعاء الطلع وقشره الأعلى . انظر : اللسان (كفر) ٣ / ٢٧٥ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٢ / ١٧٣ ، واللسان (طلع) ٢ / ٦٠٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ / ١ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٣٧ ، وجامع البيان ٢٦ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) ورد في معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٧٦ ، ولم أجده منسوباً إلى الكلبي .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٤١٨ . الجُف : الوعاء ، وُجُفُ الطلعة : وعاءها الذي تكون فيه .

(٧) لم أجده عن مجاهد ، أو عن غيره ، ولعل ما ذكره صاحب اللسان ٣ / ٦٥٦ في قوله تعالى : ﴿وَطَلَحَ

مَنْضُودٌ﴾ هو الذي نَضَد بالحمل من أوله إلى آخره ، أو بالورق ليس دونه سوق بارزة» يفسر هذا ، ويدل عليه .

﴿طَلَعُ نَضِيدٌ﴾ حيث ينشق عنه كما مه ، لا يتفرق حب الشمر حتى يفصل بعضه عن بعض كالعنب ؛ فإن حباته منتضدة على الشمراخ ^(١) .

١١ . قوله تعالى : ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾ . قال أبو إسحاق : «يتصب على وجهين :

أحدهما : على معنى رزقناهم رزقاً ، لأن إنباته هذه الأشياء رزق ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ، المعنى : فأنبطنا هذه الأشياء للرزق» ^(٢) .

قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ؛ أي من القبور . والمعنى : كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم كقوله : ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ [الأعراف : ٥٧] . وقال ابن عباس : «ينزل من السماء مطر كنطف الرجال تنبت عليهم اللحوم والعظام» ^(٣) . وهذا معنى قول مقاتل : «يخرجون من القبور بالماء ، كما أخرجنا النبت من الأرض بالماء» ^(٤) .

ثم ذكر الأمم المكذبة تخويفاً لكفار مكة ، فقال :

١٢-١٤ . قوله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُعُوبٌ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وأخبار هؤلاء قد سبق ذكرها ، وتبَّع هذا هو الذي ذكر في قوله : ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ وهو تبَّع الحميري ^(٥) ، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام ، وكانوا يعبدون النار فأحرقهم الله بالنار .

(١) الشُّمراخ والشُّمروخ : العثكال الذي عليه البسر ، وأصله في العذق ، وقد يكون في العنب .

والعثكال ، والعثكول ، والعثكولة : العذق . انظر : اللسان (شمرخ) ٢/٣٥٧ ، و(عثكل) ٢/٦٨٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٣/٥ .

(٣) لم أجده عن ابن عباس ، وسيأتي نحوه عن علي - رضي الله عنه - عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْبَجَرِ الْمَسْجُورِ﴾ من سورة الطور .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ أ .

(٥) أسعد أبو كرب بن ملك يكر ب بن تبع ، قدم مكة ، وكسا الكعبة ، ثم عاد إلى اليمن ، وآمن بالتوراة ودخل معه عامة أهل اليمن بعد التحاكم إلى نار تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم ، وهو تبع الأوسط ،

قوله: ﴿حَقَّ وَعِيدٌ﴾ . قال ابن عباس : «يعني ما أوجب الله لمن كذب أنبياءه من العذاب»^(١) . وقال مقاتل : «فوجب عليهم عذابي»^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «فحقت عليهم كلمة العذاب والوعيد لمكذبي الرسل»^(٣) .

ثم أنزل جواباً لقولهم : ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قوله تعالى :

١٥ . ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ . يقال لكل من عجز عن شيء : عَيِيَ به ، وعَيِيَ به ، وعَيِيَ فلان بهذا الأمر . قال الشاعر :

عُيُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بَيِّضَتِهَا الْحَمَامَةُ

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَعَىٰ خَلْقُهُنَّ﴾ [الأحاف: ٣٣] . قال ابن عباس : «يريد عجزنا»^(٤) .

وقال مقاتل : «يقول الله : أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقناهم ولم يكونوا شيئاً ؟ فكيف نعيّا عن بعثهم ؟»^(٥) وهذا تقرير لهم ، لأنهم اعترفوا بأن الله الخالق ، وأنكروا البعث . ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت فقال : ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ . قال مجاهد وقتادة : «يمترون بالبعث بعد الموت»^(٦) .

توفي قبل مبعث الرسول ﷺ بنحو سبعمئة سنة ، وبعد موته عاد قومه إلى عبادة النيران والأصنام فعاقبهم الله تعالى . انظر : المعارف ٦٣١ ، وتاريخ الأمم والملوك ١ / ٣٧١ ، والبداية والنهاية ١٦٣ / ٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١٤٣ / ٤ .

(١) انظر : تنوير المقياس ٢٥٦ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٢٢٢ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٤٣ / ٥ .

(٤) ورد غير منسوب في الوسيط ١٦٤ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٢ / ٤ ، وتفسير القاسمي ٥٤٨٨ / ١٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٦١٠ / ٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢٣٧ / ٢ ، وجامع البيان ٩٨ / ٢٦ .

وقال الفرّاء : «أي هم في ضلال وشك»^(١) .

وقال المُبرّد : «التبس عليهم إعادة الخلق»^(٢) . وذكرنا معنى اللبس عند قوله : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٠]^(٣) .

١٦ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ ؛ يعني ابن آدم ، وهو اسم الجنس .
﴿وَنَعَلُهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ؛ يعني يُحدث به قلبه . والمعنى : يعلم ما يخفي ويكن في نفسه . وذكرنا معنى الوسوسة عند قوله : ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠]^(٤) .

قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ . قال أهل اللغة : «الوريد : عرق تحت اللسان يتفرق في البدن ، وهو في العضد فليق»^(٥) ، وفي الذراع الأكحل ، وفي ما تفرّق من ظهر الكفّ الأشاجع»^(٦) ، وفي بطن الذراع الرّواهش»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ٣/ ٧٧ .

(٢) لم أجده عنه ، وهو معنى ما روي عن مجاهد ، وقتادة ، وأصحاب اللغة .

(٣) مما قال عند تفسيره هذه الآية : «لبست الأمر على القوم ألبسه لبساً ، إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً» . قال ابن السكيت : «يقال : لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته» . قال أهل اللغة : «معنى اللبس منع النفس من إدراك المعنى بما هو كالستر له ، وأصله من الستر بالثوب . ومنه لبس الثوب ؛ لأنه ستر النفس به» . انظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٤٤٢ ، واللسان (لبس) ٣/ ٣٣٥ .

(٤) الآية العشرون من سورة الأعراف موضع سقط من المخطوطة . الوسوسة : هي الصوت الخفي من ريح ، والوسوسة والوسواس : حديث النفس ، والوسواس (بالفتح) : الشيطان . انظر : تهذيب اللغة (وسس) ١٣/ ١٣٦ ، واللسان (وسس) ٣/ ٩٢٢ .

(٥) الفليق : عرق في العضد يجري على العظم إلى غضض الكتف . انظر : تهذيب اللغة ٩/ ١٥٦ ، واللسان (فلق) ٢/ ١١٢٨ . غضض الكتف : هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٦) الأشاجع : العصب الممدود فوق السّلامي من بين الرسغ إلى أصول الأصابع ، وقيل : رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكسف ، وقيل عروق ظاهر الكف ، وهو مغرز الأصابع . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٣٣١ ، واللسان (شجع) ٢/ ٢٧٣ .

(٧) الرواهش : واحدها راهشة ، أو راهش ، وهي عروق باطن الذراع . انظر : تهذيب اللغة ٦/ ٨١ ، واللسان (رهش) ١/ ١٢٣٩ .

وقال أبو الهيثم^(١): «الوريدان عرقان بجانب الودجين عن يمين ثغرة النحر ويسارها . قال : والوريدان ينبضان أبداً من الإنسان . فكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها مجرى الحياة ، والوريد من العروق ما جرى فيه النَّفس ولم يجر فيه الدم» .

وقال الليث : «هما وريدان مكتنفان صفحتي العنق ، يقال للغضبان : قد انتفخ وريدها ، والجميع الأوردة ، والورد»^(٢) . وذكر الفراء وأبو عبيدة والزجاج أن الوريد في الحلق وباطن العنق^(٣) .

قال مقاتل : «هو عرق يخالط القلب ، فعِلْمُ الربِّ - تبارك وتعالى - أقرب إلى القلب من ذلك العرق»^(٤) .

وقال أهل المعاني^(٥) : «المعنى : ونحن أقرب إليه في العلم وما تحدث به نفسه من هذا العرق المخالط للإنسان ، وذلك أن أبعاد الإنسان وأجزاءه يجب بعضها بعضاً ، ولا يجب علم الله عنه شيء»^(٦) .

ثم ذكر أنه مع علمه به وكُل به ملكين يحفظان ويكتبان عليه عمله إلزاماً للحجة فقال : قوله :

(١) انظر : تهذيب اللغة ٤ / ١٦٣ ، واللسان (ورد) ٣ / ٩٠٨ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٢٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٧٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٤٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩ .

(٥) قال ابن الصلاح : «وحيث رأيت في كتب التفسير (قال أهل المعاني) فالمراد به مصنّفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله» . وفي بعض كلام الواحدي : «أكثر أهل المعاني : الفراء والزجاج ، وابن الانباري . قالوا كذا» .

انظر : البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٩١ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١١ / ١٧٨ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩ .

١٧. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ . (إذ) يتعلق بمحذوف دلّ عليه ما قبله وهو العلم ، كأنه قيل : يعلم ما يعمل ، ويقول إذ يتلقى الملكان . أخبر أنه عالم بأحواله وما يثبت عليه الملكان فلا يحتاج إلى الملكين ليخبراه ، ولكنهما وكلاً به إلزاماً للحجة وتوكيداً للأمر عليه . والتلقي معناه التلقن^(١) والأخذ . ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٣٧]^(٢) . ومفعول التلقي محذوف وتقديره : يتلقى المتلقيان ألفاظه وأفعاله ، ودل على هذا قوله : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ الآية .

قال مقاتل في هذه الآية : «يعني الملكين يتلقيان عمل ابن آدم ومنطقه»^(٣) . قوله : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قعيدا كل إنسان حافظاه ، وهما الملكان الموكَّلان به ، قال ابن قتيبة : «قعيد بمنزلة قاعد . مثل : قدير وقادر ، وقد يكون بمنزلة : أكيل وشريب»^(٤) . فيكون القعيد بمعنى القاعد ، وأصل هذا من القعود ، ثم صار اسماً للملازم للإنسان في كل حال من القيام والقعود والمشي والاضطجاع . ولهذا كانت العرب تطلق هذا الاسم تريد به الله تعالى ، على معنى أن الله مع العبد بالعلم أينما كان فيقول : قَعَدَكَ الله وقعيدك الله ، بمنزلة نشدتك الله . وأنشد أبو الهيثم فقال :

قَعِيدُكُمْ اللهُ الَّذِي أَنْتَمَالُهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا^(٥)

(١) التلقي : الاستقبال ، ومنه : فلان يتلقى فلاناً ؛ أي يستقبله ، ويأتي بمعنى التلقين ، ومنه : الرجل يلقي الكلام ؛ أي يلقيه . انظر : اللسان (لقا) ٣ / ٣٨٨ .

(٢) عند تفسيره الآية ٣٧ من سورة البقرة . ومما قال : «والتلقي في اللغة معناه الاستقبال . . . ومنه الحديث : أنه نهي عن تلقّي الركبان . قالوا معناه الاستقبال . وتفسير التلقي بالتلقن جائز صحيح ، وليس من لفظه» .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٤١٨ .

(٥) البيت للفرزدق . البيضتان : ماء لبني يربوع ، وماء لبني دارم . انظر : ديوان الفرزدق ٢ / ٣٦٠ ،

قال : ومعنى قعيدك الله ؛ أي أينما قعدت فأنت مقاعد لله ، أي هو معك ، ومن هذا قول المتمم :

قَعِيدَكَ أَلَّا تُسْمِعِنِي مَلَامَةً وَلَا تَنْكِئِي قَرْحَ الْفُؤَادِ قَبِيحاً^(١)

قال أبو إسحاق : « المعنى : عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد . فدل أحدهما على الآخر ، فحذف المدلول عليه ، وأنشد^(٢) :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

أي نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راضٍ .

ومثله أيضاً :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً وَمَنْ أَجَلَ الطَّوِيِّ رَمَانِي^(٣)

قال : المعنى كنت بريئاً وكان والدي منه بريئاً^(٤) . ونحو هذا قال الفرّاء ، وأنشد للفرزدق^(٥) :

واللسان (بيض) ٢٩٨/١ ، و(قعد) ١٢٩/٣ ، وجمع الهوامع ٢٦٢/٤ .

(١) ورد البيت منسوباً في المفضليات ٢٦٩ ، والإيضاح في شرح المفصل ٢٣٧/١ ، وتهذيب اللغة

١٩٩/١ ، واللسان (قعد) ١٢٩/٣ ، والخزانة ٢٠/٢ ، والمصادر كلها روته (فييجعا) بدل (قبيحاً) .

(٢) البيت لقيس بن الخطيم والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل ، ويُنسب إلى عمرو بن أمري القيس

الخرزجي . انظر : ديوان قيس ٢٣٩ ، والكتاب ٧٥/١ ، والمقتضب ١١٢/٣ ، ٧٣/٤ ، وأمالي ابن

الشجري ٢٠/٢ ، والإنصاف ٩٥ .

(٣) البيت لعمر بن أمهر أو لطرفة الفراسي في الكتاب ٧٥/١ ، وجمع الهوامع ٨٤/٢ ، والمذكر والمؤنث

لابن الأنباري ٦٧٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢٥٨/١ ، ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٦١/٢ إلى

الأزرق الباهلي .

والمراد بالطوي : البئر التي كان بينه وبين خصمه خلاف عليها .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٤/٥ .

(٥) في (أ) : (الفرزدق) ، والصواب ما أثبتته . تقدّمت ترجمته في سورة النساء .

إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنَى وَأَبِي فَكَانَ وَكُنْتُ غَيْرَ غَدُورٍ^(١).

وقال المُبرِّد: «فَعِيلٌ يَكُونُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ، وَأَنْشَدَ هُوَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ:

يَا عَاذِلَاتِي لَا تَطْلُنَ مَلَامَتِي إِنَّ الْعَوَاذِلَ لَسَنَ^(٢) لِي بِأَمِيرٍ^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَأْنِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤]. وقد ذكرنا هذا عند

قوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]^(٤). والمراد بالقعيد هاهنا: الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم، قال مجاهد: «عن اليمين كاتب الحسنات، وعن الشمال كاتب السيئات»^(٥).

١٨. قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾. معنى اللفظ في اللغة: الرمي من الفم.

يقال: لفظ الكلام، إذا رماه من أنفه وفمه. والأرض تلفظ الميت إذا لم تقبله، والبحر يلفظ الشيء إذا رمى به إلى الساحل^(٦). والمعنى: ما يتكلم من كلام فيلفظه: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ. يعني الملك الموكل به؛ إمَّا صاحب اليمين، وإمَّا صاحب الشمال.

(١) لم يرد البيت في ديوان الفرزدق، وورد في الكتاب ٣٨/١، والإنصاف ٩٥، ومعاني القرآن للقرّاء ٧٧/٣، والمذكر والمؤنث ٦٧٧، والإيضاح في شرح المفصل ١٦٨/١. والشاهد فيه: (غدور)، ولم يقل: (غدورين).

(٢) أي (ليس).

(٣) قال البغدادى في شرح أبيات مغني اللبيب ٤٨٣/٤: «والبيت مشهور بتداول العلماء إياه في مصنفاتهم، ولم أقف على قائله». اهـ. ونسب في بعض المصادر إلى يزيد بن الصعق. انظر: تهذيب اللغة ٦/٢٤٤، واللسان (ظهر) ٢/٦٥٨، والخصائص ٣/١٧١، ومعاني القرآن للأخفش ٢/٦٤٣، وقوله: (بأمر)؛ أي لسن لي بأمراء.

(٤) ومما قال عند تفسيره الآية: «قال القرّاء: وإنما وحد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب بها العرب إلى الواحد وإلى الجمع، ولا يجوز أن تقول: حسن أولئك رجلاً». وقال بعضهم: «حسن كل واحد منها رفيقاً».

(٥) انظر: جامع البيان ٩٩/٢٦، والوسيط ٤/١٦٥.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (لفظ) ١٤/٣٨١، والمفردات ٤٥٢.

قوله : ﴿عَيْدٌ﴾ . قال الكلبي : « حاضر معه يحفظ عمله »^(١) .

وقال الزَّجَّاج : « ثابت لازم »^(٢) . وذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]^(٣) .

١٩ . قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ﴾ ؛ أي وتجيء . وذكر بلفظ الماضي إشعاراً بتحقيق كونه ، كما قال : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، وقد مرَّ^(٤) . قوله ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ ؛ أي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله وفهمه . وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله : ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: ١٥]^(٥) .

قوله تعالى : ﴿بِالْحَقِّ﴾ . قال مقاتل : « يعني أنه حق كائن »^(٦) .

(١) ورد غير منسوب في الوسيط ٤/ ١٦٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١١ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/ ٤٥ .

(٣) ومما قال عند تفسيره الآية : « يقال : اعتدت الشيء فهو معتد وعتيد ، وقد عتد الشيء عتادة وهو عتيد حاضر ، قاله الليث . قال : ومن هنالك سميت العتيدة التي فيها طيب الرجل وأدهانه » .

(٤) عند تفسيره الآية ٤٤ من سورة الأعراف ، ولم يذكر في هذا الموضع شيئاً عن وروده بصيغة الماضي ، والله أعلم .

(٥) مما قاله عند تفسيره الآية : « السَّكْر سد الثقب لثلا ينفجر الماء ، والسكر في الشرب هو تغير العقل وفساد اللب وقيل السكر في الشراب هو أن ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو ولا ينفذ رأيه على حد نفاذه في صحوه » . انظر : تهذيب اللغة ١٠/ ٥٥ ، واللسان (سكر) ٢/ ١٧٠ ، والمفردات ٢٣٦ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، والوسيط ٤/ ١٦٧ .

وقال أبو إسحاق : «أي بالموت الذي خلق له»^(١) . وقال الفرّاء : «يقول : بالحق الذي كان غير متبين لهم من أمر الآخرة ، ويكون الحق هو الموت ؛ أي جاءت سكرة الموت بحقيقة الموت»^(٢) .

قوله^(٣) تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي يقال لَمَنْ جاءت سكرة الموت : (ذلك) ، أي ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ . قال مقاتل : «يعني كراهية الموت»^(٤) . ونحو هذا قال ابن عباس : «تكره»^(٥) . يقال : حاد عن الشيء يحيد حيداً وحِيدُودَةً وحِيدَاناً ومحيداً وحِيداً وحِيداً ، إذا مال عنه وهرب^(٦) . قال عطاء عن ابن عباس : «يجتنب ويهرب»^(٧) ، وقال الضحاك : «يزوغ ويميل وينكص» ، كل هذا من ألفاظهم^(٨) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ . قال مقاتل والكلبي : «هي النفخة الأخيرة»^(٩) ﴿ذَلِكَ﴾ ؛ أي ذلك اليوم الذي ينفخ فيه في الصور ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ . قال مقاتل : «يعني بالوعيد : العذاب في الآخرة»^(١٠) . والمعنى : ذلك يوم تحقق الوعيد ووقوع الوعيد ، فحذف المضاف .

(١) انظر : معاني القرآن ٥ / ٤٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٣ / ٧٨ .

(٣) في (ك) : (وجاءت : أي وتجيء ، وذكر بلفظ الماضي إشعاراً قوله) والصواب حذفها .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٥٦ ، والكشف والبيان ١١ / ١٨٠ ب ، والوسيط ٤ / ١٦٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ٥ / ١٨٩ ، واللسان (حيد) ١ / ٧٦٦ .

(٧) لم أجده ، وهو في معنى القول الأول .

(٨) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ١٣ .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، والتفسير الكبير ٢٨ / ١٦٤ .

(١٠) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، والوسيط ٤ / ١٦٧ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٣ .

٢١. ﴿وَحَامَتْ﴾ ؛ أي في ذلك اليوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل والحسن : «سائق يسوقها إلى المحشر وإلى أمر الله ، وشهيد يشهد عليها بما عملت» ، وهو قول الجميع^(١) .

قال الكلبي : «السائق هو الذي كان يكتب عليه السيئات ، والشهيد هو الذي كان يكتب الحسنات»^(٢) .

قال عبدالله بن مسلم : «السائق قرينها من الشياطين ، سُمِّي سائِقاً ؛ لأنه يتبعها وإن لم يحثها ويدفعها» . وكان رسول الله ﷺ يسوق أصحابه ؛ أي يكون وراءهم . والشهيد الملك الشاهد عليها بما عملت^(٣) . والمراد بالنفس هاهنا نفس الكافر ، يدل عليه قوله :

٢٢. ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم في الدنيا ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ . قال ابن عباس : «الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك»^(٤) .
وقال ابن قتيبة : «أي أريناك ما كان مستوراً عنك في الدنيا»^(٥) .

وقال أبو إسحاق : «هذا مثل ، المعنى : كنت بمنزلة من عليه غطاء وعلى قلبه غشاوة . ﴿فَبَصَّرَكَ الْيَوْمَ حَديدٌ﴾ ؛ أي فعلمك بما أنت فيه نافذ ، وليس يراد بهذا البصر بصر العين»^(٦) . وهذا قول الكلبي واختيار الفراء ، قال : «المعنى كنت تكذب

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٥٦/٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٤ ب ، وتفسير عبدالرزاق ٢٣٨/٢ ، وجامع البيان ١٠١/٢٦ ، والمصنف ٤٣٩/١٣ ، وهو قول عثمان بن عفان ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم .

(٢) انظر : الوسيط ١٦٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٤ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٧ ، والبحر المحيط ١٢٤/٨ . قال : «وهو قول ضعيف» .

(٤) ورد غير منسوب في الوسيط ١٦٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٤ .

(٥) انظر : تأويل المشكل ٤٢٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٥/٥ .

فأنت اليوم عالم نافذ البصر ، والبصر هاهنا : العلم وليس بالعين»^(١) . والآخرون قالوا : «هو العين» .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «تبصر ما كنت تنكر في الدنيا»^(٢) .

قال ابن قتيبة : «أي فأنت نافذ البصر لما كشفت عنك الغطاء»^(٣) .

قال الضحاك : «يحشر الكافر وبصره حديد ، ثم يزرق ثم يعمى»^(٤) .

وقال مقاتل : «يشخص بصره ، فلا يطرف حين يعاين في الآخرة ما كان يكذب به في الدنيا»^(٥) .

٢٣ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ . قال مقاتل : «يعني صاحبه ، وهذا الملك الذي كان يكتب عمله السيء في الدنيا يقول لربه : كنت وكلتني به في الدنيا فهذا عندي مُعَدُّ حاضر قد آتيتك به»^(٦) . ونحو هذا قال الكلبي^(٧) . وعلى قولهما ، يحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ الشخص الذي أتى به ويكون ﴿مَا﴾ بمعنى (مَنْ)^(٨) ، ويحتمل

(١) ورد في تنوير المقباس ٢٥٧/٥ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٧٨/٣ ، وأخرجه ابن جرير في جامعه ١٠٣/٢٦ عن قتادة .

(٢) ورد في معالم التنزيل ٢٢٣/٤ من دون نسبة .

(٣) ورد في تأويل المشكل ٤٢٢ . وعبارته : (فأنت ثاقب) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٧ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

(٧) لم أجده عن الكلبي .

(٨) انظر : معالم التنزيل ٢٢٣/٤ .

أن يكون المراد ديوان أعماله وما كتب عليه . وقد صرح مجاهد بالقول الأول وقال : « هذا الذي وكَّلَني به من ابن آدم قد أحضرته »^(١) .

وابن قتيبة صرح بالقول الثاني فقال : « يعني ما كتبه من عمله حاضر عندي »^(٢) . وسيبويه جعل ﴿ مَا ﴾ هاهنا نكرة فقال : « المعنى هذا شيء لدي عتيد ، فارتفع ﴿ عَتِيدٌ ﴾ لأنه صفة لـ ﴿ مَا ﴾ »^(٣) . وذكر أبو إسحاق في رفع عتيد وجهين آخرين :

أحدهما : أن يرفع بإضمار (هو) كأنه قيل : هذا شيء لدي هو عتيد .

والآخر : أن يكون خبراً بعد خبر ، كما تقول : هذا حلو حامض^(٤) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . قال مقاتل : « يقول الله : ألقيا في جهنم يعني الخازن ، وهو في كلام العرب : خذاه ، يعني الواحد »^(٥) .

(١) انظر : الوسيط ٤/ ١٦٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٣ ، والجامع : للقرطبي ١٧/ ١٦ .

(٢) انظر : تأويل المشكل ٤٢٢ .

(٣) انظر : الكتاب ١/ ٢٦٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥/ ٤٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب .

وقال الكلبي : «كلام العرب ألقيا لواحد»^(١) واختار الأخفش والفراء هذا المذهب ، وهو أن هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يأمرون الواحد كما يؤمر الاثنان ، يقولون : قوما عتًا ، للرجل . وويلك ارحلاها وازجراها . قال الفراء : «سمعتها من العرب وأنشد»^(٢) :

فقلت لصاحبي لا تحسنا
بنزع أصوله واجتز شيعا
وأنشد أيضاً :

فإن تزجراني يا بن عَفَّان أنزجر
وإن تدعاني أحم عِرضاً مُمَنَعاً^(٣)
قال الفراء : ويرى أن ذلك منهم ؛ لأن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على غالب العادة . ألا ترى الشعراء أكثر شيء قليلاً^(٤) : يا صاحبي ، يا خليلي ، قال امرؤ القيس :

خليلي مُرَّابي على أم جُنْدُب
لنقضي حاجاتِ الفؤادِ المَعْدُب
ثم قال :

ألم تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً
وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ^(٥)

(١) انظر : جامع البيان ٢٦/ ١٠٣ ، والوسيط ٤/ ١٦٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٣ .

(٢) البيت لمصر بن ربيع الفقعسي ، وقيل ليزيد بن الطثرية . انظر : شرح شواهد الألفية ٤/ ٥٩١ ، واللسان (جزز) ١/ ٤٥٣ ، وفيه (لا تحسبنا) بدلاً من (لا تحسبانا) ، وشرح المفصل ١٠/ ٤٩ ، والخزانة ١١/ ١٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٨٧ .

(٣) البيت لسويد بن كراع في شرح القصائد السبع ١٦ ، والأغاني ١١/ ١٢٣ ، وشرح شواهد الشافية ٤٨٤ ، وإملاء العكبري ٢/ ٢٤٢ ، والخزانة ١١/ ١٧ .

(٤) (ك) : (قليلاً) .

(٥) انظر : ديوانه ٤١ ، ١٢١ ، والخصائص ٣/ ٢٨١ ، والتصريح بمضمون التوضيح ١/ ٢٠٢ .

فرجع إلى الواحد ، وأول الكلام اثنان^(١) .

وذكر أبو إسحاق عن المُبرِّد أن هذا فعل مبني توكيداً ، كأنه لما قال : (ألقيا) ناب عن قوله : أَلِقِ أَلِقِ . وكذلك عنده قَفَا ، معناه : قف قف ، فناب عن فعلين . قال : وهذا قولُ صالحٍ ، والذي ذكره محمد بن يزيد في قوله : ﴿أَلْقِيَا﴾ هو مذهب أبي عثمان المازني ، ذهب إلى أنه أراد أَلِقِ أَلِقِ ، فثنى ضمير الفاعل فناب ذلك عن تكرير الفعل^(٢) .

قال أبو الفتح الموصلي : «وهذا يدل على شدة اشتراك الفعل والفاعل ، ألا ترى أنه لما بنى أحدهما ، وهو ضمير الفاعل ، ناب عن تكرير الفعل ، وإنما ناب عنه لقوة امتزاجهما ، فكأن أحدهما إذا حضر فقد حضرا جميعاً»^(٣) . وهذا الذي قاله الموصلي بيان علة جواز نيابة (ألقيا) عن أَلِقِ أَلِقِ .

قال أبو إسحاق : «والوجه عندي أن يكون أمر الملكين ، لأن (ألقيا) للاثنين ، فأنا اعتقد أنه أمر الاثنين»^(٤) .

وبهذا قال جماعة من المفسرين ؛ فذكروا أن هذا خطاب للمتلقين معاً^(٥) ، أو للسائق والشاهد جميعاً^(٦) . والأشهر في هذا ما ذكره الفراء ، ويدل عليه قراءة الحسن : (ألقين) بالنون الخفيفة ، وهو خطاب الواحد^(٧) . قوله ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٨ ، ٨٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٦ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦ .

(٦) قال ابن كثير : «والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد» ، وبه قال الألويسي ، وهو معنى ما قاله الزَّجَّاج . انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٦ ، وروح المعاني ٢٦/ ١٨٥ .

(٧) انظر : الكشف ٤/ ٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦ ، والبحر المحيط ٨/ ١٢٦ .

قال الكلبي ومقاتل : «كل كَفَّارٌ للنعم ، مُعْرِضٌ عن الإيمان والتوحيد بجانب له»^(١) . والعنيد بمعنى المعاند كالضجيع والقرين . وذكرنا تفسيره عند قوله : ﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم : ١٥]^(٢) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿مَنَّاغٍ لِلْحَيِّ﴾ ؛ أي لا يبذل خيراً . قال مقاتل : «لا يعطي في حق الله»^(٣) .

﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم غشوم لا يُقَرُّ بتوحيد الله ، ﴿مُرِيٍّ﴾ قال قتادة والكلبي ومقاتل : «شاك في الحق ، وهو توحيد الله»^(٤) . وهذا من قولهم : أراب الرجل ، إذا صار ذاريب . وقد ذكرنا ذلك في ابتداء سورة البقرة^(٥) . وذكر عطاء ومقاتل أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة .

٢٧ . قوله تعالى : ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ﴾ . اختلفوا في المراد بالقرين هاهنا ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يعني قرينه من الشياطين»^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، ومعالم التنزيل ٢٢٤ / ٤ .

(٢) قال عند تفسيره لهذه الآية : «العنيد المعرض عن طاعة الله» ، وهو قول ابن عباس . قال مجاهد : «هو المجانب للحق» ، وقال إبراهيم : «الناكب عن الحق» ، وقال ابن زيد : «المخالف للحق» ، وقال أبو إسحاق : «الذي يعدل عن القصد» ، وقال ابن الاعرابي : «أعند الرجل ، إذا عارض إنساناً بالخلاف ، وأعند ، إذا عارض بالاتفاق . وعَدَّ البعير خطامه ؛ أي عارضه . والعنود من الإبل التي تعاند الإبل فتعارضه» ، وقال قوم من أهل اللغة : «معنى عَدَّ إذا أبى قبول الشيء مع العلم به تكبراً عنه وبغياً وطغياناً» .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٤ ب ، والوسيط ١٦٧ / ٤ .

(٤) انظر : جامع البيان ١٠٤ / ٢٦ ، والوسيط ١٦٧ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧ .

(٥) عند تفسيره الآية ٢ من سورة البقرة . ومما قال : «الريب : الشك» . يقال : رابني فلان يربيني ؛ أي علمت منه الريبة . وأرابني : أوهمنيها ولم يحققها .

(٦) انظر : جامع البيان ١٠٤ / ٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٦ / ٤ .

وقال مقاتل : ﴿قَبِيْهُهُ﴾ هو شيطانه^(١) . واختاره ابن قتيبة^(٢) . وعلى هذا القول ، معنى الآية هو : أن شيطانه يعتذر إلى ربه يقول : لم يكن لي قوة بأن أضله بغير سلطانك ، ﴿وَلَكِنْ كَانَتْ﴾ في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيْدٍ﴾ ؛ طويل . ذكره مقاتل^(٣) . ومعنى ﴿مَا أَطْعَيْتُهُ﴾ ما أضللته وأغويته ؛ أي لم أتول ذلك من نفسي ، ولكنه كان في ضلال عن الحق بخذلانك إياه ، كأنه يقول : لم أكن سبب طغيانه^(٤) .

وقال الكلبي : «يقول المَلَكُ : ربنا ما أطعته»^(٥) ، وعلى هذا القول ، المراد بالقرين المَلَكُ . وهو قول سعيد بن جبير ، قال : «يقول الكافر : رب ، إن المَلَكُ زاد عليّ في الكتابة»^(٦) . واختار الفراء هذا القول فقال : «إن الكافر يقول : يا رب ، إنه كان يعجلني عن التوبة ، فيقول المَلَكُ : ربنا ما أطعته»^(٧) أي ما أعجلته عن التوبة وما زدت عليه . والمعنى : لم أكن سبب طغيانه بالإعجال والزيادة عليه ، ولكن كان في ضلال بعيد لا يرجع إلى الحق ولا إلى التوبة .

٢٨ . فيقول الله تعالى : ﴿لَا تَخْصِمُوْا لَدَيَّْ﴾ . قال ابن قتيبة : «وذكر الله اختصاصهم في سورة الصافات وهو قوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُوْنَ﴾^(٨) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِيْنِ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ أ .

(٢) انظر : تأويل المشكل ٤٢٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ .

(٤) انظر : الوسيط ١٦٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٤/٤ .

(٥) لم أجده .

(٦) انظر : معالم التنزيل ٢٢٤/٤ ، والجامع للقرطبي ١٧/١٧ ، وفتح القدير ٧٧/٥ . وهو مروى عن ابن عباس ، ومقاتل . انظر : تنوير المقباس ٢٥٩/٥ ، والكشف والبيان ١٨١/١١ ب ، ومعالم التنزيل ٢٢٤/٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٧٦/٣ .

أَلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [الصافات: ٣٣] ^(١) ، وهذا يدل على أن المراد بالقرين الشيطان .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَعِيدِ﴾ يعني ما ذكر من الوعيد بالعذاب لمن عصى الرسل .

قال مقاتل : «يقول قد أخبركم في الدنيا بعذابي في الآخرة» ^(٢) . و(قَدَّم) هاهنا إن كان واقعاً فالباء في ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ زائدة مؤكدة ، وإن كان لازماً بمعنى يقدم كما ذكرنا في قوله : ﴿لَا نُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات: ١] ^(٣) فالباء للتعديدية ^(٤) .

ثم ذكر أنه لا تبديل لقوله ولا خلف لوعده فقال :

٢٩ . ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد ما لوعدي خلف لأهل طاعتي ولا لأهل معصيتي» ^(٥) .

وقال مجاهد : «قد قضيت ما أنا قاضٍ» ^(٦) .

(١) الآيات (٢٧-٣٣) من سورة الصافات ، وانظر : تأويل المشكل ٤٢٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ أ .

(٣) قال : «قدم هاهنا بمعنى تقدم . وهو لازم لا يقتضي مفعولاً . . . » . قال الفراء : «يقال : قدمت في أمر كذا وكذا وتقدمت» ، وقال الأزهري : «يقال : قدم يقدم وتقدم يتقدم وأقدم يقدم واستقدم يستقدم بمعنى واحد» .

(٤) انظر : البحر المحيط ٨ / ١٢٦ ، وفتح القدير ٥ / ٧٧ ، وروح المعاني ٢٦ / ١٨٦ .

(٥) لم أجده .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦١٢ ، وجامع البيان ٢٦ / ١٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٦ .

وقال مقاتل : «يقول الذي قلت لكم في الدنيا من الوعيد قد قضيته»^(١) عليكم فلا تبديل له»^(٢). فعلى هذا ، معنى الآية : لا تبديل لقول الله في ما ذكر من وعيد الكفار .

قال المفسرون^(٣) : «وهو قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود : ١١٩] ، [السجدة : ١٣] » ، وقال أبو إسحاق : «يعني قوله : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾»^(٤) .

فإن قيل : على هذا كيف يجوز النسخ مع قوله : ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ؟ قلنا سبق قضاؤه بنسخ ما ينسخه ، فلو لم ينسخ وقد سبق به الحكم حينئذٍ لزم تبديل القول .

وهكذا نقول في فائدة الدعاء والشفاعة^(٥) . وذكر الكلبي في الآية قولاً آخر فقال : «معنى الآية : ما يُعَيَّرُ القول عندي بالكذب»^(٦) . يعني مَنْ كذب عندي فالغيب لا يخفى عليّ ، وعلى هذا ، القول هو قول العبد ، لا قول الله تعالى . واختار الفراء وابن قتيبة هذا القول .

قال الفراء : «معناه ما يكذب عندي للعلم بالغيب»^(٧) . وقال ابن قتيبة : «﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ؛ أي لا يُعَيَّرُ عن جهته ولا يُحَرَّفُ ، ولا يزداد فيه ولا ينقص ،

(١) في (ك) : (قضيت) . والصواب ما أثبتته .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ أ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٧ .

(٤) من الآية ١٦٠ من سورة الأنعام ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٤٦ / ٥ .

(٥) انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٦ ، ومناهل العرفان ٢ / ١٩٨ ، ومباحث في علوم القرآن ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١١ / ١٨١ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٤ ، وفتح القدير ٥ / ٧٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٧٩ .

لأنني أعلم كيف ضلوا وكيف أضللتهم»^(١). وهذا القول كأنه أظهر؛ لأنه قال: ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ ولم يقل: (قولي)^(٢). وهذا كما يقال: لا تكذب عندي. ولو قال قائل: لا يُغَيِّرُ القول لَدَيَّ، فُهِمَ من كلامه أنه يقول: لا يكذب عندي بل يؤدي القول عندي على وجهه.

٣٠. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾. قال أبو إسحاق: «نصب ﴿يَوْمَ﴾ على وجهين:

على معنى: ما يبدل القول لَدَيَّ في ذلك اليوم.

وعلى معنى: أنذرهم يوم نقول، كما قال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾^(٣).

وقرأ نافع: (يقول) بالياء على معنى: يقول الله. وقراءة العامة^(٤) أشبه بما قبله من قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، والنون في المعنى مثل: أقول، فهو أشبه بما قبله^(٥).

وقوله: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾. قال جماعة علماء التأويل^(٦): «الله - تعالى - عالم هل امتلأت أم لا، وسؤالها عن امتلائها توبيخ لمن أدخلها، ودلالة على صدق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨، وهود: ١١٩، والسجدة: ١٣، وص: ٨٥] أراها الله - تعالى - تصديق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، فلما امتلأت قال لها: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾»، قال

(١) انظر: تأويل المشكل ٤٢٣.

(٢) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٧٧/٥، ثم قال: «والأول أولى».

(٣) من الآية ٣٩ من سورة مريم، وانظر: معاني القرآن للزجاج ٤٦/٥.

(٤) قرأ نافع وأبو بكر (يقول) بالياء، وقرأ الباقون (نقول) بالنون. انظر: حجة القراءات ٦٧٨، والنشر ٣٧٦/٢، والإتحاف ٣٩٨.

(٥) انظر: الحجة للقراء السبعة ٢١٣/٦.

(٦) انظر: تفسير عبد الرزاق ٢٣٨/٢، وجامع البيان ١٠٥/٢٦، والقرطبي ١٨/١٧.

أبو إسحاق : «وجه مخاطبتها جعل فيها ما به تميز وتخاطب ، كما جعل في النملة التي قالت : ﴿يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل : ١٨]»^(١) .

قوله تعالى : ﴿وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد هل في من سعة ؟ وقد ضاقت بأهلها»^(٢) . وقال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح : «وَعَدَهَا الله ليملائها فقال : وفيتك . فقالت : فهل في من مسلك ؟»^(٣) . وقال في رواية ابن أبي مريم : «لا يزال يقذف فيها حتى تقول : قد امتلأت ، فهل في من مزيد ؟»^(٤) .

وروى مقاتل بن سليمان قال : «فتنتفض فتقول : قد امتلأت وليس في مزيد . تقول : ليس في سعة»^(٥) . وعلى هذا ، معنى الاستفهام في قوله : ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ الإنكار^(٦) . أي قد امتلأت ولم يبق في موضع لم يمتلئ .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٧ / ٥ . والمؤلف - رحمه الله - تصرّف في عبارة الزجاج ، ونصها :

«وجه مخاطبتها أن الله - عز وجل - جعل فيها» .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٢٥٩ / ٥ من طريق الكلبي ، وتفسير مقاتل ١٢٥ ، ومعالم التنزيل ٢٢٤ / ٤ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد ٦١٢ / ٢ ، وجامع البيان ١٠٥ / ٢٦ .

(٤) ورد في الدر المنثور ١٠٧ / ٦ منسوباً إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ، والكشف والبيان ١٨١ / ١١ ب .

(٦) قلت : قول المؤلف رحمه الله : «ومعنى الاستفهام الإنكار» هو من كلام شيخه الشعلبي ، ولا يليق بهذا المقام على القراءتين ؛ إذ لا يتصور إنكار من مخلوق على الله - تعالى - وبخاصة في يوم القيامة ، بل الاستفهام فيه من الضعف والاستصغار أمام عظمة الله - تعالى - ما يرد وصفه بالإنكار ، والله أعلم .

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح^(١) : «معنى قوله : ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ مسألة للزيادة»^(٢) ، كأنها تستزيد إلى ما فيها . ولهذه الاستزادة مع قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف : ١٨ ، وهود : ١١٩ ، والسجدة : ١٣ ، وص : ٨٥] وجهان :

أحدها : أن هذا السؤال كان قبل دخول جميع أهل النار فيها^(٣) .

والآخر : إنما طلبت أن يزداد في سعتها لتضايقها بأهلها^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «إنها تقول : هل من مزيد تغيضاً على مَنْ فيها ، يعني أن طلب الزيادة حقاً على أهلها ، تقول : هل بقي أحد لم أنتقم لك منه ، فالزيادة»^(٥) ليس أنها لم تمتلئ فطلب الزيادة»^(٦) .

٣١ . قوله تعالى : ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ . قال مقاتل : «قربت الجنة للمتقين الشرك غير بعيد ، فينظرون إليها قبل دخولها حين تنصب على يمين العرش»^(٧) ، ويقال لهم :

(١) باذام أو باذان : مولى أم هانئ ، وثقه بعض أهل العلم ، وتكلم فيه بعضهم ، واختار الشيخ أحمد شاكر توثيقه ، وقال ابن معين : «إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس» . انظر : تهذيب الكمال ١/ ١٣٧ ، والجرح والتعديل ١/ ٤٣٢ ، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٢٣ تحقيق شاكر ، وتهذيب التهذيب ١/ ٤١٦ ، وميزان الاعتدال ١/ ٢٩٦ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢٦/ ١٠٦ ، والكشف والبيان ١١/ ١٨١ ب ، والوسيط ٤/ ١٦٨ . قلت : والقول بأن قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ بمعنى : هل بقي شيء تزيدوني ، هو الظاهر من السياق ، وعليه تدل الأحاديث الصحيحة . انظر : صحيح البخاري في كتاب التفسير ، باب وتقول هل من مزيد ٦/ ١٧٣ ، وصحيح مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ٤/ ٢١٨٦ ، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٦ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١١/ ١٨١ ب ، والوسيط ٤/ ١٦٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٨/ ١٧٤ ، وفتح القدير ٥/ ٧٧ .

(٥) في (ك) : (فازادة) .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٧ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٥ .

٣٢. ﴿هَذَا﴾ ؛ أي هذا الجزء أو هذا الشيء الذي ترونه ﴿مَا تُوْعَدُونَ﴾ .
 قوله : ﴿لِكُلِّ أَوَابٍ﴾ بدل من قوله : ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، ويجوز أن يكون
 التقدير : هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ منكم ، فحذف (منكم)
 لدلالة الخطاب عليه^(٢) .

قال ابن عباس : «يريد لكل راجع عن معاصي الله»^(٣) ، وقال عبيد بن عمير :
 «الأواب الذي يتذكر ذنوبه ثم يستغفر منها»^(٤) .

وقال مجاهد : «هو الذي إذا ذكر ذنبه في الخلاء استغفر منه»^(٥) .

وقال ابن المسيب : «هو الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب»^(٦) ، وأصله
 من الرجوع ، وقد مرّ تفسيره عند قوله : ﴿لِلأَوَابِينَ عَفْوَراً﴾ [الإسراء: ٢٥]^(٧) .

قوله : ﴿حَفِيزٌ﴾ . قال ابن عباس : «أي لما ائتمنه الله عليه وافترضه»^(٨) .

وقال الكلبي ومقاتل : «حافظ لأمر الله»^(٩) .

وقال قتادة : «حافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته»^(١٠) .

(١) انظر : الكشف ٢٤ / ٤ .

(٢) انظر : فتح القدير ٧٨ / ٥ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٦٠ / ٥ ، والوسيط ١٦٨ / ٤ .

(٤) انظر : المصنف ٤٤٠ / ١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٨ / ٤ ،
 وفتح القدير ٧٨ / ٥ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١٨٢ / ١١ ب ، والوسيط ١٦٨ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥ / ٤ .

(٦) انظر : الوسيط ١٦٨ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥ / ٤ ، والدرر ١٠٧ / ٦ .

(٧) عند تفسيره الآية ٢٥ من سورة الإسراء ، وهو النص نفسه المذكور هنا .

(٨) ورد في تنوير المقباس ٢٦٠ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٧ عن قتادة .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ أ .

(١٠) انظر : جامع البيان ١٠٧ / ٢٦ ، والكشف والبيان ١٨٢ / ١١ أ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥ / ٤ .

٣٣. قوله تعالى : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من قوله : ﴿أَوَابٍ حَفِظَ﴾ ، ويجوز أن يكون استئنافاً على : هو مَنْ خشي الرحمن ، ويجوز أن يكون ابتداء يراد به الجزاء ، على معنى : مَنْ خشي الرحمن قيل له : ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ ، وادخلوها جواب للجزاء ، أضمرت قبله القول ، وجعلته فعلاً للجميع ، وهو قوله : ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ ، لأن (مَنْ) يكون في مذهب الجمع ، ذكر ذلك الفرّاء^(١) .

ومعنى ﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ . قال ابن عباس : «يقول يخافني ولا يراني فكأنه يراني»^(٢) .

وقال مقاتل : «أطاعه ولم يره»^(٣) . وهذا كما ذكرنا في قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ، ومعنى هذا الغيب : غيبته عن رؤية الله . وقال الضحاك والسُّدِّي والحسن : «يعني : في الخلوة ، حيث لا يراه أحد إذا أرخى الستر وأغلق الباب»^(٤) . وعلى هذا ، الغيب غيبته عن الناس ورؤيتهم .

قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ . قال مقاتل : «وجاء في الآخرة بقلب مخلص»^(٥) . قال عطاء عن ابن عباس : «راجع عن معاصي الله»^(٦) .

وقال أبو صالح عنه : «مقبل إلى طاعة الله»^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ٣/ ٧٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٥ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٢٦٠ ، والوسيط ٤/ ١٦٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥أ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١١/ ١٨٢ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢١ ، وفتح القدير ٥/ ٧٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١١٢أ ، والوسيط ٤/ ١٦٩ .

(٦) انظر : الوسيط ٤/ ١٦٩ من دون نسبة .

(٧) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٢٥ ، والجامع للقرطبي ١٧/ ٢١ ، وفتح القدير ٥/ ٧٨ .

٣٤. قوله : ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ ؛ أي يقال لهم : ادخلوا الجنة ﴿سَلَامٍ﴾ . قال ابن عباس : «بسلامة قد انقطعت عنهم الهموم وأمّنوا الموت»^(١) ، وقال قتادة : «سلموا من عذاب الله ، وسلم الله عليهم»^(٢) .
﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ في الجنة ، لأنه لا موت فيها ، قاله مقاتل .

٣٥. ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه ، ولم يخطرهم على بال ، فذلك قوله : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٣) يعني وعندنا لهم مزيد . وقال عطاء عن ابن عباس : «المزيد ما يزيدهم الله من الخور العين إلى ما عندهم من بنات آدم»^(٤) .

وقال الكلبي عنه : «هو أن الملائكة تأتي أحدهم بالهدايا من عند الله فإذا نظر إليها أعجبته ، فتقول الملائكة للشجر الذي بفناء بابه : الله يأمرك أن تنفطري له عن كل ما يشاء من مثل هذه ، وهو المزيد»^(٥) .

وقال كثير بن مرة^(٦) وغيره : «هو أن السحابة تمر بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم ؟ فلا يدعون بشيء إلاّ أمطر لهم ، وتمطر لهم الخور العين ،

(١) انظر : تنوير المقياس ٢٦٠/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥/٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٣٩/٢ ، وجامع البيان ١٠٨/٢٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١١٢٥ أ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٧ ، وروح المعاني ١٩٠/٢٦ ، والدر ١٠٨/٦ . قال : «وأخرج أحمد وأبو يعلى ، وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ ، وفيه : «ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه . . . ويسألها : مَنْ أنت فتقول : أنا من المزيد» ، وانظر : جامع البيان ١١٠/٢٦ .

(٥) لم أجده .

(٦) كثير بن مرة أبو شجرة ، ويقال أبو القاسم الحضرمي الحمصي ، ثقة ، سمع عمر ، وروى عن معاذ وعبداد بن الصامت وجماعة ، ويقال إنه أدرك سبعين بدياً ، وشهد الجابية مع عمر . انظر : التاريخ الكبير ٢٠٨/٤ ، وطبقات ابن سعد ٤٤٨/٧ ، وتقريب التهذيب ١٣٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦/٦ ، وأسد الغابة ٢٣٣/٤ .

فتقول الحور : نحن الذين قال الله : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(١) ، وروي عن أنس بن مالك في قوله : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال : «يظهر لهم الرب تبارك وتعالى»^(٢) .

وروى ذلك أيضاً عن جابر ، ويشهد لهذا التأويل قوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]^(٣) .

٣٦. قوله تعالى : ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «ساروا»^(٤) ، وقال الكلبي عنه : «تقلبوا»^(٥) ، وقال مجاهد : «ضربوا»^(٦) .

وقال النضر : «دَوَّروا»^(٧) ، وقال أبو عبيدة : «طافوا وتباعدوا»^(٨) .

وقال الفرّاء : «خَرَّقُوا الْبِلَادَ فَسَارُوا فِيهَا»^(٩) .

(١) أخرج ابن أبي حاتم نحوه في تفسيره . انظر : الدر ١٠٩ / ٦ ، وروح المعاني ١٩٠ / ٢٦ . قلت : «لعل الأقوال السابقة من المزيد الذي ذكره الله - تعالى - تندرج في معنى الحديث الصحيح : «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» .

(٢) أخرجه الشافعي ، وأبو يعلى ، وابن أبي شيبه وغيرهم من طريق جيدة . انظر : الدر المنثور ١٠٨ / ٦ .

(٣) قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١٩١ / ٢ : «وقد روى تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم الجمهور من السلف والخلف» . انظر : صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ١ / ١٦٣ ، وسنن الترمذي في كتاب التفسير (سورة يونس) ٥ / ٢٧٦ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٦٧ في المقدمة ، وشرح النووي على مسلم ٣ / ١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٨ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٦٠ ، وجامع البيان ٢٦ / ١١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٩ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٢ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦١٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٩ .

(٧) في (ك) : (دوخوا) ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٢ ، وفتح القدير ٥ / ٨٠ .

(٨) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٢٤ .

(٩) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣ / ٧٩ .

وقال الرَّجَّاجُ : «طَوَّفُوا وَفَتَّشُوا» . قال ، ومنه : «نقيب القوم للذي يعرف أمرهم»^(١) .

وقال المُبَرِّدُ : «نقبوا في اللغة : طَوَّفُوا» . وأصله من النقب وهو الطريق ، كأنهم سلكوا كل طريق .

وأنشدوا لامرئ القيس^(٢) :

وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

ومعنى الآية : أن القرون الماضية ساروا في البلاد فلم يجدوا محيصاً عن أمر الله . قال قتادة : «حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله لهم مدركاً»^(٣) ، وقال أبو إسحاق : «طَوَّفُوا وَفَتَّشُوا فلم يروا محيصاً من الموت»^(٤) . أخبر الله عنهم أنهم طلبوا المهرب من الموت فلم يجدوا . وتقدير اللفظ : فنقبوا في البلاد هل من محيص لهم فلم يجدوا . وفي هذا إنذار لأهل مكة أنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرّاً من الموت ، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله .

٣٧ . قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ؛ أي في إهلاكهم ﴿لَذِكْرٌ﴾ ، يعني تذكرة وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء ، وأبي صالح : «عقل»^(٥) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٨/٥ .

(٢) انظر : ديوانه ٧٣ ، واللسان (نقب) ٦٩٧/٣ ، والمصادر السابقة . ورواية الديوان (طوفت) بدل (نقبت) ، وقد ذكرها عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهَوَّيَا أَفْقِي الْأَعْلَى﴾ [النجم : ٧] .

(٣) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٣٩/٢ ، وجامع البيان ١١٠/٢٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٤٨/٥ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٢٦٢/٥ ، والوسيط ١٧٠/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٦/٤ .

قال الفرّاء : « وهذا جائز في العربية أن يقول : ما لك قلب ، وما قلبك معك . أي ما عقلك معك ، وأين يذهب قلبك ؟ أي أين يذهب عقلك ؟ »^(١) .

وقال غيره : « إنما جاز ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ لأن مَنْ لا يعي الذكر لا يعتد بها له من القلب » ، والمعنى : لَمَنْ صرف قلبه إلى التفهم ، لأن مَنْ لم يتفهم كان بمنزلة مَنْ لا قلب له ، ألا ترى أن الكفار ما لم يستمعوا سماع تفهّم واسترشاد جعلوا بمنزلة مَنْ لا يسمع فقليل في صفتهم : ﴿صُمُّ بُكْمٌ﴾^(٢) ، وهذا قول أبي إسحاق^(٣) .

قوله تعالى : ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ . قال أبو عبيدة والفرّاء : « يقال : ألقى سمعه إلى الشيء ، وألقى سمعك إليّ : استمع مني » . فمعنى : ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع^(٤) ، وليس يراد بالسمع هاهنا الأذن ، وإنما يراد حاسة السمع ، كأنه قيل : وجّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له . وقوله : ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : « وهو شاهد غير غائب »^(٥) .

قال ابن قتيبة : « استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ »^(٦) . فالمعنى : وهو شهيد بالفهم والقلب .

قال أبو إسحاق : « ويجوز أن يكون : ﴿وَهُوَ﴾ كناية عن القلب . أي وقلبه حاضر في ما يسمع »^(٧) .

(١) انظر : معاني القرآن ٨٠ / ٣ .

(٢) انظر : من الآية ١٨ والآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٨ / ٥ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٢٤ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٨٠ / ٣ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٦٢ ، وتفسير مقاتل ١٢٥ ب .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن ٤١٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٤٩ / ٥ .

٣٨. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. قال جماعة المفسرين^(١): «إن اليهود قالت: خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فذلك لا يعمل فيه شيئاً، فأكذبهم الله - تعالى - بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾». قال الكسائي: «يقال لَغَبَ بالفتح يَلْغُبُ بالضم لغوباً، وَلِغَبَ بالكسر يَلْغَبُ بالفتح لغباً - لغتان فهو لاغِب»^(٢).

قال ابن عباس: «يريد كما يلغب المخلوقون إذا عملوا من النَّصَب والتَّعب والإعياء»^(٣).

٣٩. قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ يعني على بهت اليهود وكذبهم في قول مقاتل^(٤). وقال مقاتل^(٥): «نزلت في المستهزئين بالقرآن، ولم يكن أذن لرسول الله ﷺ في القتال بعد».

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ أي صَلِّ حمداً لله تعالى ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. قال مقاتل: «يعني صلاة الفجر والعصر»^(٦)، وزاد عطاء والكلبي عن ابن عباس: «صلاة الظهر»^(٧).

(١) انظر: تنوير المقباس ٢٦٢/٥، وتفسير مقاتل ١٢٥ ب، وتفسير عبدالرزاق ٢٣٩/٢، وجامع البيان ١١/٢٦، وأسباب النزول للواحدي ٤٥٨، وبهذا قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وغيرهم. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٤٥٠ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) انظر: اللسان (لغب) ٣/٣٧٥، والمفردات ٤٥١.

(٣) انظر: لم أجده.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ١٢٥ ب، والوسيط ١٧٠/٤، ومعالم التنزيل ٢٢٦/٤.

(٥) ورد غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٤، وفتح القدير ٨٠/٥، ولم ينسب لمقاتل.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ١٢٥ ب، وفيه: (يعني صلاة الفجر والظهر والعصر).

(٧) انظر: تنوير المقباس ٥/٢٦٢، ٢٦٣، وهو المروي عن مقاتل. ومن المفسرين من علقه بصلاة =

٤٠. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ . قال عطاء ، والكلبي ، ومقاتل : «يريد المغرب والعشاء»^(١) .

(وإدبار السجود) بكسر الهمزة^(٢) مصدر أدبر الشيء إدباراً إذا ولى ، وانتصابه هاهنا على الظرف . والمصادر تجعل ظرفاً على إرادة إضافة أسماء الزمان إليها وحذفها كقولك : جئتكم مقدّم الحاج ، وخفوق النجم ، وخلافة فلان . تريد في ذلك كله : وقت كذا ، وحذفته . فكذا يُقدّر في قوله : وقت إدبار السجود ، إلا أن المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل ، ومن فتح الهمزة جعله جمع دُبُرٍ أو دُبُرٍ ، مثل : قُفْل ، وأقفال ، وطُنْبٍ وأطناب . وقد استعمل ذلك ظرفاً في نحو : جئتكم في دبر الصلاة ، وفي أدبار الصلوات ، وعلى دبر الشهر الحرام^(٣) .

قال أوس^(٤) :

على دُبْرِ الشَّهِرِ الْحَرَامِ بِأَرْضِنَا وما حَوْلَهَا جَدْبٌ سِنُونَ تَلَمَّعُ

واختلفوا في المأمور به في أدبار السجود ، فروى عطاء عن ابن عباس قال : «يريد الوتر الذي جعله سنّة بعد الصلاة»^(٥) .

الفجر وصلاة العصر ، ومنهم من علّقه بوقت الفجر ووقت العصر . انظر : جامع البيان ١١٢/٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٢٩/٤ ، وفتح القدير ٨٠/٥ .

(١) انظر : الوسيط ١٧١/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٧/٤ .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو جعفر وخلف (وإدبار السجود) بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون بفتحها . انظر : حجة القراءات ٦٧٨ ، والنشر ٣٧٦/٢ ، والإتحاف ٣٩٨ .

(٣) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢١٣/٦ ، ٢١٤ .

(٤) لم أقف على البيت في ديوان أوس بن حجر ، وانظر : الحجة للقراء السبعة ٣٧٠/٢ ، ٢١٤ .

(٥) انظر : الوسيط ١٧١/٢ ، وروح المعاني ١٩٣/٢٦ .

وقال قتادة ومجاهد والكلبي ومقاتل : «يعني الركعتين بعد صلاة المغرب»^(١) ، وهو مذهب علي ، وعمر ، وأبي هريرة ، والحسن ، والنخعي ، والشعبي ، وإبراهيم^(٢) ، والحسن بن علي رضي الله عنه . وروى ذلك مرفوعاً ، رواه كريب عن ابن عباس ، قال : قال لي النبي ﷺ : «يا ابن عباس ركعتان بعد المغرب أدبار السجود»^(٣) .

وروى مجاهد عن ابن عباس ، قال : «أمر بالتسييح ، وهو التسييح باللسان أدبار الصلوات المكتوبة»^(٤) ، وعلى هذا ، أمر بالتسييح بعد الفراغ من الصلاة . والسجود عبارة عن الصلاة .

واختار أبو عبيد فتح الهمزة ، وقال : «لأنه لا إدبار للسجود إنما ذلك للنجوم ، ولهذا لم يختلف في كسر ﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ [الطور: ٤٩]»^(٥) وأدبار جمع دُبر ، ويقال : دُبر الصلاة ؛ أي خلف الصلاة .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، وتفسير مجاهد ٢/٦١٣ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٤٠ ، والكشف والبيان ١١/١٨٣ .

(٢) إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي ، ثقة ، وكان أبوه من كتّاب الحجاج بن يوسف ، انظر : طبقات ابن سعد ٦/٣٣١ ، والتاريخ الكبير ١/٣٢٨ .

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الطور ٥/٣٦٦ ، عن هشام الرفاعي عن محمد بن فضيل ، وقال : «غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه» ، وأخرجه الطبري من وجه آخر عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف ، ولكن روى ابن المنذر من طريق أبي تميم الجشساني ، قال : «قال أصحاب رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ هما الركعتان بعد المغرب» . انظر : فتح الباري ٨/٥٩٨ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٢/٦١٣ ، وجامع البيان ٢٦/١١٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٠ . قال : «ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه» . وورد في الاستذكار لابن عبد البر ٥/٤٣١ : عن أبي رزين عن ابن عباس قوله : ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ، قال : «الصلاة المكتوبة يعني الصبح والعصر» ، وبه قال قتادة وغيره .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٢٥ ، وقد ردّ هذا الاختيار ، وقال : «وهذا مما أخذ عليه ، لأن معنى : ﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ وما بعده وما يعقبه فهذا للسجود ، والنجوم والإنسان واحد ، وقد روى المحدثون الجلة تفسير : ﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ ﴿وَأَدْبَرَ النُّجُومَ﴾ فلا نعلم أحداً منهم فرق ما بينهما» .

٤١. قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ . مفعول الاستماع محذوف على تقدير: واستمع النداء أو الصوت ، أو الصيحة ، وهي صيحة القيامة والبعث والنشور . واختلفوا في المنادي ، فقال الكلبي : «هو جبريل»^(١) .

وقال مقاتل : «هو إسرافيل ، وهو أنه ينادي بالحشر فيقول : يا أيها الناس ، هلموا إلى الحساب ، وذلك في النفخة الأخيرة»^(٢) .

وقوله : ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ . أكثر المفسرين^(٣) على أنه صخرة بيت المقدس . قال الكلبي : «وهي أقرب^(٤) الأرض من السماء باثني عشر ميلاً» ، ونحو ذلك قال مقاتل ، قال : «وهو وسط الأرض»^(٥) .

وروى عطاء عن ابن عباس قال : «يريد من تحت أقدامهم»^(٦) . يعني أن النداء بالحشر يسمعه كل أحد من مكان قريب منه ، حتى كأنه يسمعه من تحت قدميه .

٤٢. ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ . قال المفسرون^(٧) : «يعني النفخة الثانية ، ويجوز أن يريد النداء للبعث» ، وهو قول المنادي : «يا أيها العظام

(١) انظر : معاني القرآن للفرأء ٣/ ٨١ ، والكشاف ٤/ ٣٥ ، وفتح القدير ٥/ ٨١ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٧ ، وجامع البيان ٢٦/ ١١٤ عن بريدة ، والدر ١١١/ ٦ .

(٣) ومن قال به : كعب الأحبار ، وقتادة ، ويزيد بن جابر ، وابن عباس ، وبريدة . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٤٠ ، وجامع البيان ٢٦/ ١١٤ ، وروح المعاني ٢٦/ ١٩٤ .

(٤) (أقرب) ساقطة من (ك) . انظر : الوسيط ٤/ ١٧٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٨ ، وتفسير القرطبي ٢٧/ ١٧ .

(٥) ورد في تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، وجامع البيان ٢٦/ ١١٤ عن قتادة .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥/ ٢٦٤ .

(٧) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٢٨ .

البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحوم المتمزقة ، والشعور المتفرقة ،
إن الله يأمر كُن أن تجتمعن لفصل القضاء»^(١) .

قوله تعالى : ﴿بِالْحَقِّ﴾ . قال الكلبي : «بالبعث»^(٢) ، وقال مقاتل : «يعني أنها كائنة حقاً»^(٣) . ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد كنتم أحياء وأمتناكم ثم إلينا مصيركم»^(٤) . وعلى معنى قول الكلبي ومقاتل ، معناه : إِنَّا نَحْنُ نُمِيتُ فِي الدُّنْيَا وَنُحْيِي لِلْبَعْثِ^(٥) .

﴿وإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ . والواو لا توجب ترتيباً .

٤٤ . قوله : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ﴾ . (يوم) ظرف للمصير .

قوله تعالى : ﴿سِرَاعًا﴾ ؛ أي خارجين سِرَاعاً يسرعون إلى الداعي ، قال : ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر : ٨] .

قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ حَسْرَةً عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ . قال عطاء : «بَعُثْ عَلَيْنَا سَهْل»^(٦) ، وقال الكلبي : «سَوْقَ عَلَيْنَا هِين»^(٧) .

وقال مقاتل : «جَمْعُ الْخَلَائِقِ عَلَيْنَا هِين» . ثم عَزَى نَبِيَهُ ﷺ ، فقال :

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، ١٢٦ أ ، والكشف والبيان ١١ / ١٨٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٧ .

(٢) انظر : الوسيط ٤ / ١٧٢ ، وفتح القدير ٥ / ٨١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، والوسيط ٤ / ١٧٢ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٦٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٥ ب ، والوسيط ٤ / ١٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٧ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٧ .

(٧) لم أجده ، وهو بمعنى سابقه ولاحقه .

٤٥. ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ؛ يعني كفار مكة ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ . قال المفسرون : «بمسلط»^(١) . قال ابن عباس : «لم تُبعث لتجبرهم على الإسلام والهدى ، إنما بعثتُ مذكراً وذلك قبل أن يؤمر بالقتال»^(٢) .

قال ابن قتيبة : «وجبار ليس من : أجبرت الرجل على الأمر ، إذا قهرته عليه ، لأنه لا يقال من ذلك ، والجبار الملك ، سمي بذلك لتجبره» .

يقول : «فلمست عليهم بملك مسلط»^(٣) ، وهذا قول الفراء ، قال : «لا يقال : دَخَلَ بمعنى مُدْخِل ، ولا خَرَّاج بمعنى مخرج . والجبار من الجبرية ، وأنشد قول عمرو :

عَصَيْنَا أَمْرَهُ الْجَبَّارِ فِينَا^(٤)

قال : يريد المنذر^(٥) لولايته» .

ثم قال : «وقد قالت العرب : دَرَّأَكَ مَنْ أدركت ، فإن قلت : الجبار على هذا مَنْ أجبرت ، فهو وجه» . قال : «وسمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر ، فالجبار من هذه اللغة صحيح ، يريد : يجبرهم ويقهرهم»^(٦) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦/أ ، وجامع البيان ٢٦/١١٥ ، والوسيط ٤/١٧٢ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥/٢٦٥ ، والوسيط ٤/١٧٢ ، وفتح القدير ٥/٨١ .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٤١٩ .

(٤) البيت لعمر بن كلثوم ، ولم أجده بهذا اللفظ عند غير المؤلف . انظر : الديوان ٣٤٩ ، وشرح المعلقات السبع للزوزني ١٠٩ ، ورواية الديوان :

إذا ما الملك ساء الناس خسفاً أبينا أن نقر السذل فينا

(٥) هو : المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ملك الحيرة بعد أبيه ، خرج يطلب دم أبيه من الحارث بن أبي شمر الغساني ، فقتله الحارث ، وقيل قتله مرة بن كلثوم التغلبي أخو عمرو بن كلثوم . انظر : المعارف ٦٤٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٨١ ، وجامع البيان ٢٦/١١٥ .

قوله : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ . قال ابن عباس : « فِعِظْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ مَا وَعَدْتَ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْعَذَابِ »^(١) .

قال الكلبي : « نُسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَأَمْثَالُهَا بِآيَاتِ الْقِتَالِ »^(٢) .

* * *

(١) انظر : تنوير المقياس ٢٦٥ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٨ / ١٧ .

(٢) انظر : نواسخ القرآن ٢٣٠ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٤١٧ ، وفتح القدير ٨١ / ٥ .

تفسير

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. ﴿وَالذَّرِيَّتِ﴾ . قال جماعة المفسرين^(١) : «هي الرياح تذر التراب وهشيم النبات ؛ أي تفرقه كقوله : ﴿نَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]»^(٢) ، وقد مرَّ . وذكر جميع أهل اللغة أن ذرت وأذرت بمعنى واحد^(٣) .

قال أبو إسحاق : «﴿وَالذَّرِيَّتِ﴾ مجرور على القسم ، المعنى : أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء ، قال : وقال قوم : المعنى : وربّ الذاريات ، كما قال عز وجل : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾»^(٤) .

-
- (١) هو المروي عن عمر ، وعلي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٤١ ، وجامع البيان ١١٦/ ٢٦ ، وفتح الباري ٨/ ٥٩٨ .
- (٢) عند تفسيره الآية ٤٥ من سورة الكهف . ومما قال : «الهشم : الكسر ، والهاشم الذي يهشم الخبز ويكسره في الثريد ، وبه سُمي هاشمًا . والهشيم ما تكسر وتهشم وتحطم من يبس النبات» ، وقال المفسرون في الهشيم : «إنه الكسير المتفتت» .
- (٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٥ ، وتهذيب اللغة (ذرا) .
- (٤) من الآية ٢٣ من هذه السورة ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥١ .

٢. قوله : ﴿فَالْحَدِيدَ وَقَرًا﴾ يعني السحاب التي تحمل وقراً ؛ أي ثقلاً من الماء .

٣. قوله : ﴿فَالْجُرَيْدَ يُسْرًا﴾ يعني السفن تجري ميسرةً في الماء جرياً سهلاً .

٤. قوله تعالى : ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «يعني الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملّك الموت ، يقسمون الأمور بين خلقه في الأرض ، وهم المدبرات أمراً» .

قال المُبرِّد : «يفرقون في الناس ما أمرهم الله به»^(١) .

وقال الفرّاء : «جبريل صاحب الغلظة ، وميكائيل صاحب الرحمة ، وملّك الموت يأتي بالموت»^(٢) . هؤلاء سموا هذه الأربعة من الملائكة في تفسير المقسمات ، وغيرهم ذكروا الملائكة على العموم والإطلاق . قالوا في : ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا﴾ : إنهم الملائكة ، وهذا أولى من تخصيص الأربعة لقوله : ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ﴾ ؛ ومعناه : فالجماعات المقسمات ، يعني جماعات الملائكة الذين وكلوا بالأمور يقسمونها على ما أمروا به . وتفسير هذه الآيات على ما ذكرنا مروى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وتبعه المفسرون في ذلك فقالوا بقوله^(٣) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦أ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٨٢/٣ ، وتفسير القرطبي ٣/١٧ .

(٢) في (ك) : (بالرحمة) ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ٨٢/٣ .

(٣) هو المروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم . انظر : تفسير مجاهد ٦١٥/٢ ، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٤١ ، وجامع البيان ١١٦/٢٦ ، ١١٧ ، والمستدرک ٢/٤٦٧ عن علي بن أبي طالب ، قال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

وانتصب ﴿يُسْرًا﴾ على تقدير : فالجاريات جرياً يسراً ، فهو نعت مصدر محذوف ، وانتصب : ﴿أَمْرًا﴾ في قوله : ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ بالمقسمات ، أي يقسمون أمراً أمروا به^(١) .

ويجوز أن يكون المعنى : فالمقسمات بالأمر ؛ أي بأمر الله تعالى ، أمروا بذلك أمراً . وأما معنى القسم بهذه الأشياء ، إن قلنا : إنه على إضمار الرب كما ذكره الزجاج فهو ظاهر ، وإن قلنا : إنه أقسم بهذه الأشياء ، فوجه ذلك أنه إنما أقسم بالرياح لما فيها من عظيم العبر في هبوبها تارة وسكونها تارة ، وما فيها من الحاجة في تشيئة السحاب وتذرية الطعام ، واختلافها في العصور واللين ، فهي تقتضي مُصَرِّفًا لها ، ومسكنًا ، ومحركًا ، وأقسم بالسحاب لما فيه من الآيات ، وهو أنه ينبئ عن مُحْمِلِ حملة الماء ، وأمسكه من غير عماد ، وأغاث بمطره العباد ، وأحيا البلاد ، وصرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصار الناس إلى الهلاك ، ولو انقطع أصلاً لأضرَّ بهم جميعاً ، وأقسم بالسفن لما فيه من الدلائل بتسخير البحر لجريانها ، وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق ، وما في هداية النفوس إلى صنعتها ، وما في عظم النفع في ما ينتقل من بلد إلى بلد بها ، وأقسم بالملائكة لما فيه من اللطيفة وعظم الفائدة وجلالة المنزلة بتقسيم الأمور بأمر ربها . وقد دل بهذه الأشياء على توحيده في قوله : ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ الآية [البقرة : ١٦٤] .

٥ . ثم ذكر جواب القسم فقال : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما توعدون من أمر الساعة لحق ، وهو قول كائن يقع بكم في الآخرة»^(٢) .

وقال مقاتل : «إن الذي توعدون من أمر الساعة لحق» ، وهو قول مجاهد^(٣) .

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٢٩/٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/٦٨٦ .

(٢) انظر : تنوير المعباس ٢٦٦/٥ ، والوسيط ١٧٣/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦، وتفسير مجاهد ٢/٦١٥ .

٦. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّيْنَ لَوَفَّ﴾ . قالوا : «وإن الجزاء لكائن» ، وقال أبو إسحاق : «إن المجازاة على أعمالكم لواقعة»^(١) .

٧. ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ . معنى الحبك في اللغة : إجادة النسج . يقال : حبك الثوب ، أي أجاد نسجه ، وحبل محبوبك ، إذا كان شديد الفتل ، ومنه قول الراجل :

وإن تجعرت بمحبوك ممر^(٢)

وفرس محبوبك الكفل ، أي مدحه .

قال لبيد :

مُذْمَجُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَفَلِ^(٣)

قال شمر : «والمحبوك في اللغة ما أجيد عمله ، ودابة محبوكة إذا كانت مُذْمَجَةً الخلق»^(٤) ، وقال أبو عبيدة والمبرّد : «الحبك : الطرائق ، واحدها حبّاك ، وحبّاك الحمام ، طرائق على جناحيه ، وطرائق الماء حبكه»^(٥) ، وأنشد أبو عبيدة لزهير :

مُكَلَّلٌ بِأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ رِيحُ الْجَنُوبِ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ^(٦)

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٥١ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة ١ / ٣٦٢ ، واللسان (جر) ١ / ٤٦٥ ، وغيرهما ، ولم أجده منسوباً .

ليس الجعار منجياً من القدر وإن تجعرت بمحبوك ممر
الجعار : الحبل يُشد به وسط الرجل إذا نزل في البئر وطره في يد رجل . والحبك : الشد . والممر : الحبل الذي أجيد فتله ، وكل مفتول ممر . انظر : اللسان (مرر) ٣ / ٤٦٦ .

(٣) البيت في ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٤ ، وتهذيب اللغة (حرك) ٤ / ٩٧ . الحارك : أعلى الكاهل . ورواية الديون :

سَاهِمُ الْوَجْهِ شَدِيدُ أَشْرُهُ مُذْمَجُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَفَلِ

(٤) انظر : تهذيب اللغة (حبك) ٤ / ١٠٨ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٢٤ ، واللسان (حبك) ١ / ٥٥٥ .

(٦) البيت في ديوانه ١٧٦ ، والمحاسب ٢ / ٢٨٧ ، واللسان (حبك) ١ / ٥٥٥ . وفي الألفاظ بعض الاختلاف . والشاهد فيه أن النجم هو نبت يمتد على وجه الأرض بلا ساق .

وأنشد للفرزدق :

وأنت ابنُ جَبَّارِي رَبِيعَةَ حَلَقْتُ بك الشمسُ في الخُضراءِ ذاتِ الحَبَائِكِ^(١)

وقال الفرّاء : «الحبك تكسّر بكل شيء كالرملة إذا مرت بها الريح ، والماء الدائم إذا مرت به الريح ، والدرع إذا كانت من الحديد لها حُبْك أيضاً ، والشعرة الجعدة تكسرها حبك ، وواحد الحُبْك حَبَاك وحبّكة ، مثل طريقة وطرق ، ومثال ومثل»^(٢) .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ يريد الخلق الحسن»^(٣) ، وهو قول أبي صالح ، وأبي مالك وقتادة ، والربيع .

قال الحسن : «حُبَكْتُ بالخلق الحسن»^(٤) . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في تفسير الحبك ، قال : «حسنها واستواؤها»^(٥) .

وروى معمر عن قتادة : «﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الخلق الحسن الشديد»^(٦) ، وهو قول ابن زيد ، قال : «ذات^(٧) الشدة» ، وقرأ قوله : «سَبْعًا شِدَادًا» [النبا : ١٢] ، وهو معنى قول مجاهد : «متقنة البنيان»^(٨) .

(١) انظر : ديوانه ٥٦/٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٨٢/٣ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٦٦/٥ ، وجامع البيان ١١٧/٢٦ .

(٤) انظر : جامع البيان ١١٨/٢٦ .

(٥) انظر : جامع البيان ١١٨/٢٦ ، والدر ١١٢/٦ .

(٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٤٢/٢ .

(٧) انظر : جامع البيان ١١٨/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٢/١٧ .

(٨) انظر : تفسير مجاهد ٦١٦/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٤ .

وقال في رواية الكلبي: «ذات الطرائق، ولكنها بعيد عن العباد فلا يرونها كحبك الماء إذا ضربته الريح، وكحبك الرمل، وكحبك الشَّعر الجعد»^(١)، ونحو هذا قال مقاتل سواء^(٢)، وهو قول عكرمة، وقال: «إن بنيانها كالبرد المسلسل»^(٣).

وقال عبدالله بن عمرو: «هي السماء السابعة»^(٤)، يعني: أنها ذات الطرائق لا التي نراها. والاختيار عند أهل اللغة في تفسير: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: ذات الطرائق الحسنة^(٥).

٨. ثم ذكر جواب القسم فقال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: «يعني في محمد ﷺ، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون. وفي^(٦) القرآن: يؤمن به بعضكم ويكفر به بعضكم»^(٧).

(١) مراد المؤلف من قوله: (وقال في رواية الكلبي)؛ أي ابن عباس، وقد فصل بين الرواية الأولى وهذه بفواصل قد يوهم فوجب التنبيه. انظر: تنوير المقياس ٢٦٦/٥، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٢٦ أ.

(٣) انظر: جامع البيان ١١٨/٢٦، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٤.

(٤) انظر: جامع البيان ١١٨/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٣١/١٧. قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢٣٢/٤: «وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإنها من حسنهما مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء...». ٢٣٢. والصفيق: جيد النسيج.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥٢/٥. قال الشنقيطي -رحمه الله- في أضواء البيان ٧/٦٦٢-٦٦٤: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾؛ فيه للعلماء أقوال متقاربة لا يكذب بعضها بعضاً... والآية تشمل الجميع، فكل الأقوال حق.

(٦) في (ك): (يعني في)، والصواب ما أثبتته.

(٧) انظر: تنوير المقياس ٢٦٧/٥، والوسيط ١٧٤/٤، والتفسير الكبير ١٩٧/٢٨.

وقال الكلبي : «إنكم بين مصدق ومكذب بمحمد والقرآن»^(١) .

٩ . ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ . قال أبو عبيدة : «يدفع عنه ويحرمه»^(٢) .

وقال الفرّاء : «يَضْرِبُ عَنْهُ» . والكناية في ﴿عَنْهُ﴾ يجوز أن يكون للقرآن ، أو للإيمان^(٣) ، أو لمحمد ﷺ ، كل ذلك قد قيل .

قال ابن عباس : «يكذب به مَنْ يَكْذِبُ»^(٤) ، والمعنى : يُصْرِفُ عَنْهُ مَنْ صُرِفَ حتى يكذب به .

١٠ . قوله تعالى : ﴿قُلْ لِّلْخَرَّصُونَ﴾ . قال جماعة المفسرين وأهل المعاني^(٥) : «لُعِنَ الكذابون» . قال ابن الأنباري : «هذا تعليم لنا الدعاء عليهم ، معناه : قولوا إذا دعيتم عليهم : قُتِلَ الخراصون» . قال : «والقتل إذا أخبر عن الله به كان بمعنى اللعنة ، إن مَنْ لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك»^(٦) .

وأما الخراصون فقال أبو إسحاق : «هم الكذابون»^(٧) ، يقال : قد تَخَرَّصَ عليّ فلان بالباطل . قال : «ويجوز أن ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ﴾ يكون الخراصون الذين يتظنون الشيء لا يُحَقُّونه فيعملون بما لا يدرون صحته»^(٨) . قال الأزهرى :

(١) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٢٩ ، وفتح القدير ٥/ ٨٣ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٣/ ٨٣ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٢٦٧ ، والوسيط ٤/ ١٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٢٩ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٤٢ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ٨٣ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢١ ، وجامع البيان ٢٦/ ١١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٣٢ ، وفتح الباري ٨/ ٥٩٩ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٣٣ ، وفتح القدير ٥/ ٨٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٥٢ .

(٨) من قوله : (يقال : قد تَخَرَّصَ من كلام الرَّجَّاجِ) . انظر : معاني القرآن ٥/ ٥٢ .

«وأصل الخَرْص التَّظَنِّي في ما لا يستيقنه ، ومنه قيل : خرصت النخل والكرم ، إذا حرزته ، لأن الحرز فيه الظن لا الإحاطة ، ثم قيل للكذب خرص لما يدخله من الظنون الكاذبة»^(١) . واختلفوا في الخراصين هاهنا : مَنْ هم ؟ فقال^(٢) : «هم رؤساء قريش الذين رموه به رموه من السحر» ، وهو اختيار الفراء ، قال : «هم الذين قالوا : محمد شاعر ، كذاب ، مجنون ، ساحر ، وأشباه ذلك ، خرصوا ما لا علم لهم به»^(٣) ، وقال ابن عباس : «هم المقتسمون»^(٤) ، وهو قول مقاتل ، قال : «وتخرصهم أنهم قالوا للناس : إن محمداً شاعر ، وساحر ، ومجنون»^(٥) .

وقال مجاهد : «هم الكهنة» ، وهو اختيار أبي عبيدة^(٦) .

١١ . قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ سَاهُونَ﴾ . الغمرة ما غمر الشيء فغطاه . يقال : هذا نهر غمر . أي يغمر فيه مَنْ دخله^(٧) ، ومنه : ﴿غَمَرَتِ الْمَوْتُ﴾ ، وقد مرَّ^(٨) .

(١) انظر : تهذيب اللغة (خرص) ١٣/٧ .

(٢) قوله : (فقال) يدل على إسقاط صاحب القول ، وورد نحوه عن ابن عباس ، وابن زيد ، وغيرهما . انظر : تنوير المقباس ٢٦٨/٥ ، وجامع البيان ١١٩/٢٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٨٣/٣ .

(٤) انظر : معالم التنزيل ٢٢٩/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤/١٧ ، ومراده من المقتسمين ؛ أي أقسموا القول في النبي ﷺ ، فمنهم مَنْ رماه بالسحر ، ومنهم مَنْ رماه بالشعر ، ومنهم مَنْ رماه بالكهانة . انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ أ .

(٥) ورد في مجاز القرآن ٢٢٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩/٤ ، وجامع البيان ١١٩/٢٦ عن ابن عباس .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ١٢٨/٨ ، واللسان (غمر) ١٠١٣/٢ .

(٨) عند تفسيره الآية ٩٣ من سورة الأنعام . قال : «الغمرة شدة الموت وما يغشي الإنسان من همومه وسكراته . وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه ، ومنه غمرة الماء وغمرة الحرب . ويقال : غمره الشيء إذا علاه وغطاه» . قال الزَّجَّاج : «ويقال لكل مَنْ كان في شيء كثير : قد غمره ذلك . وغمره الدَّيْن ، إذا كثر عليه . هذا هو الأصل ثم يقال للشدائد والمكارة : الغمرات» .

قال ابن عباس : «في عمى وجهالة عن أمر الآخرة ساهون لاهون غافلون»^(١) . ومعنى السهو في اللغة الغفلة عن الشيء ، وذهاب القلب عنه . يقال : سهوا يسهو سهواً وسُهوّاً . ذكر ذلك الليث^(٢) .

١٢ . قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ . قال ابن عباس : «متى يوم القيامة الذي فيه الثواب والعقاب ؟»^(٣) .

وقال الكلبي ، ومقاتل : «يسألون النبي يقولون : يا محمد ، متى الساعة وقيامها ، واليوم الذي توعدنا به وتزعم أننا نُعَذَّب فيه ؟ تكذيباً منهم بالحساب ، واستهزاء»^(٤) .

و﴿أَيَّانَ﴾ معناه في اللغة متى ، وفيه لغتان ، فتح الهمزة وكسرها^(٥) ، وكأنه مركب من أي والآوان^(٦) فجعلنا كلمة واحدة .

١٣ . ثم أخبر الله - تعالى - عن ذلك اليوم الذي يسألون عنه فقال : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «نصب ﴿يَوْمَ﴾ على وجهين : أحدهما : على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار . والثاني : أن يكون لفظه نصباً ، ومعناه معنى رفع ، لأنه مضاف إلى جملة ، نقول : يعجبني يوم أنت قائم ، ويوم تقوم ، وإن شئت تحت ، وهو في موضع رفع ، وهذا كقوله : (ومن خزي يومئذٍ) [هود: ٦٦] ، ففتح يوم وهو في موضع

(١) انظر : تنوير المقياس ٢٦٨ / ٥ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩ / ٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (سهو) ٢٦٦ / ٦ ، واللسان (سها) ٢٣ / ٢ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٦٨ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ / ٤ ، والوسيط ١٧٤ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩ / ٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٢ / ٥ ، وتهذيب اللغة (أيان) ٥٤٩ / ١٥ ، والكشاف ١٠٧ / ٢ ، وقراءة

الكسر لعبدالرحمن السلمي ، وهي لغة لسليم .

(٦) في (ك) : (والألوان) ، والصواب ما أثبتته .

خفض ، لأنك أضفته إلى غير متمكن»^(١) . وقد ذكرنا هذه المسألة عند قوله : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^(٢) [المائدة: ١١٩] في قراءة مَنْ قرأ بالنصب . ومعنى ﴿ يُفْتَنُونَ ﴾ يحرقون ويعذبون بالنار ، وكذا قال المفسرون .

قال المُبرِّد : «يقال : فتنت الدينار ، إذا أحرقت عنه ما زيد فيه من الغش»^(٣) ، وهذا معنى قول مجاهد : «كما يفتن الذهب في النار»^(٤) . وقال عكرمة في هذه الآية : «ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل : فتن»^(٥) .

قال الزَّجَّاج : «ويقال للحجارة التي كأنها قد أحرقت بالنار : الفَتِين»^(٦) .

١٤ . قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا ﴾ ؛ أي يقول لهم خزنة النار : ذوقوا فتنتكم . قال مجاهد والكلبي : «حريقكم»^(٧) .

وقال آخرون : «عذابكم»^(٨) . وهو معنى والتفسير هو الأول .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٢ / ٥ ، ٥٣ . قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر (يوم) بالفتح ، وقرأ الباقون بكسرها . انظر : حجة القراءات ٣٤٤ ، والنشر ٢٨٩ / ٢ ، والإتحاف ٢٥٧ .

(٢) قرأ نافع (يوم) بالفتح ، وقرأها الباقون بالرفع . انظر : حجة القراءات ٢٤٢ ، والنشر ٢٥٦ / ٢ ، والإتحاف ٢٠٤ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : جامع البيان ١٢ / ٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٣ / ٤ .

(٥) انظر : جامع البيان ١٢ / ٢٦ ، والوسيط ١٧٤ / ٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٥٣ / ٥ .

(٧) انظر : جامع البيان ١٢١ / ٢٦ ، والوسيط ١٧٤ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٥ / ١٧ ، واللسان (فتن) ١١٣٧ / ٢ .

(٨) ورد في تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، وجامع البيان ١٢١ / ٢٦ ، ومعالم التنزيل ٢٢٩ / ٤ ، وقال صاحب تنوير المقباس ٢٦٨ / ٥ : «حرقكم وعذابكم ونضجكم» .

قوله تعالى : ﴿ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ . يجوز أن يكون متصلاً بالكلام الأول ، ويكون ﴿ هَذَا ﴾ إشارة إلى الفتنة وذكر إرادة الإحراق والعذاب^(١) ، ويجوز أن يكون الكلام قد تم ثم قيل لهم : هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا استهزاءً وتكدياً به ، وهذا مذهب أبي عبيدة^(٢) . ولما ذكر الله - تعالى - أن الجزاء على الأعمال كائن بقوله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُوا ﴾ ذكر جزاء أهل النار ، ثم أعلم ما لأهل الجنة عنده من الجزاء بقوله^(٣) تعالى :

١٥-١٦ . ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون^(٤) : « ما أعطاهم من الخير والكرامة » . وانتصابه على الحال ، والعامل فيه ما يقدر مع الجار في خبر إن ؛ لأن المعنى : يستقرون في جنات^(٥) .

ثم أثنى عليهم فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ يعني في الدنيا . قال مقاتل : « كانوا قبل ذلك الثواب محسنين في أعمالهم »^(٦) .

١٧ . ثم ذكر إحسانهم فقال : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ . والجمع معناه النوم بالليل دون النهار ، ومنه يقال : لقيته بعد هجعة . أي بعد نومة من الليل^(٧) . وكثر الاختلاف في تقدير هذه الآية . وتفسيرها أن (ما) صلة ، والمعنى كانوا يهجعون قليلاً من الليل ؛ أي لا ينامون بالليل كله

(١) انظر : التفسير الكبير ١٩٩ / ٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٥ / ١٧ ، وفتح القدير ٨٤ / ٥ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢٢٦ / ٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٢ / ٣ .

(٣) في (ك) : (بقوله قوله) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، والوسيط ١٧٥ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٣ / ٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٣ / ٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٣ / ٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، والوسيط ١٧٥ / ٤ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ١٢٩ / ١ ، واللسان (هجع) ٧٧٤ / ٣ .

ولا كثيره ، بل يصلون أكثر الليل^(١) . وعلى هذا التأويل قال عطاء^(٢) :
«ذاك إذا أمروا بقيام الليل ، فكان أبو ذر يأخذ العصا ويعتمد عليها
حتى نزلت الرخصة»^(٣) . ويجوز على هذا التأويل معنى آخر ، وهو أن
يكون الليل اسم الجنس ، والمعنى الذي ينامون فيه قليلاً . وهو معنى
قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال : «كانوا قَلَّ ليلة تمر بهم إلاَّ
صلوا فيها»^(٤) .

وقال مطرف بن الشَّخِير : «قَلَّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها»^(٥) .

وقال مجاهد : «كانوا لا ينامون كل الليل»^(٦) . ووجه آخر ، وهو الوقف على
قوله : ﴿قَلِيلًا﴾ ، ثم ابتداء فقال : ﴿مِنْ أَلْتِلِ مَا يَهْجُؤْنَ﴾ ، وهذا على نفي النوم عنهم
ألبتة ، وهو قول مقاتل والضحاك ، قالوا : «كانوا قليلاً»^(٧) . وعلى هذا القول عطاء
عن ابن عباس : «المراد بهؤلاء القليل ثمانون من نصارى نجران والشام ، آمنوا

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٨٤/٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٥٣/٥ .

(٢) في (ك) : (وعلى هذا التأويل قال عطاء) مكررة .

(٣) انظر : المصنف لابن أبي شيبة ٢٣٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦/١٧ ، والدرر ١١٣/٦ ، ونسب
تخرجه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وابن نصر .

(٤) انظر : جامع البيان ١٢٢/٢٦ ، والوسيط ١٧٥/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٣/٤ ، وقال الحاكم
في المستدرک ٤٦٧/٢ : «حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه» .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٤٣/٢ ، وجامع البيان ١٢٢/٢٦ ، والمصنف ٢٣٨/٢ ، ومعالم التنزيل
٢٣/٤ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٦١٧/٢ ، وجامع البيان ١٢٢/٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٣/٤ ، والمصنف
٥٦٨/١٣ .

(٧) ورد في جامع البيان ١٢٣/٢٦ ، والمصنف ٢٣٩/٢ ، والوسيط ١٧٥/٤ ، والتفسير الكبير
٢٨/٢٠٢ ، وقال مقاتل بقله نومهم في تفسيره ١٢٦ ب ، والله أعلم . وهذا القول رده بعض العلماء
لما فيه من تفكيك للنظم ، وتقدُّم معمول العامل المنفي بـ(ما) على عامله ، فهو لا يجوز عند البصريين .
انظر : الكشف ٢٨/٤ ، والبحر المحيط ١٣٥/٨ ، وفتح القدير ٨٤/٥ .

بمحمد ﷺ وصدّقه ، فذكرهم الله في غير موضع من القرآن^(١) ، وذكر وجهان آخران :

أحدهما : أن ﴿مَا﴾ في هذه الآية ما المصدر ، ويكون التقدير : كانوا قليلاً من الليل هجوعهم . وهذا الوجه ذكره أبو إسحاق والفراء ، وكذلك الوجه الأول^(٢) ، واختاره يعقوب ووقف على قوله : ﴿قَلِيلاً﴾^(٣) .

والآخر : أن (ما) بمعنى الذي ، والتقدير : كانوا قليلاً من الليل الذي يهجعون . وهذا قول الكلبي ، قال : «كانوا قليلاً من الليل الذي يناموا»^(٤) . ويجوز في هذا التأويل الوجهان اللذان ذكرنا في التأويل الأول ، بأن يجعل الذي يهجعون بعض الليلة الواحدة ، وبعض الليالي ، فيجعل الليل اسم الجنس . واختار المبرّد أن تكون (ما) صلة ، وقال : «لو كان (ما) للمصدر أو بمعنى الذي ، لكان ما قبلها مرفوعاً فيكون : قليل هجوعهم ، أو قليل الذي يهجعون»^(٥) .

١٨ . ﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ . وأجاز الفراء وأبو إسحاق النصب مع كون (ما) للمصدر^(٦) . وأقوال المفسرين موافقة للوجه التي ذكرناها ودالة

(١) انظر : الوسيط ٤ / ١٧٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٥٣ .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٣٦ ، وما ذكره القرطبي هو نقل يعقوب له لا اختياره ، قال : «قال ابن الأنباري : وهذا فاسد ، لأن الآية إنما تدل على قلة نومهم ، لا على قلة عددهم» . قلت : «مراد المؤلف - رحمه الله - أن يعقوب اختار الوجه الأول وهو المتقدم على هذا الوجه ، حيث قال : ووجه آخر وهو الوقف على قوله : ﴿قَلِيلاً﴾» . انظر : القطع والائتناف ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(٤) ورد في جامع البيان ٢٦ / ١٢٣ ، واختاره ابن جرير قائلاً : «لأن الله - تبارك وتعالى - وصفهم بذلك مدحاً لهم وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته في ما يقربهم منه ويرضيه عنهم ، أولى وأشبه من قلة العمل وكثرة النوم ، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل» .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٥٣ .

عليها . فأما قول مَنْ قال : «كانوا لا ينامون عن العشاء الآخرة» ، وهو قول أبي العالية ، ونحو ذلك قال محمد بن علي : «كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة»^(١) .

وروى قتادة عن أنس في هذه الآية ، قال : «كانوا يصلون بين المغرب والعشاء»^(٢) . فهذا يحمل على أن الله - تعالى - عَدَّ هجوعهم قليلاً في جنب تعظيم الصلاة ومحافظتهم عليها حتى لا يشتغلوا عنها بالنوم . ويدل على أن المراد سهرهم بالليل ، وقلة نومهم ، قوله تعالى : ﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ . قال عطاء ، والكلبي ، ومقاتل ، ومجاهد : «يصلون»^(٣) ، ففسروا الاستغفار بالصلاة ، على أن صلاتهم بالأسحار طلب منهم مغفرة الله تعالى . وذهب آخرون إلى ظاهر الاستغفار باللسان ، وهو قول ابن مسعود والحسن . وقال أنس : «أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفاراً»^(٤) .

١٩ . ثم ذكر صدقاتهم فقال : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ . معنى المحروم في اللغة : الذي حُرِمَ الخير حرماناً . روى أبو عبيد عن الأصمعي : «حَرَمْتُ الرجل العطيةَ آخرِ مه حَرَمَاناً» ، وزاد أبو نصر^(٥) : «وَحَرِيمَةً» ، ولغة أخرى : «أَحَرَمْتُ» ، وليست بجيدة^(٦) .

-
- (١) انظر : جامع البيان ١٢٢/٢٦ ، ومعالم التنزيل ٣٢٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦/١٧ .
- (٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٤٣/٢ ، ومعالم التنزيل ٢٣/٤ .
- (٣) ورد في تفسير مجاهد ٦١٨/٢ ، وتفسير مقاتل ١٢٦ب ، وجامع البيان ١٢٤/٢٦ ، والمصنف ٣٢٧/١٣ عن ابن عمر ، وانظر : الوسيط ١٧٥/٤ .
- (٤) لم أجده .
- (٥) أحمد بن حاتم النحوي ، إمام مشهور ، كتب النحو واللغة ، وصنَّفَ فيهما . قال الأصمعي : «لا يُصَدَّقُ عليَّ إلا أبو نصر» ، حدَّث عنه ثعلب ، وتوفي سنة ٢٣١ هـ . انظر : الأعلام ١٠٤/١ ، وإنباه الرواة ٣٦/٦ ، وتاريخ بغداد ١١٤/٤ ، ومعجم الأدباء ٢٨٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٨٦/١ .
- (٦) انظر : تهذيب اللغة (حرم) ٤٦/٥ .

واختلفوا في المحروم هاهنا : مَنْ هو ؟ فقال ابن عباس : «هو الْمُحَارَفُ» ، وهو قول نافع ، وسعيد بن المسيب ، ورواية قيس بن كَرْكَم^(١) عن ابن عباس ، واختيار الفراء^(٢) . وفَسَّر إبراهيم ، ومجاهد : المحروم المحارف ، فقالوا : «هو الذي ليس له في الغنيمة شيء ، ولا في الإسلام سهم ، ولا يجري عليه من الفيء شيء»^(٣) . يدل على صحة هذا التأويل ما روى الحسن بن محمد بن الحنفية^(٤) أن النبي ﷺ بعث سرية ، فغنموا ، فجاء بعدهم قوم لم يشهدوا ، فنزلت هذه الآية . وقال قتادة والزهري : «المحروم المتعفف الذي لا يسأل» . وذكر الزهري قوله ﷺ : «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ، والأكلة والأكلتان» . قالوا : فَمَنْ المسكين يا رسول الله ؟ قال : «الذي لا يجد غنى ولا يُعْلَم بحاجته فيتصدق عليه»^(٥) .

قال الزهري : «فذلك المحروم»^(٦) .

- (١) قيس بن كَرْكَم . قال ابن حبان : «هو قيس بن شَقِي ، روى عن ابن عباس ، وعنه أبو إسحاق الهمداني ، وقال الأزدي : «ليس بذاك ، ولا أحفظ له حديثاً مسنداً» . انظر : لسان الميزان ٤/٤٧٩ ، والتاريخ الكبير ٤/١٤٩ ، والجرح والتعديل ٧/١٠٣ ، والثقات لابن حبان ٥/٣١٢ .
- (٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٨٤ ، وجامع البيان ٢٦/١٢٤ ، والكشف والبيان ١١/١٨٣ ب ، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٤ .
- (٣) تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، وجامع البيان ٢٦/١٢٥ ، وتفسير القرطبي ١٧/٣٨ . المحارف : الذي لا يصيب خيراً من وجه توجه له . انظر : اللسان (حرف) ١/٦١٠ .
- (٤) أبو محمد الحسن بن محمد بن الحنفية ثقة ، فقيه . يقال إنه أول مَنْ تكلم في الإرجاء ، توفي سنة ١٠٠ هـ أو قبلها بسنة . انظر : جامع البيان ٢٦/١٢٥ ، والكشف والبيان ١١/١٨٣ ب ، والدر ٦/١١٣ .
- (٥) حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ النَّاسُ الْكُفَّاءَ﴾ ٢/١٥٣ ، وفي ألفاظه اختلاف ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ٢/٧١٩ ، والنسائي في سننه في كتاب الزكاة ، باب تفسير المسكين ٢/٤٥٣ ، وأحمد في المسند ٢/٢٦ .
- (٦) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٤٣ ، والكشف والبيان ١١/١٨٣ ب ، والوسيط ٤/١٧٥ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣١ .

وقال عكرمة : «هو الذي لا ينمو له مال»^(١) ، وهو رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد .

وقال ابن زيد : «هو المصاب ثمره ، أو زرعه ، أو نسل ماشيته» ، وهو قول القرظي ، قال : «المَحْرُوم صاحب الجائحة» ، واحتج بقوله : ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ [القلم: ٢٧]^(٢) .

وقال الشعبي : «أعياني أن أعلم ما المحروم في هذا الحق»^(٣) .

وقال ابن سيرين : «هو الزكاة»^(٤) ، وهو قول مجاهد في رواية منصور ، قال : «كانوا إذا حصدوا أعطوا الزكاة»^(٥) .

وروى ابن أبي نجيح عنه قال : «حق سوى الزكاة»^(٦) .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ . قال ابن عباس في رواية الكلبي ومقاتل : «يعني ما فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات عاماً بعام» ، وزاد الكلبي : «وما فيها من آثار الأمم المهلكة ، ففي هذا كله عبر وآيات للموقنين بالله يعرفونه بصنعه ويوحّدونه»^(٧) .

(١) انظر : جامع البيان ١٢٦/٢٦ ، والكشف والبيان ١٨٣/١١ ب ، والدر ١١٣/٦ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٢٦/٢٦ ، ومعالم التنزيل ٢٣١/٤ ، وتفسير القرطبي ٣٩/١٧ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٢٦/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٧ .

(٤) ورد في الدر ١١٣/٦ عن ابن عمر ، وفتح القدير ٨٤/٥ .

(٥) لم أجده .

(٦) ذكره مجاهد في تفسيره ٦١٨/٢ ، وصاحب جامع البيان ١٢٦/٢٦ ، وأخرجه عن زيد بن أسلم ، ثم قال بعد إيراده الأقوال : «فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم كما قال جل ثناؤه : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾» . وبهذا قال النحاس ، وأبو حيان ، والشوكاني ، وغيرهم . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٣٤/٣ ، والبحر المحيط ١٣٦/٨ ، وفتح القدير ٨٥/٥ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٢٧/٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٦ ب ، والجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٧ ، ٤٠ ، وفتح القدير ٨٥/٥ .

٢١. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ . المعنى : وفي الأرض وفي أنفسكم آيات ، قاله
الفراء^(١) .

قال مقاتل : «وفي خلق أنفسكم حين كان نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً
ثم لحماً ثم نفخ فيه الروح»^(٢) . وهذا معنى قول قتادة ، وفي خلقه أيضاً إذا فكرت
فيه معتبراً^(٣) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «اختلاف الألسنة والألوان والصور
والطبائع»^(٤) . وروي عن ابن الزبير أنه قال : «يعني سبيل الخلاء والبول ، يأكل
ويشرب من مدخل واحد ، ويخرج من سبيلين»^(٥) . وهذا معنى ما روى عطاء
عن ابن عباس : «مدخل الطعام والشراب واحد ، ومخرجهما موضعان»^(٦) . قال
الفراء : «ثم عَنَّفَهُمْ فَقَالَ : ﴿أَفَلَا بُصِّرُونَ﴾»^(٧) . قال مقاتل : «أفلا تبصرون كيف
خلقكم الرب ، فتعرفوا أنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم»^(٨) .

٢٢. قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل
ومجاهد : «يريد المطر»^(٩) .

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب .

(٣) انظر : تفسير عبد الرزاق ٢ / ٢٤٤ ، وجامع البيان ٢٦ / ١٢٦ .

(٤) انظر : الوسيط ٤ / ١٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣١ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٦ / ١٢٦ ، والوسيط ٤ / ١٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣١ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٧٠ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب .

(٩) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، وجامع البيان ٢٦ / ١٢٧ ، والوسيط ٤ / ١٧٦ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ . قال عطاء: «من الثواب والعقاب»^(١)، وقال الكلبي: «من الخير والشر»، وقال مجاهد: «الجنة والنار»^(٢)، وقال مقاتل والربيع وابن سيرين: «وما توعدون من أمر الساعة»^(٣).

٢٣. ثم أقسم الرب بنفسه فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ . قال الكلبي: «يعني هذا الذي قصص في الكتاب لكائن»^(٤).

قال أبو إسحاق: «يعني أن الذي ذكر من أمر الرزق والآيات وأمر النبي ﷺ حق»^(٥)، وقال مقاتل: «يعني أن أمر الساعة لكائن»^(٦) ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ قرئ ﴿مِثْلَ﴾ رفعا ونصباً^(٧). فمن قرأ بالرفع جعله من صفة الحق. قاله الفراء والزجاج^(٨). قال أبو علي: «وجاز أن يكون (مِثْلُ) وإن كان مضافاً إلى صفة للنكرة، لأن مثلاً لا تختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع التماثل بها، فلما لم تخصصه بالإضافة، ولم يزل عنه الإيهام والشياع الذي كان فيه قبل الإضافة بقي على تنكيره فقالوا: مررت برجل مثلك، فكذلك في الآية لم يتعرف بالإضافة إلى

(١) انظر: الوسيط ١٧٦/٤، ومعالم التنزيل ٢٣١/٤.

(٢) ورد في الوسيط ١٧٦/٤، وفتح القدير ٨٥/٥، والكشف والبيان ١١/١٨٧، منسوباً إلى الضحاك، وروي عن مجاهد قال: «يعني الخير والشر»، وعن الضحاك قال: «الجنة والنار»، والمعاني متقاربة، ولعل من قال: الخير والشر أقرب إلى الصواب؛ إذ يشمل الدنيا والآخرة، وما فيها من خير وشر، والله أعلم. انظر: تفسير مجاهد ٦١٨/٢، وجامع البيان ١٢٧/٢٦، ومعالم التنزيل ٢٣١/٤.

(٣) انظر: فتح القدير ٨٥/٥.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٨٤/٣، والوسيط ١٧٦/٤، وفتح القدير ٨٥/٥.

(٥) انظر: معاني القرآن ٥٤/٥.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ١٢٦ب، والوسيط ١٧٦/٤.

(٧) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (مثل) بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب. انظر: حجة القراءات ٦٧٩، والنشر ٣٧٧/٢، والإتحاف ٣٩٩.

(٨) انظر: معاني القرآن للفراء ٨٥/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٥٤/٥.

﴿أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ وإن كان قوله : ﴿أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ بمنزلة نطقكم^(١) . وأمّا في قوله : ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ﴾ فقال الفرّاء : «العرب تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما كقول الشاعر :

ما إن رأيت ولا سمعتُ به^(٢)

فجمع بين ما وإن وهما^(٣) جحدان ، أحدهما يجزي عن الآخر^(٤) ، فعلى هذا القول (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر ، وكذلك ﴿أَنْ﴾ فكأنه قيل : مثل نطقكم . وقال المبرّد : «مَا» زائدة . وبه قال أبو علي ، وأبى أن تكون التي بمنزلة أن مع الفعل فتكون مصدراً ، وقال : «لأنه لا فعل معها ، والتي تكون مع الفعل بمنزلة اسم المصدر تكون مقرونة مع الفعل كقوله : ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ﴾ [الأعراف: ٥١]»^(٥) والمعنى : فاليوم ننساهم نسياناً كنسيان يومهم هذا ، ولكونهم جاحدين بآياتنا . قال : «ومثل زيادة (ما) هنا زيادتها في قوله : ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] ، وقوله : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، و﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠] . وأمّا مَنْ نصب ﴿مِثْلَ﴾ فقال أبو إسحاق : «هو في موضع رفع إلّا أنه لما أضيفت إلى (أَنْ) فتح»^(٦) .

(١) انظر : الحجة للقرّاء السبعة ٦/ ٢١٦ .

(٢) البيت لدريد بن الصمة يصف الخنساء ، وقد رآها تنهأ بعيراً أجرب ، وتقام البيت :

كاليوم طالى أُنْتِ جُرْبُ

انظر : ديوان دريد بن الصمة ٣٤ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٥٥ ، وشرح المفصل ٥/ ٨٢ ، ومغني اللبيب ٦٧٩ .

(٣) في (ك) : (ولإنها) .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرّاء ٣/ ٨٥ .

(٥) انظر : المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات ٣٣٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤ .

وشرحه أبو علي فقال : «مَنْ نصب (مثل) فإنه لَّمَّا أضاف مثل إلى مبنيٍّ وهو قوله : ﴿أَنْتُمْ﴾ بناه كما بُني (يومئذ) في قوله : (من عذاب يومئذٍ) [المعارج : ١١] ، و(ومن خزي يومئذٍ) [هود : ٦٦] ، و :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا^(١)

وقوله :

لَمْ يَمْنَعْ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرُ أَنْ نَطَقْتُ^(٢)

فغير في موضع رفع بأنه فاعل ، (يمنع) وإنما بنيت هذه الأسماء المبهمة نحو : مثل ، ويوم ، وحين ، وغير ، إذا أضيفت إلى المبني لأنها تكتسي منه البناء ، لأن المضاف يكتسي من المضاف إليه ما فيه من التعريف والتكثير والجزاء والاستفهام . تقول : هذا غلام زيد ، وصاحب القاضي . فيتعرف الاسم بالإضافة إلى المعرفة ، وتقول : غلام^(٣) مَنْ تضرب ؟ فيكون استفهاماً كما تقول : صاحب مَنْ تضرب ؟ فيكون جزاءً ، فَمَنْ بنى هذه المبهمة إذا أضافها إلى مبني جعل البناء أحد ما تكتسبه من المضاف إليه ، ولا يجوز على هذا : جاءني صاحب خمسة عشر ، ولا

(١) البيت للناطقة الديباني ، وتمامه :

وَقُلْتُ أَلَّمَا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازُعٌ

انظر : ديوانه ١٦٣ ، والكتاب لسيبويه ٣٣٢ / ٢ ، والكمال ١٥٨ / ١ ، والخزانة ٤٥٦ / ٢ ، والمصنف ٥٨ / ١ ، وارتشاف الضرب ٥٢٠ / ٢ .

(٢) صدر بيت لأبي قيس بن الأسلت ، وتمامه :

حَامَةٌ فِي غَصُونِ ذَاتِ أَوْقَالٍ

انظر : الكتاب ٣٦٩ / ١ ، وأمالى ابن الشجري ٦٩ / ١ ، والإنصاف ٢٨٧ ، والخزانة ٤٠٦ / ٣ . الأوقال : الثمار ، مفرداً وقُل . انظر : اللسان (وقل) ٩٧١ / ٣ .

(٣) في (ك) : (علا) .

غلام هذا ؛ لأن هذين من الأسماء غير المبهمة ، والمبهمة في إبهامها^(١) وبعدها من الاختصاص^(٢) كالحروف التي تدل على أمور مبهمة ، فلما أضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها . ثم ذكر قولين آخرين في نصب ﴿مِثْلَ مَا﴾ : أحدهما : أن تجعل (ما) مع (مثل) بمنزلة شيء واحد بنيته على الفتح ، وإن كانت ما زائدة ، وهذا قول أبي عثمان ، وأنشد في ذلك :

وَتَدَاعَى مَنْخِرَاهُ بِدَمٍ مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حِمَاضُ الْجَبَلِ^(٣)

فذهب إلى أن (مثل ما) بمنزلة شيء واحد ، ويدل على جواز بناء (مثل) مع (ما) وكونه معه بمنزلة شيء واحد قول حميد بن ثور :

وَوَيْحًا لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا هُنَّ وَيَحْمَا^(٤)

فبنى (ويحاً) مع (ما) ولم يلحقه التنوين .

ومثله ما أنشده أحمد بن يحيى :

أَتَوَرَّ مَا أَصِيدُكُمْ أَمْ تَوَرَّيْنِ^(٥)

(١) في (ك) : (أيامها) .

(٢) في (ك) : (الاختصاص) .

(٣) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ٨٧ ، وأمالى ابن الشجري ٦٠٤ / ٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٥ / ٨ ، واللسان (حمض) ٧١٩ / ١ ، ورصف المبانى ٣٧٩ . الحمّاض : بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء .

(٤) صدر البيت :

أَلَا هَيَّأَ مِمَّا لَقِيتُ وَهَيَّأَ

انظر : ديوانه ٦ ، واللسان (ويح) ٩٩٦ / ٣ ، والخصائص ١٨١ / ٢ ، والحجة ٢١٩ / ٦ ، ونسبه إلى حميد بن الأرقط في ديوانه ٧ .

(٥) هو من الرجز للنضر بن سلمة في الخصائص ١٨ / ٢ ، واللسان (ثور) ٣٨٦ / ١ ، والتصريح بمضمون التوضيح ٢٤ / ١ ، والحجة ٢٢٠ / ٦ . والآخر :

أَمْ تَيْكُمُ الْجَمَاءُ ذَاتَ الْقَرْنَيْنِ

أراد أثوراً أصيدكم ؟ فبني الثور على الفتح وجعله مع (ما) شيئاً واحداً .

القول الثاني : أن ينتصب على الحال من النكرة الذي هو (حق) في قوله : ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ ، والعامل في الحال هو الحق ؛ لأنه مصدر . وإلى هذا ذهب أبو عمر الجرمي . وقد حمل أبو الحسن^(١) قوله : ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢) أمراً ﴿[الدخان : ٤-٥] على الحال ، وذو الحال قوله : ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٣) أمراً ﴿وهو نكرة^(٤) . وذكر المبرّد أيضاً هذا الوجه فقال : يجوز أن يجعل حالاً للنكرة كقوله : هذا رجل قائماً^(٥) . وذكر الفراء والزجاج وجهاً آخر في انتصاب ﴿مِثْلَ مَا﴾ .

قال الفراء : «مَنْ نصب (مثل ما) جعله في مذهب مصدر كقولك : إنه لَحَقُّ حَقّاً»^(٦) .

وقال الزجاج : «يجوز أن يكون منصوباً على التوكيد على معنى : إنه لَحَقُّ حَقّاً ، مثل نطقكم»^(٧) ، هذا كلامهما . ومعناه أنه نصب لأنه نعت مصدر محذوف ، هذا هو الكلام في الإعراب .

وأما المعنى فقال أبو عبيدة : «مجازه كما أنكم تنطقون»^(٨) ، وهو قول ابن عباس قال : «يريد كما أنكم تنطقون»^(٩) .

(١) هو الأخفش ، وقد تقدّمت ترجمته .

(٢) انظر : الحجة للقرآن السبعة ٤/ ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٦/ ٢١٧-٢٢٢ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٨/ ١٣٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرآن ٣/ ٨٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٤ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٦ .

(٧) لم أجده .

قال الفرّاء : «إنه لحق كما أن الآدمي ناطق ، وللآدمي نطق لا لغيره»^(١) ، وقال الزّجاج : «هذا كما تقول في الكلام : إن هذا لحق كما أنك هاهنا ، وإن هذا لحق كما أنك متكلم»^(٢) . هذا قول هؤلاء ، وبيانه : أن الله - تعالى - شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده ، والواحد ممّا يعرف أنه ناطق ضرورة ، فإذا نطق لم يحتاج إلى استدلال على نطقه ، وعلى أنه ناطق لا يتخالجه في ذلك شك ، فكذلك ما أخبر الله - تعالى - عنه هو في صدقه ووجوده كالذي نعرفه ضرورة من غير استدلال بشيء .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ . ذكر قصة ضيف إبراهيم قد سبق في سورة هود والحجر^(٣) .

قال ابن عباس ومقاتل : «يريد قد أتاك»^(٤) .

وقال الكلبي : «لم يكن ذلك أتاه حديثهم في القرآن»^(٥) .

قال الفرّاء : «لم يكن علمه النبي ﷺ حتى أنزله عليه»^(٦) .

وقوله : ﴿ الْمُكْرَمِينَ ﴾ يعني عند الله عز وجل ، كما قال في صفة الملائكة : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] ، وعلى هذا دلّ كلام ابن عباس ؛ لأنه ذكر أسماءهم فقال : «يريد إسرافيل وجبرائيل وميكائيل»^(٧) ، وهو قول عبدالعزيز بن

(١) انظر : معاني القرآن ٣ / ٨٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥ / ٥٤ .

(٣) الآيات (٦٩-٧٦) من سورة هود ، ومن (٥١-٦٠) من سورة الحجر .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، والوسيط ٤ / ١٧٧ .

(٥) ورد في الوسيط ٤ / ١٧٧ من دون نسبة .

(٦) انظر : معاني القرآن ٣ / ٨٦ .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٧١ ، والوسيط ٤ / ١٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٤٤ .

يحيى . وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال : «إكرامهم خدمته إياهم بنفسه»^(١) . ونحو هذا قال مقاتل : «أكرمهم إبراهيم فأحسن عليهم القيام ، وكان لا يقوم على رأس ضيف ، فلما رأى هيأتهم حسنة قام هو وامرأته سارة لخدمتهم»^(٢) . وروى عن مجاهد أيضاً أنه قال : «أكرمهم بالعجل»^(٣) ، وهو قول الكلبي^(٤) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ . الكلام في إعراب هذه الآية والقراءات فيها قد مرّ مستوفى في سورة هود^(٥) .

قوله تعالى : ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ . قال الفرّاء والزّجاج : «رفعه على معنى : أنتم قوم منكرون»^(٦) .

وقال ابن عباس : «قال في نفسه : قوم منكرون»^(٧) ، وعلى هذا يكون : هؤلاء قوم منكرون . وهو الوجه ؛ لأن الظاهر أنه لم يخاطبهم بهذا ، ولو خاطبهم لأجابوه ، ولم يذكر جوابهم عن إنكاره إياهم ، وأيضاً فإنه لم تجر عادة الكرام بإنكار ضيفهم من كان ، وإخباره بأنه منكرهم . ومعنى ﴿مُنْكَرُونَ﴾ غير معروفين .

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٣٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٧ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب ، وفتح القدير ٨٧/٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٢٨/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٧ .

(٤) انظر : الوسيط ١٧٧/٤ ، وفتح القدير ٨٧/٥ .

(٥) عند تفسيره الآية ٦٩ من سورة هود . ومما قال : ﴿سَلَامٌ﴾ التقدير فيه : سلام عليكم ، فحذف الخبر كما حذف من قوله : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ؛ أي صبر جميل أمثل ، أو يكون المعنى سلام ، وشأني كما أن قوله : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يصلح أن يكون المحذوف منه المبتدأ . ومثل ذلك قوله : ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ على حذف الخبر أو المبتدأ الذي سلام خبره . اهـ . وفي قول (سلام) قرأ حمزة والكسائي (سَلَامٌ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف ، وقرأ الباقون (سلام) بفتح السين واللام وألف بعدها . انظر : حجة القراءات ٣٤٦ ، والنشر ٢٩٠/٢ ، والإتحاف ٢٥٨ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٦٠/٣ ، والحجة للقرّاء السبعة ٣٥٩/٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٨٦/٣ ، ٥٤/٥ .

(٧) الوسيط ١٧٨/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٤ .

واختلفوا لم أنكرهم إبراهيم عليه السلام ؟ فقال مقاتل : «ظن أنهم من الإنس . أي ظنهم إنساً ولم يعرفهم ، فلذلك أنكرهم»^(١) . ونحو هذا قال الكلبي وغيره ، وهو أنه رأى قوماً طيبي الريح حسان الوجوه فظنهم غرباً من الآدميين ، وحينئذ تهيأ لضيافتهم^(٢) . وهو قوله :

٢٦ . ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ . قال ابن عباس : «فمضى إلى منزل سارة»^(٣) .

وقال مقاتل : «فعمد إلى أهله»^(٤) . وقال أبو عبيدة : «فعدل إلى أهله»^(٥) .

ومعنى راغ في اللغة : عدل ومال . قال الفرّاء : «فرجع إلى أهله» . والروغ ، وإن كان على هذا المعنى ، فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مُحْفِيّاً لذهابه ومجيئه . ألا ترى أنك لا تقول : قد راغ أهل مكة ، وأنت تريد رجعوا وصدروا^(٦) ؟ ونحو هذا قال أبو إسحاق : «عدل إليهم من حيث لا يعلمون»^(٧) .

وقال المبرّد : «راغ إليه ؛ أي مال وعدل إليه . ولو قلت : راغ عنه ، كان معناه مال عنه وتباعد»^(٨) .

٢٧-٢٩ . قوله تعالى : ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى فقربه إليهم ليأكلوا منه ، فلم يأكلوا . فقال على النكير لحاهم : ﴿أَلَا

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٧٢ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٥/ ٢٧٢ ، ولفظه : (فرجع إبراهيم إلى أهله) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٦ ب .

(٥) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٢٦ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٨٦ .

(٧) انظر : معاني القرآن ٥/ ٥٤ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٨/ ١٨٦ ، واللسان (روغ) ١/ ١٢٥٧ .

تَأْكُلُونَ ﴿١﴾ ؛ أي أمركم في ترك الأكل مما أنكره^(١) . وما بعد هذا مفسّر في ما سبق إلى قوله : ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾^(٢) .

قال الفرّاء : «لم تُقبل من موضع إلى موضع ، إنما هو كقولك : أقبل يشتمني ، أي أخذ في شتمي»^(٣) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : «إقبالها في الصرة ، أخذها فيها»^(٤) ، ومعنى الصرة في اللغة : الصحية . قال أبو عبيدة : «يقال : أقبل يصطر»^(٥) . وقال السُّبرّد : «القوم في صرة واحدة ، إذا ارتفعت أصواتهم ، وأنشد قول مهلهل^(٦) :

فلولا الرّيحُ أسمعَ أهلَ حَجَرٍ صَرِيرَ البِيضِ يُقْرِعُ بالذُّكُورِ»^(٧) .

قال المفسرون : «في ضَبَّةٍ وصيحة» . قال الفرّاء : «وذكروا أن تلك الصحية أوّه بوزن : عَوّه»^(٨) ، وقال بعضهم : «كانت بقوله : يا ويلتا»^(٩) . قوله تعالى :

(١) انظر : معاني القرآن للزّجاج ٥٥ / ٥ .

(٢) عند تفسيره الآيتين (٦٩ و ٧٠) من سورة هود . ومما قال : «المراد بالرسل هاهنا الملائكة الذين أتوا على صورة الأدميين وظنهم أضيافاً» . قال ابن عباس : «وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل . البشرى هي الإشارة بالولد . والحنيد : اشتواء اللحم بالحجارة المسخنة ، وقيل النضيج . . . وأوجس : أي أضمر منهم خوفاً ، قاله أبو عبيدة والزّجاج وابن قتيبة . وقال عامة المفسرين : إن إبراهيم لما رآهم شباناً أقوياء ، لم يتحرموا بطعامه ، لم يأمن أن يكونوا جاؤوا ليلاً ؛ إذ إن سُنتهم في ذلك الدهر كانت إذا ورد عليهم القوم ، فأَتوا بالطعام فلم يمسه ظنوا أنهم عدو ولصوص ، فهناك أوجس في نفسه فزعاً ، ورأوا علامة ذلك في وجهه ، فقالوا : لا تخف .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٨٧ / ٣ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٧٤ / ٥ ، وجامع البيان ١٢٩ / ٢٦ .

(٥) ورد في مجاز القرآن ٢ / ٢٢٧ ، ونظام كلامه : «أي يصوتوا صوتاً شديداً» .

(٦) هو مهلهل بن ربيعة الثعلبي ، تقدمت ترجمته .

(٧) البيت ورد في ديوانه ٤١ ، والأصمعيات ١٥٥ .

(٨) انظر : معاني القرآن ٨٧ / ٣ ، واللسان (صرر) ٤٢٨ / ٢ .

(٩) انظر : الوسيط ٤ / ١٧٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٢ .

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ . قال ابن عباس : «وضعت أصابعها على وجهها»^(١) . وقال الكلبي ومقاتل : «جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً»^(٢) . ومعنى الصك : ضرب الشيء بالشيء العريض^(٣) .

قوله : ﴿مَجُورٌ عَقِيمٌ﴾ . قال الفرّاء : «رفعها بضمير تلد عجوز عقيم»^(٤) . وقال أبو إسحاق : «المعنى : وقالت : أنا عجوز عقيم فكيف ألد ؟» ، كما قال في موضع آخر : ﴿يَوَيْلَئِيَّ إِذْ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾^(٥) . قال الكلبي : «قالت من أين الولد لعجوز عقيم لا تلد^(٦) ؟» .

٣٠ . ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ ؛ أي كما قلنا لك : قال ربك : إنك ستلدين غلاماً ، أي إنما نخبرك عن الله عز وجل .

٣١-٣٤ . وما بعد هذا مفسّر في ما مضى^(٧) .

إلى قوله : ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «للمسرفين ، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها»^(٨) .

-
- (١) لم أجده ، والذي ذكره المفسرون هو المروي عن الكلبي ومقاتل ، وعند الطبري عن سفيان قال : «وضعت يدها على جبهتها تعجباً» . انظر : جامع البيان ١٢٩/٢٦ ، وانظر : أيضاً تنوير المقباس ٢٧٤/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٧/١٧ .
- (٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧/أ ، والوسيط ١٧٨/٧ ، وفتح القدير ٨٨/٥ .
- (٣) انظر : تهذيب اللغة ٤٢٨/٩ ، واللسان (صكك) ٤٥٩/٢ .
- (٤) انظر : معاني القرآن ٨٧/٣ .
- (٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٥/٥ .
- (٦) لم أجده عند الكلبي والمعنى ظاهر ، ونحوه روي عن عامة المفسرين . انظر : جامع البيان ١٢٩/٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٦/٤ .
- (٧) عند تفسيره الآيتين (٧٥ و٧٥) من سورة الحجر .
- (٨) ورد في تنوير المقباس ٢٧٥/٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٧/أ ، والمصنف ٥٢٣/١١ عن مجاهد ، وانظر : الوسيط ١٧٨/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٤ .

٣٥. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ يعني في قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وذلك قوله : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الحجر: ٦٥] ، وهو أن الله - تعالى - أمر لوطاً بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين ، لئلا يصيبهم العذاب .

٣٦. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ . قال مجاهد ومقاتل والمفسرون : «يعني : لوطاً وبنتيه»^(١) . وهذا مذكور في مواضع من التنزيل كقوله : ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ﴾ [الأعراف: ٨٣] ، وقوله : ﴿لَنْجِئَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [العنكبوت: ٣٢] ، وقوله : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ [القمر: ٣٤] الآيات . والتقدير في الآية : غير أهل بيت ، وكثر استعمال هذا حتى انطلق البيت على أهله ، فيقال : بيت شريف ، يراد به الأهل^(٢) . وسَمَّاهُمْ في الآية الأولى : مؤمنين ، وفي الثانية : مسلمين ، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً كما قال تعالى ذكره : ﴿قُلْ لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] .

٣٧. قوله تعالى : ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ . قال أبو إسحاق : «تركنا في مدينة قوم لوط علامة للخائفين تدلهم على أن الله أهلهم فيكل غيرهم عن فعلهم»^(٣) . هذا قول المفسرين ، وقال الفراء : «معناه وتركناها آية ، وأنت قائل للسماء : فيها آية ، وأنت تريد هي الآية بعينها»^(٤) .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٤ / ٣٣٣ ، واللسان (بيت) ١ / ٢٩٢ .

(٢) انظر : الوسيط ٤ / ١٧٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٣٦ ، وفتح القدير ٥ / ٨٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ / ٥٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ / ٨٧ .

٣٨. قوله : ﴿وَفِي مُوسَى﴾ . ذكر صاحب النظم أن هذا عطف على قوله : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . ﴿وَفِي مُوسَى﴾ ؛ أي وفي شأنه وقصته آية ، وهو ما ذكر بعد من غرق فرعون^(١) .

قال أبو إسحاق : « ويجوز أن يكون عطفاً على قوله : ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ »^(٢) .
فيكون المعنى : وتركنا في قصة موسى آية .

٣٩. قوله : ﴿فَتَوَلَّى بَرَكِيهٖ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «أي بجمعه وجنده ورهطه»^(٣) . وعلى هذا سمى جمعه ركناً له ، لأنه يتقوى بهم كالبنيان يتقوى بركنه . والباء يكون في ﴿بَرَكِيهٖ﴾ للتعدية ، أي جعلهم يتولون^(٤) . ويجوز أن يكون المعنى : تولى هو بسبب جنده ، أي بقوتهم وشوكتهم ، كما تقول : فعلت هذا بقوة فلان .

وقال الفرّاء : «أعرض بقوته في نفسه»^(٥) ، وعلى هذا ركنه قوته . وهذا راجع إلى الأول ، لأن قوته بجنده ، وقال أبو عبيدة : «فتولى بركنه ، وبجانبه سواء ، إنها هي ناحيته»^(٦) ، وهو اختيار ابن قتيبة ، قال : «فتولى بركنه ونأى بجانبه سواء»^(٧) ، وعلى هذا ، ركنه نفسه ، وهو قول المؤرج ، قال : «بركنه بجانبه»^(٨) .

(١) وهو قول الزجاج ، والزخشي ، وابن عطية ، ونسبه القرطبي إلى الفرّاء . انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٦/٥ ، والكشاف ٤/٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٤٩ ، وفتح القدير ٥/٩٠ . قال أبو حيان : «وهذا بعيد جداً ينزه القرآن عن مثله» .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥٦/٥ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢٧/٣ ، والوسيط ٤/١٧٩ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٣ ، وبه قال ابن زيد ومجاهد .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٨/٢٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٣/٨٧ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢/٢٢٧ .

(٧) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٢٢ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٥ .

٤١. قوله : ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾ . قال جماعة المفسرين^(١) : «هي التي لا تلقح شجراً ، ولا تثير سحاباً ، ولا تحمل مطراً ، ولا خير فيها ولا بركة ولا منفعة ولا رحمة ، ولا ينزل بها غيث ، إنما هي ريح الإهلاك ، وهي عذاب على مَنْ أرسلت عليه» .

قال سعيد بن المسيب : «هي الجنوب»^(٢) .

وقال مقاتل : «هي الدبور»^(٣) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : «هي النكباء»^(٤) .

وقال عبيد بن عمير : «مسكنها الأرض الرابعة ، وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور»^(٥) . ويقال للتي لا تلد من النساء عقيم ، وكذلك للذي لا يولد

-
- (١) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٢ ، وتفسير مقاتل ١٢٧أ ، وجامع البيان ٢٧/ ٤ ، وفتح القدير ٨/ ٩٠ .
- (٢) انظر : جامع البيان ٢٧/ ٤ ، والدر ٦/ ١١٥ . الجنوب : ريح تخالف الشمال تأتي عن يمين القبلة ، وهي رياح حارة ومهبها ما بين مهبي الصبا والدبور ، وقيل غير ذلك . انظر : اللسان (جنب) ١/ ٥٠٧ .
- (٣) ورد في تفسير مقاتل ١٢٧أ ، وتنوير المقباس ٥/ ٢٧٦ ، وهو المروي عن ابن عباس وغيره ، وهذا هو الثابت في الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ قال : «نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور» . انظر : صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾ : ٤/ ١٣٢ ، وكتاب الاستسقاء ، باب (نصرت بالصبا) ٢/ ٤٠ ، وصحيح مسلم في كتاب الاستسقاء ، باب في ريح الصبا والدبور ٢/ ٦١٧ ، والمسند ١/ ٢٢٣-٢٢٨ . الدبور : ريح تأتي من دبر الكعبة مما يذهب نحو الشرق . انظر : اللسان (دبر) ١/ ٩٤٠ .
- (٤) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥ ، والدر ٦/ ١١٥ عن علي بن أبي طالب . النكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، وهي تهلك المال وتحبس القطر . انظر : اللسان (نكب) ٣/ ٧١٢ .
- (٥) لم أجده ، وورد في العظمة ٤/ ١٣٣٣ عن عطاء بن يسار - رضي الله عنه - قال : «قلت لكعب رحمه الله تعالى : مَنْ ساكن الأرض الثانية ؟ قال : الريح العقيم ، لما أراد الله - عز وجل - أن يهلك قوم عاد أوحى إلى خزنتها أن افتحوا منها باباً قالوا : يا ربنا ، مثل منخر الثور ؟ قال : إذا تكفي الأرض بمن عليها . فقال : افتحوا منها مثل حلقة الخاتم» . قال : «والأقرب أن يكون موقوفاً على عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - من زاملتيه اللتين أصابها يوم اليرموك» ، والله أعلم .

له ، يقال له : رجل عقيم ، وفحل عقيم ، إذا كان لا يلقح ، وكما وصفت الرياح باللقاح في قوله : ﴿الرِّيحُ لَوْفَحَ﴾ [الحجر: ٢٢] ، وسُمِّيت بالعقيم هاهنا حين لم تلقح الشجر ولم تحمل المطر ، ثم وصف تلك الرياح فقال :

٤٢ . ﴿مَآذِرُ مِّنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ﴾ . قال مقاتل : «من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم»^(١) ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ كالشيء الهالك البالي . وذكر تفسير الرميم عند قوله : ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٢) . قال الفراء : «الريم نبات الأرض إذا يبس وديس»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «هو الورق الجاف المتحطم»^(٤) .

٤٣ . وقوله : ﴿وَفِي ثُمُودَ﴾ ؛ أي وفي ثمود أيضاً آية . ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا﴾ . قال صالح لهم ذلك فعفروها ، فقال : تمتعوا ؛ أي عيشوا ، وقد مرَّ^(٥) . قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ . قال عطاء والكلبي : «يعني ثلاثة أيام»^(٦) . والمعنى إلى .

٤٤ . ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَلَخَذَتْهُمُ الصَّحَقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ . حين يأتيكم العذاب فأتاهم يوم الرابع . وقد قال في سورة هود : ﴿فَعَفَرُوها فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧أ ، ومعالم التنزيل ٢٣٣/٤ .

(٢) عند تفسيره الآية ٧٨ من سورة الحجر . ومما قال : «قال أبو عبيدة : الرميم مثل الرمة . يقال رم العظيم وهو يرم رمّاً وهو رميم» ، وقال ابن الأعرابي : «رمت عظامه وأرمت ، إذا بليت» ، وقال أبو عبيدة : «الريم : الرفات» .

(٣) انظر : معاني القرآن ٨٨/٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥٧/٥ .

(٥) عند ذكره - سبحانه - لقصتهم في سورة هود .

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧/٥ ، والوسيط ١٧٩/٤ ، والتفسير الكبير ٢٨/٢٢٣ .

قوله تعالى : ﴿فَاَخَذَتْهُمُ الصَّعَقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد الموت ، والصاعقة الموت»^(١) .

وقال مقاتل : «يعني العذاب»^(٢) . وتفسير الصاعقة : كل عذاب مهلك ، وقد تقدّم القول فيها^(٣) .

وقرأ الكسائي (الصَّعَقَةُ)^(٤) ، وقال المُبرِّد : «وهي مصدر مثل الضربة . قال : والصعقة إنما هي مثل الزجرة ، وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة . والصاعقة هي النازلة بعينها ، وأنشد لعوف القوافي^(٥) فقال :

لَا حَ سَحَابٍ فَرَأَيْنَا بَرَقَهُ ثُمَّ تَدَانَى فَسَمِعْنَا صَعَقَهُ
وقوله : ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ؛ أي يرون ذلك .

(١) انظر : الوسيط ١٧٩ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٣٤ / ٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، والوسيط ١٧٩ / ٤ .

(٣) عند تفسيره الآية ١٩ من سورة البقرة . ومما قال : «الصاعقة والصعقة الصحية . يغشي منها على مَنْ سمعها أو يموت . . . ويقال لها الصواعق الشديدة من الرعد يسقط معها قطعة نار» . انظر : تهذيب اللغة ١ / ٧٧٧ ، واللسان (صعق) ٤٤٢ / ٢ .

(٤) قرأ الكسائي (الصَّعَقَةُ) بإسكان العين من غير ألف ، وقرأ الباقر ﴿الصَّعَقَةُ﴾ بالالف وكسر العين . انظر : حجة القراءات ٦٨٠ ، والنشر ٣٧٧ / ٢ ، والإتحاف ٣٩٩ .

(٥) عوف بن معاوية بن عتبة ، شاعر أموي مقل ، مدح الوليد ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، وسُمِّي عوف القوافي لقوله :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً لَا أَجِيْدُ الْقَوَافِيَا

انظر : ألقاب الشعر ٣٠٩ ، والأغاني ١٩ / ١٨٤ ، والخزانة ٦ / ٣٨٤ . والبيت في اللسان (صعق) ٤٤٢ / ٢ ، والحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٢٢ .

والمعنى : أخذتهم الصاعقة عياناً^(١) ، وهو معنى قول عطاء : «قد رأوا العذاب»^(٢) .

وقال مجاهد : «فجأة»^(٣) ، وعلى هذا ، معنى ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، وذلك أن صالحاً قد ضرب لهم الأجل للعذاب ثلاثة أيام ، وجعل لنزول العذاب بهم علامات في تلك الأيام ، وظهرت تلك العلامات فانتظروا العذاب في اليوم الرابع^(٤) . وهذا هو الصحيح ؛ لأنه قد ذكر في قصتهم أنهم تحنطوا في اليوم الرابع ولبسوا الأكفان ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، وحنوطهم الصبر^(٥) .

٤٥ . قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ ؛ أي ما أطاقوا عذاب الله ، ولم يقوموا له حين أتاهم ، كما تقول : فلان لا يقوم بهذا الأمر ولا يقاومه ، أي لا يطيق ولا يحتمله^(٦) ، وهو معنى قول مقاتل : «أي لم يقوموا للعذاب حين غشيهم»^(٧) .

وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب»^(٨) .

-
- (١) انظر : الوسيط ١٧٩/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٣٤/٤ ، وفتح القدير ٩١/٥ .
 (٢) لم أجده ، وهو بمعنى الأول .
 (٣) انظر : تفسير مجاهد ٦٢٠/٢ ، وجامع البيان ٥/٢٧ .
 (٤) انظر : جامع البيان ٥/٢٧ ، والوسيط ١٧٩/٤ .
 (٥) الأنطاع : جمع نطع (بالكسر) من الأدم . والصبر : شجر ورقه كقرب السكاكين طوال غلاظ ، في خضرتها غبرة ، وكُمْدَةٌ مَقْشَعْرَةٌ المنظر . انظر : اللسان (صبر) ٤٠٣/٢ ، و(قطع) ١١٧/٣ .
 (٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٧ .
 (٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب .
 (٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٧ .

والقيام على هذا يراد به النهوض ، والمعنى أنهم لم ينهضوا من تلك الصرعة ، ولم يستقلوا بعد تلك النكبة . وهذا معنى قول قتادة : «من نهوض»^(١) .

وقال الكلبي : «فما استطاعوا أن يقوموا فإردوا العذاب حين غشيم»^(٢) ، وعلى هذا ، المعنى^(٣) : ما استطاعوا قياماً لدفع العذاب عنهم حين أتاهاهم . ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ﴾ . قال مقاتل : «يعني ممتنعين من العذاب حين أهلكوا»^(٤) . أي ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من عذاب الله .

٤٦ . قوله تعالى : ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾ . قرئ بالنصب والخفض^(٥) . فالخفض ظاهر بالحمل على قوله : ﴿وَفِي مُوسَى﴾ ، ومن نصب حمل على المعنى وهو أن قوله : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾ يدل على أهلكناهم ، فكأنه قال : أهلكناهم وأهلكنا قوم نوح ، وهذا قول الفراء والزجاج^(٦) . قال : «ويجوز أن يحمل على معنى قوله : ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَذَلَتْهُمْ فِي أَلِيمٍ﴾ ، ألا ترى أن هذا الكلام يدل على أغرقناهم ؟ فكأنه قال : أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح»^(٧) .

قال المبرّد : «والنصب أحسن لتراخيه عن عامل الجر ، والعرب إذا تراخى المجرور عن عامل الجر حملته على المعنى ، والدليل على حسن النصب أن الجار ذكر في قصص الأمم وهو في ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾ لم يلحق معهم حرف الجر فعمل

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٢٤٥ ، وجامع البيان ٢٧/ ٥ .

(٢) لم أجده عن الكلبي ، وتقدم مثله عن مقاتل .

(٣) في (ك) : (معنى) ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥٢ .

(٥) قرأ أبو عمرو وحمة والكسائي وخلف (وقوم) بالكسر ، وقرأ الباقر بالنصب . انظر : حجة القراءات ٦٨٠ ، والنشر ٢/ ٣٧٧ ، والإتحاف ٤٠٠ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٨ ، ٨٩ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٥٧ ، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٢٣ .

النصب»^(١). واختار أبو عبيد النصب أيضاً ، قال : «لأن مَنْ خفض أراد : وفي قوم نوح ، كما قال : ﴿وَفِي عَادٍ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ وأولئك قوم قص الله ، النصب على أنه أشركهم في ما فعل بالأمم من العقوبة إذ لم يخبرنا عنهم بخبر خاص»^(٢).

٤٧. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ . يقال : أوسع الرجل ، إذا صار ذا وسع وسعة ، وهو الغنى والجدة ، والموسع المليء ، ومنه قوله : ﴿عَلَى الْمُسَيْعِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦] . واختلفت العبارات في تفسير : ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ هاهنا فقال^(٣) عن ابن عباس : «الموسعون لخلقى»^(٤) . قال الكلبي : «يعني سعة الرزق»^(٥).

قال الفرّاء : «لذو سعة لخلقنا»^(٦) ، وقال الحسن : «قادرون على رزقهم لا نعجز عنه» ، ولهذا قال مقاتل في تفسيره : «لقادرون»^(٧).

وقال الحسن : «مطيعون»^(٨) ، وهذا يعود إلى أنه يقدر على رزقهم ويطبق ذلك ، فهو موسع لخلقه في أرزاقهم .

وقال مجاهد : «لقادرون أن نخلق سماء مثلها»^(٩) ، يعني أنه لما ذكر قدرته على خلق السماء ذكر أنه موسع لخلق مثلها ؛ أي مطيق قادر .

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٣ ، والتفسير الكبير ٢٨/ ٢٢٥ .

(٣) كذا العبارة في (ك) ، وفيها سقط ظاهر .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، وعنه قال : (الموسعون بالرزق) . انظر : تنوير المقباس ٥/ ٢٧٧ .

(٥) لم أجده ، انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥٢ .

(٦) في (ك) : (خلقنا) . انظر : معاني القرآن ٣/ ٨٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب .

(٨) انظر : الكشف والبيان ١١/ ١٩٠ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٥٢ .

(٩) انظر : التفسير الكبير ٢٨/ ٢٢٧ .

وقال أبو إسحاق : «جعلنا بين السماء والأرض سعة»^(١) .

قال الأزهري : «جعل أبو إسحاق أوسع بمعنى وسع»^(٢) ، وعلى هذا ، يجوز أيضاً أن يعود التوسع إلى الرزق ، فقد روي عن ابن عباس أنه قال : «إنَّا لموسعون الرزق على خلقنا»^(٣) .

٤٨ . قوله تعالى : ﴿فَنِعَمَ الْمَاهِدُونَ﴾ . قال ابن عباس : «فنعم ما وطأت لعبادي»^(٤) . وأوسعت عليهم ، يعني الأرض .

قال أبو إسحاق : «المعنى : فنعم الماهدون نحن ، ولكن اللفظ بقوله : ﴿فَرَشْتَهَا﴾ يدل على المضمحل المحذوف»^(٥) .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ؛ أي صنفين ونوعين ، فالزوجان في الحيوان الذكر والأنثى ، وفي غير الحيوان المختلفان باللون والطعم ، فدخل في هذا الأبيض والأسود ، والمر والحلو .

قال مقاتل : «يعني الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والصيف والشتاء ، والبرد والحر ، والسهل والجبل ، والنور والظلمة»^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن ٥٧/٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (وسع) ٩٦/٣ .

(٣) انظر : الكشف والبيان ١١/١٩٠ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٥٢ .

(٤) انظر : الوسيط ٤/١٨٠ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرأء ٥٧/٥ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، وهو قول مجاهد أيضاً ، وانظر : جامع البيان ٦/٢٧ ، وتفسير القاسمي ٥٥٣٥/١٥ .

قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ؛ أي تذكرون أنه ليس في ما خلق له عدل ولا مثل ، قاله مقاتل ^(١) ، وقال غيره : «تذكرون أن خالق الأزواج فرد» ^(٢) .

٥٠ . قوله تعالى : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد بالتوبة من ذنوبكم» ^(٣) .

والمعنى على هذا : فروا من العصيان والكفران إلى الطاعة والإيمان ، يدل على هذا قوله : ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي أنذركم عقابه على الكفر والمعصية ، وكذلك الآية التي نهى فيها عن الشرك ، وهي قوله :

٥١ . ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ﴾ الآية . وجميع المفسرين على أنه أمر محمداً ﷺ أن يقول هذا للناس ^(٤) . والكناية في قوله : ﴿مِّنْهُ﴾ تعود على اسم الله . والنذير هو النبي ﷺ ، وهذا هو الظاهر .

وروى عطاء عن ابن عباس على الضد من ذلك ، فجعل الآية خطاباً من الله -تعالى- للخلق ، يقول : «لا تجعلوا مع الله إلهاً آخرَ» ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ يعني نفسه تعالى وعزَّ ، ﴿مِّنْهُ﴾ من محمد وسيوفه . ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ؛ أي أنذرتكم بأسه وسيفه إن أشركتم بي» ^(٥) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، وهو قول مجاهد أيضاً ، وانظر : جامع البيان ٦ / ٢٧ ، وتفسير القاسمي ٥٥٣٥ / ١٥ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٢٣٤ / ٤ .

(٣) انظر : الوسيط ١٨٠ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٣ / ١٧ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٣ / ١٧ ، وفتح القدير ٩١ / ٥ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٤ / ١٧ .

٥٢. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق: «المعنى: الأمر كذلك . أي كما فعل من قبلهم من الأمم في تكذيب الرسل»^(١) ، وهو قوله: ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ﴾ ؛ أي هو ساحر ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ . قال مقاتل: «يعني كقول كفار مكة لمحمد ﷺ» . يقول الله تعالى:

٥٣. ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ ؛ أي بهذا القول .

قال مقاتل: «يعني أوصى الأول الآخر يقول ذلك لرسوله»^(٢) .

وقال قتادة: «أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب»^(٣) .

قال الزَّجَّاج: «والألف فيه للتوبيخ»^(٤) .

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ يعني أهل مكة طاعون .

قال ابن عباس: «حملهم الطغيان في ما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك»^(٥) ، والمعنى ما أوصى أولهم بذلك ، ولكنهم قوم خارجون عن الحد في العصيان .

٥٤-٥٥. قوله تعالى: ﴿فَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ . يقول: فأعرض عن هؤلاء المشركين فقد بلغت وأندرت ، وهو قوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِرٍ﴾ ؛ أي لا لوم عليك إذ أديت الرسالة . قال ابن عباس: «فحزن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية مخافة أن ينزل بقومه العذاب» . ونحو هذا قال مقاتل ، و قتادة ،

(١) انظر: معاني القرآن ٥/ ٥٨ .

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٢٧ ب .

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤٥ ، وجامع البيان ٧/ ٢٧ .

(٤) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٥/ ٥٨ ، ونصه: (وهذه ألف التوبيخ وألف الاستفهام) .

(٥) انظر: الوسيط ٤/ ١٨٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٥ .

وغيرهما ، قالوا : «واشتد على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع ، أي العذاب حضر ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ﴾^(١) ؛ أي عِظْ بالقرآن» . وفي هذا قولان :

أحدهما : أنه أمر بالتولي عن الكفار ووعظ المؤمنين ، يدل على هذا قوله : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال الكلبي : «عِظْ بالقرآن مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِكَ ، فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُهُمْ»^(٢) .

القول الثاني : أنه أمر أن يُذكر ويعظ الكفار ، وهو قول مقاتل ، يقول : «عِظْ كفار مكة بوعيد القرآن ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، يعني مَنْ في علم الله أن يؤمن منهم»^(٣) ، وهذا القول أشد موافقة لما ذكرنا في الآية الأولى .

٥٦ . قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . تعلقت القدرية بهذه الآية ، وقالوا : «دلت الآية على أن الله - تعالى - خلق كل مكلف لعبادته وأراد منهم العبادة» . ولا حجة لهم في هذه الآية إذا تدبرت قول العلماء فيها ومذاهبهم في تفسيرها^(٤) . والآية فيها مذاهب للمفسرين :

أحدها : التخصيص ، وهو أن المراد بالجن والإنس مؤمنو الفريقين ، وهو قول الكلبي ، والضحاك ، والفراء ، وعبدالله بن مسلم . قال الكلبي : «هذا خاص لأهل طاعته . يعني : ما خلقت مؤمني الجن والإنس إلا ليعبدون»^(٥) ، وقال الضحاك : «هذا خاص في أهل عبادة الله وطاعته . يدل عليه قوله :

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، وجامع البيان ٧/٢٧ ، والكشف والبيان ١١/١٩٠ ب ، والدر ١١٦/٦ .

(٢) انظر : الوسيط ٤/١٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٥ ، وفتح القدير ٥/٩٢ .

(٤) انظر : جامع البيان ٨/٢٧ ، ودقائق التفسير لابن تيمية ٤/٥٢٧ ، وفتح القدير ٥/٩٢ .

(٥) انظر : الكشف والبيان ١١/١٩٠ ب ، والوسيط ٤/١٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٥ .

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] والذين ذرأهم للنار لا يكونون ممن ذرأهم لعبادته . وهذه الآية التي نحن فيها مطلقة ، وآية الذرة مقيدة ، والمطلق يحمل على المقيد ، وإذا جمعنا بين الآيتين علمنا أن الذين خلقوا للعبادة غير أولئك^(١) .

وقال الفراء : «هذه الآية خاصة . يقول : وما خلقت أهل السعادة من الفريقين إلا ليوحدوني»^(٢) . لأهل القدر حجة ، وقد فُسِّر .

وقال عبدالله بن مسلم : «يعني المؤمنين»^(٣) . واحتج^(٤) هؤلاء لمذهبيهم بقراءة ابن عباس^(٥) (الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون)^(٦) معناه : إلا لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها ، وهو قول أمير المؤمنين^(٧) . . . رضي الله عنه ، ومقاتل ، واختيار الزجاج .

قال مقاتل : «يعني إلا لآمرهم بالعبادة ، ولو أنهم خلقوا للعبادة ما عصوا»^(٨) .

-
- (١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٥ / ١٧ ، وفتح القدير ٩٢ / ٥ .
- (٢) في (ك) : بياض . وتام العبارة في معاني القرآن ٨٩ / ٣ : (وقال بعضهم : خلقهم ليفعلوا ففعل بعضهم وترك بعض وليس فيه) .
- (٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٢٢ .
- (٤) كذا في (ك) . ولعل في العبارة سقطاً ؛ إذ لم يذكر من قال بهذا القول ، وهو القول الثاني ، وقد فسروا قوله تعالى : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ؛ أي لأدعوهم إلى عبادتي .
- (٥) في (ك) : كلمة لم تظهر ، ولعلها : (وما خلقت) .
- (٦) بها قرأ ابن مسعود وأبي . انظر : الكشف والبيان ١١ / ١٩١ ، والوسيط ٤ / ١٨١ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٥ / ١٧ ، وروح المعاني ٢٧ / ٢٢ .
- (٧) في (ك) : كلمة لم تقرأ ، وهي : (علي) . انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٥ / ١٧ .
- (٨) في (ك) : كلمة لم تقرأ ، وهي : (طرفة عين) . انظر : تفسير مقاتل ١٢٧ ب .

وقال الرَّجَّاجُ : « المعنى : وما خلقت الجن والأنس إلا لأدعوهم إلى عبادتي »^(١) ، هذا كلامهم وتفسيرهم . قالوا : « . . . »^(٢) العبادة غير الدعاء إليها والأمر بها ، والله - تعالى - قال : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأنتم تقولون إلا لأمرهم بذلك . قيل : قد يقال . . .^(٣) هذا إذا لم يشته ودلت الحال عليه ، ما تقول لإنسان أكرمته وأحسنه إليه لتأمره يصنع لك شيئاً : ما أكرمتك إلا لتصنع هذا ، وأنت تريد : إلا لأمرك بذلك . وكثرة مَنْ لا يعبد الله من الكفار يدل على أنه لم يخلقهم لعبادته^(٤) .

واختار صاحب النظم هذا المذهب ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(٥) [الزخرف : ١٢-١٣] . قال : « معناه : ليأمركم إذا استويتم على ظهوره أن تذكروه ، ولو كان على ظاهره لوجب أن يكون ذلك عامّاً في الإتيان به » .

المذهب الثالث : أن المفسرين قالوا في قوله : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليوحّدوني ، والمؤمنون يوحّدون الله - تعالى - طوعاً في الشدة والرخاء ، الكفار يوحّدونه في الشدة والبلاء وعند البأس ، وهذا معنى رواية حبان عن الكلبي^(٦) . هذا جملة أقوال المفسرين .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥٨/٥ .

(٢) في (ك) : الكلمة غير واضحة ، ولعلها : (وتفسير) .

(٣) كذا في (ك) . والعبرة مستقيمة ، ولعل الكلمة الساقطة : (مثل) .

(٤) انظر : البحر المحيط ٨/١٤٣ ، وروح المعاني ٢٧/٢٠ ، ٢١ .

(٥) رجّح الشنقيطي في تفسيره ٧/٦٧٣ هذا القول لدلالة آيات القرآن عليه .

(٦) انظر : الكشف والبيان ١١/١٩٢ أ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٥٦ .

وأما أهل المعاني فلهم أيضاً أقوال سديدة في معنى الآية :

أحدها : أن المعنى قوله : ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(١) إلا ليخضعوا لي ويتذلّلوا ، وهذا معنى العبادة في اللغة ، وكل أحد من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، فهو خاضع لقضاء الله متذلّل لمشيئته ، خلّقه على ما أراد ، ورزقه كما قضى ، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلّقه عليه ، فقد حصل هذا الخضوع والتذلّل من كل أحد ^(٢) .

القول الثاني : أن معنى الخلق في قوله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ خلق التكليف والاختيار ، لا خلق الجبلة والطبيعة ^(٣) ، فمن وفقه وسدّده أقام العبادة التي خلّقه لها ، ومن خذله وطرده حرمها وعمل ما خلّقه له ^(٤) . وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بقوله : «اعملوا ، فكل ميسر لما خلّقه له» ^(٥) .

٥٧ . قوله تعالى : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «ما أريد أن يرزقوا من خلقي أحداً» ، ونحوه قال مقاتل والزجاج ، وقال الكلبي : «مِنْ رِزْقٍ» أن يرزقوا أنفسهم ، ونحوه قال الفراء ^(٥) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١١/١٩١ ب ، ١٩٢ أ ، والوسيط ٤/١٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٥ ، وفتح القدير ٥/٩٢ ، وهو اختيار ابن جرير أيضاً في جامع البيان ٢٧/٨ .

(٢) انظر : دقائق التفسير ٤/٥٢٩ ، وفتح القدير ٨/٦٠٠ .

(٣) في (ك) : (لها) .

(٤) حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (سورة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَفَتَى﴾) ٦/٢١٢ ، وكتاب القدر ، باب جف القلم على علم الله ٨/١٥٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي ٤/٢٠٤١ ، وأخرجه أحمد في المسند ١/٨٢ ، ١٢٩ . وما ذكره المؤلف هنا جزء من الحديث ، وقد اقتصر على مكان الشاهد منه . انظر : شرح الطحاوية ٣١٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/٩٠ ، وجامع البيان للطبري ٢٧/٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/٥٩ .

وقوله : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ . قال ابن عباس : «أن يطعموا لي عبداً» ، وهو قول الفرّاء والزّجاج ، قالوا : «أن يطعموا أحداً من خلقي»^(١) .

والآخرون قالوا : «أن يرزقوني» . ومرادهم أن يرزقوا عبادي ؛ لأن الله - تعالى - غير مرتزق ولا طاعم ، ويستحيل في وصفه الاستطعام وسؤال الرزق ، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه ؛ لأن الخلق عيال الله ، فمن أطعم عيال رجل ورزقهم فقد أطعمه ورزقه^(٢) . وهذا كما قال ﷺ في ما يخبر به عن ربه أن الله - تعالى - يقول : «عبدى استطعمتك فلم تطعمني»^(٣) ، والمعنى : لم تطعم عبدى . والآية محمولة على أنه ما أوجب ذلك على عباده ، ولم يكلفهم القيام برزق الخلق والإطعام ، وإن كان قد ندب إلى إطعام الجائع وذى الحاجة إلى الطعام .

٥٨ . ثم بين أن الرزاق هو لا غيره ، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ . قال ابن عباس : «الرزاق لجميع خلقه» . ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ على جميع ما خلق^(٤) . وقال مقاتل : «يعني : ذو البطش»^(٥) .

وقوله : ﴿الْمَتِينُ﴾ معناه في صفة الله القوي^(٦) . وقد متّن شأنه ، إذا قوي^(٧) ، ثم ذكر أن لمشركي مكة من العذاب مثل ما لغيرهم من الأمم الكافرة ، وهو قوله :

-
- (١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٩٠ ، ومعاني القرآن للزّجاج ٥/ ٥٩ .
 (٢) انظر : الوسيط ٤/ ١٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٥ ، وفتح القدير ٥/ ٩٢ .
 (٣) جزء من الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر ، باب فضل عيادة المريض ٤/ ١٩٩١ .
 (٤) انظر : الوسيط ٤/ ١٨٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٦ .
 (٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ .
 (٦) انظر : روح المعاني ٢٧/ ٢٣ .
 (٧) انظر : تهذيب اللغة ١٤/ ٣٠٥ ، واللسان (متن) ٣/ ٤٣٤ .

٥٩. ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ . قال مقاتل : «يعني مشركي مكة»^(١) . ﴿ذُنُوبًا﴾
الذُّنُوبُ في كلام العرب : الدلو العظيم .

أنشد الفرّاء :

إِنَّا إِذَا نَارَ عَنَا سَرَيْتَ لَنَا ذُنُوبٌ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ^(٢)
وأنشد المُبرِّد لعلّمة بن عبدة :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ^(٣)

قال ابن قتيبة : «كانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب ، فحمل الذنوب مكان الحظ والنصيب»^(٤) ، وبهذا جاء التفسير . قال أبو إسحاق : «يعني : نصيباً من العذاب ، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا نحو قوم نوح ، وعاد ، وشمود»^(٥) . وعبارة المفسرين مختلفة في تفسير الذنوب ، والأصل ما ذكرنا . قال قتادة ومقاتل وأبو العالية : «عذاباً مثل عذاب أصحابهم»^(٦) .

وقال مجاهد : «سجلاً» ، وقال إبراهيم : «طرفاً»^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ .

(٢) البيت لرؤبة في ديوانه ١٣٢ ، وأما ابن الشجري ١٨١ / ٢ ، وشرح المفصل ٤٨ / ٥ ، والمفضليات ٦٩٦ ، وتهذيب اللغة ٤٣٨ / ١٤ ، واللسان (ذنوب) ١٠٧٩ / ١ .

(٣) البيت في ديوان علّمة ٤٨ ، والكتاب ٤٧١ / ٤ ، وشرح المفصل ٤٨ / ٥ ، والمفضليات ٣٩٦ ، والمذكر والمؤنث ٣٣٧ ، والإيضاح في شرح المفصل ٥١٦ / ٢ ، والمصنف ٣٣٢ / ٢ . والبيت من قصيدة يمدح بها الحارث بن شمر الغساني . شأس : هو أخو علّمة .

(٤) انظر : تأويل المشكل ١٥٠ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ٥٩ .

(٦) وهو المروي عن ابن عباس . انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٤٥ ، وانظر : أيضاً تنوير المقباس ٢٧٩ / ٥ ، وجامع البيان ٩ / ٢٧ .

(٧) انظر : جامع البيان ٩ / ٢٧ .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ؛ أي بالعذاب ، يعني أنهم أُخِّروا إلى يوم
القيامة ، يدل على ذلك قوله تعالى :

٦٠ . ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ . قال الكلبي وعطاء
ومقاتل : «يعني يوم القيامة»^(١) .

* * *

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٣٨ .

تفسير

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ ذكرنا تفسير الطور في سورة البقرة^(١). قال عامة المفسرين^(٢): «أقسم الله بالجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران -عليه السلام- وهو بمدين^(٣)، واسمه زبير»، ونحو هذا قال الفراء والزجاج وابن قتيبة^(٤).

٢. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّيْ مَسْطُورٍ﴾ المسطور معناه المكتوب من قولك: سطر يسطر سطرًا. وذكرنا هذا عند تفسير الأساطير^(٥). وأكثر المفسرين

(١) عند تفسيره الآية ٦٣ من سورة البقرة. ومما قال: «الطور قيل: إنه الجبل بالسريانية... وقيل: إنه اسم جبل بعينه. والطور: التارة، والحد بين الشيئين، والطور الجبل. وطور سيناء: جبل بالشام». انظر: تفسير مقاتل ١٢٨/أ، والوسيط ١٣/٤، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ٥٨/١٧.

(٢) مدين على بحر القلزم (البحر الأحمر)، محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وفيها البئر التي استقى منها موسى -عليه السلام- لسانمة شعيب. انظر: معجم البلدان ٧٧/٥.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٩١/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٦١/٥، وتفسير غريب القرآن ٤٢٤.

(٤) عند تفسيره الآية ٢٥ من سورة الأنعام. ومما قال: «السطر هو أن تجعل شيئاً ممتداً مؤلفاً، ومن ذلك

سطر الكتاب، وسطر من شجر مغروس»، ونحو ذلك قال ابن السكيت. يقال: سَطَرٌ وَسَطَرٌ، فَمَنْ =

على أن المراد بالكتاب هاهنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم . وهو قول مقاتل ، ومجاهد ، والكلبي ، والزجاج^(١) ، وذكر فيه أنه^(٢) اللوح المحفوظ^(٣) ، وقيل : هو ما كتبه الله لموسى من التوراة^(٤) . والصحيح هو القول الأول لقوله^(٥) تعالى :

٣. ﴿فِرْقَانِ مَنشُورٍ﴾ . ولم يثبت أن اللوح المحفوظ من الرق ، ولا أن ما كتب لموسى كان على الرق . والمراد بالكتاب ، المكتوب ، سُمِّيَ بالمصدر . والرق مما كتب فيه . قال أبو عبيدة : «الرق الورق»^(٦) .

وقال الليث : «الرَّقُّ الصحيفة البيضاء»^(٧) .

وقال المبرِّد : «الرق ما رُقِّق من الجلد ليكتب فيه . والمنشور : المبسوط يتباعد أطرافه»^(٨) .

قال : سطرُ فجمعه في القليل أسطر وفي الكثير سطور ، ومن قال : سطرَ جمعه أسطاراً ثم أساطير جمع الجمع ، قاله اللحياني ، واختار الزجاج أن يكون واحدها أسطورة . انظر : البسيط ٢ / ٨٩ ب .
(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٦١ ، والكشف والبيان ١١ / ١٩٣ ب ، والوسيط ٤ / ١٨٢ ، وبه قال الفراء وابن قتيبة . انظر : تفسير غريب القرآن ٤٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٥٩ ، وفتح القدير ٥ / ٩٤ ، ولم أجده عن الكلبي .

(٢) في (ك) : (أن) .

(٣) ورد في تنوير المقباس ٥ / ٢٨١ عن ابن عباس ، وقد جمع القولين فقال : «وأقسم باللوح المحفوظ مكتوب فيه أعمال بني آدم» . انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٣٦ .

(٤) ورد في الكشف والبيان ١١ / ١٩٣ ب ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٥٩ منسوباً إلى الكلبي .

(٥) في (ك) : (قوله) ، والصواب ما أثبتته . قال الشنقيطي : «والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم» . انظر : أضواء البيان ٧ / ٦٨٣ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣٠ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (رقق) ٢ / ٢٨٤ .

(٨) انظر : اللسان (رقق) ١٠ / ١٢٩ ، وتفسير القرطبي ١٧ / ٥٩ ، وفتح القدير ٥ / ٩٤ .

قال مقاتل : «يخرج إليهم أعمالهم يومئذ في رق ، يعني أديم الصحف»^(١) ، ونحو هذا قال الكلبي .

قال الفرّاء : «الرق الصحف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة ، فأخذ كتابه بيمينه وأخذ بشماله»^(٢) ، وهذا كقوله : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء : ١٣] .

٤ . قوله تعالى : ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ . روى أنس عن النبي ﷺ قال : «البيت المعمور في السماء السابعة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة»^(٣) .

وقال ابن عباس : «البيت المعمور في السماء بحيال الكعبة ، يحجه كل يوم سبعون ألف»^(٤) مَلَك يسمى الصُّراح»^(٥) ، ونحو هذا قال جماعة المفسرين^(٦) ، إلا الحسن فقد روي عنه أنه قال : «هو الكعبة» . ومعنى ﴿الْمَعْمُورِ﴾ أنه معمور بكثرة الغاشية والزائرين^(٧) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٩١ / ٣ .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١١ / ٢٧ ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم في المستدرک ٤٦٨ / ٢ ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه» ، والبيهقي في شعب الإيثار ، وانظر : الدر ١١٧ / ٦ .

(٤) في (ك) : (ألف) ساقطة .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨١ / ٥ ، والكشف والبيان ١١ / ١٩٣ ب ، والوسيط ١٤ / ٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٩ / ١٧ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٢٢٤ ، وتفسير مقاتل ١٢٨ أ ، وجامع البيان ١١ / ٢٧ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٩ / ٤ ، قال : «وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف» .

(٧) انظر : الكشف والبيان ١١ / ١٩٤ أ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٠ ، وفتح القدير ٩٤ / ٥ ، وروح المعاني ٢٧ / ٢٧ .

قال مقاتل : «عمارته أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه»^(١) ، وقال الكلبي : «المعمور بالملائكة» ، قال : «وهو بيت في السماء السادسة ، بناه آدم فرُفع أيام الطوفان»^(٢) .

وروى عطاء عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا^(٣) ، قال : «وكان ابن عباس يقول : لله في السماوات والأرضين خمسة عشر بيتاً ، كل واحد يحاذي صاحبه ، سبعة على الأرضين ، وسبعة في السماوات ، والكعبة الخامسة عشر»^(٤) .

٥ . قوله تعالى : ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ . قال علي رضي الله عنه : «يعني السماء» ، وهو قول قتادة ومجاهد والجميع^(٥) . قال مقاتل : «المرفوع من الأرض مسيرة خمسمائة عام»^(٦) . وسَمِيَ السماء سقفاً ؛ لأنها للأرض كالسقف . وقد قال عزّ ذكره : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] . وروى عطاء عن ابن عباس قال : «السقف المرفوع هو العرش ، وهو سقف الجنة»^(٧) .

-
- (١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ .
 (٢) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٨١ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٩١ .
 (٣) ورد في الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٠ عن الربيع بن أنس .
 (٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٠ .
 (٥) انظر : تفسير مجاهد ٢ / ٦٢٤ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٤٦ ، وجامع البيان ٢٧ / ١٠ ، والعظمة ١٠٣٠ / ٣ .
 (٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ أ .
 (٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٠ ، وفتح القدير ٥ / ٩٤ .

٦. قوله : ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ . قال الفرّاء : « المسجور في كلام العرب المملوء »^(١) . يقال : سجرت الإناء ، إذا ملأته . قال لبيد :

فَتَوَسَّطَا غُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قُلَامُهَا^(٢)

وقال المُبرّد : « البحر المسجور المملوء عند العرب » ، وأنشد هو وأبو عبيدة للنمر بن تَوَلَبَ يصف وعلاً :

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسِمَا^(٣)

يريد به عيناً مملوءة ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومقاتل ، قالوا : « الممتلئ » ، وقال قتادة : « المملوء »^(٤) .

روى النَّزَالُ بن سَبْرَةَ عن علي - رضي الله عنه - قال : « هو بحر تحت العرش فيه ماء غليظ ، يقال له : بحر الحيوان ، يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين

(١) انظر : معاني القرآن ٩١ / ٣ .

(٢) البيت ورد في ديوانه ١٠ ، وفي شرح المعلقات السبع (معلقة لبيد) للزوزني ٨٢ ، وجمهرة أشعار العرب ٦٨ ، والمحتسب ٣٧١ / ٢ . قُلَامُهَا : ضرب من شجر الحمض ، ويروى (أقلامها) وهو قصب اليراع . وَالسَّرِيُّ : النهر الصغير والجمع أسرية . والبيت في وصف العير والأتان ، وقد توسَّطَا جانب النهر الصغير وشَقَّأَ عيناً مملوءة ماء ، قد كثر نبتها .

(٣) في (ك) : (والساسماير) ، والصواب ما أثبتته .

البيت في ديوانه ١٦٥ ، والخزانة ٩٥ / ١١ ، ومجاز القرآن ٢ / ٢٣٠ ، وتفسير غريب القرآن ٤٢٤ . النبع : شجر أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد ، إذا تقادم احمرَّ . الساسم : قيل هو جمع سِسْمٍ ، وقد يكون من الخشب يشبه الأبنوس . انظر : اللسان (نبع) ١ / ٥٦٩ ، (سسم) ٢ / ١٤٢ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٨١ ، وتفسير مقاتل ١٢٨ أ ، وتفسير عبدالرزاق ٢ / ٢٤٧ ، وجامع البيان ١١ / ٢٧ .

صباحاً ، فينبتون في قبورهم»^(١) ، وهذا قول الكلبي ومقاتل ، قالوا : «يحيي الله به الموتى في ما بين النفختين»^(٢) .

وقال مجاهد : «﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ الموقد»^(٣) . قال الليث : «السجر إيقادك في التنور تسجره بالوقود سجراً . والسَّجُورُ اسم الخطب»^(٤) ، وهذا قول الضحاك وشمير بن عطية وكعب ، قالوا : «البحر المسجور يسجر فيزاد في نار جهنم»^(٥) .

وقد روي هذا في الحديث : أن الله - تعالى - يجعل البحار كلها ناراً فتجعل نار جهنم^(٦) . قال المبرّد : «وهذا القول يرجع أصله إلى القول الأول ؛ لأن معنى : سجرت التنور ، ملأته حطباً وناراً»^(٧) . قال الفرّاء : «وكان علي - رضي الله عنه - يقول : مسجور بالنار ؛ أي مملوء»^(٨) .

وقال ابن عباس في رواية عطية : «البحر المسجور هو اليابس الذي قد نضب ماؤه وذهب» ، وهو قول أبي العالية ، ورواية ذي الرمة الشاعر عن ابن عباس^(٩) ، وليس له رواية غير هذا^(١٠) .

(١) انظر : الكشف والبيان ١١/ ١٩٥أ ، والوسيط ٤/ ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٦٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨أ ، والوسيط ٤/ ١٨٥ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد ٢/ ٦٢٤ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (سجر) ١٠/ ٥٧٥ .

(٥) ورد في جامع البيان ٢٧/ ١١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٣٧ ، والدر ٦/ ١١ منسوباً إلى أبي الشيخ عن كعب .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٨ ، وقال محققه : «لم نقف على هذا الحديث سنداً في ما بين أيدينا من المصادر» ، وقد أورده بعض المفسرين كصاحب المصنف من دون نسبة .

(٧) انظر : اللسان (سجر) ٢/ ٩٩ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٣/ ٩١ .

(٩) انظر : جامع البيان ٢٧/ ١٢ ، والكشف والبيان ١١/ ١٩٥أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٠ .

(١٠) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٦١ ، وقال : «قاله ابن أبي داود» .

قال أبو زيد : «المسجور يكون المملوء ، ويكون الذي ليس فيه شيء»^(١) .
 أقسم الله -تعالى- بما ذكر من هذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظم النعمة
 والعبرة من وجوب التدبير لذلك ، وطلب ما فيها من دقائق الحكمة ، والواو في
 قوله : ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾ وما بعدها من الواوات للعطف على المُقْسَمِ به ، ولا يجوز
 أن يكون للقسم ؛ لأن جواب القسم الأول وهو قوله : ﴿وَالْطُّورُ﴾ لم يأت بعد ،
 وإذا لم يأت جواب الأول ، لم يجوز أن يستأنف قسم آخر ، وقد ذكرنا هذا الفصل
 في ابتداء سورة ص^(٢) .

٧. وجواب هذه الأقسام قوله : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^(٣) . قال ابن
 عباس والمفسرون : «إن عذاب ربك للمشركين والكافرين والمنافقين
 لكائن»^(٤) ، يعني في الآخرة ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ۖ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ .

قال أبو إسحاق : «﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله : ﴿لَوَاقِعٌ﴾ ؛ أي لواقع يوم
 القيامة»^(٥) . ومعنى المور في اللغة : الاختلاف والاضطراب والذهاب والمجيء
 والتردد .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٥٧٧ ، واللسان (سجر) ٢ / ١٠٠ . قال أبو زيد في النوادر ٥٨ : «التسجير
 الامتلاء . يقال : بحر مسجور ومسجر ؛ أي مملوء غاية الامتلاء» . واختار ابن جرير في جامع البيان
 ٢٧ / ١١ قول مَنْ قال : «البحر المملوء المجموع مأؤه بعضه في بعض» ، ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم
 فهو مملوء ، وقال ابن الأنباري في أضداده ٤٤ : «والمسجور من الأضداد ، يقال المسجور للمملوء
 والمسجور للفارغ . . .» .

(٢) عند تفسيره الآيتين (١ و ٢) من سورة ص ، وقد تقدّم ذكره [ص : ٦٩] .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٤٩ .

(٤) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن ٥ / ٦١ .

والداغصة^(١) تمور في الركبة ، والبعر يمور عضده موراً ، إذا مشى . وروى عمرو^(٢) عن أبيه : «المور الدوران» ، ويقال : مار يمور موراً ، إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد ، ومنه قوله تعالى :

٩ . ﴿يَوْمَ تَمُورُ أَسْمَاءُ مَوْرًا﴾^(٣) . قال المبرّد : «أي تتحرك إمّا لسيّر وإمّا لدوران» . قال ابن عباس ومجاهد : «تدور بها فيها دوراناً وتتكفأ تكفؤ السفينة وتضطرب وتتحرك وتستدير» ، كل هذا من عبارات المفسرين^(٤) .

١٠ . ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ . قال ابن عباس : «كسير السحاب اليوم في الدنيا»^(٥) .

وقال مقاتل : «تسير عن أماكنها حتى تستوي بالأرض»^(٦) ، وهذا كقوله : ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾ [الكهف : ٤٧] ، وقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه : ١٠٥] ، وقوله : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ [النمل : ٨٨] الآيات ، وقد ذكر الله - تعالى - في الواقعة أنها تصير هباء منثوراً^(٧) ، ثم ذكر ما للمكذبين في ذلك اليوم بقوله :

(١) الداغصة : عظم مدور يموج فوق رصف الركبة ، والداغصة : الشحمة التي تحت الجلد الكائنة فوق الركبة . انظر : القاموس المحيط ٣٠٣/٢ ، واللسان (دغص) ١/٩٨٩ .

(٢) عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٢٩٧/١٥ ، واللسان (مور) ٣/٥٤٨ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢/٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٨أ ، وجامع البيان ١٣/٢٧ ، ومعالم التنزيل ٢٣٧/٤ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨أ ، والوسيط ٤/١٨٥ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَبُشِّرِ الْجِبَالَ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة : ٥-٦] .

١١. ﴿قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ . قال الكلبي : «الشدة من العذاب يومئذٍ للمكذبين بالإيمان»^(١) . وذكرنا قديماً تفسير الويل^(٢) .

١٢. ثم نعت هؤلاء المكذبين فقال : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ . ومعنى الخوض في اللغة : الدخول في الماء ، ثم يتفرع منه الدخول في الأمر بالقول^(٣) . وأراد بالخوض هاهنا خوضهم في حديث محمد بالكذب والاستهزاء ، ولهذا قال المفسرون : «في باطل يلعبون» . قال عطاء : «يخوضون في تكذيبك ويلهون بذكرك»^(٤) .

١٣. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ﴾ . يوم بدل من قوله : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾^(٥) ، ومعنى الدَّعْ في اللغة : الدفع في قسوة وعنف . قال أبو عبيدة^(٦) : «دعت»^(٧) في قفاه ، أي دفعت ، ومنه قوله : ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] ، وأنشد الليث :

إِذَا الْقَوْمُ فِي الْمَحَلِّ دَعُّوا الْيَتِيمَا^(٨)

(١) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٨ .

(٢) عند تفسيره الآية ٧٩ من سورة البقرة . ومما قال : «قال ابن عباس : الويل شدة العذاب ، وقال الزَّجَّاج : الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة وأصله في اللغة العذاب ، وقال ابن قتيبة : قال الأصمعي : الويل تقبيح ، وروى الأزهري . . . عن أبي طالب النحوي أنه قال : قولهم : (ويله) كان أصلها (روي) وصلت بـ(له) ومعنى (روي) حزن له ومنه قولهم : ويه ، معناه حزن أخرج مخرج الندب . والويل : حلول الشر ، والويلة : الفضيحة ، والبلية . والويل كلمة عذاب ، والهلاك يُدعى بمن له وقع في هلكة يستحقها» . انظر : اللسان (ويل) ٣ / ٩٩٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٧ / ٤٦٦ ، واللسان (خوض) ١ / ٩٢٠ .

(٤) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٨ ، والجامع للقرطبي ١٧ / ٦٤ .

(٥) انظر : مشكل إعراب القرآن ٢ / ٢٣١ .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ / ٢٣١ .

(٧) في (ك) : (دعت) ، والصواب ما أثبتته .

(٨) لم أجده في ما اطلعت عليه .

قال عامة المفسرين : «يدفعون إلى النار دفعاً على وجوههم»^(١) ، وقال قتادة : «يزعجون إليها إزعاجاً»^(٢) ، وقال مجاهد : «دفعاً في أفقيتهم»^(٣) .

قال ابن الأعرابي : «الدفر : الدفع»^(٤) . قال مقاتل : «يغلون أيديهم إلى أعناقهم ، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم وراء ظهورهم ، ثم يدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم ، حتى إذا دنوا منها قال لهم خزنتها :

١٤ . ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾^(٥) . قال ابن عباس : «أي في الدنيا»^(٦) .

ثم وبَّخوا بما كانوا يدَّعون في حال التكذيب قبل انكشاف الأمر ، فقليل لهم لما عاينوا مصداق الخبر :

١٥ . ﴿ أَفَسِحْرُ هَذَا ﴾ ؛ أي هذا الذي ترون . والمعنى يعود إلى العذاب ، ولذلك ذكر بلفظ التذكير في قوله : ﴿ هَذَا ﴾ . قوله : ﴿ أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصِيرُونَ ﴾ يريد : أم قد غطى على أبصاركم ، وذلك أنهم كانوا يكذبون محمداً ﷺ في ما يوعدهم من العذاب وينسبونه إلى السحر ، وإلى أنه يسحر الناس ، ويغطي على أبصارهم بالسحر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ ، وقد مرَّ^(٧) . فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب قليل لهم للتوبيخ والتبكيت : أفسحر ما ترون ؟ أم قد

(١) انظر : جامع البيان ١٤/٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٤١/٤ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢٤٧/٢ ، وجامع البيان ١٤/٢٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٩٢/١ ، واللسان (دع) ٩٨٣/١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٠٢/١٤ ، واللسان (دفر) ٩٩١/١ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨/ب ، والوسيط ١٨٥/٤ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢/٥ .

(٧) عند تفسيره الآية ١٥ من سورة الحجر .

غَطِّيَ على أبصاركم فلا ترون كما كنتم تدعون في الدنيا أنه يفعل بكم ؟ وهذا معنى قول مقاتل^(١) . ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ التهديد . يقول : «أم لا تبصرون العذاب فتكذبون به كما كنتم تكذبون به في الدنيا إذا كنتم لا تبصرونه» . فلما ألقوا فيها قالت لهم الخزنة :

١٦ . ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ؛ أي على العذاب ومقاساة حر النار . ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ . قال أبو إسحاق : «مرفوع بالابتداء والخبر محذوف» . المعنى : سواء عليكم الصبر والجزع^(٢) . يدل على ذلك أنهم أقرؤا بهذا في قوله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَجَزَعْتَ أَمْ صَبَرْتَ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؛ أي الأمر جارٍ عليكم بالعدل ، ما جوزيتم إلا جزاء أعمالكم ، والمعنى : إنما تجزون جزاء ما كنتم تعملون ، أي الكفر والتكذيب .

١٨ . قوله تعالى : ﴿فَنَكِهَيْنَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «معجيين»^(٣) . وذكرنا تفسير هذا الحرف في سورة يس^(٤) .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ ب ، ومعالم التنزيل ٢٣٨ / ٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٦٢ / ٥ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٨٣ / ٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٨ ب .

(٤) عند تفسيره الآية ٥٥ من سورة يس . ومما قال : ﴿فَنَكِهْنَهُنَّ﴾ قال ابن عباس : ناعمون ، وقال مقاتل وقتادة : أي معجبون بما هم فيه ، وهو قول الحسن والكلبي . وهذان القولان عليهما أهل التفسير ، ولكل منهما أصل في اللغة . فمن قال فاكهين ناعمين ، فأصله من الفكهة والفاكهة وهي المزاح والكلام الطيب . يقال : فاكهت القوم بملح الكلام مفاكهة . روى أبو عبيد عن زيد : الفكهُ الطيب النفس الضحوك . . . ومن قال الفاكهة المعجب فإن العرب تقول : فكهننا من كذا ؛ أي تعجبنا . ومنه قوله تعالى : ﴿فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ؛ أي تعجبون . انظر : معاني القرآن للزجاج ٦٣ / ٥ ، وتهذيب اللغة (فكه) ٢٥ / ٦ ، والأضداد لابن الأنباري ٥٤ .

١٩ . قوله تعالى : ﴿ هَنِئًا ﴾ . يقال : هُنُوْهُنَّاءٌ فهو هنيءٌ ^(١) . وهنيئاً هاهنا نعت محذوف على تقدير : إمتاعاً هنيئاً ، وأمرهم بالأكل والشرب يدل على الإمتاع ، كأنه قيل : أمتعتهم بنعيم الجنة إمتاعاً هنيئاً ، ويجوز أن يقول : أراد شرباً هنيئاً ، أو أكلاً هنيئاً . واقتصر على صفة مصدر أحد الفعلين من الآخر . وقال الزَّجَّاج : « ﴿ هَنِئًا ﴾ صفة في موضع المصدر ، أي ليهناكم ما صرتم إليه هنيئاً » ^(٢) . وذكرنا تفسير الهنيء في أول سورة النساء ^(٣) .

قال مقاتل : « يعني حلالاً » .

وقال الكلبي : ﴿ هَنِئًا ﴾ ؛ لا يموتون ^(٤) . ومقاتل ذهب إلى أن الحرام وخيم العاقبة ، وطعام الجنة لما كان مأمون العاقبة وصف بالهنيء . وذهب الكلبي إلى أن الموت ينغص النعمة ، ولما كان أهل الجنة يأمنون الموت وصف نعيمهم بالهنيء .

٢٠ . قوله تعالى : ﴿ مُتَكِينِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ . تفسير هذه الحروف قد تقدّم في ما سبق .

وصف ابن عباس هذه السرر في ما روى عنه عطاء ، قال : « يريد : من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت ، والسرير مثل ما بين مكة وأيلة » ^(٥) .

(١) ورد في تهذيب اللغة (هنا) ٤٣٣/٦ عن الليث .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥/٦٣ .

(٣) عند تفسيره الآية ٤ من سورة النساء . ومما قال : « قال الأصمعي : يقال في الدعاء للرجل : هئت ولا تنكّه . أي أصبت خيراً ولا أصابك الضر ، وقال أبو الهيثم : معنى قوله (هئت) يريد ظفرت على الدعاء له . وأصل الهنيء من الهناء ، وهو معالجة الجرب بالقطران . فالهنيء شفاء من المرض كالهناء شفاء من الجرب ، وقال المفسرون : معنى الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء » .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ ب .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٦٥ ، وفتح القدير ٥/٩٦ .

وقال الكلبي: «طول السرير في السماء مائة عام، فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه، فإذا جلس عليه ارتفع به إلى مكانه»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾. ذكرنا تفسيره في آخر سورة الدخان^(٢).

٢١. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. قال ابن عباس: «يعنى المهاجرين والأنصار والتابعين»^(٣).

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾. اختلفوا في أن هذا الإيمان من المؤمنين الذين ذكروا في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أم من الذرية؟ فقال قتادة: «بإيمان من الذرية»^(٤)، والمعنى: واتبعتهم ذريتهم في الإيمان؛ لأن الذرية إذا لم تتبع الأصل بالإيمان لم تجتمع معه في الجنة. وعلى هذا المراد بالذرية الكبار، ويجوز أن يكون المراد بالإيمان إيمان الذين آمنوا^(٥).

والمعنى: وأتبعهم بإيمان من الآباء ذريتهم، والذرية تتبع الآباء وإن كانت صغاراً في كثير من أحكام الإيمان وهو الميراث، والدفن في مقابر المسلمين،

(١) انظر: الوسيط ٤٦/٣، والتفسير الكبير ١٥٣/١٩، وتفسير القرطبي ٣٣/١٠، وروح المعاني ٥٩/١٤. أَيْلَةُ (بالفتح): مدينة على ساحل البحر الأحمر ممالي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر: معجم البلدان ٣٤٧/١.

(٢) عند تفسيره الآية ٥٤ من سورة الدخان، وملخصه: أن الله -تعالى- أنكحهم في الجنة الحور العين، والحور في اللغة البيض، وقيل الحسان الأعين.

(٣) ورد في الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٧، وذكره صاحب روح المعاني ٣٢/٢٧، وقال: «لكن لا أظن صحته». وقال الشوكاني في فتح القدير ٩٨/٥: «وقيل المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار فقط، وظاهر الآية العموم، ولا يوجب تخصيصها بالمهاجرين والأنصار، كونهم السبب في نزولها إن صح ذلك، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق ٢٤٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٧.

(٥) وهو المروي عن ابن عباس والضحاك. انظر: جامع البيان ١٥/١٧، ومعالم التنزيل ٢٣٩/٤.

وحكمهم حكم الآباء في أحكامهم ، إلا في ما كان موضوعاً عن الصغير لصغره .
وعلى هذا القول ، المراد بالذرية : الصغار .

قال أبو علي : « فإن جعلت الذرية للكبار ^(١) كان قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ حالاً من الفاعلين الذين هم ذريتهم » ^(٢) . وكلا القولين مروى عن ابن عباس ^(٣) . والوجه أن تحمل الذرية على ما بيننا . وعلى هذه الجملة يدل كلام المفسرين ^(٤) .

والذرية تقع على الصغير والكبير ، والواحد والكثير ^(٥) . فمن وقوعها على الصغير الواحد قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران : ٣٨] ، ومن وقوعها على الكبار البالغين قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

ومن وقوعها على الكبير قوله : ﴿ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ﴾ [مريم : ٥٨] . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه » ، ثم قرأ هذه الآية ^(٦) .

وقال عبدالله في هذه الآية : « الرجل يكون له القِدم وتكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه ، وإن لم يبلغوا ذلك » ^(٧) .

(١) في (ك) : (فإذا حلت الذرية الكبار) ، والصواب ما أثبتته .

(٢) انظر : الحجة للقرء السبعة ٢٥٥ / ٦ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٥ / ٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٦ .

(٤) انظر : الكشف والبيان ١١ / ١٩٦ ب ، والوسيط ٤ / ١٦ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٣٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ذراً) ٣ / ١٥ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٢٤٧ موقوفاً على ابن عباس ، والحاكم في مستدركه في كتاب التفسير ، سورة الطور ٢ / ٤٦٨ ، والبراز عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري ، وفيه ضعف ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٧ / ١٥ . انظر : مجمع الزوائد ٧ / ١١٤ ، والبحر المحيط ٨ / ١٤٨ ، وتخريجات الكشف ١٦٠ ، والصواعق المرسلة ١ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، والتفسير القيم ٤٤٩ ، وبه قال الجمهور .

(٧) انظر : التفسير القيم ٤٥١ .

وقال أبو مجلز : «يجمعهم الله له ما كان يجب أن يُجمعوا له في الدنيا»^(١) ، وقال الشعبي : «أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة»^(٢) .

وقال الكلبي عن ابن عباس : «إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء» . وهذا القول اختيار الفراء^(٣) . والآباء على هذا القول داخلون في اسم الذرية .

وذكرنا جواز ذلك عند قوله : ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾^(٤) عني بالذرية الآباء . والأكثر على القول الأول ، وهو أن الأبناء يلحقون بدرجة الآباء .

قال إبراهيم : «أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً»^(٥) ، وهو اختيار الزجاج ، قال : «تأويل الآية أن الأبناء يلحقون بالآباء إذا كانت مراتب الآباء في الجنة أعلى من مراتبهم ، ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً»^(٦) ، وذلك قوله : ﴿وَمَا أَلْنَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ . وذكرنا تفسير الألت عند

(١) ورد في الدر ١١٩/٦ منسوباً إلى ابن المنذر .

(٢) انظر : جامع البيان ١٦/٢٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٩٢/٣ ، وتفسير القرطبي ٦/١٧ ، والتفسير القيم ٤٥١ .

(٤) عند تفسيره الآية ٤١ من سورة يس . ومما قال : «قال ثعلب : الذرية تقع على الآباء ، وقال الفراء : جعل الذرية التي كانت مع نوح لأهل مكة لأنها أصل لهم ، وقال الزجاج : قيل لأهل مكة : (حملنا ذريتهم) لأن من حمل مع نوح فهم أبائهم وذرياتهم . فهذه الأقوال تدل على أن الآباء يجوز أن تسمى ذرية الأبناء . وقد كشف صاحب النظم عن هذا فقال : جعل الله الآباء ذرية للأبناء . وجاز ذلك لأن الذرية مأخوذة من ذرأ الله الخلق فسمى الولد ذرية ؛ لأنه ذري من الأب فكما جاز أن يقال للولد ذرية لأبيه لأنه ذري منه كذلك يجوز أن يقال للأب ذرية للأب لأنه ذري منه» .

(٥) ورد في جامع البيان ١٦/٢٧ ، والدر ١١٩/٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وهناد .

(٦) انظر : معاني القرآن ٥/٦٥ ، ٦٦ .

قوله : ﴿لَا يَلَيْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾^(١) ، والقراء على فتح اللام في : (ألتناهم) ، وهو الأشهر الأعراف .

وقرأ ابن كثير بكسر اللام^(٢) ، ويشبه أن يكون ذلك لغة ، فقد جاءت حروف على فِعْلَ وفَعَلَ ، مثل : نَقِمَ يَنْقُمُ ، ونَقَمَ يَنْقِمُ .

وقد رويت هذه القراءة عن يحيى بن يعمر ، ومكانه مكانه^(٣) .

قال ابن عباس : «لم تنقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم»^(٤) . وهذه الآية رد ظاهر على القدريّة حين أنكروا أن يعطي الله - تعالى - ذكره مؤمناً من فضله ما لا يستحقه بعمله . وتم الكلام عند قوله : ﴿مِن شَيْءٍ﴾^(٥) ، ثم ابتداء : ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ . قال ابن عباس : «ارتهن أهل جهنم بأعمالهم»^(٦) ؛ أي أخذوا وحُبسوا في جهنم ، ولكن الكلام في نفس الآية يدل على ما ذكر ؛ لأن الله وصف منازل أهل الجنة ، ثم ذكر أهل النار وأنهم ارتهنوا بعملهم ، فدلّ معنى الكلام على أنهم معذبون ، فإن أهل الجنة في نعيمهم .

وقال مقاتل : «كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتين في النار»^(٧) . ويدل على صحة ما ذكر ما قال الكلبي ، وهو أن الله - تعالى - استثنى المؤمنين في قوله :

(١) عند تفسيره الآية ١٤ من سورة الحجرات ، ومما قال : «لأتّ اجتمع أربع لغات : أَلَتْ ، وآلَتْ ، ولَاتٌ ، وآلَاتٌ . كلها معناها النقصان . قال ابن عباس ومقاتل : لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً» . انظر : البسيط ٦٥٦ ، تحقيق السحيباني .

(٢) انظر : حجة القراءات السبع ٦٢ ، والنشر ٣٧٧/٢ ، والإتحاف ٤٠٠ .

(٣) انظر : الحجة للقرّاء السبعة ٢٢٦/٦ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٨٤/٥ ، وجامع البيان ١٧/٢٧ ، والوسيط ١٨٧/٤ .

(٥) ذكره صاحب القطع والانتاف ٦٦ ، وقال : «وهو قول أبي حاتم» .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦٨/١٧ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ ب ، ومعالم التنزيل ٢٣٩/٤ .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدر: ٣٨-٣٩]^(١)، فدل على أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ الكافر لا المسلم^(٢).

ثم ذكر ما يزيدهم^(٣) من الخير والنعمة، فقال:

٢٢. ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مَّائِشْنُونَ﴾. قال ابن عباس: «يعني غير الذي كان لهم زيادة من الله - تعالى - أمدهم بها»^(٤). قال الكلبي ومقاتل: «يعني غير الذي كان لهم زيادة من الله - تعالى - أمدهم بها».

٢٣. قوله تعالى: ﴿يَنْتَزِعُونَ﴾؛ يتعاطون^(٥)، والمعنى أن هذا يأخذ من يد هذا، وهذا يأخذ من يد هذا كالشيء المتنازع فيه، تنزعه من صاحبك، وصاحبك ينزعه منك. هذا هو الأصل، ثم صار التنازع اسماً للتناول، والمنازعة اسماً للمناولة^(٦). قال الأعشى:

نَازَعَتْهُمْ قُضْبَ الرِّجْحَانِ مُتَكِنًا وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُقَهَا خَضِلٌ^(٧)

وقال الأخطل:

نَازَعَتْهُمْ طَيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ

(١) آية (٣٨، ٣٩) من سورة المدر. ولم أجد القول عن الكلبي أو غيره.

(٢) اختيار ابن جرير، والنحاس، وابن كثير، وغيرهم: العموم، وأن كل إنسان مرتين بعمله، فإن قسام به على الوجه الذي أمره الله به فكه، وإلا أهلكه. انظر: جامع البيان ١٧/٢٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٢٥٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٢، وفتح القدير ٥/٩٨.

(٣) في (ك): (ما يزيدهم)، والتصويب من الوسيط.

(٤) انظر: الوسيط ٤/١٨، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٩.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ١٢٨ ب، وجامع البيان ١٧/٢٧.

(٦) انظر: تهذيب اللغة ٢/١٤١، واللسان (نزع) ٣/٦١٦.

(٧) انظر: ديوان النابغة ١٤٧. القهوة: الخمر. والراووق: إناء الخمر. والخضل: الندي.

صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي^(١)

وجميع أهل اللغة قالوا في معنى ﴿يَنْزَعُونَ﴾: يتعاطون، وهو قول أبي عبيدة، والمُبرِّد، والرَّجَّاج، وابن قتيبة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فِيهَا كَأْسٌ﴾. قال ابن عباس ومقاتل: «يعني الخمر»^(٣). وقد ذكرنا أن الكأس معناها الإناء فيه الشراب، فإذا كانت فارغة فليست بكأس، ولما لم تنفك الكأس عما فيها، جاز أن يسمى ما فيها باسم الكأس^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد لا يلغون ولا يأتون»^(٥). وعبارات المفسرين مختلفة الألفاظ، فقد قالوا: «لا فضول، ولا باطل، ولا سباب، ولا تخاصم فيها»^(٦).

قال أبو إسحاق: «أي لا يجري بينهم ما يُلغى، ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر»^(٧).

وقال ابن قتيبة: «أي لا يذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا كما يكون من خمر الدنيا»^(٨). فإذا لم يذهب بعقولهم لم يكن منهم ما يؤثم. والتأثم تفعيل من الإثم،

(١) انظر: ديوان الأخطل ١٠/١٩٨، ومجاز القرآن ٢/٢٢٣. ومعنى نازعته: ناولته. والشمول: الطيبة الريح.

(٢) انظر: مجاز القرآن ٢/٢٣٢، ومعاني القرآن للزجاج ٥/٦٣، وغريب القرآن ٤٢٥.

(٣) انظر: تنوير المقباس ٥/٢٨٤، وتفسير مقاتل ١٢٨ ب.

(٤) انظر: المفردات ٤٤٣، وتهذيب اللغة (كيس) ١٠/٣١٣، واللسان (كأس) ٣/٢٠٦.

(٥) انظر: تنوير المقباس ٥/٢٨٤، وجامع البيان ١٧/٢٧.

(٦) انظر: تفسير مجاهد ٢/٦٢٤، وتفسير عبدالرزاق ٢/٢٤٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٢.

(٧) انظر: معاني القرآن ٥/٦٣.

(٨) انظر: تفسير غريب القرآن ٤٢٥.

يقال : أثمّه ، إذا جعله ذا إثم ، يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين . والكلام في التنوين ، وتركه في مثل هذا قد تقدّم عند قوله : ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ﴾^(١) .

وقوله : ﴿فِيهَا﴾ من قوله : ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ على قول سيبويه ، لأنه خبر عن قوله : ﴿لَا لَغْوٌ﴾ والتقدير : لا لغو فيها ولا تأثيم فيها ، واستغني عن ذكر خبر الثاني لدلالة خبر الأول عليه كقوله : زيد منطلق وعمرو^(٢) .

٢٤ . قوله تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ . قال الكلبي : «بالخدمة غلمان لهم»^(٣) . قال مقاتل : «لا يكبرون أبداً»^(٤) . ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في الحسن والبياض ﴿لَوْ لَوْ مَكُونٌ﴾ في الصدف ، لم تمسه الأيدي ، ولم تره العين .

وقال عطاء : «يريد مثل اللؤلؤ حين يخرج من أصدافه قبل أن يصيبه الطيب والدهن»^(٥) .

(١) عند تفسيره الآية ١٩٧ من سورة البقرة . وفي قوله : ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيَةٌ﴾ . قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : (لغواً) ، و(تأثيماً) بالنصب ، وقرأ الباقر بالرفع والتنوين . انظر : حجة القراءات ٦٨٣ ، والنشر ٢ / ٢١١ ، والإتحاف ١٣٤ . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : (فلا رفّت ولا فسوق) بالرفع والتنوين ، وقرأ الباقر بالفتح من غير تنوين . انظر : البسيط ١ / ١٢٢ أ - ب ، والحجة ٢ / ٢٨٦ ، والنشر ٢ / ٢١١ ، والإتحاف ١٣٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٧٠ ، ٥ / ٦٣ ، والحجة للقرّاء السبعة ٦ / ٢٢٦ .

(٣) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٩ .

(٥) لم أجده .

ومعنى: ﴿مَكْنُونٌ﴾ مصون في ما تكنه؛ أي تستره^(١). ذكرنا تفسير هذا الحرف في مواضع، وعلى ما ذكر مقاتل وعطاء: «أراد أنه مكنون في الصدف»^(٢)، وقال الكلبي: «قد خُبِّي وَكُنَّ من الحر والقرِّ والمطر فلم يتغير»^(٣)، وعلى هذا، هو مكنون في غير الصدف. قال الحسن في هذه الآية: «قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ، فكيف بالمخدوم؟ قال: «كما بين القمر ليلة البدر والكوكب»^(٤)، ونحو هذا ذكر قتادة^(٥).

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه ألف يناديه كلهم: لبيك لبيك»^(٦).

وقال أبو عبد الرحمن المعافري^(٧): «إنه ليصف الرجل من أهل الجنة سباطان لا يرى طرفهما من غلمانته حتى إذا مرَّ مشوا وراءه»^(٨).

(١) الكُنَّ والكَنَّة والكَنَانُ: وقَاء كل شيء وسِترُهُ، والكِنُّ: البيت أيضاً، والجمع: أَكْنَانٌ وأَكَنَّةٌ. انظر: اللسان (كَنَنَ) ٣/ ٣٠٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٢٨ ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٠.

(٣) لم أجده عن الكلبي، وقال صاحب تنوير المقباس ٥/ ٢٨٤، قال: «قد كُنَّ من الحر والبرد والقرِّ». والقرُّ: هو البرد عامة، وقال بعضهم: القرُّ في الشتاء، والبرد في الشتاء والصيف. انظر: اللسان (قر) ٣/ ٥٢.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ١٩٧ ب من رواية الحسن مرسلاً. انظر: تحريجات الكشف ١٦٠.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٨، وابن جرير في جامع البيان ٢٧/ ١٨، وابن المنذر في الدرر ١١٩/ ٦.

(٦) أخرج نحوه الثعلبي في الكشف والبيان ١١/ ١٩٧ ب من رواية عمر بن عبدالعزيز البصري، عن يوسف بن أبي طيبة، عن وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. انظر: تحريجات الكشف ١٦٠.

(٧) لم أجد ترجمته.

(٨) لم أجد هذا القول.

وقال حميد بن هلال^(١) : «ذكرنا أن الرجل إذا دخل الجنة صُور صورة أهل الجنة ، وألبس لباسهم ، وحُلِّي حليهم ، وأُري أزواجه وخدمه ، أخذته سوار فرح لو كان ينبغي له أن يموت لمات من سوار فرحه ، فيقال له : أرايت سوار فرحتك ، فإنها قائمة لك أبداً»^(٢) .

٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والنصب والخوف»^(٣) ، وقال مقاتل : «زار بعضهم بعضاً فتساءلوا بينهم ما كانوا فيه من المشقة في الدنيا» ، فذلك قوله :

٢٦ . ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ؛ أي في دار الدنيا مشفقين من العذاب .

٢٧ . ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ يعني جهنم الحارة^(٤) ، ونحو هذا قال الحسن في السموم أنه من أساء جهنم^(٥) .

وقال عطاء : «يريد الطبق السابع من جهنم وهو الأعلى»^(٦) .

(١) حميد بن هلال العدوي ، أبو نصر البصري ، ثقة ، عالم ، توقف فيه ابن سيرين لدخوله عمل السلطان . انظر : تقريب التهذيب ١/ ٢٠٤ ، وصفة الصفوة ٣/ ٢٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٩ .

(٢) انظر : صفه الصفوة ٣/ ٢٦٠ .

(٣) انظر : الوسيط ٤/ ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٠ . ومعنى قوله : أخذته سوار الفرح ، أي دبَّ فيه الفرح دبيب الشَّراب . انظر : اللسان (سور) ٢/ ٢٣٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٨ ب ، ١٢٩ أ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢٤٠ ، وزاد المسير ٨/ ٥٣ ، وتفسير القرطبي ١٧/ ٧٠ .

(٦) لم أجده .

وقال الكلبي : «عَذَابُ السَّمُومِ» عذاب النار^(١) ، وهو قول أبي عبيدة^(٢) .
ومعنى السموم في اللغة : الريح الحارة تكون بالنهار ، وقد تكون بالليل أيضاً .

قال أهل المعاني : «معنى السموم الحر الذي يدخل في مسام البدن بما يوجب ألمه ، ومنه ريح السموم ، ومسام البدن الخروق الدقاق ، وعلى هذا ، حر جهنم وحر النار مما يدخل في مسام البدن»^(٣) .

وقال أبو إسحاق : «عَذَابُ السَّمُومِ» ؛ أي سموم جهنم^(٤) ، وعلى هذا ، سموم جهنم ما يوجد من لفح أوارها^(٥) وحرارة لهوبها كالريح الحارة التي تهب فتؤذي الإنسان ، فكأنهم قالوا : وقانا الله حر جهنم حتى لم يصبنا وهج نارها .

قال^(٦) : وسياق هذه الآيات يدل على أنهم يتساءلون في الجنة عن أحوالهم التي كانت في الدنيا ، كأن بعضهم يقول لبعض : بم صرت إلى هذه المنزلة ؟ وفي الكلام دليل على ذلك ، وهو قولهم في جواب المسألة : «إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» ؛ أي من المصير إلى عذاب الله فعملنا بطاعته^(٧) .

قال إبراهيم التيمي : «ينبغي لمن لم يحزن في الدنيا ولم يخف أن يكون من أهل النار ، وأن لا يكون من أهل الجنة ؛ لأنهم قالوا : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر : ٣٤] ، وقالوا :

(١) انظر : الوسيط ٤/ ١٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٤٠ ، وزاد المسير ٥٣ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٠ ، واللسان (سمم) ٢/ ٢٠٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٤ .

(٥) وَرَتِ النَّارُ تَرِي وَزَيَّاءُ وَرِيَّةً حَسَنَةً . اتَّقَدْ ، وَأُورِيَتْ النَّارُ أَوْرِيَهَا إِبْرَاءً . انظر : اللسان (ورى) ٣/ ٩١٦ .

(٦) أي الزَّجَّاج .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٤ .

٢٨. ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾^(١). ثم قرنوا الجواب مع ذلك بالإخلاص والتوحيد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، أي نوحده، ولا ندعو إلهاً غيره، وهو قول ابن عباس^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾. وقرأ (أنه) بالفتح^(٣).

والمعنى: ندعوه لأنه هو البر الرحيم؛ أي فلرحمته يجب من دعاه، فلذلك ندعوه، ومن كسر الهمزة قطع الكلام مما قبله واستأنف^(٤)، وهو اختيار أبي عبيد قال: «نقرأها كسراً على الابتداء، أي إن ربنا كذلك على كل حال». قال: «ومن نصب أراد ندعوه لأنه، أو بأنه، فيصير المعنى: أنه يدعى من أجل هذا»^(٥).

والتأويل الأول أعم وأحب إليّ، قال المبرّد: «قال أبو عبيد: الكسر أعم، ولا وجه له، لأن قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ بمعنى لأنه، أو بأنه دائم ثابت في الله عز وجل، مثل قولهم لو ابتدؤوا فقالوا: إنه، وأما قوله: من نصب يصير المعنى فيه أن الله يدعى من أجل هذا، فهو كما وصف، وليس في هذا علة توهن هذه القراءة، وإنما يدعو المسلمون ويستغفرون ربهم؛ لأنه الغفور الرحيم». والمعنى في القراءة يؤول إلى شيء واحد، والله أعلم^(٦).

(١) انظر: صفة الصفوة ٣/ ٩١.

(٢) انظر: تنوير المقباس ٥/ ٢٨٦، وجامع البيان ٢٧/ ١٨.

(٣) قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر (أنه) بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر. انظر: حجة القراءات ٦٨٤، والنشر ٢/ ٣٧٨، والإتحاف ٤٠١.

(٤) انظر: الحجة للقرء السبعة ٦/ ٢٢٧.

(٥) انظر: حجة القراءات ٦٨٤.

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٤.

قال الكلبي ومقاتل : «إنه هو البر الصادق في ما وعد أوليائه ، الرحيم بالمؤمنين»^(١) .

٢٩ . قوله ﴿فَذَكِّرْ﴾ . قال المفسرون : «فِعِظْ بالقرآن أهل مكة» ، والمعنى : ذكرهم بما أعتدنا للمؤمنين والكافرين .

﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «برحمة ربك عليك»^(٢) . والمعنى : بإنعامه عليك بالنبوة ورحمته إياك حتى عصمك وطهرك^(٣) .

قوله : ﴿يَكَاهِنِ﴾ . يقال : كَهَنَ الرجل يَكْهَنُ كَهَانَةً ، مثل : كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَابَةً ، وَقَلَّ مَا يُقَالُ إِلَّا تَكَهَّنَ الرجل ، ويقال : كهن لهم ، إذا قال لهم قول الكهنة^(٤) ، وهم الذين كانت الشياطين تلقي إليهم ما يسترقون فيخبرون الناس به ، وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ ، فلَمَّا بُعِثَ وَمُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ من استراق السمع بطل علم الكهانة^(٥) .

قال المفسرون : «ما أنت بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غدٍ من غير وحي» ، أي لست تقول ما تقول^(٦) كهانة ، ولا تنطق إلا بوحي . والكاهن الذي يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن إياه وإخبارهم ، والمجنون المارق الذي يغطى على عقله . وهذا جواب لكفار مكة حين قالوا : إنه كاهن ومجنون وشاعر ، وقد

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٠ .

(٣) قال صاحب تنوير المقياس ٥ / ٢٨٦ : «بالنبوة والإسلام» .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٦ / ٢٤ ، واللسان (كهن) ٣ / ٣٠٩ ، وهو قول الليث .

(٥) انظر : فتح الباري ١٠ / ٢١٦ - ٢١٩ ، ومما نقله عن القرطبي قوله : «كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم ، وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية ، لكن بقي في الوجود من يشبه بهم» .

(٦) في (ك) : (مقول) .

علموا أنه ليس كما قالوا ، ولكنهم قالوا ذلك على جهة التكذيب ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم .

٣٠. قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ؛ أي بل يقولون : ﴿شَاعِرٌ﴾ ؛ أي هو شاعر ﴿تَنَزَّيُّ بِهِ رَبِّهِ الرَّبِّ الْمُنُونِ﴾ ؛ ريب الدهر صروفه وحوادثه من قولهم : رابه الأمر ريباً ، أي نابسه وأصابه^(١) . والمنون الدهر في قول الفرّاء^(٢) ، والأصمعي ، والكسائي ، وأصله من المنّ بمعنى القطع ، وذلك أنه يقطع الأعمال .

قال الفرّاء : «المنون يذكر ويؤنث ، فمن ذكره أراد به الدهر ، ومن أنث أراد المنية» . وقول الهذلي^(٣) :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَبِّهِ تَتَوَجَّعُ

روي بالوجهين .

وقال الكسائي : «المنون واحد في اللفظ ، وقد يذهب به مذهب الجماع ، وأنشد قول عدي :

مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ عَدَّيْنِ أَمْ مِنْ ذَا عَلَيْهِ مَنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرٌ»^(٤) .

عدين : أي تركن وجاوزن .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٥ / ٢٥٢ ، واللسان (ريب) ١ / ١٢٦٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٣ / ٩٣ .

(٣) البيت في ديوانه ٨٧ ، والخصائص ٩٤ / ١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠ / ٤ ، والمذكر والمؤنث ٢٢٧ .

(٤) عدي بن زيد العبادي ، والبيت في ديوانه .

قال : «والعرب تقول : لا أكلمك آخر المنون . أي آخر الدهر»^(١) وكلا القولين في المنون ذكره المفسرون .

قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد حدثان الموت»^(٢) .

وقال الكلبي عنه : «أوجاع الموت»^(٣) .

وقال مقاتل : «يعني الموت» ، وهو قول مقاتل^(٤) .

وقال مجاهد : «حوادث الدهر»^(٥) ، والمعنى : ما يصيبه من الدهر أو من الموت . ومعنى التربص بالشيء : انتظار الدوائر به . وأنشد ابن عباس :

تَرَبَّصْ بِهَا رَبِّبَ الْمُنُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقَ يَوْمًا أَوْ يَمُوتَ حَلِيلُهَا^(٦)

قال المفسرون : «قال المشركون : ننتظر بمحمد الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة ، وأن أباه توفي شاباً ونحن نرجو أن

(١) ورد في الوسيط ١٨٩/٤ من دون نسبة .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٨٦/٥ .

(٣) لعل مراد المؤلف - رحمه الله - من قوله : (وقال مقاتل) : هو ما يرويه عن ابن عباس ؛ إذ روى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبخاري عن ابن عباس في قوله : «رَبِّبَ الْمُنُونِ» ، قال : الموت . وفي تفسير مقاتل ، قال : حوادث الدهر . انظر : تفسير مقاتل ١٢٩، وجامع البيان ١٩/٢٧ ، وفتح الباري ٦٠٢/٨ ، والدر ١٢٠/٦ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٦٢٦/٢ ، وجامع البيان ١٩/٢٧ .

(٥) أخرجه ابن الأثير عن ابن عباس في الوقف والابتداء ، وابن دريد في الجمهرة ٢٥٩/١ ، وذكره صاحب اللسان (ربص) ١١٠٦/١ غير منسوب . والذي ذكره المفسرون لا يدل على إنشاد ابن عباس لهذا البيت ، وإنما ذكروا قوله ، ثم قالوا : «وقال الشاعر» ، وربما ذكروا القول ونسبوه إلى غيره . انظر : جامع البيان ١٩/٢٧ ، والقرطبي ٧٢/١٧ ، وفتح القدير ٩٩/٥ .

(٦) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد حسن ، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة . انظر : جامع البيان ١٩/٢٧ ، وفتح الباري ٦٠٢/٨ ، ومعالم التنزيل ٢٤٠/٤ ، ومرويات ابن عباس للحميدي ٨٢٩/٢ .

يموت كما مات أبوه شاباً»^(١)، وقال الأخفش : «يريد نتربص به إلى ريب المنون ، فحذف الجر كما تقول :

قصدت زيداً وقصدت إلى زيد ، وعمدت زيداً وعمدت إلى زيد»^(٢) .

وأصله من المنّ ، قال الله تعالى :

٣١. ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ . قال الكلبي : «انتظروا بي الموت ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ﴾
الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ بكم من المنتظرين عذابكم ، فعذبوا يوم بدر بالسيف» ،
وهو قول جماعة المفسرين^(٣) .

قال أبو إسحاق : وجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا هلكوا كلهم
قبل وفاة رسول الله ﷺ^(٤) .

٣٢. قوله تعالى : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد
التكذيب»^(٥) ، يعني أن الله - تعالى - أشار بقوله : ﴿بِهَذَا﴾ إلى ما ذكر
عنهم مما يدل على تكذيبهم . يقول : «أم تأمرهم أحلامهم بترك القبول
ممن يدعوهم إلى التوحيد ، ويأتيهم على ذلك بالدلائل ، وهم يعبدون
أحجاراً» .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧٢ ، وفتح القدير ٥ / ٩٩ .

(٢) قال الأخفش في معاني القرآن ٢ / ٦٩٧ : «وقال : ﴿تَرَبَّصْ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ لأنك تقول : تربصتُ
زيداً ، أي تربصت به» .

(٣) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤١ ، وتفسير القرطبي ١٧ / ٧٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٥ / ٦٥ .

(٥) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٨٦ .

قال الفرّاء : «الأحلام في هذا الموضع العقول والألباب»^(١) . وكانت عظماء قريش توصف بالأحلام والنهي ، وبأنهم أولو العقول فقال الله - تعالى - منكرًا عليهم : أتأمرهم أحلامهم بهذا ؟ وهذا تهكم وإزراء^(٢) بأحلامهم ، وأنها لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل^(٣) ، وفيه رد على من يوجب شيئًا بالعقل ، وأن الهدى يكتسب بالعقل .

وقوله : ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ؛ أي أم يكفرون طغيانًا ، وقد ظهر لهم الحق . وأول الآية إنكار عليهم ، وآخرها إيجاب . وهو قوله : ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد حملهم الطغيان على تكذيبك»^(٤) .

٣٣ . ومثل هذه الآية في النظم قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ . قال عطاء : «افتعله»^(٥) .

وقال الكلبي : «تكذبه من تلقاء نفسه»^(٦) .

وقال مقاتل : «اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه»^(٧) .

والتقوُّل : تكلف القول ، ولا يستعمل إلّا في الكذب ، لأنه تكلف القول من غير حقيقة بمعنى يرجع إلى أصل^(٨) .

(١) انظر : معاني القرآن ٩٣/٣ .

(٢) أزرى بالشيء إزراء : تهاون به . انظر : المصباح (زرى) .

(٣) انظر : جامع البيان ١٩/٢٧ ، والوسيط ١٨٩/٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤١/٤ .

(٤) انظر : الوسيط ١٨٩/٤ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧٣/١٧ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢٨٧/٥ ، والوسيط ١٨٩/٤ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٣١١/٩ ، واللسان (قول) ١٠٨٩/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/١٧ ، وفتح القدير ٩٩/٥ . وقوله : (بمعنى يرجع إلى أصل) ليس في المصادر السابقة ، ولعل معناه إن صح : ليس للتقول ، وهو الكذب أصل ، وإنما هو اختلاق وافتراء فقط .

قوله تعالى : ﴿بَلْ﴾ ؛ أي ليس الأمر على ما زعموا . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن استكباراً . ثم ألزمهم الحجة على أنهم كذبوا في ما قالوا بقوله :

٣٤ . ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ ؛ أي إذ قالوا : إن محمداً تقوّله ، فقد زعموا أنه من قول البشر فليقولوا مثله .

قال ابن عباس ومقاتل : «بقرآن من تلقاء أنفسهم مثل هذا القرآن كما جاء به ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أن محمداً تقوّله»^(١) . وهذا دليل على الإعجاز ؛ لأن الله -تعالى- تحداهم بالقرآن فما رام أحد منهم أن يعارضه بشيء واللسان لسانهم .

٣٥ . ثم احتج عليهم بابتداء الخلق : قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد من غير نطفة ولا طين»^(٢) .

وقال الكلبي : «من غير أب»^(٣) .

وقال مقاتل : «أكانوا خلقاً من غير شيء هكذا؟»^(٤) .

والمعنى : أوجدوا كما هم عليه من كمال الخلقة ، وخلقوا من غير أن كان لهم ابتداءً من التراب ، ثم من الأب ثم من النطفة والعلاقة ؟ وهذا استفهام إنكاري ، أي أنهم خلقوا أطواراً ، وذلك يدل على قادر ردهم وصرّفهم في أحوالهم ، ولم يوجدوا ابتداءً كما يخلق الجهاد ابتداءً من غير تقدم سبب من أب وأم ، فلا تقوم

(١) انظر : تنوير المقياس ٢٨٧/٥ ، وتفسير مقاتل ١٢٩أ .

(٢) لم أجده عن ابن عباس ، وذكر المفسرون عنه قول : (من غير رب خلقهم وقدرهم) . انظر : معالم التنزيل ٢٤١/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١٧ .

(٣) انظر : تنوير المقياس ٢٨٧/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩أ .

عليه الحجة ، وهؤلاء خلقوا من أشياء ليستدلوا بذلك فتقوم عليهم الحجة . هذا معنى قول المفسرين^(١) .

وأهل المعاني جعلوا ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام .

قال أبو إسحاق : «أم خلقوا لغير شيء ؟ أي أخلقوا باطلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ؟ !»^(٢) ، ونحو هذا قال ابن كيسان : «أم خلقوا عبثاً وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ؟»^(٣) . ويدل على هذا المعنى قوله : ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ؛ أي أهم الخالقون أنفسهم فلا يأتمرون لأمر الله ، ولا ينتهون عما نهى الله عنه ؟ لأن هذا من صفة الخالق لا من صفة المخلوق . والمخلوق يجب عليه ائتمار خالقه .

٣٦ . قوله تعالى : ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فيكونوا هم الخالقين ؟ ﴿بَلْ﴾ ليس الأمر على هذا . لم يخلقوا شيئاً ثم ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ . قال ابن عباس : «بربوبيتي ودوام ملكي»^(٤) .

وقال مقاتل : «بتوحيد الخالق»^(٥) .

وقال أهل المعاني : «لا يوقنون بالحق»^(٦) .

٣٧ . قوله تعالى : ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ﴾ . قال مقاتل : «يقول أبائهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا ؟»^(٧) .

(١) انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٠ ، وفتح الباري ٨ / ٦٠٣ ، وفتح القدير ١٠١ / ٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٥ / ٦٥ .

(٣) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤١ ، وتفسير القرطبي ١٧ / ٧٤ .

(٤) لم أجده .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ .

(٦) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٩ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤١ .

ونحو هذا قال عكرمة : «يعني النبوة»^(١) . وهذا كقوله : ﴿أَهْمَرِ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف : ٣٢] ، وقال الكلبي : «خزائن المطر والرزق»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «هذا عام في جميع مقدورات الله تعالى ، وضرب لها المثل بالخزائن ، لأن الخزانة بيت مهياً لجمع^(٣) أنواع مختلفة ، ومقدوراته كالخزائن التي فيها من كل أجناس المعاني لا نهاية له^(٤) يخرج ما شاء بإيجاده إياه» . يقول : «أعندهم خزائن ربك ؟ فقد أمنوا أن يجري الأمور على خلاف ما يحبون» .

﴿أَمْ هُمُ الْمُضَيَّطُونَ﴾ ؛ أي الأرباب المسلطون ، ومصدره التسطير^(٥) ، ويقال : تسيطر عليّ ؛ أي اتخذتني خولاً ، وعلى هذا قول الليث وأبي عبيدة^(٦) .

وقال المبرّد : «المسيطر المتغلب على الشيء ، يقال : تسيطر علينا ؛ أي تكلفت أن تقصرنا على ما تحب»^(٧) .

قال أبو علي : «وقد جاء على هذا البناء مُبَيَّطٌ ومُهَيِّمٌ ومُبَيَّقِرٌ»^(٨) . والصاد جائز في (المصيطر)^(٩) .

-
- (١) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧٤ .
 (٢) انظر : الوسيط ٤ / ١٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧٤ عن ابن عباس ، وكذا في تنوير المقباس ٥ / ٢٨٨ .
 (٣) في (ك) : (الجميع) .
 (٤) ورد في تفسير القرطبي ١٧ / ٧٤ ، ٧٥ ، والبحر المحيط ١ / ١٥٢ عن الرمانى .
 (٥) في (ك) : (التسطير) .
 (٦) انظر : مجاز القرآن ١ / ٢٣٣ ، وتهذيب اللغة (سطر) ١٢ / ٣٢٦ .
 (٧) انظر : اللسان (سطر) ٢ / ١٤٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥ / ٦٦ .
 (٨) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦ / ٢٢ . البيطرة : معالجة الدواب . والمبيطر : معالج الدواب . والبيقرة : مشية فيها تقارب . انظر : اللسان (بطر) ١ / ٢٢٥ ، (بقر) ٢٤٢ .
 (٩) قال الفراء في معاني القرآن ٣ / ٩٣ : «كتابتها بالصاد ، والقراءة بالسين والصاد» . وقرأ ابن كثير وحفص وابن عامر في رواية الحلواني عن هشام عن عمار والكسائي في رواية الفراء (المسيطر) بالسين ، وقرأ حزة بالإشمام ، وقرأ الباقر بالصاد . انظر : حجة القراء السبعة ١ / ٤٩ ، ٦ / ٢٢٨ ، وحجة القراءات ٦٨٤ ، والنشر ٢ / ٣٧٨ ، والإتحاف ٤٠١ .

ذكرنا ذلك في الصراط^(١) .

وقال المفسرون في تفسير هذا الحرف : «المسلطون الجبارون الأرباب القاهرون» ، كل هذا ألفاظهم .

قال عطاء عن ابن عباس : «المسلطون على عبادي»^(٢) .

وقال مقاتل : «أم هم المسلطون على الناس فيجبرونهم على ما شاءوا ويمنعونهم ما شاءوا؟»^(٣) .

قال الكلبي : «أم هم المسلطون على تلك الخزائن ينزلون منها على الخلق؟»^(٤) ، هذا كلامهم ، والمعنى : أم هم الأرباب فلا يكونوا تحت أمر ونهي يفعلون ما شاءوا؟

٣٨ . قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُمُوكُمْ يَسْتَعِزُّونَ فِيهِ﴾ . قال أبو عبيدة : «السُّلْمُ السبب والمرقى»^(٥) .

وقد مرّ تفسير السُّلْمِ^(٦) .

(١) عند تفسيره الآية ٦ من سورة الفاتحة . والقراءة في قوله تعالى : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ رويت بالسين والصاد عن ابن كثير ، وبالسين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد عن أبي عمرو . رواه عنه العريان بن أبي سفيان ، وروى عنه الأصمعي (الزراط) بالزاي ، والباقون بالصاد ، غير أن حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي . انظر : الحجة ١ / ٤٩ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤ / ٢٤١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٧٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ أ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٥ / ٢٨٨ ، والتفسير الكبير ٢٨ / ٢٦١ .

(٥) انظر : اللسان (سلم) ٢ / ١٩٠ .

(٦) عند تفسيره الآية ٣٥ من سورة الأنعام . وقد ذكر معنى الآية ولم يتطرق إلى معنى السلم . قال الزَّجَّاج : «والسلم مشتق من السَّلامة ، وهو الشيء الذي يُسلمك إلى مصعدك» . انظر : معاني القرآن ٢ / ٢٤٤ .

وقوله : ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ . قال أبو عبيدة : «معنى ﴿فِيهِ﴾ به وعليه»^(١) .

وقال المبرّد : «(فيه) هاهنا بمنزلة (عليه) في الفائدة . والأصل مختلف ، فإذا قلت : عليه ، فمعناه العلو والارتفاع ، وإذا قلت : فيه ، فمعناه أنه مكان حواه»^(٢) . وهذا كقوله : ﴿وَلَا تُصَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه : ٧١] ، وقد مرّ .

ومعنى الآية : ألهم سلّم إلى السماء يستمعون عليه الوحي ؟ فقد وثقوا بما هم عليه ، وردوا ما سواه . قال المفسرون : «يقول : ألهم سبب إلى السماء يرتقون عليه فيستمعون الوحي ، فيدعون أنهم سمعوا من الله ما هم عليه وأنه حق ؟ ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَعِيمٌ﴾ إن دعوا ذلك ﴿بِسُلْطَنِ مُيِّنٍ﴾ ؛ بحجة واضحة» .

وقال أبو إسحاق : «المعنى ألهم كجبريل الذي يأتي النبي ﷺ بالوحي ، ويبين عن الله عزّ وجلّ ؟» .

٣٩ . ثم سَفّه أحلامهم في جعلهم البنات لله فقال : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْأَبْنُونَ﴾^(٣) ، وهذا كقوله : ﴿فَأَسْتَفْتِيَهُمُ الرِّبَا أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات : ١٤٩] وقوله : ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف : ١٦] الآية . ومعنى الآية الإنكار عليهم ، أي أنتم جاعلون له ما تكرهون وأنتم حكماء عند أنفسكم .

٤٠ . ﴿أَمْ فَتَعْلَهُمُ آبَاءُ﴾ على ما جئتم به من الدين والشريعة ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ ؛ أي غرم ﴿مُثْقَلُونَ﴾ . قال مقاتل : «أثقلهم الغرم فلا يستطيعون الإتيان

(١) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٦ ، والبحر المحيط ٨/ ١٥٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٧ .

من أجل العُزْم»^(١). وكل هذا إنما ذكر قطعاً لحجتهم وبياناً أن الحجة عليهم من كل وجه .

٤١ . قوله تعالى : ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «يريد هل نزل عليهم وحي من السماء فهم يكتبون ؟»^(٢) .

قال : «يريد كتبوه وعلموه» ، وهذا مجمل ، وقد فسرهُ مقاتل فقال : «أعندهم علم الغيب بأن الله لا يبعثهم ، وأن ما يقول محمد ﷺ غير كائن ، ومعهم بذلك كتاب فهم يكتبون ؟»^(٣) .

وهذا وهم ؛ لأنهم لو علموا الغيب لم^(٤) يوجب ذلك إنكار البعث وأمر محمد ﷺ ، ولكن المعنى ما قال قتادة : «أن هذا جواب لقولهم : ﴿نَرْيَا بِهِ رَبَّ أَلْمُنُونِ﴾ . يقول الله تعالى : أعندهم الغيب حتى علموا أن محمداً يموت قبلهم»^(٥) . وعلى هذا قوله : ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يجوز أن يكون معناه : يكتبون ذلك الذي عندهم من علم الغيب .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ ب .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٥ / ٢٨٨ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧ / ٧٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ ب .

(٤) (لم) ساقطة من (ك) .

(٥) انظر : الوسيط ٤ / ١٩٠ ، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٤٢ ، وتفسير القرطبي ١٧ / ٧٦ . قلت : «قول المؤلف رحمه الله : (وهذا وهم) رد لقول مقاتل . وظاهر الآية لا يرد ؛ إذ في قوله تعالى : ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ ما يرد كل افتراءاتهم وتكذيبهم للنبي ﷺ حيث لم يستندوا على وحي أو عقل ، ويدخل ضمن دلالة الآية دعواهم أن النبي ﷺ سيموت في شبابه كما مات الشعراء من أمثاله النابغة وزهير ، والله أعلم» .

وقال ابن قتبية^(١): «معناه : يحكمون» . والكتاب بمعنى الحكم قد ورد في كثير من المواضع كقوله : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] أي قضى وأوجب ، وكقوله ﷺ : «سأقضي بينكم بكتاب الله»^(٢) أي بحكمه .

٤٢ . قوله تعالى : ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعني : أيريدون أن يكيدوك ويمكروا بك مكرًا يغتالونك ؟ به ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ ؛ أي المجزيون بكيدهم في الدنيا والآخرة . يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم ويحقيق بهم مكرهم . وقال الكلبي ومقاتل : «يعني بكيدهم ما اجتمعوا ليكيدوا به في دار الندوة ، فجزاهم الله بكيدهم أن قتلهم ببدر ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾»^(٣) .

٤٣ . قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ . هذا إنكار عليهم ما اتخذوه من الآلهة دون الله . يقول : «ألهم إله دون الله ؟ يعني : إلهًا يخلق ويرزق ويحيي ويميت» . وهذا معنى قول مقاتل : «ألهم إله يمنعهم من مكرنا بهم»^(٤) ؟ يعني : أن الذين اتخذوهم آلهة ليست بآلهة تدفع وتضر وتنفع .

ثم نزه نفسه بقوله تعالى : ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ؛ أي عمن يجعلونه شريكاً لله .

٤٤ . ثم ذكر عنادهم وقساوة قلوبهم فقال : قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ . قال مقاتل : «يعني : جانباً من السماء يسقط

(١) انظر : معالم التنزيل ٢٤٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٧ .

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٢٤١/٣ ، وفي مواضع أخرى ، ولفظه : «لأقضي بينكما بكتاب الله» ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، وأحمد في المسند ١١٥/٤ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ ب ، ومعالم التنزيل ٢٤٢/٤ ، وتفسير القرطبي ٧٦/١٧ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ ب .

عليهم لعذابهم لقالوا من تكذيبهم : هذا سَحَابٌ مَرَكُومٌ بعضه على بعض^(١) . والمعنى : إن عذابناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ، وقالوا هو قطعة من السَّحَابِ ، وهذا معنى قول ابن عباس^(٢) .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله -عزَّ وجلَّ- أن هؤلاء لا يعتبرون ولا يوقنون ولا يؤمنون بأبهر ما يكون من الآيات»^(٣) .

٤٥ . ثم أخبر^(٤) نبيه عن إيمانهم فقال : قوله تعالى ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يقول : فخلَّ عنهم ، يعني لا تهتم بهم حتى يعاينوا يوم موتهم ، وهذا تهديد لهم . ومعنى ﴿يُصْعَقُونَ﴾ : يموتون ، من قوله : ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] وقُرئ ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء^(٥) .

قال الفرَّاء : «يقال صُعِقَ الرَّجُلُ وَصِعَ مِثْلُ سُعِدٍ وَسُعِدَ» . لغات كلها صواب^(٦) ، وحكى الأخفش أيضاً : «صُعِقَ» ، وعلى هذا يجوز : مصعوق .

وقال أبو علي : «﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء من صَعِقُوا هم ، وأصعقهم الله فيصعقون من باب يُكْرَمُونَ»^(٧) ، ومنه قول ابن مقبل :

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) انظر : تنوير المقياس ٢٨٩/٥ ، ومعالم التنزيل ٢٤٢/٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ٦٨/٥ .

(٤) في (ك) : (حُب) ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء ، وقرأ الباقر بفتحها . انظر : حجة القراءات ٦٨٤ ، والنشر ٣٧٩/٢ ، والإتحاف ٤٠١ .

(٦) انظر : معاني القرآن ٩٤/٣ .

(٧) انظر : الحجة للفرَّاء السبعة ٢٨٨/٦ .

..... أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ^(١)

٤٧. ثم أعلم الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني كفار مكة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قالوا: «يعني القتل ببدر»^(٢).

وقال مجاهد: «يعني الجوع والقحط الذي أصابهم»^(٣). ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي لا يعلمون ما يصيرون إليه ، وما هو نازل بهم .
ثم أمر نبيه ﷺ بالصبر .

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ؛ أي إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم ، فإننا نرى ما تقاسي منهم ، وهو قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ . قال ابن عباس: «يريد أرى وأسمع ما يعمل بك»^(٤).

وقال أبو إسحاق: «أي إنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك ، فلا يصلون إلى مكروهك»^(٥). وفي هذا تسلية للنبي ﷺ .

(١) انظر: ديوانه ٢٥٢ ، ومجالس ثعلب ١٢٨ ، والحيوان ٢٣٣ / ٧ ، وهمع الهوامع ٨٣ / ١ ، والدر اللوامع ٧ / ١ ، والبيت بتمامه :

ترى الثُّغَرَاتِ الخُضْرَ تَحْتَ لَبَانِهِ فُرَادَى وَمِثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ
والصهل : حدة الصوت ، ويطلق على صوت الخيل . انظر : اللسان (صهل) ٤٨٧ / ٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ١٢٩ ب ، ومعالم التنزيل ٢٤٣ / ٤ .

(٣) ورد في تفسير مجاهد ٦٢٦ / ٢ ، ورجح ابن جرير ، وابن كثير ، وغيرهما حمل الآية على العموم ؛ إذ تشمل الذين ظلموا أنفسهم بالكفر إلى يوم القيامة ، والعذاب في الدنيا بالجوع وغيره وفي القبر ، كل ذلك دون يوم القيامة الذي فيه يصعقون . انظر : جامع البيان ٢٧ / ٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٥ / ٤ .

(٤) انظر : الوسيط ١٩١ / ٤ ، ومعالم التنزيل ٢٤٣ / ٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ١٩١ / ٥ .

قوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ . أكثر المفسرين على أنه أمر أن يقول حين يقوم من مجلسه : سبحان الله وبحمده ، وهو قول أبي الأحوص ، وسعيد بن جبير ، وعطاء^(١) .

قال ابن عباس : «صَلَّ الله حين تقوم من منامك ، يعني : صلاة الصبح»^(٢) .

وقال الكلبي : «سَبَّحَ الله حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة»^(٣) .

وقال الضحاك : «أمر أن يقول حين يقوم للصلاة : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً»^(٤) .

٤٩ . قوله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ . قال ابن عباس : «يريد فصل له كقوله : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾»^(٥) [الإسراء : ٧٩] ، وقال مقاتل : «يقول فصل المغرب والعشاء»^(٦) .

وقوله : ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ يعني الركعتين قبل صلاة الفجر في قول الجميع^(٧) ، وذلك حين تدبر النجوم ؛ أي تولى فلا تظهر لضوء الصبح . والكلام في هذا ذكرناه في قوله : ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ ، وذكر عن الضحاك ، وابن زيد أن المراد به صلاة الفجر الفريضة^(٨) .

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/٢٤٩ ، وجامع البيان ٢٧/٢٢ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٣ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٥/٢٨٩ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٣ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/٢٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٧٩ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٧/٧٩ ، وفتح القدير ٥/١٠٣ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٥/٢٨٩ ، والوسيط ٤/١٩١ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ١٣٠ أ ، والوسيط ٤/١٩١ .

(٧) ورد عن علي وأبي هريرة في جامع البيان ٢٧/٢٣ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٨٠ ، والاستذكار ٥/٤٣١ .

(٨) انظر : جامع البيان ٢٧/٢٤ ، ومعالم التنزيل ٤/٢٤٤ .